الجمهـورية العربيـة السوريـة
جامعة دمشق: كلية الشـريعة
قســم العقائــد والأديـــان

نوح بين القرآن الكريم والعهد القديم والدراسات المعاصرة

دراسة تحليلية نقدية مقارنة

رسالة أعدت لنيل درجة الماجستير في العقائد والأديان

إعداد الطالبة

سميرة محمد سمير الشيخ عبد القادر

إشراف

الدكتورة: ريمة الصياد

العام الدراسي: ١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

قال تعالى:

﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [يوسف: ١١١].

صدق الله العظيم

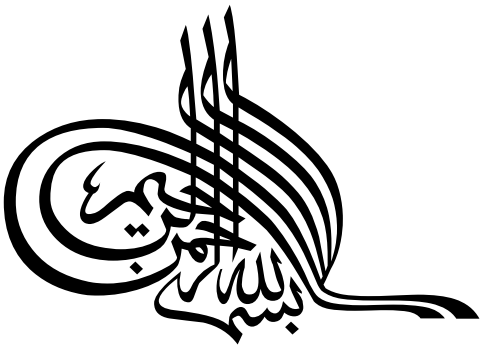
كلمة شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين، حمداً يكافئ نعمه على إكمال البحث، والشكر له تعالى بما منّ عليّ من الفضل، شكراً دائماً لأستزيد من العلم، قال تعالى: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[إبراهيم: ٧]، ثم بعد:

أتوجّه بالشكر إلى **الدكتورة المشرفة ريمة الصياد** على صبرها عليّ، وما بذلته معي من وقت وجهد، وما قدمته لي من نصح وإرشاد، كما أتوجّه بالشكر إلى أعضاء اللجنة على تفضّلهم لمناقشة البحث، ولا أنسى أساتذة القسم الأفاضل بما كان لهم عليّ من فضل وتشجيع على طلب العلم والنصح المستمر بالمثابرة والصبر، وأخص بالذكر الدكتورة: خديجة حمادي العبد الله، فيما زودتني به من فهم وتعزيز للنفس، فجزى الله الجميع خير الجزاء.

وأشكر **والدتي** – حفظها الله تعالى – على دعائها المستمر لنيل ما تصبو إليه نفسي، راجية منه تعالى أن يجعل أجر علمي في ميزانها، وميزان **والدي** – رحمه الله تعالى – كما أسأله تعالى أن يمنّ على كل **من كان له يد** في المساعدة بالأجر.

المقدمة



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين قادة البشرية إلى الصراط المستقيم، أما بعد:

نالت القصص حيزاً من أدبيات الشعوب والكتب المقدسة، واشتركوا في بعضها، لكن بتمايز في نقل الأحداث -تبعاً للمصدر- مما جعل القصة الواحدة ذات روايات متعددة، وانشغل الفكر الإنساني حديثاً في بعض القصص لظهور أثرها في علم الآثار والتنقيبات الحفرية، ولما تحتويه من مسائل علمية أشارت إليها بعض مصادرها (أي القرآن الكريم)، والبحث المقدم إحدى هذه القصص، وهو بعنوان: "نوح بين القرآن الكريم والعهد القديم والدراسات المعاصرة".

فأما القرآن الكريم آخر الكتب السماوية المنزلة إلى بني البشر، والمهيمن على ما سواه- قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨] ، فقد بلغ حيز القصص فيه قرابة الثمانية أجزاء-وفي ذلك دلالة على أهميتها- أي الربع أو يزيد قليلاً، والقصة في القرآن الكريم أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله تعالى، لاسيما قصص الأنبياء عليهم السلام بما تحمله من مقاصد دينية، وموضوعات ذات أهمية بالغة في العقيدة والأخلاق، وحقائق علمية تزيد في العلم وتقوي معاني الإيمان، كما تمتاز القصة القرآنية بخلوها من التناقض، وتوافقها مع ما توصل إليه العلم الحديث، وقصة نوح عليه السلام ممثلة لذلك كله، وقد تكررت كثيراً في سور القرآن الكريم لكن من زوايا مختلفة متناسبة مع موضوع السورة التي ترد فيها، وإن وُجد تكرار لبعض أجزاء القصة فهو من باب الحكمة.

وأما العهد القديم فهو كتاب مقدس لدى اليهودية والمسيحية، وقد تناول الحديث عن تاريخ العالم منذ نشأته إلى قبيل بعثة المسيح عليه السلام، وتناول بشيء من التفصيل تاريخ بني إسرائيل، وشغلت القصص حيزاً منه، وجاءت كل قصة بصورة مسلسلة كاملة

الأجزاء مترابطة الحوادث كما تفعل كتب التاريخ، فكانت التوراة الحالية أقرب إلى المؤلفات التاريخية، وقصص الأنبياء عليهم السلام من القصص التي وردت في التوراة أيضاً، لكن بصورة مباينة للقرآن الكريم؛ إذ جاء وسم الأنبياء فيها بأوصاف لا تليق بهم، فنوح رجل بار تارة، وشارب للخمر تارة أخرى، وقد وردت قصته في موضع واحد من التوراة، ومع ذلك تكررت بعض أحداثها وبصورة متناقضة تناقضاً صارخاً، فضلاً عن تناقضها مع العلم، كما أن التوراة انفردت بجزئية- وهي سكر نوح ولعنة كنعان- ظهر من خلالها التمييز العنصري اليهودي.

وأما الدراسات المعاصرة فقد جاء الحديث فيها عن الاكتشافات الأثرية لألواح طينية تروي القصة لكن بمسميات مختلفة تعود إلى حضارات قديمة (سومرية وبابلية)، وعن التنقيبات الحفرية التي أجريت حول الطوفان والسفينة، وتناول الحديث أيضاً قراءة الفكر المعاصر للقصة في القرآن الكريم والعهد القديم، ففي القرآن الكريم رأى الفكر الاستشراقي أن القصة مقتبسة من التوراة والإنجيل نظراً للتشابه، ومن ثم حكم بعدم الأصالة للقرآن فيها، وذهب الفكر العلماني إلى القول بأسطورية القصة فضلاً عن وسمه للنص القرآني كله بالأسطورة، وما ذلك إلا لتحقيق هدفه المسبق وهو نزع القداسة عن القرآن الكريم، وقد أعان التيار العلماني على توجيه أسهم الطعن إلى القرآن الكريم بحث بعنوان" الفن القصصي في القرآن الكريم" لمحمد خلف الله، حيث أقرّ فيه بوجود أساطير في القرآن الكريم، خشية حصول التناقض بين القرآن الكريم والتاريخ-على حد تعبيره- كما حصل مع التوراة، وبالإضافة إلى ذلك القراءة المعاصرة للقصة من قبل دعاة التجديد والتطوير بما يناسب العصر-في رأيهم- وذلك من خلال قطع الصلة بالتراث، واستخدام المناهج الوافدة فضلاً عن التوجهات الفكرية والإيديولوجيات الخفية، مما أدى إلى إخراج النص عن معناه، وإنكار بعض الحقائق.

وفي العهد القديم قُدمت قراءة معاصرة للقصة لكن من أجل رفع التناقض بين التوراة والعلم، وذلك من خلال جغرافية جديدة للحدث لم يصل التنقيب إليها بعد.

أولا: إشكالية البحث:

تتمثل إشكالية البحث في ثلاث نقاط، وهي:

١- إن قصة نوح عليه السلام وردت في القرآن الكريم والعهد القديم معاً، لكن بتباين واضح في شخصية نوح عليه السلام، مع وجود إضافات للقصة في القرآن الكريم دون التوراة، وكذلك العكس، بل إن التوراة انفردت بجزئية - من أجل التمييز العنصري اليهودي-لم ترد حتى في روايات الأمم السابقة التي تناولت القصة!

٢- إن الحديث عن قصة الطوفان أو الإشارة إليها لا تكاد تخلو أمة منها، بل إن علم الآثار والتنقيبات الحفرية تناولها أيضاً، ومع ذلك لا يزال النظر إليها -عند بعض العلمانيين- على أنها أسطورة!

٣- إن القراءة الجديدة للقصة تحت مسمى القراءة المعاصرة أفرغت القصة من محتواها الديني، والسبب في ذلك الاعتماد على المناهج الوافدة والخلفيات الفكرية الخفية كالماركسية وغيرها.

ثانيا: أسباب اختيار البحث وأهميته:

لا شك أن هناك أسباباً كثيرة دفعتني للكتابة حول هذا الموضوع، فضلاً عن أهميته، أذكر منها:

١- كثرة الآراء حول قصة نوح عليه السلام بين الإثبات والإنكار لاسيما حادثة الطوفان.

٢- كون القصة ذات صلة بالفكر العلمي والأركيولوجي[1] المعاصر.

٣- يعتبر البحث دراسة في علم مقارنة الأديان، ولهذه الدراسة جدية وفائدة، بوصفها تقدم الإيجابيات والسلبيات من خلال منهج علمي يسعى للوصول إلى الصواب واستبعاد الخطأ وكشف مواطن القصور.

٤- يسهم البحث في دحض التوظيف العنصري الذي اصطنعه اليهود من خلال كلامهم عن الأنبياء عليهم السلام (نوح نموذجاً).

---

(١) علم الآثار والفنون القديمة. انظر: «**معجم اللغة العربية المعاصر**»، د. أحمد مختار عمر، (٨٦/١) مادة رقم (١٢٢).

ثالثا ـ أهداف البحث:

١- تصحيح كثير من المفاهيم الخاطئة التي ترسخت في أذهان بعض الناس، والتي لها أثر في العقيدة والأخلاق، وذلك بالاستناد إلى النص القرآني.
٢- الوقوف على أوجه التباين والاتفاق بين النص القرآني وبين نصوص العهد القديم؛ لإبراز مزايا النص القرآني من حيث دقته وخلوه من التناقض وتوافقه مع ما يقدمه العلم الحديث من نظريات واكتشافات.
٣- عرض القراءة المعاصرة لقصة نوح عليه السلام ومن ثم إبطالها، وبيان الهدف الكامن وراءها.

رابعا ـ منهج البحث:

عولت في البحث بشكل أساسي على المنهج الوصفي في سرد أحداث القصة في القرآن الكريم وأسفار العهد القديم وعلم الآثار، وفي نقل أقوال المعاصرين حول القصة أيضاً، واستعملت المنهج التحليلي في فهم النصوص والاستنتاج منها، كما لجأت إلى المنهج المقارن في كثير من نقاط البحث، ولم أتردّد في التعويل على المنهج النقدي كلما دعت الحاجة إلى ذلك.

خامسا ـ الدراسات السابقة:

توجد دراسات كثيرة حول نوح عليه السلام لا سيما في القرآن الكريم، كما أن هناك دراسات مقارنة بين القرآن الكريم والعهد القديم، لكن لم أقف على دراسة للقصة في الدراسات المعاصرة، سوى التعرض لجانب العلم وبشكل خاص علم الآثار، أما فيما يتعلق بالفكر المعاصر، فلم يقع ناظري على دراسة في هذا الجانب، لذا فالبحث سيكون مكملاً للدراسات السابقة في النقاط التي لم تتعرض للحديث عنها، وعارضاً للقراءات المعاصرة التي قدمت بشأن القصة، ومن ثم نقدها، ومن تلك الدراسات أذكر:

١- دراسات تاريخية من القرآن الكريم في العراق، محمد بيومي مهران: يُعتبر من أوائل الكتب التي عقدت المقارنة بين القرآن والتوراة والآثار، إلا أنه لم يتناول المقارنة بين جميع أحداث القصة، وإنما كان التركيز على حادث الطوفان.
٢- القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم (دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة)، موريس بوكاي: ورد الحديث فيه أيضاً عن حادث الطوفان فقط بين القرآن والتوراة، والجانب المعاصر في الكتاب هو دراسة الرواية من الناحية العلمية

والتي توصل من خلالها إلى تناقض التوراة مع العلم الحديث، بينما لا يوجد في القرآن ما يثير أي نقد علمي.

٣-طوفان نوح بين الحقيقة والأوهام، جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، في البحرين: جاءت تلك الدراسة بين القرآن والتوراة والتراث، وكانت المقارنة في حادث الطوفان والسفينة، وما يميز هذه الدراسة عن سابقتها أنها ترى موقع الطوفان في الجزيرة العربية، وتجزم بخصوصية الطوفان في جميع المصادر؛ إذ ترى الترجمة هي السبب في القول بعموم الطوفان في التوراة وأدبيات الشعوب، بالإضافة إلى القول بأن اسم الجبل الذي استقرت عليه السفينة في القرآن والتوراة والتراث هو لمسمى واحد، وأن هناك أكثر من سفينة.

سادسا ـ الصعوبات العلمية التي واجهها الباحث:

واجهت بعض الصعوبات-أرجو المعذرة في الإشارة إليها-منها: قلة المصادر والمراجع في نقد دعاوى المعاصرين حول قصة نوح عليه السلام، فما تم الاطلاع عليه مجرد مقالات، والحالة الصعبة التي تمر بها سورية حيث حالت دون الوصول إلى المكتبات العامة للاطلاع على قدر أكبر من الكتب المتخصصة، ثم ظروف المواصلات وانعدام الحياة الآمنة، ومتطلبات أخرى كالكهرباء ووسائل التواصل الحديثة.

سابعا ـ خطة البحث:

تتألف من مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة:

-**المقدمة**: وتتضمن (إشكالية البحث-أسباب اختيار البحث وأهميته- أهداف البحث- منهج البحث-الدراسات السابقة-الصعوبات التي واجهها الباحث-خطة البحث).

التمهيد: النبوة والأنبياء بين الإسلام واليهودية.

أولاَ- مفهوم النبوة.
ثانياً- صفات الأنبياء ومراتبهم.
ثالثاً- الحاجة إلى الأنبياء والرسل والإيمان بهم.

الفصل الأول: قصة نوح عليه السلام في القرآن الكريم.

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول : شخصية نوح عليه السلام في القرآن الكريم.
المبحث الثاني : قوم نوح ومعبوداتهم في القرآن الكريم.
المبحث الثالث : دعوة نوح عليه السلام في القرآن الكريم.
المبحث الرابع : السفينة والطوفان في القرآن الكريم.
المبحث الخامس : امرأة نوح وابنه في القرآن الكريم.

الفصل الثاني: قصة نوح عليه السلام في العهد القديم

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: شخصية نوح عليه السلام وقومه في العهد القديم.
المبحث الثاني: السفينة والطوفان في العهد القديم.
المبحث الثالث: بناء نوح مذبحاً للرب وميثاق الله في العهد القديم.
المبحث الرابع: سكر نوح ولعنة كنعان في العهد القديم.

الفصل الثالث: قصة نوح عليه السلام في الدراسات المعاصرة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: قصة نوح في العلم الأركيولوجي والتنقيبات الحفرية.
المبحث الثاني: قصة نوح في الفكر المعاصر.

الفصل الرابع: قصة نوح عليه السلام دراسة عقدية تربوية علمية في القرآن الكريم (دراسة مقارنة).

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول : مزايا القصة في القرآن الكريم.
المبحث الثاني : الجانب العقدي في قصة نوح عليه السلام.
المبحث الثالث : الجانب التربوي في قصة نوح عليه السلام.
المبحث الرابع : الجانب العلمي في قصة نوح عليه السلام.

الخاتمة.

وتتضمن النتائج والتوصيات.

التمهيد
النبوة والأنبياء بين الإسلام واليهودية

أولاً - مفهوم النبوة.

ثانياً - صفات الأنبياء ومراتبهم.

ثالثاً - الحاجة إلى الأنبياء والرسل والإيمان بهم.

التمهيد :

إن دين الله تعالى واحد، وقد دعا إليه جميع الأنبياء عليهم السلام، فلا توجد ديانات سماوية متعددة، بل يوجد دين سماوي واحد، جاء به الأنبياء والمرسلون عبر الأزمان[1].

قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾[الشورى: ١٣]، أي إن الدين الذي جاء به جميع الرسل عليهم السلام واحد، وهو عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وإنما كان الاختلاف فيما بينهم في الشرائع والمناهج[2]، قال تعالى: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا﴾[المائدة: ٤٨].

وقد أجمع المفكرون المسلمون على مجيء كل رسول برسالة تناسب زمانه وتحقق أغراضها في ذلك الزمان، فهي متفقة مع سابقتها في الأصول كالوحدانية مثلاً، ومختلفة في الفروع تبعاً لحاجات الناس[3].

وإن وحدة المصدر للكتب السماوية هي التي تجمع بينها في الأصول، وتحول دون الاختلاف، وإلا فهو التحريف والتبديل، يقول التهامي نقرة: "فوحدة المصدر لهذه الكتب السماوية هي التي تجمع بينها على ٨٩طريق سواء في مبادىء الدين وأصوله العامة، وتجعل اختلافها في ذلك محالاً. وعلى هذا الاعتبار فإن تنزيه الله عن كل نقيصة، والأنبياء عن كل معصية أصل لا يتغيّر...

كلما وجدنا في نصوص الكتاب المقدس ما يعارض مبدأ تنزيه الله، أو عصمة الأنبياء، أيقنّا بتحريفه، كوصف الله في التوراة بالجهل ونسبة الندم إليه وتشبيهه بالمخلوق...وجاء

---

(١) انظر: «**النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام**» أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة (القاهرة)، ط٢ (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م) (ص/١١).

(٢) انظر: «**تفسير القرآن العظيم**» أبي الفداء إسماعيل بن كثير، ت: مصطفى السيد أحمد - محمد السيد رشاد - محمد فضل العجماوي - علي أحمد عبد الباقي- حسن عباس قطب، مؤسسة قرطبة، ط١ (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) (٢٦٢/١٢).

(٣) انظر: «**اليهودية**» أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة)، ط٨ (١٩٨٨م)، (ص/٢٥).

في قصص بعض الأنبياء وصف رسل الله بما عصمهم الله منه كالكذب والخداع والزنى وارتكاب كبائر المعاصي"[1].

فالتحريف والتبديل الذي طال الكتب السماوية –سوى القرآن الكريم الذي تكفل الله بحفظه حيث قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[الحِجر: ٩] أبعدها عن المصدر الرئيس، ومن ثم كان الاختلاف بين أتباع الرسالات السماوية في الأصول، ومنها: مسألة النبوة والأنبياء.

أولاً: مفهوم النبوة:

١-النبوة في الإسلام:

أ- لغة:

إما مأخوذة من النبأ: الخبر، يقال: إن لفلان نبأً أي خبراً[2]."ونَبَّأ وأَنبَأ: أخبر، ومنه اشتق النبي، قال تعالى: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[الحِجر: ٤٩]، وعلى هذا هو فعيل بمعنى فاعل، وقال تعالى: ﴿ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴾[التحريم: ٣] وعلى هذا فهو فعيل بمعنى مفعول"[3].

وليس أحد من العرب -كما يرى سيبويه- إلا ويقول تنبأ "مسيلمة" بالهمز، إلا أنهم تركوا الهمزة في النبي، كما تركوه في الذرية والبرية والخابية، باستثناء أهل مكة فإنهم يهمزون هذه الأحرف دون سواها ويخالفون العرب في ذلك، وجمعه أنبئاء ونبآء، وقال الجوهري: يُجمع أنبياء لأن الهمز لما أبدل وألزم الإبدال جُمع جمع ما أصل لامه حرف العلة، كعيد وأعياد.

---

(١) «**سيكولوجية القصة في القرآن**» التهامي نقرة، رسالة دكتوراة، جامعة الجزائر (١٩٧١م)، الشركة التونسية للتوزيع، د.ط، (ص/٢٢٨- ٢٢٩)

(٢) انظر: «**لسان العرب**» أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر (بيروت)، د.ط، (١/١٦٢)

(٣) «**بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**» مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ت: عبد العليم الطحاوي، القاهرة (١٤١٢هـ-١٩٩٢م)، د.ط، (٥/١٤)

أو مأخوذة من النَبْوَة والنّباوة: وهي الارتفاع عن الأرض، أي أنه أشْرَف على سائر الخلق، فأصله غير الهمز، وقال الزجاج: القراءة المجمع عليها من النبيين والأنبياء طرح الهمز[1].

ب- **اصطلاحاً:**

خبر خاص يكرم به الله تعالى أحداً من عباده؛ فيميزه عن غيره بإلقائه إليه ويوقفه به على شريعته، بما فيها من أمر ونهي ووعظ وإرشاد ووعد ووعيد، فإن انضاف إلى هذا التوقيف أمر بتبليغه الناس كان نبياً رسولاً، وإن لم يؤمر بتبليغه ودعاء الناس إليه كان نبياً ولم يكن رسولاً، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً[2].

فالرسول مختص بالتبليغ، وقيل: مختص بنزول جبريل عليه السلام بالوحي، أو مختص بشريعة خاصة بمعنى أنه ليس مأموراً بمتابعة شريعة من قبله، أو مختص بكتاب، وغير ذلك، وهناك من يرى الترداف بين الرسول والنبي[3].

ويقول ابن تيمية[4]: "...فالنبي هو الذي ينبئه الله. وهو ينبئ بما أنبأ الله به. فإن أرسل إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول. وأما إذا كان يعمل بالشريعة قبله ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي، وليس برسول"[5]، ويذكر في قوله

---

(١) انظر: «**لسان العرب**» ابن منظور (١/١٦٢-١٦٣)

(٢) انظر: «**الجامع لشعب الإيمان**» أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ت: عبد العلي عبد الحميد حامد، الدار السلفية (بومباي-الهند)، ط١ (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م)، (١/٣٨٢-٣٨٢)

(٣) انظر: «**موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**» محمد علي التهانوي، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون (بيروت-لبنان)، ط١ (١٩٩٦م) (١/٨٦٠)

(٤) ابن تَيْمِيَّة (٦٦١ - ٧٢٨ هـ)، هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحرَّاني الدمشقي، تقي الدين. الإمام شيخ الإسلام. حنبلي. ولد في حرّان وانتقل به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر. سجن بمصر مرتين من أجل فتاواه. وتوفي بقلعة دمشق معتقلا. كان داعية إصلاح في الدين، آية في التفسير والعقائد والأصول، فصيح اللسان، مكثرا من التصنيف. من تصانيفه «**السياسة الشرعية**»، و«**منهاج السنة**»، وطبعت «**فتاواه**» في الرياض مؤخرا في ٣٥ مجلدا. [«**البداية والنهاية**» (١٤/١٣٥)، و«**الدرر الكامنة**» (١/١٤٤)، و«**الأعلام**» للزركلي (١/١٤٠)].

(٥) «**النبوات**» تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية، دار الكتب العلمية (بيروت-لبنان)، (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، (ص/٢٥٥).

تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيّٖ﴾[الحج: ٥٢] دلالة على أن الإرسال يعم النوعين، وإنما خص الرسول بأنه مأمور بتبليغ رسالته إلى من خالف الله كنوح عليه السلام، فقد ثبت في الصحيح أنه أول رسول إلى أهل الأرض، وقد كان قبله أنبياء كشيث وإدريس عليهما السلام وقبلهما آدم كان نبياً مكلماً، وما بين آدم ونوح عشرة قرون كلها على الإسلام، فأولئك الأنبياء موحى إليهم من الله بما يفعلونه ويأمرون به المؤمنين، وكذلك أنبياء بني إسرائيل يأمرون بشريعة التوراة، لكن قد يوحى إليهم وحي خاص في قضية معينة. ولا يشترط في الرسول أن يأتي بشريعة جديدة، فيوسف عليه السلام كان رسولاً وكان على ملة إبراهيم عليه السلام[١].

والملاحظ وجود التناسب بين المعنيين اللغوي والشرعي، فعلى تقدير أنها بمعنى اسم الفاعل: فهي على معنى أنه مخبر بالغيوب التي يتلقاها عن الوحي، أومرتفع عن غيره بسبب اصطفاء الله تعالى له بالوحي، وعلى تقدير أنها بمعنى اسم مفعول: فهي على معنى أنه منبئ بالغيوب، أو مرفوع على غيره بسبب الاصطفاء بالوحي إليه[٢].

٢-النبوة في اليهودية :

أ- لغة:

إن لفظة نبي من الألفاظ المنتشرة في اللغات السامية، وعلى الرغم من هذا الانتشار إلّا أن معناها في اللغة العبرية لا يخلو من غموض أدى إلى اختلاف العلماء في تفسيرها، وهي مشتقة من جذر ثلاثي غير مستخدم، ومتعدد المعاني[٣].

يقول عبد الوهاب المسيري: "إذا كانت كلمة نبي ذات مدلول واضح إلى حد كبير في العربية، يزداد تحدَّداً ووضوحاً من خلال النص القرآني وأقوال الرسول، فإن كلمة نبي لا تتمتع في العبرية أو داخل النسق الديني اليهودي بمثل ذلك التحدد والوضوح"[٤].

---

(١) انظر: «**النبوات**» ابن تيمية (ص/٢٥٥-٢٥٧).

(٢) «**العقيدة الإسلامية وأسسها**» عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم (دمشق)، ط٧ (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م) (ص/٢٦٦).

(٣) انظر: «**تاريخ الديانة اليهودية**» محمد خليفة حسن أحمد، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)، ط١ (١٩٩٨م) (ص/١١٥).

(٤) انظر: «**اليهودية . المفاهيم والفرق**» عبد الوهاب المسيري، د.ن، د.ط، (٥/١٥٠).

فليس من السهل على الباحث في ماهية النبوة اليهودية العثور على مفهوم دقيق أو واضح المعالم للفظة (نبي) في اللغة العبرية، إذ تدور تخمينات الباحثين حول المعاني التالية:

١- "ينبع" أو"يتفجر"، أو بتعبير آخر (انفجر فيه أو اندفق فيه)، والكلمةُ مأخوذةٌ من كلمتين هما "نون Non" و" بيث Beth"، ويكون معنى النبي هو الذي اندفق فيه الروح، واستناداً إلى ذلك فهو يفور ويثور، بسبب النظرة التقليدية للأنبياء بأنهم الهائجون المندفعون.

٢- "أعلن" أو"أخبر"، وهي مشتقة من الفعل "نبأ" في اللغة العربية، لكن المقصود به في العبرية التخصيص بالإعلان الإلهي (إعلان الوحي).

٣- "ينادي"مشتقة من الآشورية من الفعل"nabu"، والذي يتضمن أيضاً فكرة التفجر والاندفاع.

٤- اسم لأحد الآلهة الآشورية "نبوNebo" رسول الآلهة والمتحدث بلسانهم.

٥- "نعوم ne,um " من الفعل "نعمna،um" ومنه اشتقت عبارة" نعوم يهوه" أي المتكلم بوحي الله.

٦- الداخل في معاملة أو صلة مع الله، على أن هناك صلة بين الفعل"بو" ومعناه "يدخل في" وبين الكلمة نبي.

ومجمل هذه التفسيرات الغامضة -كما يرى عبد الراضي عبد المحسن- تدل على أن المعنى المرتبط بالكلمة لا يزال قيد الإبهام، فالمعنى الأول لا يتضمنه الفعل "يتدفق أو ينفجر"، والثاني والثالث والرابع بعيد عن المنطق إذ لا يعقل أن يستعمل لفظ أجنبي بعيد عن العبرية في التعبير عن ظاهرة قومية وحيوية للشعب الإسرائيلي، ويفترض الخامس صلة مع فعل آخر، ويعالج السادس جزءاً من الكلمة فقط، وهذا الإبهام قد أفضى إلى القول بأن كلمة النبي والنبوة دخيلة من اللغة اليونانية، ولا تتضمن في العبرية أي معنى مناسب دقيق[1].

---

(١) انظر: «**المعتقدات الدينية لدى الغرب**» عبد الراضي محمد عبد المحسن، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية (الرياض)، ط١ (١٤٢١هـ-٢٠٠١م) (٢٤-٢٥).

ب- في العهد القديم:

لقد وردت نصوص في العهد القديم ذات معنى مرتبط بكلمة النبوة، منها: [1وَدَعَا يَعْقُوبُ بنيه وَقَالَ: اجْتَمِعُوا لأُنْبِئَكُمْ بِمَا يُصِيبُكُمْ فِي آخِرِ الأَيَّامِ. التكوين: ٤٩: ١]، و[14وَالآنَ هُوَذَا أَنَا مُنْطَلِقٌ إِلَى شَعْبِي. هَلُمَّ أُنْبِئْكَ بِمَا يَفْعَلُهُ هذَا الشَّعْبُ بِشَعْبِكَ فِي آخِرِ الأَيَّامِ. العدد: ٢٤: ١٤]، والمراد: الإنباء بالحوادث المستقبلة.

وورد أيضاً: [1فَقَالَ الرَّبُّ لمُوسَى: انْظُرْ! أَنَا جَعَلْتُكَ إِلهًا لفِرْعَوْنَ. وَهَارُونُ أَخُوكَ يَكُونُ نَبِيَّكَ. 2أَنْتَ تَتَكَلَّمُ بِكُلِّ مَا آمُرُكَ، وَهَارُونُ أَخُوكَ يُكَلِّمُ فِرْعَوْنَ لِيُطْلِقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِهِ. الخروج: ٧: ١-٢]، و[14فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى مُوسَى وَقَالَ: أَلَيْسَ هَارُونُ اللاَّوِيُّ أَخَاكَ؟ أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ هُوَ يَتَكَلَّمُ، وَأَيْضًا هَا هُوَ خَارِجٌ لاسْتِقْبَالِكَ. فَحِينَمَا يَرَاكَ يَفْرَحُ بِقَلْبِهِ، 15فَتُكَلِّمُهُ وَتَضَعُ الْكَلِمَاتِ فِي فَمِهِ، وَأَنَا أَكُونُ مَعَ فَمِكَ وَمَعَ فَمِهِ، وَأُعَلِّمُكُمَا مَاذَا تَصْنَعَانِ. 16وَهُوَ يُكَلِّمُ الشَّعْبَ عَنْكَ. وَهُوَ يَكُونُ لَكَ فَمًا، وَأَنْتَ تَكُونُ لَهُ إِلهًا. 17وَتَأْخُذُ فِي يَدِكَ هذِهِ الْعَصَا الَّتِي تَصْنَعُ بِهَا الآيَاتِ. الخروج: ٤: ١٤-١٧] والمراد: الكلام أو التحدث نيابة عن إله؛ إذ هارون النبي فم لموسى، وموسى بالنسبة له إله.

لكن المعنى المقصود من هذين النصين تم نقضه أو تصادم على الأقل مع نصوص أخرى؛ إذ جعلت مصدر النبوة الأرواح الشريرة وليس إله إسرائيل، تقول: [10وَكَانَ فِي الْغَدِ أَنَّ الرُّوحَ الرَّدِيءَ مِنْ قِبَلِ اللهِ اقْتَحَمَ شَاوُلَ وَجُنَّ فِي وَسَطِ الْبَيْتِ. صموئيل الأول: ١٨: ١٠]، و[7سَيَعْرِفُ إِسْرَائِيلُ. النَّبِيُّ أَحْمَقُ. إِنْسَانُ الرُّوحِ مَجْنُونٌ. سفر هوشع: ٩: ٧]، ومع ذلك يميل بعض الدارسين إلى أن هذا في حق الأنبياء الكذبة، وذاك في الأنبياء الحقيقيين، لكنه غير مقبول لأنه ينقصه الاستدلال، ويناقضه عدم كون شاول بين الأنبياء الكذبة، ومع ذلك فالسائد وشبه المتفق عليه بين دارسي العهد القديم ما جاء في سفر الخروج(1).

يقول محمد خليفة حسن: "المعنى المتفق عليه لكلمة (نبي) هو أن النبي شخص مدعو من الله لتوصيل رسالة إلهية إلى قومه. وهذا هو المعنى الذي اعتمدته الترجمة السبعينية حين استخدمت الكلمة اليونانيةprophetes للتعبير عن هذا المعنى، والكلمة تعني حرفياً: شخص يتحدث نيابة عن الإله وهو نفس المعنى المعبر عنه لتحديد العلاقة بين موسى وهارون في سفر الخروج"(2).

---

(١) انظر: «**المعتقدات الدينية لدى الغرب**» عبد الراضي محمد عبد المحسن، (ص/٢٥-٢٧).

(٢) انظر: «**تاريخ الديانة اليهودية**» محمد خليفة حسن أحمد، (ص/١١٩).

ويضاف إلى ذلك ورود العديد من الأسماء والألقاب المعبرة عن النبي، أو بعض وظائفه، كالرائي، والناظر، ورجل الله، والحالم، والحارس، وغيرها[1]؛ إذ إن "ورود أكثر من لفظ للتعبير عن النبي ووظيفته في العهد القديم قد زاد من تعقيد مهمة النبوة، ومن تشابكها كوظيفة مع عدد من الوظائف الدينية الأخرى التي ظهرت في الحياة الدينية اليهودية خاصة في الفترة السابقة على ظهور النبوة الكلاسيكية"[2].

يقول عوض الله حجازي: "وكلمة نبي في عرف اليهود واسعة المدلول؛ فهي تشمل الأنبياء الذين اختارهم الله تعالى لرسالته وأنبأهم بوحيه لإصلاح حال المجتمعات التي وجدوا فيها، كما تشمل الكثير من أدعياء النبوة الذين كان منهم الساحر والمنجم والمنافق وغيرهم"[3].

ت- اصطلاحاً:

إن المحاولة العلمية لتحديد مصطلح النبوة في اليهودية جاءت في زمن متأخر جداً عن عصر الأنبياء، وذلك بتأثير حركة التنوير الإسلامية في العصور الوسطى، على يد بعض فلاسفة اليهود، كموسى بن ميمون[4] الذي يعتبر رائداً لحركة تنظير اليهودية وتقعيدها[5].

وفي العصر الحديث من خلال اسبينوزا[6] الذي تناول ظاهرة النبوة من خلال نصوص العهد القديم، لكن منهجه النقدي التاريخي في تناول النصوص وتحليلها يضفي على

---

(١) انظر: «**المعتقدات الدينية لدى الغرب**» عبد الراضي محمد عبد المحسن، (ص/٢٨-٢٩).

(٢) انظر: «**تاريخ الديانة اليهودية**» محمد خليفة حسن أحمد، (ص/١١٧).

(٣) «**مقارنة الأديان**» عوض الله حجازي، دار الطباعة المحمدية (القاهرة)، (ص/١١٧) نقلاً عن: «**العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية**» سعد الدين السيد صالح، دار الصفا للطباعة والنشر (القاهرة)، ط٢ (١٤١٠هـ-١٩٩٠م)، (ص/٢٦٣).

(٤) هو موسى بن ميمون بن يوسف أبو عمران الإسرائيلي الأندلسي القرطبي، وُلد سنة (٥٢٩هـ)، تظاهر بالإسلام وتفقه بالمالكية ودخل مصر، ومن ثم عاد إلى يهوديته فكان رئيساً روحياً لليهود في الديار المصرية، فهو عالم بشريعة اليهود وأسرارها، وطبيب، وفيلسوف، توفي سنة (٦٠١أو ٦٠٥هـ)، من مؤلفاته: دلالة الحائرين- الفصول في الطب- شرح التلمود، انظر: «**إخبار العلماء بأخبار الحكماء**»، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف الشيباني، دار الكتب العلمية (بيروت-لبنان)، ط١ (١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م)، (١/٢٣٩). و«**معجم المؤلفين**»، كحالة، (١٣/٤٨-٤٩)، و«**الأعلام**»، الزركلي، (٧/٣٢٩-٣٣٠).

(٥) انظر: «**المعتقدات الدينية لدى الغرب**» عبد الراضي محمد عبد المحسن، (ص/٤٠، ٤٢).

(٦) سبينوزا (١٦٣٢ - ١٦٧٧) "ولد باروخ اسبينوزا في أمستردام من أسرة برتغالية يهودية ألقت عصاها في هولندة بعد ما أصابها من نفي وتشريد بسبب عقيدتها الدينية اليهودية التي شب عليها الفيلسوف =

جهوده الفكرية طابعاً علمياً منهجياً يحتم الاستعانة بها كمحاولات تاريخية جادة للبحث في ماهية النبوة[١].

والنبوة عند ابن ميمون هي: "فيض يفيض من الله عز وجل بوساطة العقل الفعال على القوة الناطقة أولاً ثم على القوة المخيلة بعد ذلك، وهذه هي أعلى مرتبة الإنسان وغاية الكمال الذي يمكن أن يوجد لنوعه. وتلك الحالة هي غاية كمال القوة المخيلة. وهذا أمر لا يمكن في كل إنسان بوجه، ولا هو أمر يصل إليه بالكمال في العلوم النظرية، وتحسين الأخلاق"[٢].

وفي موضع آخر يقول: "إن الله ينبىء من يشاء متى شاء لكن للكامل الفاضل في الغاية"[٣]، فعبارته هذه تشير إلى أن النبوة هبة من الله، لكن تقييده لها يظهر الأثر الفلسفي فيها.

بل ويصرح ابن ميمون بتبني الرأي الفلسفي لكن مع تفاوت؛ إذ يقول: "رأي شريعتنا وقاعدة مذهبنا هو مثل هذا الرأي الفلسفي بعينه إلا في شيء واحد وذلك أنا نعتقد أن الذي يصلح للنبوة المتهيء لها قد لا يتنبأ. وذلك بمشيئة إلهية"[٤]، أي كل فاضل حكيم لا يشترط أن يكون نبياً، ولكن كل نبي لابد أن يكون فاضلاً وحكيماً، فالنصوص التوراتية تنص على أن ثمة شخصاً تهيأ للنبوة ولكنه لم ينلها لنقص فيه، وإنما كان هذا بحسب الحكمة الإلهية[٥].

في عهد الصبا. وكان أبوه تاجرا ناجحا ود لو انخرط في سلك التجارة عسى أن يخلفه، ولكنه نفر وأبى وآثر أن ينفق وقته في معبد اليهود. اسبينوزا. فؤاد زكريا، نؤسسة هنداوي سي آي سي، المملكة المتحدة، (ص/٧-١٧)، وقصة الفلسفة الحديثة، زكي نجيب محمود، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، بدون ط، ١٩٣٦ م)، (ص/١٢٨).

(١) انظر: «**المعتقدات الدينية لدى الغرب**» عبد الراضي محمد عبد المحسن، (ص/٤٢-٤٣)

(٢) انظر: «**دلالة الحائرين**» موسى بن ميمون القرطبي الأندلسي، عارضه بأصوله العربية والعبرية وترجم النصوص التي أوردها المؤلف بنصها العبري إلى العربية وقدم له: حسين آتاي، مكتبة الثقافة الدينية، د.ط، (ص/٤٠٠).

(٣) «**دلالة الحائرين**» موسى بن ميمون، (ص/٣٩١).

(٤) «**دلالة الحائرين**» موسى بن ميمون، (ص/٣٩٠).

(٥) انظر: مقال «**أثر الفلسفة في تطوير مفهوم النبوة عند اليهود فلسفة ابن ميمون نموذجاً**» فكري جواد عبد، مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد ٣٨، عام ٢٠١٥م، (ص/٤٤).

والنبوة عند اسبينوزا تعني: "المعرفة اليقينية التي يوحى الله بها إلى البشر عن شيء ما. والنبي مفسر ما يوحي الله به لأمثاله من الناس الذين لا يقدرون على الحصول على معرفة يقينية به، ولا يملكون إلا إدراكه بالإيمان وحده. ويسمي العبرانيون النبي (نبياً) أي خطيباً أو مفسراً"[1].

ثانياً: صفات الأنبياء ومراتبهم:

١- في الإسلام:

إن الأنبياء والرسل عليهم السلام صفوة خلق الله من البشر، وقد اختارهم تعالى ليكونوا أنموذجاً للكمال، وقادة لركب الحضارة الإنسانية، وشرّفهم الله تعالى بأكمل الأوصاف، وجعلهم أئمة الدنيا والدين[2]، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[الأنبياء: ٧٣].

وقد جاء الحديث القرآني عنهم تارة بالاصطفاء والاجتباء، وطوراً بالحب والرضا، وتارة بأسمى الصفات والمواهب العقلية والخلقية والعملية، وفي ذلك دلالة على أنهم صفوة الخلق والمثل الكامل للإنسانية، وهم أجدر البشر بحمل رسالات الله تعالى، ودعوة الخلق إليه، قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[الأنعام: ١٢٤][3].

والأنبياء عليهم السلام بشر يأكلون ويشربون ويمشون في الأسواق، وتعتريهم العوارض التي تمر على البشرية من ضعف، وشيخوخة، وموت، وغيرها، لكنهم يمتازون بأوصاف عظيمة هي بالنسبة لهم من ألزم اللوازم، ومن أهم الضروريات: كالصدق، والتبليغ، والأمانة، والفطانة، والسلامة من العيوب، والعصمة[4]، بل ذلك ما يقتضيه

---

(١) «**رسالة في اللاهوت والسياسة**» اسبينوزا، ترجمة: د.حسن حنفي، مراجعة د.فؤاد زكريا، دار التنوير (بيروت)، ط١ (٢٠٠٥)، (ص/١١٩).

(٢) انظر: «**النبوة والأنبياء دراسة تفصيلية لحياة الرسل الكرام ودعوتهم وأثرهم في تغيير مفاهيم البشر بأسلوب يجمع بين الدقة والسهولة والجدة والتحقيق**» محمد علي الصابوني، مكتبة الغزالي (دمشق)، ط٣ (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) (ص/١٥).

(٣) انظر: «**النبوة والأنبياء في ضوء القرآن**» أبو الحسن علي الحسني الندوي، الدار السعودية للنشر (جدة)، د.ط (ص/١٤).

(٤) انظر: «**النبوة والأنبياء**» محمد الصابوني (ص/٤٢).

العقل السليم؛ إذ لايمكن أن يصدر عن النبي ما يخل بالمروءة: كالكذب، والخيانة، وغيرها من الصفات القبيحة؛ لأنها لا تليق بآحاد البشر فضلاً عن أن يتصف بها أنبياء كرام مصطفون[1]!

والأنبياء عليهم السلام ليسوا على درجة واحدة من الفضل والمكانة، بل بعضهم أفضل من بعض[2]، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾[الإسراء: ٥٥]، وقد أجمعت الأمة على أن الرسل أفضل من الأنبياء، والرسل متفاضلون فيما بينهم، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾[البقرة: ٢٥٣].

وإن أفضل الرسل والأنبياء خمسة، محمد ﷺ، نوح، إبراهيم، موسى، وعيسى عليهم السلام، ذكرهم القرآن في أكثر من موضع[3]، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا﴾[الشورى: ١٣]، ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾[الأحزاب: ٧]، ومحمد ﷺ أفضل الرسل وخاتم النبيين، ذلك أنه لم يبعث نبي قط إلا وأخذ الله عليه العهد والميثاق إن أدرك محمداً في حياته ليؤمنن به وليكونن من أنصاره وأتباعه، وهذا من أعظم الشواهد على جليل قدره وعظيم فضله، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾[آل عمران: ٨١]، وقد أخبر رسول الله ﷺ عن علو هذه المنزلة[4]، عن أبي هريرة، قال: رسول الله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع**»[5].

---

(١) انظر: «**العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية**» سعد الدين السيد صالح (ص/٢٦٢).

(٢) انظر: «**النبوة والأنبياء**» محمد الصابوني (ص/١٦).

(٣) انظر: «**الرسل والرسالات**» عمر سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع - دار النفائس للنشر والتوزيع (الكويت)، د.ط (ص/٢١٧).

(٤) انظر: «**النبوة والأنبياء**» محمد الصابوني (ص/١٧ - ١٨).

(٥) «**صحيح مسلم**»، كتاب الفضائل، باب: تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم، رقم: (٢٢٧٨) (١٧٨٢/٤).

ورأى أهل التفسير في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾[البقرة: ٢٥٣]، بأن المراد هو محمد ﷺ، لأنه بعث إلى الأحمر والأسود، وأُحلت له الغنائم، وظهرت على يديه المعجزات، وما من فضيلة أو كرامة أعطيت لأحد الأنبياء إلا وأعطي مثلها، وقال بعضهم: تظهر له الأفضلية بأن الله تعالى خاطبه بوصف النبوة والرسالة، بينما خاطب الأنبياء بأسمائهم(١).

وقد يُعترض على ما سبق بأن قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ﴾[البقرة: ٢٨٥]، نهي عن التفريق بين الرسل، فكيف تفضلون بين الأنبياء والرسل؟ والجواب: بأن المراد من التفريق هو إيمان الإنسان ببعض الرسل وكفره بالبعض الآخر، كما فعل أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾[النساء: ١٥٠]، وليس المراد من التفريق (التفضيل) بين الرسل، بدليل أن الله تعالى قد فضّل بعضهم على بعض بصريح القرآن، كقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[البقرة: ٢٥٣](٢).

٢- في اليهودية:

إن الأنبياء في الاعتقاد اليهودي مثلهم مثل سائر البشر، يجوز عليهم ما يجوز على البشر، كالوقوع في المعاصي وعدم العصمة من الخطأ، ومن هنا نسبوا إليهم ما لا يليق بهم من المعاصي سواء كانت من الكبائر أم من الصغائر، كالكذب، وشرب الخمر، والزنى، وعبادة الأوثان، وغيرها، ولم تكتف التوراة بذلك بل جعلت منهم أبطالاً للجريمة وقادة للمعصية(٣).

---

(١) انظر: «**الشفا بتعريف حقوق المصطفى**» القاضي أبي الفضل عياض اليحصبي، دار الكتب العلمية (بيروت- لبنان)، د.ط (١/ ٤٥ - ٤٦).

(٢) انظر: «**النبوة والأنبياء**» محمد الصابوني (ص/ ١٩ - ٢٠).

(٣) انظر: «**العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية**» سعد الدين السيد صالح (ص/ ٢٦٤ - ٢٦٥).

فاليهود ألصقوا بالأنبياء عظائم الأمور والبلايا والرزايا، وزعموا أن الله قد قال فيهم هذا، وما ذلك إلا ليستمرئوا الفساد، وألا يؤخذ عليهم شيئاً عند ارتكابهم لتلك الأفعال مادامت أنها صدرت عن صفوة الخلق وأفضلهم[1].

وإن موقف اليهود من الأنبياء شاذ يخالف الفطرة، ويتعارض مع عصمة الأنبياء، ومكانتهم المقدسة، فلم يسلم واحد من الأنبياء الأول العظام من التلطيخ، وكلها خطايا غليظة، تستنكر على الرجل العادي فكيف بالنبي[2].

وعلى الرغم من تصريح التوراة بارتكاب الأنبياء للمعاصي. إلا أن ابن ميمون يعتبر سببه القراءة السطحية للنصوص التوراتية، ويضع تفسيراً لذلك بأنها قصص حدثت في خيالات الأنبياء وأحلامهم لغرض معين عسر على البعض فهمه فقذفهم بالزنى وارتكاب الآثام[3]!

وللنبوة عند اليهود مراتب، وهي:

أ- **الآباء (البطاركة)**: نوح - إبراهيم - إسحاق - يعقوب - يوسف.

ب- **النموذج المثالي للنبوة**: موسى وهارون، لكن هارون دون موسى، وليس نظيره على الإطلاق، وكل ما هنالك أنه معاصر له.

ج- **الحركة النبوية العامة وتشمل مرحلتين :**

١- بدايات النبوة (الأنبياء الأوائل): صموئيل - ناتان - إيليا - أليشاع.

٢- النبوة الكلاسيكية، وتضم نوعين من الأنبياء :

- الأنبياء الكبار: وهم: إشعيا - إرميا - حزقيال.

---

(١) انظر: «**دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية**» سعود بن عبد العزيز الخلف، مكتبة أضواء السلف، ط١ (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م) (ص/٩٤).

(٢) انظر: «**أحلام اليهود المنتظرة وتهافت مصادرهم**» جمال عبد الغني (ص/٤٤٣ - ٤٤٤)، نقلاً عن «**الأبعاد العقدية والأخلاقية لموقف اليهود من النبوة والأنبياء في أسفار العهد القديم**» رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات درجة الدكتوراه في الثقافة الإسلامية/تخصص عقيدة، إعداد: سليمان بن عبد الله الراجحي، إشراف: أ.د. سليمان بن قاسم العيد، جامعة الملك سعود، (١٤٣٠ - ١٤٣١هـ)، (ص/٢٥٥).

(٣) انظر: مقال: «**أثر الفلسفة في تطوير مفهوم النبوة عند اليهود فلسفة ابن ميمون نموذجاً**» فكري جواد عبد (ص/٤٧).

- الأنبياء الصغار (الأواخر): وهم: عاموس - هوشع - ميخا - نحوم - حبقوق - عوبديا - يونان - حجاي - زكريا - ملاخي[1].

وهذا التقسيم يستبعد نبوة الملوك (كداود وسليمان عليهما السلام)، ويخلع على الآباء دور الجذور السلالية، والأصول العرقية لبني إسرائيل، ويرفع من درجة نبوة موسى ومكانته إلى مرتبة لا يجوز القياس عليها أو المقارنة بها[2].

فالملاحظ في التاريخ الديني اليهودي هو انتزاع صفة النبوة من شخصيات هامة كداود وسليمان عليهما السلام، والاقتصار على وصفهم بالملوك، بينما في الإسلام هما من الأنبياء الملوك، أي الذين جمعوا بين صفة النبوة والملك، وكذلك الأمر بالنسبة لمجموعة من الأنبياء كإبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف عليهم السلام، فقد اقتصر وصفهم على الآباء دون الأنبياء، مع أنهم قد تلقوا الوحي الإلهي ما بين أحلام ورؤى وغير ذلك، فهم مرتبطون ببني اسرائيل بالنسب لا بالنبوة، بالعرق لا بالوحي[3].

ولذلك التقسيم مسوغات وضعها الفكر اليهودي، وهي تتجلى في نقطتين هما:

١- مكانة نبوة موسى عليه السلام :

إن نبوة موسى عليه السلام مباينة للنبوات سواء السابقين أو اللاحقين له - في رأي ابن ميمون - واستدل على ذلك بما ورد في التوراة: [٣وَأَنَا ظَهَرْتُ لإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ بِأَنِّي الإِلهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. وَأَمَّا بِاسْمِي «يَهْوَهْ» فَلَمْ أُعْرَفْ عِنْدَهُمْ. سفر الخروج: ٦: ٣]، أي إن إدراك موسى أعظم من إدراك الآباء، وقول التوراة: [١٠وَلَمْ يَقُمْ بَعْدُ نَبِيٌّ فِي إِسْرَائِيلَ مِثْلُ مُوسَى الَّذِي عَرَفَهُ الرَّبُّ وَجْهًا لِوَجْهٍ. التثنية: ٣٤: ١٠] إظهار بأن إدراكه مباين لإدراك كل من تأخر عنه، ويضاف إلى ذلك بأن معجزاته مباينة لكل المعجزات، فهذه أُخبر بها آحاد من الناس بينما معجزات موسى وقعت أمام الجميع[4].

ويُرد عليه بأن هذه النصوص غير قاطعة الدلالة على تفرد مكانة نبوة موسى، وتميزها

---

(١) انظر: «**المعتقدات الدينية لدى الغرب**» عبد الراضي عبد المحسن (ص/٥٣ - ٥٤)، و«**تاريخ الديانة اليهودية**» محمد خليفة حسن أحمد (ص/١١١ - ١١٤).

(٢) انظر: «**المعتقدات الدينية لدى الغرب**» عبد الراضي عبد المحسن (ص/٥٤).

(٣) انظر: «**ظاهرة النبوة الإسرائيلية (طبيعتها- تاريخها- الموقف الإسلامي منها)**» محمد خليفة حسن أحمد، مطبوعات مركز الدراسات الشرقية (الجيزة)، (١٤١٢هـ- ١٩٩١م)، (ص/٧).

(٤) انظر: «**دلالة الحائرين**» موسى بن ميمون (ص/٣٩٨ - ٣٩٩).

على السابقين واللاحقين له؛ فهناك نصوص في العهد القديم ناقضة لذلك، وعلى سبيل المثال: نوح يفوق موسى عليهما السلام بقطع العهد دونه، [وَلَكِنْ أُقِيمُ عَهْدِي مَعَكَ، فَتَدْخُلُ الْفُلْكَ أَنْتَ وَبَنُوكَ وَامْرَأَتُكَ وَنِسَاءُ بَنِيكَ مَعَكَ. التكوين: ٦: ١٨]، وصموئيل ورد عنه سماع صوت الرب(١): [٢١وَعَادَ الرَّبُّ يَتَرَاءَى فِي شِيلُوهَ، لأَنَّ الرَّبَّ اسْتَعْلَنَ لِصَمُوئِيلَ فِي شِيلُوهَ بِكَلِمَةِ الرَّبِّ. صموئيل: ٣: ٢١]، وإن المقصود من: [مِثْلُ مُوسَى الَّذِي عَرَفَهُ الرَّبُّ وَجْهًا لِوَجْهٍ. التثنية: ٣٤: ١٠] -كما يرى سبينوزا- هو سماع موسى عليه السلام لصوت الرب فقط، فهو لم ير الرب وجهاً لوجه مطلقاً(٢)، وورد في سفر التثنية أيضاً ما يثبت قيام مثل لموسى في بني إسرائيل،[أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسْطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ، وَأَجْعَلُ كَلاَمِي فِي فَمِهِ، فَيُكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أُوصِيهِ بِهِ. التثنية: ١٨: ١٨].

وبالنسبة للمعجزات فهناك معجزات لغير موسى قد وقعت أمام الجميع بنص من العهد القديم(٣)، [١٢حِينَئِذٍ كَلَّمَ يَشُوعُ الرَّبَّ، يَوْمَ أَسْلَمَ الرَّبُّ الأَمُورِيِّينَ أَمَامَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَقَالَ أَمَامَ عُيُونِ إِسْرَائِيلَ: يَا شَمْسُ دُومِي عَلَى جِبْعُونَ، وَيَا قَمَرُ عَلَى وَادِي أَيَّلُونَ. ١٣فَدَامَتِ الشَّمْسُ وَوَقَفَ الْقَمَرُ حَتَّى انْتَقَمَ الشَّعْبُ مِنْ أَعْدَائِهِ. أَلَيْسَ هذَا مَكْتُوبًا فِي سِفْرِ يَاشَرَ؟ فَوَقَفَتِ الشَّمْسُ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ وَلَمْ تَعْجَلْ لِلْغُرُوبِ نَحْوَ يَوْمٍ كَامِلٍ. ١٤وَلَمْ يَكُنْ مِثْلُ ذلِكَ الْيَوْمِ قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ سَمِعَ فِيهِ الرَّبُّ صَوْتَ إِنْسَانٍ، لأَنَّ الرَّبَّ حَارَبَ عَنْ إِسْرَائِيلَ.١٥ثُمَّ رَجَعَ يَشُوعُ وَجَمِيعُ إِسْرَائِيلَ مَعَهُ. يشوع: ١٠: ١٢ - ١٥]

٢- نبوة الآباء (نوح - إبراهيم - يعقوب - يوسف).

إن النبوة الحقيقية بدأت بموسىعليه السلام، إذ يقول ابن ميمون شارحاً ومعللاً حصر بدء النبوة بموسى: "وبيان ذلك بحسب ما نصت عليه الكتب النبوية، وجاء في الآثار هو أن كل من تقدم سيدنا موسى من الأنبياء مثل الآباء، وسام، وعبر، ونوح، ومتوشالح، وأخنوخ، لم يقل أحد منهم قط لصنف من الناس: إن الله أرسلني لكم وأمرني أن أقول لكم كذا وكذا، وقد نهاكم عن فعل كذا وكذا، وأمركم بفعل كذا وكذا. هذا شيء لا نص التوراة شهد به، ولا خبر صحيح أتى به، بل إنما كانوا هؤلاء يأتيهم وحي من الله على ما بينا. فمن عظم عليه ذلك الفيض مثل إبراهيم جمع الناس ودلهم على جهة التعليم

(١) انظر: «**المعتقدات الدينية لدى الغرب**» عبد الراضي عبد المحسن، (ص/٥٤-٥٦).

(٢) انظر: «**رسالة في اللاهوت والسياسة**» اسبينوزا، (ص/١٢٨).

(٣) انظر: «**المعتقدات الدينية لدى الغرب**» عبد الراضي عبد المحسن (ص/٥٤ - ٥٥).

والإرشاد...وكذلك اسحاق، ويعقوب،...على هذه الصورة كانوا يدعون الناس. وكذلك تجد الحكماء يقولون فيمن تقدمه من النبيين محكمة عبر، محكمة متوشالح، مدرسة متوشالح كلهم عليهم السلام، إنما كانوا أنبياء يعلمون الناس بصورة أنهم مدرسون، ومعلمون، ومرشدون...هكذا كان الأمر قبل سيدنا موسى"[1].

فالنص فيه بيان بأن مهمة الآباء مقتصرة على الإرشاد والتعليم، وفيه سلب لسمة البلاغ النبوي من رسالتهم، لكنه منقوض بالحقائق التالية:

أ- أن التعليم والإرشاد كان من مهام موسى عليه السلام أيضاً.

ب- أن إبراهيم عليه السلام دعا الناس إلى الإيمان، وكان له أتباع [6اسْمَعْنَا يَا سَيِّدِي. أَنْتَ رَئِيسٌ مِنَ اللهِ بَيْنَنَا. فِي أَفْضَلِ قُبُورِنَا ادْفِنْ مَيْتَكَ، لاَ يَمْنَعُ أَحَدٌ مِنَّا قَبْرَهُ عَنْكَ حَتَّى لاَ تَدْفِنَ مَيْتَكَ. التكوين: ٢٣: ٦]

ج-أن الأمر الإلهي بالختان غير مقتصر على آل إبراهيم، [12ابْنَ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ يُخْتَنُ مِنْكُمْ كُلَّ ذَكَرٍ فِي أَجْيَالِكُمْ: وَلِيدُ الْبَيْتِ، وَالْمُبْتَاعُ بِفِضَّةٍ مِنْ كُلِّ ابْنِ غَرِيبٍ لَيْسَ مِنْ نَسْلِكَ. 13يُخْتَنُ خِتَانًا وَلِيدُ بَيْتِكَ وَالْمُبْتَاعُ بِفِضَّتِكَ، فَيَكُونُ عَهْدِي فِي لَحْمِكُمْ عَهْداً أَبَدِيًّا. التكوين: ١٧: ١٢ - ١٣]

د- أن العهد القديم لم يفرق بين الوحي الموسوي والوحي الإبراهيمي، كما لم يرد فيه موضع جعل مهمة الآباء تعليمية إرشادية خارج إطار المنهج النبوي، بل يتحدث العهد القديم عن إبراهيم كنبي بإطلاق[2]، [7فَالآنَ رُدَّ امْرَأَةَ الرَّجُلِ، فَإِنَّهُ نَبِيٌّ. التكوين: ٢٠: ٧].

وبالتالي فذلك التقسيم غير صحيح، ولا يوجد نبي صغير وآخر كبير، بل إن الأنبياء عليهم السلام كلهم سواء - قد يفضل بعضهم على بعض كأولي العزم من الرسل - وإن التسمية بالآباء دون الأنبياء مرفوضة اللهم إلا إذا اقترنت بالنبوة[3].

ومما سبق نجد بأن النظرة الإسلامية إلى الأنبياء عليهم السلام مختلفة اختلافاً كلياً عن النظرة اليهودية؛ إذ إن النظرة الإسلامية اتسمت بالوحدة، والتركيز على الجوانب الإيجابية في حياة الأنبياء وسيرهم، وتوجيه الأنظار إلى جهودهم في الدعوة إلى التوحيد، وإصلاح

---

(١) «**دلالة الحائرين**» موسى بن ميمون (ص/٤١٢ - ٤١٣).

(٢) انظر: «**المعتقدات الدينية لدى الغرب**» عبد الراضي عبد المحسن (ص/٥٨).

(٣) انظر: «**العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية**» سعد الدين السيد صالح (ص/٢٦٤).

المسار الديني للبشرية، ونبذ الوثنية في كل أشكالها، وهي أمور أهملها أو أهمل بعضها التصور اليهودي للأنبياء، ودعواتهم العالمية من أجل الإنسانية، فقد ضاعت جهود الأنبياء في إطار القومية، والخصوصية التي وصفت بها رسالاتهم[1].

والمسلمون عقيدتهم في الأنبياء عليهم السلام بأنهم صفوة البشر ودعاة للخير، جاؤوا لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، لذلك هم قدوة البشر في جميع أعمالهم، وهم معصمون عن الكبائر ومنزهون عن كل رذيلة، وأما اليهود فيعترف علماؤهم بالوحي والنبوة، ويقولون: إن الأنبياء من قبل موسى عليهم السلام لم يكونوا مشرّعين، وإنما كانوا هادين إلى الخيرات، وداعين إلى الفضائل، ولهم فيهم نظرة منبعثة من واقع اليهود المنحرف الفاسد، لهذا سجلوا في كتابهم هذه النفسية المنحرفة بإلصاقهم بالأنبياء عظائم الأمور والرزايا، بل زعموا أن الله تعالى قال ذلك، حتى موسى عليه السلام الذي يدعي اليهود أنهم آمنوا به واتبعوه، قد ألصقوا به التهم العديدة[2].

ثالثاً: الحاجة إلى الأنبياء والرسل والإيمان بهم:

خلق الله تعالى الإنسان في أحسن تقويم، وفضّله على سائر الكائنات؛ إذ خلقه بيديه ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته، وسخر له الكون، وجعل له السمع والأبصار والأفئدة، وتفضّل عليه فخاطبه وكلفه وأرشده، وعرّفه أن هذه الحياة ليست الخاتمة، وإنما هناك حياة آخروية، وذاك مما لا يستقل العقل بإدراكه، كما توجد في الحياة ممكنات ليس للعقل الجزم بأحد جانبيها، وواجبات وممتنعات لا تظهر له -إن ظهرت - إلا بعد طول نظر وتواصل فكر، ولو استقل الإنسان بها لتعطلت أغلب مصالحه.

وقد أراد الله تعالى للإنسان في هذه الحياة اعتقاداً صحيحاً وسلوكاً قويماً، يحقق له مصلحته، ويجلب له سعادته، وليس ذلك بالحس والعقل، وإنما عن طريق رجال اصطفاهم الله تعالى، وأمرهم بتبليغ هدايته ومنهجه وشرائعه إلى الناس[3].

---

(١) انظر: «**ظاهرة النبوة الإسرائيلية**» محمد خليفة حسن، (ص/٣٠٣).

(٢) انظر: «**دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية**» سعود بن عبد العزيز الخلف (ص/٩٤)، و«**عقائد اليهود من خلال الحوار مع النبي صلى الله عليه وسلم**» عدنان أحمد العبد البرديني، إشراف: جابر زايد عبد السميري، قدم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة (١٤٣١هـ - ٢٠١٠م)، غزة (ص/١١٧).

(٣) انظر: «**في مقارنة الأديان بحوث ودراسات**» محمد عبد الله الشرقاوي، دار الجيل (بيروت) - مكتبة الزهراء (بحرم جامعة القاهرة)، ط٢ (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) (ص/١٩١).

وإن إرسال الرسل عليهم السلام إلى بني البشر جائز عقلي، وهو تفضل ورحمة من الله تعالى لما فيه من الحكم والمصالح[1]، والناظر في موضوع رسالة الرسل عليهم السلام تظهر له حاجة البشرية إليهم، وتتمثل بثلاثة أمور لا تستقل معارفهم المكتسبة -الحواس والعقل-بها، ولا يذعنون فيها إلا لأمر ربهم وخالقهم،كالإيمان بالغيب (معرفة صفات الله وما يجب من عبادته وشكره، والايمان بالملائكة وعالم الجن مع وجوب الوقوف فيه عند خبر الأنبياء)، والاعتقاد بالبعث والجزاء واليوم الآخر، ووضع حدود وأصول للأعمال التشريعية المشار إليها لا مجال للآراء والأهواء فيها؛ لتكون جامعة للكلمة، مانعة من التفرقة، ولذلك دور في تهذيب النفس البشرية، ولا يمكن الوصول إليه بالعلوم المادية الكسبية وحدها[2].

فالعلم والعقل البشري لا يغنيان عن الرسل عليهم السلام، وما يقال بأن الإيمان بالغيب ووجود الرب غريزي في الفطرة الإنسانية، وأن بعض الحكماء قد ارتقوا في معارفهم العقلية حيث أقاموا الحجج والبراهين العقلية على وجود واجب الوجود وعلمه، وعلى وجوب عبادته وشكره، ووضعوا للناس أصول الفضائل والتشريع التي بها تصلح الإنسانية، فالجواب عليه بأن هناك فرق بين هداية الأنبياء وحكمة الحكماء من حيث المصدر، والثقة بصحته، وفي الإذعان لحقيته، فعلوم الحكماء تبقى أراء بشرية ناقصة لا تبلغ من عالم الغيب إلا أنه موجود مجهول، وهي عرضة للتخطئة والخلاف، كما أنه لا يفهمها إلا فئة من الناس، وليس كل من يفهمها يقبلها، ولا كل من يقبلها يرجحها على هواه، فلا يكون لها تأثير الإيمان والإذعان، لأن النوع البشري يأبى الخضوع لمن هو مثله، وإن فاقه علماً وحكمة، وإنما الإدانة تكون لمن يعتقد أن له سلطاناً غيبياً عليه بما يملكه من القدرة على النفع والضرر[3].

ويذكر محمد الغزالي بأن التراث الذي خلفه العلماء والفلاسفة فيما وراء المادة عبارة عن خليط من الصواب والخطأ، وقد عكف عليه الباحثون فمازوا صحيحه من سقيمه، وسبب احتواء كلامهم على الأباطيل هو ابتعادهم عن مناهج الوحي؛ لذا فالمعارف

---

(١) انظر: «**شرح جوهرة التوحيد**» إبراهيم الباجوري، نسقه وخرج أحاديثه، محمد أديب الكيلاني-عبد الكريم تتّان، راجعه زقدم له: عبد الكريم الرفاعي، د.ن، (ص/٢٧١).

(٢) انظر: «**الوحي المحمدي**» محمد رشيد رضا، مؤسسة عز الدين (بيروت-لبنان)، ط٢، (ص/٨٥-٨٦).

(٣) انظر: «**الوحي المحمدي**» محمد رشيد رضا، (ص/٨٩-٩٠).

المحترمة لها مصادر معينة لا يعوّل على غيرها، فما كان مصدره إنسانياً فهو ينبع من المنطق التجريبي أو الرياضي، كما هو حاصل في علوم الكون والمادة وشؤون الناس، وأما فيما يتصل فيما وراء المادة كعالم الغيب وصفات الله تعالى وحقوقه فمصدرها الوحي الصادق المنزّل على الأنبياء عليهم السلام، وإذا ثبتت الدلائل على صدق نبي ما، فإن ما جاء به يأخذ درجة اليقين دون جدل ولا نقاش[١].

والوحي مع العقل كنور الشمس أوالضوء مع العين، فإذا امتنع الوحي عن العقل لم ينتفع الإنسان بعقله، مثل عدم انتفاع المبصر بعينيه في وسط الظلمة، فإذا انتشر الضوء انتفع بناظريه، وكذلك أصحاب العقول إذا أشرق الوحي عليها أبصرت واهتدت[٢].

يقول ابن تيمية في حاجة البشرية إلى الرسالة: "الرسالة ضرورية للعباد، لابد لهم منها، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، والرسالة روح العالم ونوره وحياته، فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور؟ والدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة، وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة وينالة من حياتها وروحها فهو في ظلمة، وهو من الأموات"[٣].

وإن الإيمان بالرسل عليهم السلام واجب[٤]؛ إذ هو أحد أركان العقيدة الإسلامية، المترابطة فيما بينها الغير قابلة للانفكاك عن بعضها البعض، فالإيمان بالله تعالى لا ينفك عن الإيمان بالرسل؛ لأن مقتضى الإيمان بالله تصديق المؤيدين بتأييد من عنده على مختلف صور التأييد، الذي لا يكون منه تعالى إلا لرسله، وتصديق كل ما يخبر به، وهذا يقتضي الإيمان برسله الذي أخبر عنهم في كتابه العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وكذلك الإيمان بواحد من الرسل غير منفك عن الإيمان بكافة الأنبياء والرسل، فموجب الإيمان في الكل واحد[٥].

---

(١) انظر: «**عقيدة المسلم**» محمد الغزالي، دار الريان للتراث، د.ط، (ص/١٩٨).

(٢) انظر: «**الرسل والرسالات**» عمر سليمان الأشقر (ص/٣٩).

(٣) «**مجموعة الفتاوى**» ابن تيمية، اعتنى بها وخرج أحاديثها: عامر الجزار-أنور الباز، دار الوفاء للطباعة والنشر (المنصورة) ط١ (١٤١٨هـ-١٩٩٧م)، (٥٢/١٩).

(٤) انظر: «**شرح جوهرة التوحيد**» إبراهيم الباجوري، (ص/٢٧٣).

(٥) انظر: «**العقيدة الإسلامية وأسسها**» عبد الرحمن حبنكة، (ص/٢٦٥-٢٦٦).

ويكون الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم السلام على سبيل الإجمال فيما يعتبر التكليف به إجمالاً، وعلى سبيل التفصيل فيما يعتبر التكليف به مفصلاً، كالإيمان بجميع الأنبياء المذكورين في القرآن الكريم وعددهم خمسة وعشرون، فهولاء إذا عرض على المكلف واحد منهم لم ينكر نبوته ولا رسالته، وإلا فهو كافر[1].

وما ورد في عدد الأنبياء والرسل فيما روي عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه قال: ": «**قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: كم الأنبياء؟ فقال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً. فقلت: وكم الرسل: فقال: ثلاثمائة وثلاثة عشر جماً غفيراً**»[2]، فالأولى ألا يقتصر على عدد في التسمية، لأنه خبر آحاد، وعلى تقدير اشتماله على جميع الشرائط لا يفيد إلا الظن، وهذا يعتبر به في الأحكام العملية دون الاعتقاد، وحصر عددهم مخالف ظاهر قوله تعالى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤]، ويحتمل مخالفته للواقع، فقد يدخل فيهم من ليس بنبي إن كان عددهم في الواقع أقل، أو ينفي النبوة عمن هو نبي إن كان عددهم أكثر[3]، فلا يقتصر الإيمان على من سمّى الله تعالى في كتابه، بل بالذين لا يعلم عددهم إلا الله تعالى أيضاً[4].

ويضاف إلى ذلك وجوب تصديقهم بكل ما أخبروا به، وطاعتهم في كل ما أمروا به ونهوا عنه[5]، قال تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٦].

---

(١) انظر: «**شرح جوهرة التوحيد**» إبراهيم الباجوري، (ص/٦٧-٦٨).

(٢) «**مسند أحمد**» (٤٣٧/٣٥)، رقم (٢١٥٥٢)، و«**المعجم الكبير**»، للطبراني، (٢١٧/٨)، رقم (٧٨٧١)، و«**المستدرك على الصحيحين**»، الحاكم، (٢٨٨/٢)، رقم (٣٠٣٩)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٣) انظر: «**شرح المقاصد**» مسعود بن عمر بن عبد الله الشهير بسعد الدين التفتازاني، قدم له ووضع حواشيه وعلق عليه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية (بيروت- لبنان)، (٣١٧/٣).

(٤) انظر: «**شرح العقيدة الطحاوية**» علي بن أبي العز الدمشقي، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي- شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، د.ط، (٤٢٣/٢).

(٥) انظر: «**لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المرضية في عقد الفرقة المرضية**» محمد بن أحمد السفاريني، د.ن، د.ط (٢٦٣/٢).

الفصل الأول
قصة نوح عليه السلام في القرآن الكريم

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول: شخصية نوح عليه السلام في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: قوم نوح ومعبوداتهم في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: دعوة نوح عليه السلام في القرآن الكريم.

المبحث الرابع: السفينة والطوفان في القرآن الكريم.

المبحث الخامس: امرأة نوح وابنه في القرآن الكريم.

تمهيد:

يعتبر القصص القرآني من أبرز أساليب القرآن الكريم في شرح الإسلام وبيان رسالته، فلم يكن القصص عبارة عن روايات قديمة يتسلى بها السامعون، ثم يغفلون عند حكايتها أو يتعظون، وإنما كان تاريخاً لسير الدعوة الدينية في الحياة، وكيف خطت مجراها بين الناس منذ الخليقة؟ وما هي العقبات التي واجهتها، وماذا صنع الأنبياء عليهم السلام بإزائها؟ وقد أبان القصص موقف القبول أوالصدود لرسالات الله تعالى من قبل الأمم المدعوة إليها، وبما انتهى إليه الصراع بين الحق والباطل(١).

والقصة في القرآن الكريم ليست ورادة بشكل كامل في سورة واحدة، وإنما يرد منها ما يناسب جو السورة وغرضها (٢)، والنصوص التي عُرضت فيها القصة متكاملة فيما بينها، فلا تكرار للقصص القرآني، وإن وُجد التكرار فهو فقط في العناصر المكررة في الواقع، والتوجيهات التربوية التي يراد منها العظة والتذكير والضرب المتوالي على أوتار القلوب والنفوس، بالإضافة إلى ما يستدعيه الربط البياني والتعليمي والتوجيهي(٣).

ويقول محمود محمد عمارة: "إذا كانت القصة القرآنية واحدة من أنجع وسائل الدعوة إلى الله تعالى، فإن تكرارها في سور القرآن من صور الحكمة التي تواجه المدعو بما لذَّ وطاب من فنون الخطاب ذاكرة من عناصرها في كل سورة ما يناسب جوها العام، فلعل في هذا التلوين ما يشبع حاجة المدعو، والذي لا يصبر على طعام واحد ليجد نفسه أمام حشد من الصور، والدلائل، والإشارات، تخاطب أقطار نفسه كلها، فإذا هو مقبل عليها مشوق إليها"(٤).

---

(١) انظر: «**نظرات في القرآن**» محمد الغزالي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٦ (٢٠٠٥م) (ص/٩٥).

(٢) انظر: «**الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم**» (دراسة مقارنة)، محمد علي البار، دار القلم (دمشق) - الدار الشامية (بيروت)، ط١ (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) (ص/٦١).

(٣) انظر: «**نوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيد**»، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم (دمشق) الدار الشامية (بيروت)، ط١ (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) (ص/٦).

(٤) «**فقه الدعوة من قصة موسى عليه السلام**»، محمود محمدعمارة، مكتبة الإيمان، ط١ (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م) (ص/٦١).

وقصة نوح عليه السلام إحدى تلك القصص، وقد ورد ذكره عليه السلام في القرآن الكريم ثلاثاً وأربعين مرة، في ثمان وعشرين سورة، أغلبها عن خبر تكذيب قومه له، بينما جاء تفصيل قصته في سور محددة، كالأعراف وهود والمؤمنون والشعراء والقمر ونوح وغيرها، وكلها مكية عدا (التحريم) التي ذكرت فيها امرأته فهي مدنية[1]، وما اختصاص السور المكية بقصة نوح عليه السلام إلا لأنها شبيهة بالعهد المكي، من حيث الدعوة إلى الله تعالى، ومن حيث الشبهات والافتراءات[2].

ولقد امتاز نوح عليه السلام بمجيء سورة باسمه، لا تتناول سوى قصته، وليس ذلك لغيره من الأنبياء عليهم السلام، يقول الشعراوي: "قصة نوح وردت في أكثر من سورة من سور القرآن الكريم وتوجد سورة باسمه في القرآن، لأنه ظل يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً فاستحق أن تكون له سورة باسمه"[3]، ولم تكتف السورة بالحديث عنه، بل كان الحديث فيها له أيضاً، يقول فضل عباس: "...فليس في السورة كلها إلا الحديث عن نوح، بل نلحظ أمراً آخر في السورة الكريمة، وهي أنها كلها كما كانت حديثاً عنه فهي حديث له كذلك، فكل مافي السورة ليس إلا قولاً له عليه الصلاة والسلام، حتى الآيات التي نسب فيها القول لقومه ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾[نوح: ٢٣] جاءت محكية على لسان نوح عليه الصلاة والسلام، فلم تأت مجردة عن قوله وهذه هي الآيات نتأملها ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[نوح: ٢١ - ٢٣]"[4].

---

(١) انظر: «**أولو العزم من الرسل**» عمر أحمد عمر، دار حسان للطباعة والنشر، ط١ (١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م) (١/ ١٥ - ١٦).

(٢) انظر: «**قصص القرآن الكريم**» (صدق حدث وسمو هدف - إرهاف حس وتهذيب نفس)، فضل حسن عباس، دار النفائس (الأردن)، ط٣ (١٤٣٠هـ - ٢٠١٠م) (ص/١٩٧).

(٣) انظر: «**قصص الأنبياء**» محمد متولي الشعرواي، جمع المادة العلمية: منشاوي غانم جابر، كتب الحواشي وراجعها: مركز التراث لخدمة الكتاب والسنة، مكتبة التراث الإسلامي، د.ط (١/ ٢٩٠).

(٤) انظر: «**قصص القرآن الكريم**» فضل حسن عباس (ص/ ٢٠٠).

المبحث الأول

شخصية نوح في القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : نسب نوح عليه السلام ومولده.

المطلب الثاني : عمر نوح عليه السلام.

المطلب الثالث : خصائص نوح عليه السلام.

المطلب الأول: نسب نوح عليه السلام ومولده

لقد اعتمد الكتّاب والمؤرخون في نسب نوح عليه السلام على الإسرائيليات والروايات الضعيفة، فلا يوجد نص قرآني أو حتى حديث نبوي صحيح في ذلك[1].

يقول الخالدي: "لم يثبت في الأحاديث الصحيحة شيء عن أسماء آباء نوح، ولا عن سلسلة النسب بينه وبين آدم...كذلك لم يثبت شيء في تحديد أسماء أولاده أو عددهم، أو اسم زوجته، أو اسم والديه. كل هذه الأمور من مبهمات القصص القرآني التي لم تبيَّن في الآيات والأحاديث الصحيحة"[2].

وما ذكره المؤرخون من النسب هو: نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ - إدريس عليه السلام - بن يرد بن مهلائيل بن قينن بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام[3].

وأمه: "بتنوس ابنة براكيل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم عليه السلام"[4]، أو"قينوش ابنة براكيل بن محويل بن خنوخ بن قين"[5] كما ورد عند ابن الأثير[6].

---

(١) انظر: «**شخصية نوح عليه السلام في القرآن الكريم**» حسن محمد حسين زغل، إشراف: د.محسن سميح الخالدي، قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية نابلس، فلسطين (٢٠٠٨م) (ص/٢٨).

(٢) «**القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث**» صلاح الخالدي، دار القلم (دمشق) - دار الشامية (بيروت)، ط١ (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) (ص/١٥٧).

(٣) انظر: «**البداية والنهاية**» أبو الفداء إسماعيل ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، دار هجر (٢٣٧/١).

(٤) «**تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك**» أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف (مصر)، ط٢ (١٧٣/١).

(٥) «**الكامل في التاريخ**» أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير، ت: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان)، ط١ (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) (٥٢/١).

(٦) هو علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري أبو الحسن ابن الأثير، الملقب بعز الدين، مؤرخ وعالم في النسب والأدب، ولد في جزيرة ابن عمر سنة ٥٥٥هـ، من مؤلفاته: الكامل في التاريخ - أسد الغابة في معرفة الصحابة - اللباب - الجامع الكبير، توفي في رمضان سنة (٦٣٠هـ)، انظر: «**طبقات الشافعية الكبرى**» تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، ت: =

والذي تعرض القرآن الكريم له فيما يخص والديّ نوح هو الدعاء فقط، قال تعالى: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا﴾[نوح: ٢٨]، أي إن نوح عليه السلام دعا لوالديه بالمغفرة وقد كانا مؤمنين[١]، وإلا لما دعا لهما بهذا الدعاء[٢].

مولده: وُلد نوح بعد وفاة آدم عليهما السلام، بمائة وست وعشرين سنة، كما ذكر ابن جرير[٣]وغيره[٤]، وذلك لألف وست وخمسين سنة مضت من يوم أن أنزل الله تعالى آدم إلى مولد نوح عليهما السلام[٥]، وذكر ابن كثير[٦] بأن الزمن بين مولد نوح وموت آدم عليهما السلام مائة وست وأربعون سنة حسب تاريخ أهل الكتاب.

محمود محمد الطناحي - عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢ (١٤١٣هـ) (٢٩٩/٨)، و«**الأعلام**» الزركلي (٣٣١/٤).

(١) انظر: «**تفسير الفخر الرازي**» المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، محمد الرازي فخر الدين، دار الفكر، ط١ (١٤٠١هـ - ١٩٨١م) (١٤٦/٣٠)، و«**الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنته من السنة وآي الفرقان**»، أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي - كامل محمد الخراط - غياث الحاج أحمد، مؤسسة الرسالة، ط١ (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م) (٢٦٩/٢١)، و«**التفسير الوسيط**» محمد سيد طنطاوي، مراجعة: عبد الرحمن العدوي، دار المعارف (القاهرة)، د.ط (١٢٦/١٥).

(٢) انظر: «**التفسير الوسيط**» سيد طنطاوي (١٢٦/١٥).

(٣) هو محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري، ولد في طبرستان سنة (٢٢٤هـ) كان إماماً في التفسير والحديث والفقه والتاريخ، توفي في بغداد (٣١٠هـ)، من مؤلفاته: جامع البيان في تفسير القرآن - اختلاف الفقهاء. انظر: «**وفيات الأعيان**» ابن خلكان (١٩١/٤) و«**الأعلام**» الزركلي (٦٩/٦).

(٤) انظر: «**البداية والنهاية**» ابن كثير (٢٣٧/١)، و«**تاريخ الطبري**» الطبري (١٧٤/١) و«**الكامل في التاريخ**» ابن الأثير (٥٢/١).

(٥) انظر: «**تاريخ الطبري**» الطبري (١٧٤/١).

(٦) هو إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصروي ثم الدمشقي أبي الفداء، ولد في قرية من أعمال بصرى الشام سنة (٧٠١هـ)، مؤرخ وفقيه ومفسر، توفي في دمشق (٧٧٤هـ)، من مؤلفاته: تفسير القرآن العظيم - الاجتهاد في طلب الجهاد - شرح صحيح البخاري، انظر: و«**النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**» يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن جمال الدين، وزارة الثقافة والإرشاد القومي - دار الكتب (مصر) (١٢٣/١١). و«**الأعلام**» الزركلي (٣٢٠/١).

وورد في السنة النبوية أن بين آدم ونوح عليهما السلام عشرة قرون[1]، يقول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : «**كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق، فلما اختلفوا بعث الله النبيين والمرسلين وأنزل كتابه فكانوا أمة واحدة**»[2]، ورُوي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: «**أن رجلاً، قال: يا رسول الله أنبي كان آدم؟ قال"نعم، مكلم"، قال: فكم كان بينه وبين نوح؟ قال: عشرة قرون**»[3].

وإن كلمة القرن مختلف في معناها، فقد يكون المراد بها مئة سنة، وعلى هذا يكون بين آدم ونوح عليهما السلام ألف سنة لا محالة، ولكن تقييد ابن عباس رضي الله عنهما، لا ينفي أن يكون أكثر من ذلك؛ إذ قد يكون بينهما قرون أُخَر لم يكونوا على الإسلام، وقد يكون المراد من القرن الجيل من الناس، كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ﴾[الإسراء: ١٧]، ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾[المؤمنون: ٣١]، ﴿ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴾[الفرقان: ٣٨]، وفي السنة عن عمران بن حصين قال سمعت رسول الله عليه وسلم يقول: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»[4]، وكان الجيل قبل نوح يُعمرون لل دهور الطويلة، فيكون بين آدم ونوح عليهما السلام ألوف من السنين[5]، وبناء على ذلك نجد بأن مولد نوح كان بعد فترة زمنية كبيرة من موت آدم عليهما السلام، ولا يمكن تحديدها على وجه الدقة.

---

(١) انظر: «**البداية والنهاية**» ابن كثير (١/ ٢٣٧).

(٢) «**المستدرك على الصحيحين**» للحاكم، باب: تفسير سورة حم عسق بسم الله الرحمن الرحيم، رقم: (٣٦٥٤) (٢/ ٤٨٠).

(٣) «**صحيح ابن حبان**» باب: ذكر الإخبار عما كان بين آدم ونوح صلوات الله عليهما من القرون، رقم: (٦١٩٠) (١٤/ ٦٩).

(٤) «**سنن الترمذي**»، أبواب الفتن، باب ما جاء في القرن الثالث، رقم: (٢٢٢١) (٤/ ٧٠).

(٥) انظر: «**البداية والنهاية**»، ابن كثير (١/ ٢٣٧ - ٢٣٨).

المطلب الثاني: عمر نوح عليه السلام

لقد أشار القرآن الكريم إلى طول عمر نوح عليه السلام من خلال ذكره للمدة التي لبثها في قومه. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾[العنكبوت: ١٤]، وورد في بعض الآثار بأنه عليه السلام أطول الأنبياء عمراً[(١)].

ولم يصرح القرآن الكريم بأن تلك المدة ممثلة لعمر نوح عليه السلام كله أو أنها مدة دعوته فقط؛ لذا كان الخلاف على خمسة أقوال:

١- أنه بعث بعد أربعين سنة، وعاش في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم، وعاش بعد الطوفان ستين سنة، رواه يوسف بن مهران عن ابن عباس.

٢- أنه لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، وعاش بعد ذلك سبعين عاماً، فكان مبلغ عمره ألف وعشرين سنة. قاله: كعب الأحبار.

٣- أنه بعث وهو ابن خمسين وثلاثمئة، فدعاهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، ثم عاش بعد ذلك ثلاثمئة وخمسين سنة، وهو قول عون بن شداد.

٤- أنه لبث فيهم قبل أن يدعوهم ثلاثمئة سنة، ودعاهم ثلاثمئة سنة، ولبث بعد الطوفان ثلاثمائة سنة وخمسين عاماً، هو قول قتادة.

٥- أن هذه الآية بينت عمره كله، حكاه الماوردي[(٢)].

ويرى ابن كثير الظاهر في سياق الآية أن نوحاً عليه السلام قد مكث في دعوة قومه إلى الله تعالى ألف سنة إلا خمسين عاماً، لذا الأقرب للصحة هو قول ابن عباس، والله أعلم[(٣)].

---

(١) انظر: «**روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**» محمود شكري الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي (بيروت - لبنان) (١٤٣/٢٠).

(٢) انظر: «**زاد المسير في علم التفسير**» أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، المكتب الإسلامي، ط٣ (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) (٢٦١/٦ - ٢٦٢).

(٣) انظر: «**تفسير القرآن العظيم**» ابن كثير، (٤٩٩/١٠).

ويقول ابن عاشور[1]: "وظاهر الآية أن هذه مدة رسالته إلى قومه، ولا غرض في معرفة عمره يوم بعثه الله إلى قومه...وفائدة ذكر هذه المدة للدلالة على شدة مصابرته على أذى قومه ودوامه على إبلاغ الدعوة تثبيتاً للنبي ﷺ"[2].

فما ذكره القرآن الكريم مرحلة من مراحل عمر نوح عليه السلام، وقد" كان عمر نوح ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى : ما بين ولادته ونبوته: وهذه لم يخبرنا الله عنها، فلم نعرف شيئاً عن مكان ولادته، ولا عمره يوم بعثه.

المرحلة الثانية : ما بين نبوته والطوفان. وهي حوالي ألف سنة: ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾[العنكبوت: ١٤].

المرحلة الثالثة : ما بين نزوله من السفينة إلى وفاته، وهذه لم يخبرنا الله عنها، فلا نخوض فيها"[3].

فعمر نوح عليه السلام يزيد عن تسعمئة وخمسين سنة، بمقدار ما كان قبل إرساله، ومقدار ما عاش بعد الطوفان، وقوله تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ﴾[العنكبوت: ١٤] دليل على ذلك؛ إذ عُطف اللبث على الإرسال بالفاء الدالة على الترتيب والتعقيب، وهذه السنين المذكورة بدايتها تعتبر منذ إرساله، ونهايتها عند بدء الطوفان[4].

---

(١) هو محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور، وُلد في تونس سنة (١٢٩٦هـ)، مفسر ولغوي ونحوي وأديب، سُمي شيخ الجامع الأعظم وفروعه، وتوفي في تونس سنة (١٣٩٣هـ)، من مؤلفاته: مقاصد الشريعة الإسلامية - أصول النظام الاجتماعي في الإسلام - أصول الإنشاء والخطابة - موجز البلاغة -، انظر «**الأعلام**» الزركلي (٦/١٧٣ - ١٧٤) و«**معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر**» عادل نويهض، قدم له: مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ حسن خالد، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر (بيروت - لبنان)، ط٣ (١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م) (٢/٥٤١ - ٥٤٢).

(٢) «**التحرير والتنوير**» محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس (١٩٨٤م)، د.ط (٢٠/٢٢٢).

(٣) «**القصص القرآني**» صلاح الخالدي (١/٢٠٨ - ٢٠٩).

(٤) انظر: «**نوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيد**» عبد الرحمن حبنكة، (ص/٢٨٩-٢٩٠).

وهذا العمر غير طبيعي ولا مألوف في عمر الأفراد، لكن طالما مصدره من الله تعالى فهذا وحده برهان صدقه، ويمكن أن يفسر بأن عدد البشرية أنذاك كان قليلاً محدوداً، فليس ببعيد أن يعوض الله تعالى هذه الأجيال عن كثرة العدد بطول العمر من أجل عمارة الأرض وامتداد الحياة، حتى إذا تكاثر الناس وعمرت الأرض لم يعد هناك داع لطول الأعمار، وهذه الظاهرة ملحوظة في أعمار كثير من الأحياء فكلما قل العدد وقل النسل طالت الأعمار، كما في النسور والزواحف كالسلحفاة حتى ليبلغ بعضها مئات الأعوام، بينما إذا نظرنا إلى الذباب يتوالد بالملايين فالواحدة منه لا تعيش أكثر من أسبوعين، ولله الحكمة البالغة، وكل شيء عنده بمقدار[1].

ولا مانع من أن يعمر الإنسان عمراً طويلاً في ذاك الزمان؛ لأن النوع الإنساني كان في بداية نشأته لم يحمل هموماً، ولم تعتوره الأمراض المختلفة، ولم تنهك قوته الأطعمة التي لا يقدر على هضمها، أما الإنسان في هذا العصر ومن قبله بأربعين قرناً فجاء بعد أن أنهكت النوع الإنساني الأمراض وطحنته الأدواء.

ويرى علماء الطب والأحوال الاجتماعية بأن قوى الإنسان محدودة، فتستنفد بالحياة العريضة بخلاف الحياة الضيقة، فإنها تكون طويلة لقلة ما يستنفد من قوى الأجسام بتلك الحياة، فضلاً عن التفنن اليوم في الأطعمة الذي ينهك القوى، ويذكر بعض علماء الألمان: بأن الإنسان إذا اتبع نظاماً خاصاً فإنه يمكن له العيش ٣٠٠سنة[2].

يقول فضل عباس: "وفي ذلك العهد كانت الحياة بعيدة عما طرأ عليها من تعقيد فيما بعد فلم تكن تلك المؤثرات التي تنال من الأبدان، والأجسام، والقوى الإنسانية. ولقد قرأت حديثاً عن بعض المناطق النائية في الاتحاد السوفييتي أن هناك أناساً متوسط أعمارهم مائة وعشرون أو مائة وثلاثون أو أربعون سنة بعيدون عن تعقيد المدنية الحديثة... الذي أردت قوله: إن الإنسان في العهد الأول كان له من حيث الجسم ما ليس لمن جاؤوا بعد، وكلمة الفصل إنه خبر القرآن الصادق الذي تطمئن إليه النفوس كاطمئنانا إلى أن واحداً وواحداً يساوي اثنين، بل أكثر من هذا. وخطأ الكثيرين وانحرافهم إنما جاء من مثل هذه القضايا التي أرادوا أن يقيسوا بها الغائب على الشاهد وتلك لوثة المادية التي أعجب بها

---

(١) انظر: «**في ظلال القرآن**» سورة العنكبوت، سيد قطب (ص/١٥).

(٢) انظر: «**قصص الأنبياء**» عبد الوهاب النجار، د.ن، د.ط (ص/٤٨).

أولئك المرتابون وصدق الله ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾[الروم: ٦ - ٧]"[(١)].

وإن الآية التي ذكرت المدة فيها مسألتان-على حد تعبير الرازي[(٢)]-، وهما:

المسألة الأولى: إن الفائدة من ذكر المدة هي تسلية النبي ﷺ، فقد ضاق صدره من عدم دخول الكفار في الإسلام، وإصرارهم على الكفر، فأخبره تعالى بأن نوحاً لبث ألف سنة تقريباً في الدعاء، ولم يؤمن من قومه إلا قليل.

المسألة الثانية : قال بعض العلماء بأن الاستثناء في العدد تكلم في الباقي، فإذا قال قائل: لفلان علي عشرة إلا ثلاثة فكأنه قال علي سبعة، وعلى هذا فقوله: ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾[العنكبوت: ١٤]، كقوله تسعمئة وخمسين سنة، فما الفائدة من العدول عن هذه العبارة؟ ويجيب الزمخشري[(٣)] على ذلك بفائدتين هما:

أ- إن الاستثناء يدل على التحقيق، وتركه قد يظن به التقريب، فإن من قال عاش فلان ألف سنة يمكن أن يتوهم السامع فيقول هذا تقريباً لا تحقيقاً، لكن إذا قال إلا شهراً أو إلا سنة، فيزول ذلك التوهم، ويفهم منه التحقيق.

ب- إن نوحاً عليه السلام صبر كثيراً على قومه، فالنبي عليه الصلاة والسلام أولى بالصبر مع قصر مدة دعائه، وإذا كان كذلك فذكر العدد الذي في أعلى المراتب التي لها اسم

---

(١) «**قصص القرآن الكريم**» فضل حسن عباس (ص/٢٠٦).

(٢) هو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي الرازي، الطبرستاني الأصل، الملقب بفخر الدين، والمعروف بابن الخطيب، فقيه ومفسر، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات، كان مولده في الري سنة (٥٤٤هـ) وإليها نسبته، توفي سنة (٦٠٦هـ)، من مؤلفاته: مفاتيح الغيب، المطالب العالية ونهاية العقول - عصمة الأنبياء - الأربعين والمحصل، المحصول والمعالم. انظر: «**وفيات الأعيان**» ابن خلكان (٣٤٩/٤)، «**الأعلام**» الزركلي (٣١٣/٦).

(٣) هو محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، مفسر ومحدث ومتكلم ونحوي ولغوي، ومعتزلي الاعتقاد، لُقب بجار الله لأنه جاور مكة زماناً، كان مولده بزمخشر سنة (٤٦٧هـ)، وتوفي بجرجانية خوارزم سنة (٥٣٨هـ) من مؤلفاته: الكشاف عن حقائق التنزيل - المفصل في صنعة الأعراب، الفائق في غريب الحديث، أساس البلاغة، انظر: «**وفيات الأعيان**» ابن خلكان (١٦٨/٥ - ١٦٩)، و«**معجم المؤلفين**» كحالة (١٨٦/١٢)، و «**الأعلام**» الزركلي (١٧٨/٧)..

مفرد موضوع، فإن مراتب الأعداد هي الآحاد إلى العشرة والعشرات إلى المئة والمئات إلى الألف، وبعدها يكون التكثير بالتكرير فيقال عشرة آلاف ومئة ألف وألف ألف[1].

ثم يقول الزمخشري: "فإن قلت: فلم جاء المميز أولاً بالسنة وثانياً بالعام؟ قلت: لأن تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة، إلا إذا وقع ذلك لأجل غرض ينتحيه المتكلم من تفخيم أو تهويل أو نحو ذلك"[2].

(١) انظر: «**مفاتيح الغيب**» الرازي (٤٢١/٢٥)، و«**روح المعاني**» الألوسي (١٤٣/٢٠).

(٢) «**الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**» جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ت: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان (الرياض)، ط١ (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م) (٥٤٠/٤).

المطلب الثالث: خصائص نوح عليه السلام

ذكر القرآن الكريم نوحاً عليه السلام في سياق غيره من الأنبياء عليهم السلام من حيث الاصطفاء، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[آل عمران: ٣٣]، ووحدة الوحي إليهم، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾[النساء: ١٦٣]، وأخذ الميثاق عليهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾[الأحزاب: ٧]، وذكره بصفة الرسالة تسع مرات[(١)]، كقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[نوح: ١]، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾[العنكبوت: ١٤].

وصرّح القرآن الكريم عن صفة الإحسان والإيمان والصلاح لنوح عليه السلام مع أنه نبي ورسول، قال تعالى: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[الصافات: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الصافات: ٨١]، وقال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ﴾[التحريم: ١٠].

ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[الصافات: ٨٠]، "تعليل لما فعل به عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من التكرمة السَّنية من إجابة دعائه أحسن إجابة، وإبقاء ذريته وتبقية ذكره الجميل، وتسليم العالمين عليه إلى آخر الدهر بكونه من زمرة المعروفين بالإحسان الراسخين فيه وأن ذلك من قبيل مجازاة الإحسان بالإحسان...والكاف متعلقة بما بعدها أي مثل ذلك الجزاء الكامل نجزي الكاملين في الإحسان لا جزاء أدنى منه"[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الصافات: ٨١] ، تعليل لكونه من المحسنين بخلوص العبودية، وكمال الإيمان، وفي ذلك دلالة على جلالة قدرهما ما لا يخفى،

---

(١) انظر: «**دعوة الرسل بين الخصوصية والتكامل في القرآن الكريم**» أطروحة لنيل شهادة الدكتوراة في العلوم الإسلامية، إعداد: عبد الرحمن حللي، بإشراف: احميدة النيفر، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م) (ص/٣٤).

(٢) «**إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**» أبو السعود بن محمد العمادي الحنفي، ت: عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة (الرياض)، د.ط (٥٣٩/٤ - ٥٤٠).

وبالرغم أن منصب الرسالة لاينفك عنه ذلك، فكان القصد من ذكره مدح الصفة نفسها[1]، فالإيمان بالله تعالى والانقياد لطاعته من أعظم الدرجات، وأشرف المقامات[2].

وقوله تعالى: ﴿تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ﴾[التحريم: ١٠] فقد خُص عليه السلام بوصف الصلاح تنويهاً بوصف الصلاح وإيماءً إلى أن النبوة صلاح ليعظم بذلك شأن الصالحين، ومن ثم يحرصون على هذه الصفة ويتمسكون بها[3].

وخصائص نوح عليه السلام هي :

١- أول الرسل وأولي العزم إلى البشر .

نص القرآن الكريم على ختم النبوة والرسالة بمحمد ﷺ، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾[الأحزاب: ٤٠]، لكنه لم ينص على الأولية في ذلك لأحد، لذا وقع خلاف بين العلماء، فذهب معظم المفسرين القدامى والمعاصرين إلى القول بالأولية لنوح عليه السلام، بينما ذهب بعضهم إلى القول بأنها لآدم عليه السلام، وآخرون قالوا بنسبها لإدريس عليه السلام[4].

وقد استدل القائلون بالأولية لنوح عليه السلام بما ورد في السنة أنه أول الرسل إلى بني البشر، كما جاء في حديث الشفاعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**كنا مع النبي ﷺ في دعوة، فرفع إليه الذراع، وكانت تعجبه فنهس منها نهسة، وقال : أنا سيد القوم يوم القيامة، هل تدرون بم؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيبصرهم الناظر ويسمعهم الداعي، وتدنو منهم الشمس، فيقول بعض الناس : ألا ترون إلى ما أنتم فيه، إلى ما بلغكم؟ ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم. . . اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح. فيأتون نوحاً، فيقولون : يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض**»[5].

---

(١) انظر: «**إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**» أبي السعود (٤/٥٣٩ - ٥٤٠)، و«**روح المعاني**» الألوسي (٢٣/٩٩).

(٢) انظر: «**مفاتيح الغيب**» الرازي (٢٦/١٤٥).

(٣) انظر: «**التحرير والتنوير**» ابن عاشور (٢٨/٣٧٥)، و «**التفسير الوسيط**» سيد طنطاوي (١٤/٤٨١).

(٤) انظر: «**نبوة آدم ورسالته بين الظن واليقين**» عز الدين بليق، دار الفتح للطباعة والنشر (بيروت - لبنان)، ط١ (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) (ص/٣٤٣).

(٥) «**صحيح البخاري**»، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم﴾، رقم: (٣٣٤٠) (٤/١٣٤).

فنوح أول الرسل بعد آدم عليهما السلام، وآدم لا يذكر القرآن الكريم له رسالة بعد مجيئه إلى الأرض، لكن الناس بعد وفاته بمدة طويلة قد ضلوا عن عبادة الله تعالى واتخذوا الأصنام آلهة، فأرسل الله إليهم نوحاً يردهم إلى التوحيد ويصحح لهم تصورهم عن الله وعن الحياة والوجود، والكتب المقدسة تجعل إدريس سابقاً لنوح عليهما السلام، لكن ما ورد في تلك الكتب لا يدخل في عقيدة المسلم لشبهة التحريف والإضافة إليها(١).

ولئن كان الصحيح الذي عليه الأكثرون أن نوحاً عليه السلام أول الرسل إلى أهل الأرض، فهذا لا يعني استحالة بعثة الأنبياء قبله، فشيث وإدريس وآدم، كانوا أنبياء لا رسلاً، فهو بهذا الاعتبار أول رسول وليس أول نبي، وهناك فرق بين النبوة والرسالة(٢).

وإن نوحاً عليه السلام من أولي العزم من الرسل، الذين خصهم الله تعالى من بين سائر الأنبياء بالذكر في موضعين، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾[الأحزاب: ٧]، وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾[الشورى: ١٣]، وتخصيص الله تعالى لهم بالذكر للإيذان بمزيد مزيتهم وفضلهم(٣)، ولأنهم مشاهير أرباب الشرائع، وما تقديم نبينا محمد عليه الصلاة والسلام إلا تعظيماً له وتكريماً لشأنه(٤).

٢- عبد شكور.

قال تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾[الإسراء: ٣]، أي أن نوحاً عليه السلام ممتثل للشكر في حالاته كافة(٥)، ويقول الزمخشري: "فإن قلت: قوله: (إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا) ما وجه ملاءمته لما قبله؟ قلت: كأنه قيل: لا تتخذوا من دوني وكيلاً، ولا تشركوا بي، لأن نوحاً عليه السلام كان عبداً شكوراً، وأنتم ذرية من آمن به وحمل معه، فاجعلوه أسوتكم

---

(١) انظر: «**في ظلال القرآن**» سورة نوح، سيد قطب (ص/٨ - ٩).

(٢) انظر: «**النبوة والأنبياء**» الصابوني (ص/١٤٥).

(٣) انظر: «**إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**» أبي السعود (٤/٤٠٢).

(٤) انظر: «**أنوار التنزيل وأسرار التأويل**» عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، ط١ (١٩١٨هـ) (٤/٢٢٦).

(٥) انظر: «**روح المعاني**» الألوسي (١٥/١٥).

كما جعله آباؤكم أسوتهم. ويجوز أن يكون تعليلاً لاختصاصهم، والثناء عليهم بأنهم أولاد المحمولين مع نوح عليه السلام فهم متصلون به فاستأهلوا لذلك الاختصاص"[1].

٣- مستجاب الدعاء.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾[الصافات: ٧٥ - ٧٧]، أي ناداننا نوح عليه السلام بمسألته إيانا هلاك قومه، وكنا له إذ دعانا، فأجبنا دعاءه فأهلكنا قومه، ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ ﴾ أي: الذين ركبوا في السفينة معه، ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾أي: جعلنا ذريته هم الذين بقوا بعد مهلك أهله[2]، وهذا جانب من النعم التي أنعم الله تعالى بها على نوح عليه السلام، وقد تضرع عليه السلام إلى الله فأجابه تعالى أحسن إجابة[3].

٤- ثناء حسن عليه في كل أمة.

قال تعالى: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[الصافات: ٧٨ - ٧٩]، أي"أبقينا له دعاء الناس وتسليمهم عليه أمة بعد أمة، وقيل: هذا سلام منه ﷻ لا من الآخرين"[4]، ويقول القرطبي[5]: "أي تركنا عليه ثناء حسناً في كل أمة، فإنه محبب إلى الجميع"[6].

٥- إن أبا الأنبياء إبراهيم عليه السلام من شيعته.

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الصافات: ٨٣]، والضمير في قوله: (مِن شِيعَتِهِ) مختلف في العائد إليه على قولين: الأول: أنه عائد إلى نوح عليه السلام أي من شيعة نوح أي من

---

(١) «**الكشاف**» الزمخشري (٣/٤٩٤).

(٢) انظر: «**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**» أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: عبد الله التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلاميةبدار هجر، ط١ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) (١٩/٥٥٩ - ٥٦٠).

(٣) انظر: «**التفسير الوسيط**» سيد طنطاوي (١٢/٩١).

(٤) «**روح المعاني**» الألوسي (٢٣/٩٩).

(٥) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي، اشتهر بالصلاح والتعبد، وهو مفسر، توفي في منية ابن خصيب في أسيوط بمصر سنة (٦٧١هـ)، من مؤلفاته: الجامع لأحكام القرآن، التذكرة بأحوال الموتى والآخرة - الأسنى في شرح الأسماء الحسنى، انظر: «**الأعلام**» الزركلي (٥/٣٢٢)، و«**معجم المؤلفين**» كحالة (٨/٢٣٩ - ٢٤٠).

(٦) «**الجامع لأحكام القرآن**» القرطبي (١٨/٤٧).

أهل بيته وعلى دينه ومنهاجه لإبراهيم، والثاني: أنه عائد إلى محمد صلى الله عليه وسلم، والمعنى أن إبراهيم عليه السلام كان على دينه ومنهاجه فهو من شيعته وإن كان سابقاً له، والأول هو الأظهر؛ إذ تقدم ذكر نوح عليه السلام، ولم يتقدم ذكر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ[1].

ويقول ابن عاشور: "تخلص إلى حكاية موقف إبراهيم عليه السلام من قومه في دعوتهم إلى التوحيد وما لاقاه منهم وكيف أيده الله ونجّاه منهم، وقع هذا التخلص إليه بوصفه من شيعة نوح ليفيد بهذا الأسلوب الواحد تأكيد الثناء على نوح، وابتداء الثناء على إبراهيم وتخليد منقبة لنوح إن كان إبراهيم الرسول العظيم من شيعته"[2].

٦- جعل النبوة والكتاب في ذريته.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾[الحديد: ٢٦]، أي"أنه تعالى شرف نوحاً وإبراهيم عليهما السلام بالرسالة ثم جعل في ذريتهما النبوة والكتاب، فما جاء بعدهما أحد بالنبوة إلا وكان من أولادهما، وإنما قدم النبوة على الكتاب، لأن كمال حال النبي أن يصير صاحب الكتاب والشرع"[3]، وعلى هذا فلم يرسل تعالى بعد نوح عليه السلام رسولاً ولا نبياً إلا من ذريته[4]، وقد"خص سبحانه نوحاً وإبراهيم عليهما السلام بالذكر لشهرتهما ولأن جميع الأنبياء من نسلهما"[5].

---

(١) انظر: «**مفاتيح الغيب**» الرازي (١٤٦/٢٦).

(٢) «**التحرير والتنوير**» ابن عاشور (١٣٥/٢٣ - ١٣٦).

(٣) «**مفاتيح الغيب**» الرازي (٢٤٥/٢٩).

(٤) انظر: «**تفسير القرآن العظيم**» ابن كثير (٤٣٣/١٣).

(٥) «**التفسير الوسيط**» سيد طنطاوي (٢٣٠/١٤).

المبحث الثاني

قوم نوح ومعبوداتهم في القرآن الكريم

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : قوم نوح في القرآن الكريم

المطلب الثاني : معبودات قوم نوح في القرآن الكريم.

المطلب الأول: قوم نوح في القرآن الكريم

كان الناس بعد آدم عليه السلام موحدين، ومرت أجيال منهم على الإيمان، كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق، فلما اختلفوا بعث الله النبيين والمرسلين وأنزل كتابه فكانوا أمة واحدة**»[1]، وبعد ذلك تمكّن الشيطان من إغواء أُناس من الأجيال اللاحقة، فأبعدهم عن الإيمان والتوحيد، وقادهم إلى الكفر والشرك بالله، وفي ذلك دلالة على أن التوحيد هو الأصل، والكفر والشرك أمر شاذ وطارئ على البشرية[2].

يقول سيد قطب[3]: "الجاهلية طارئة على البشرية في الأرض بوثنيتها وأساطيرها وخرافاتها وأصنامها وتصوراتها وتقاليدها جميعاً. وأنها انحرفت عن الإسلام إليها بفعل الشيطان المسلط على بني آدم، وبفعل الثغرات الطبيعية في النفس البشرية. تلك الثغرات التي ينفذ منها عدو الله وعدو الناس، كلما تراخوا عن الاستمساك بهدى الله واتباعه وحده وعدم اتباع غيره معه في كبيرة ولا صغيرة"[4].

وإن البعد الزمني بين آدم ونوح عليهما السلام عشرة قرون -وقد ذكرنا الخلاف حول كلمة القرن سابقاً- وأياً كانت المدة فإن نوح عليه السلام بُعث إلى قومه عندما ابتعدوا عن التوحيد، وشرعوا في الضلالة والكفر، وعبدوا الأصنام والطواغيت، وقد سُمي قوم نوح

---

(١) «**المستدرك على الصحيحين**» للحاكم، باب: تفسير سورة حم عسق بسم الله الرحمن الرحيم، رقم: (٣٦٩٨) (٢/٤٨٠)، وقال: هذا حديث على شرط البخاري، ووافقه الذهبي.

(٢) انظر: «**القصص القرآني**» صلاح الخالدي (ص/١٦٠).

(٣) سَيِّد قُطْب (١٣٢٤ - ١٣٨٧ هـ = ١٩٠٦ - ١٩٦٧ م) سيد قطب بن إبراهيم: مفكر إسلامي مصري، من مواليد قرية (موشا) في أسيوط. تخرج بكلية دار العلوم (بالقاهرة) سنة ١٣٥٣ هـ - (١٩٣٤ م) وعمل في جريدة الأهرام. وكتب في مجلتي (الرسالة) و (الثقافة) وعين مدرسا للعربية، فموظفا في ديوان وزارة المعارف. ثم (مراقبا فنيا) للوزراة. وأوفد في بعثة لدراسة (برامج التعليم) في أميركا، ولما عاد انتقد البرامج المصرية وكان يراها من وضع الإنجليز، وطالب ببرامج تتمشى والفكرة الإسلامية. له مؤلفات كثيرة منها: «**في ظلال القرآن**»، «**التصوير الفني في القرآن**»، «**مشاهد يوم القيامة**»، «**الإسلام ومشكلات الحضارة**». انظر «**الأعلام**»، للزركلي، (٣/١٤٧-١٤٨).

(٤) «**في ظلال القرآن**» سيد قطب، سورة هود (ص/٦١).

بحسب ما ورد عند المؤرخين (كابن جرير وغيره) ببني راسب[1]، بينما ذكرهم القرآن الكريم بنسبتهم إلى نوح بخلاف باقي الأقوام.

فالمدة بين آدم ونوح عليهما السلام لا يعلمها إلا الله، لكنها مدة كافية، لأن يتطور الإنسان خلالها، وينتقل من الحال البدائية الفردية إلى حالة المجتمع المستقر، أي من الحالة التي كان فيها الإنسان قليل الاحتياجات لا سلطان لأحد عليه إلا سلطان وجدانه الخاص، إلى طور الجماعة طور الاحتياجات الكثيرة والذي يكون فيه الإنسان محكوماً بسلطان جديد، وهوسلطان الجماعة الذي يضطره الى كبح جماحه وضبط سلوكه.

والمتأمل في قصة نوح عليه السلام يرى أن الله تعالى قد بث في ثناياها خصائص المجتمع المستقر، كالربط بين أفراده بما يسمى أواصر النسب القريبة والبعيدة، فنوح من هؤلاء القوم وهم منه، عشيرته الأقربون والأبعدون، قال تعالى: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[الأعراف: ٦٣]، وانقسام المجتمع إلى طوائف متفاوتة بحسب الحرفة والعمل، وهذا في قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ ﴾[هود: ٢٧]، ووجود خاصة وعامة، وقادة وشعب، قال تعالى: ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴾[نوح: ٢١]، أي تابعون ومتبعون، وإن وقع الخلاف بين العلماء بأولية النبوة بين الأنبياء، إلا أنها تبقى قصته عليه السلام ممثلة لقصة المجتمع الأول الذي جعل تعالى منه موضعاً للعبرة والعظة[2].

وإن البشرية آنذاك كانت على مستوى من التقدم العلمي والحضاري، فقد خاطبهم نوح بمعرفتهم لأطوار خلق الإنسان، قال تعالى: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾[نوح: ١٣ - ١٤]، وخاطبهم بعلمهم اليقيني بالتركيب الفضائي، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴾[نوح: ١٥]، بل وامتد الخطاب إلى ما هو أخص، وهو التمييز بين خصائص القمر كمصدر للنور وخصائص الشمس كمصدر للضوء والحرارة، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ

---

(١) انظر: «**البداية والنهاية**» ابن كثير (١/٢٣٨).

(٢) انظر: مقال «**قصص القرآن (نوح عليه السلام) عرض وتحليل**» للأستاذ البهي الخولي، مجلة المسلمون القاهرية، إصدار: الدكتور سعيد رمضان، العدد السادس (١٣٧٢هـ -١٩٥٣م) (ص/٥٢٨-٥٢٩).

فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾[نوح: ١٦]، إلا أن هذا التقدم العلمي لم يكن مانعاً من وقوعهم في الشرك والإلحاد(١).

ويذكر سيد قطب بأن التطور الذي كان عليه قوم نوح آنذاك لم يكن على المستوى الذي وصلت إليه البشرية اليوم، بل هو أبعد عن قوم نوح، فالأطوار التي سأل نوح قومه عنها هي ما أدركته عقولهم، وقد قال أكثر المفسرين بأنها الأطوار الجنينية من النطفة إلى العلقة إلى المضغة إلى الهيكل إلى الخلق الكامل؛ لأن الأجنة التي تسقط قبل اكتمالها في الأرحام تعطيهم فكرة عن تلك الأطوار، وكذلك الأمر بالنسبة لخلق السماوات والأرض لا العلم الذي وُصل إليه اليوم؛ إذ توحي الآيات خبر نوح لهم مجرد توجيه إليها، وهذا كاف لإثارة التدبر بأن وراء تلك الخلائق قدرة مبدعة(٢).

فنوح عليه السلام "حثهم على التفكر والبحث، ويكفي للتوصل إلى إدراك عظمة الله التفكّر في خلق ما يرى الناس من السماء، وأضاف البيان الديني أنها سبع سماوات طباق، أي: فابحثوا وتتبعوا ما انفتحت أمامكم طرق البحث والتتبع، فإن من الناس من سيأتي ويبحث ويتوصل إلى ما جاء في الخبر الديني عن السماوات السبع الطباق"(٣).

ولقد ذكر القرآن الكريم صفات قوم نوح التي أدت بهم الى سلوك الطريق غير الصحيح، ومن ثم استحقاقهم للعذاب الأليم، وهي: السوء، قال تعالى عنهم: ﴿ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[الأنبياء: ٧٧]، والفسق، قال تعالى: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾[الذاريات: ٤٦]، والظلم والطغيان، قال تعالى: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى ﴾[النجم: ٥٢]، فضلاً عن التكذيب الذي جاءت معظم الآيات في الإخبار عنه. قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾[الشعراء: ١٠٥]، و﴿ قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴾[المؤمنون: ٢٦]، ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴾[القمر: ٩]، وفي هذه

---

(١) انظر: «**جدلية الغيب والإنسان والطبيعة العالمية الإسلامية الثانية**» محمد أبو القاسم حاج حمد، دار الهادي، ط١ (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م) (١/ ٧٥)، و «**دعوة الرسل بين الخصوصية والتكامل**»، عبد الرحمن حللي (ص/ ٣٤-٣٥).

(٢) انظر: «**في ظلال القرآن**»، سورة نوح، سيد قطب (ص/ ١٣ - ١٤).

(٣) «**نوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيد**»، عبد الرحمن حبنكة، (ص/ ١٩٥)

الأخيرة مجيء (فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا) بعد (كَذَّبَتْ)، مزيدتحقيق وتقرير للتكذيب، ويجوز أن يكون المعنى كذبوا تكذيباً إثر تكذيب كلما خلا قرن مكذب جاء عقبه قرن مكذب آخر[1].

وسبب التكذيب ظاهر في قوله تعالى: ﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ﴾[الأعراف: ٦٤]، أي" إنهم ما كذبوا إلا لعمى في بصائرهم حال دون اعتبارهم، وفهمهم لدلالة تلك الآيات على توحيد الله، وقدرته على إرسال الرسل وحكمة ربوبيته في ذلك، وعمون جمع عم، وهو ذو العمى وأصله عمي بوزن كتف. وقيل إنه خاص بعمى القلب والبصيرة، والأعمى يطلق على الفاقد لكل منهما"[2]، وقد "أسند التكذيب إلى جميع القوم لأن الذين صدقوه عدد قليل فإنه ما آمن به إلا قليل"[3].

واتصف قوم نوح أيضاً بالإصرار والاستكبار، وبهما تم الكشف عن مدى العناد الذي كانوا يتمتعون به، ومن ثم الحيلولة دون التغيير. قال تعالى: ﴿وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَـٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا﴾[نوح: ٧]، أي "إصرارهم على الضلال واستكبارهم عن الاستجابة لصورة الحق والهدى. برز من ثناياها ملامح الطفولة البشرية العنيدة"[4].

وهذه حال الجاهليات كلها، في موقفها من الرسالة، ولا ذي يتمثل بالتكذيب والإعراض والتشهير، فضلاً عن التهديد للرسول، وغيره من المؤمنين، ثم تنفيذها للتهديد أو الحيلولة دونه بقدر من الله تعالى[5]، قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦]، فالرسالة واحدة مكررة مع اختلاف الأشخاص والزمان والمكان، وكذلك جاهلية واحدة مكررة مع اختلاف الأشخاص والزمان والمكان[6]، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾[الذاريات: ٥٢].

---

(١) انظر: «**روح المعاني**» الآلوسي (٢٧/٨١).

(٢) «**تفسير القرآن الحكيم**» المشتهر باسم «**تفسير المنار**» محمد رشيد رضا، دار المنار، ط٢ (١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م) (٨/٤٩٥ - ٤٩٦).

(٣) «**التحرير والتنوير**» ابن عاشور (٢٧/١٨٠).

(٤) «**في ظلال القرآن**» سورة نوح، سيد قطب (ص/١٢).

(٥) انظر: «**دراسات قرآنية**» محمد قطب، دار الشروق، د.ط (ص/١٠٧).

(٦) انظر: «**دراسات قرآنية**» محمد قطب (ص/١٠٦).

المطلب الثاني: معبودات قوم نوح في القرآن الكريم

أخبر القرآن الكريم عن قوم نوح بأنهم كانوا أهل أوثان[1]، بل وذكر الأصنام التي كانوا يعبدونها بأسمائها، ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، وهي من أقدم الأصنام التي عبدت قاطبة، إن لم تكن أقدمها على الإطلاق[2]، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[نوح: ٢٣].

وهذه الأصنام أسماء لرجال صالحين من قوم نوح، لما ماتوا زين الشيطان لقومهم نصب صورٍ لهم وتسميتهم بأسمائهم؛ حتى ينشطوا في العبادة إذا رأوهم، لكنهم لم يعبدوهم آنذاك، فلما هلك هؤلاء وعمّ الجهل فيمن خلفهم عبدوهم من دون الله، وهي التي انتقلت إلى العرب فيما بعد[3]، يقول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما (ود) كانت لكلب بدومة الجندل، وأما (سواع) كانت لهذيل، وأما (يغوث) فكانت لمراد، ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ، وأما (يعوق) فكانت لهمدان، وأما (نسر) فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم، أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت**»[4].

ولكن قد يُقال، كيف بقيت تلك الأصنام وانتقلت إلى العرب بعد قوم نوح وقد غرقت بالطوفان؟ إذ لا يمكن القول بأن نوحاً عَلَيْهِ السَّلَامُ وضعها في السفينة، وقد جاء لنفيها وكسرها[5].

والجواب على هذا، إما أن الأصنام التي كانت في قوم نوح قد دُثرت وغمرها الطوفان، والأسماء هي التي بقيت وانتقلت، فقد كانت محفوظة عند الناجين مع نوح، وكانوا يذكرونها ويعظون ناشئتهم بما حل بأسلافهم من جراء عبادة تلك الأصنام، وبقيت

---

(١) انظر: «**الكامل في التاريخ**» ابن الأثير (١/ ٥٤)، و«**تاريخ الطبري**» ابن جرير الطبري (١/ ١٧٩).

(٢) انظر: «**دراسات تاريخية من القرآن الكريم في العراق**» محمد بيومي مهران، دار النهضة العربية (بيروت)، ط٢ (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) (٤/ ١١).

(٣) انظر: «**تفسير القرآن العظيم**» ابن كثير (١٤/ ١٤٢ - ١٤٣)، و«**روح المعاني**» الألوسي (٢٩/ ٧٧).

(٤) «**صحيح البخاري**»، **كتاب تفسير القرآن**، باب: وداً ولا سواعاً، ولا يغوث ويعوق، رقم: (٤٩٢٠) (٦/ ١٦٠).

(٥) انظر: «**مفاتيح الغيب**»، الرازي (٣٠/ ١٤٤).

تلك الأسماء يتحدث بها العرب الأقدمون في أثارات علمهم وأخبارهم، حتى جاء عمرو بن لُحيّ الخزاعي الذي أعاد للعرب عبادة الأصنام، وسمى لهم الأصنام بتلك الأسماء وغيرها[1]، وإما أن الأصنام التي انتقلت إلى العرب هي ذاتها التي عبدت في قوم نوح، فقد بقيت لها بقايا في أمم من بني آدم، نائية عن مكان الطوفان، ولم تبلغها دعوة نوح، وكان لهم أنبياء لم يقص الله علينا قصصهم، ولم يكن لديهم من الظلم والطغيان الذي كان سبباً في هلاك قوم نوح؛ إذ لا يوجد دليل قاطع على أن الطوفان أغرق كل الأرض ومن فيها، باستثناء أصحاب السفينة، ولا على أن قوم نوح كانوا هم البشر الوحيدين على وجه الأرض آنذاك، كما لايمكن إهلاك أقوام لا صلة لهم بقوم نوح، بجريرة كفر وظلم قوم نوح[2].

وإن عبادة الأوثان ظاهرة دينية لا يمكن معرفة نقطة ابتدائها بالتحديد، ولا نملك القول سوى أنها بدأت في عمران مستقر ذي حضارة، ازدهر فيها فن النحت والتصوير، وغلب على حياة أهلها الخضوع لمقتضيات فطرة التدين، وليس للإنسانية بلوغ هذا الفن إلا بعد قطع أزمان عديدة، لذا فإن عبادة التماثيل نشأت بعد آدم بدهور لا يعلمها الا الله، مما يظهر أن ما بين آدم ونوح من الأزمنة أكثر مما جاء في التوراة ونقله عنها بعض المسلمين، وبناء على هذا فإن قول قوم نوح عن التوحيد ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾[المؤمنون: ٢٤]، معناه أنهم لم يبتدعوا الوثنية ابتداعاً، بل ورثوها عن آبائهم الأولين منذ أجيال موغلة في القدم[3].

وقد حافظ قوم نوح على عبادة الأصنام تحت لافتة سنة آبائهم القومية، وكانوا يصدون عن سبيل الله بطرحهم لعادات وتقاليد وثقافات لا تدع لفكر الفطرة سبيلاً داخل المجتمع، وفي هذا خطورة على المسيرة البشرية، بل يكون أكثر خطورة؛ لأن القائمين عليه قوم من أقوام صدر المسيرة البشرية، وهم رأس القافلة البشرية، والداء إذا ضرب بالرأس فالانحراف سيتسع شيئاً فشيئاً حتى لا يصبح أي أمل في كل مولود جديد إلا من رحم الله،

---

(١) «**التحرير والتنوير**» ابن عاشور (٢٠٩/٢٩).

(٢) انظر: «**نوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيد**» عبد الرحمن حبنكة، (ص/٢٠٥-٢٠٦)

(٣) انظر: مقال: «**قصص القرآن (نوح عليه السلام) عرض وتحليل**» للأستاذ البهي الخولي، مجلة المسلمون القاهرية، إصدار: الدكتور سعيد رمضان، العدد السابع (١٣٧٢هـ)، (ص/٦٣٠)

وقوم نوح كانوا هم رأس تلك القافلة التي أصابها الداء، فبعث الله إليهم نوحاً عليه السلام بالرحمة التي تشفيهم من الداء[1].

وإن طغيان المادة الذي سيطر على أنفسهم أفقدهم الرحمة من قلوبهم، فاتسموا بالقسوة والأنانية[2]، ومن ثم ابتعدوا عن سنة العدل الاجتماعي، التي أودعها الله تعالى في أعماق الفطرة[3]، قال تعالى: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ ﴾[هود: ٢٧].

وبهذا كان الفساد في قوم نوح شاملاً للعقيدة والأخلاق، فأما الفساد الأخلاقي، فيظهر من خلال عقليتهم المستبدة التي قسمت المجتمع إلى طبقات بناء على المادة والقرب من الأشراف فأدت إلى الظلم، وأما الفساد العقدي، فتجلت مظاهره بالشرك وعبادة الأوثان التي سموها بأسماء خاصة[4]، وهذان الأمران متلازمان فمتى وجد الإيمان كان العدل، ومتى فُقِدَ انتشر الظلم.

---

(١) انظر: «**الانحرافات الكبرى القرى الظالمة في القرآن الكريم**» سعيد أيوب، دار الهادي (بيروت - لبنان)، ط١ (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) (ص/٣١).

(٢) انظر: «**أحسن القصص بين إعجاز القرآن وتحريف التوراة**» زاهية الدجاني، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، ط٣ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) (ص/٢٩).

(٣) انظر: «**الانحرافات الكبرى القرى الظالمة في القرآن الكريم**» سعيد أيوب (ص/٣١).

(٤) انظر: «**دعوة الرسل بين الخصوصية والتكامل**» عبد الرحمن حللي (ص/٣٥ - ٣٦).

المبحث الثالث

دعوة نوح عليه السلام في القرآن الكريم

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : خصوصية دعوة نوح عليه السلام.

المطلب الثاني : مضمون دعوة نوح عليه السلام.

المطلب الثالث : أساليب نوح عليه السلام في الدعوة.

المطلب الرابع : موقف قوم نوح من الدعوة والرد عليه.

المطلب الخامس : مدة الدعوة وحصيلتها.

المطلب الأول: خصوصية دعوة نوح عليه السلام

لقد نص القرآن الكريم على أن نوحاً عليه السلام مرسل إلى قومه في أكثر من موضع، كما أن جميع الآيات القرآنية التي تناولت قصته كان الخطاب فيها موجهاً إلى قومه، بالإضافة إلى ذلك أن قوم نوح ذُكروا في مصاف الأقوام الأخرى من حيث الوصف والتحذير من العذاب، والآيات هي:

١- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾[هود: ٢٥] ورد أربع مرات، وهذا دليل على أن نوحاً مرسل إلى قومه فقط.

٢- الآيات التي تسرد الحوار بين نوح وقومه، نجد فيها الخطاب لقومه خاصة، وورد هذا تسع مرات بصيغ مختلفة، نذكر منها، ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾[هود: ٢٨]، ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[المؤمنون: ٢٣].

٣- هناك مجموعة من الآيات تبين أن قومه هم المعنيون بالرسالة فقط، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا﴾[نوح: ٥]، ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ﴾[الشعراء: ١١٧]، وكل الألفاظ تؤكد أن القضية بينه وبين قومه، كقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٠٦ - ١٠٧].

٤- تكرار لفظ قوم نوح إحدى عشرة مرة في القرآن ليصفهم في مصاف الأقوام الأخرى كعاد وثمود وغيرهم، منها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾[التوبة: ٧٠]، وقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ﴾[الحج: ٤٢]، وهم كغيرهم من الأقوام عاشوا في منطقة جغرافية محددة وتشابهوا مع غيرهم بتكذيب الرسل، والطغيان والظلم، ومن ثم جرت عليهم السنن الطبيعية كما جرت على غيرهم.

٥- تحذير القرآن من عذاب قوم نوح لا يختلف عن تحذيره من عذاب الأقوام الأخرى، قال تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾[هود: ٨٩]، والآيات التي تصف هلاك قوم هود وصالح وشعيب وغيرها لا تختلف عن الآيات التي تصف هلاك قوم نوح، فالصيحة والرجفة والصاعقة والإغراق كانت سُبل إهلاك الأقوام المختلفة، وكلها تقع على المكذبين،

ولم يشذَّ قوم نوح عنهم[1]، قال تعالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[العنكبوت: ٤٠]، وفي هذه الآية قد يقول قائل بأن المراد من قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ ﴾ قوم فرعون، والصواب في ذلك أن يقال: عُني به قوم نوح وقوم فرعون؛ لأن الله تعالى لم يخصص بذلك إحدى الأمتين دون الأخرى، وقد أهلكهما قبل نزول هذا الخبر عنهما، فهما معنيّتان به[2].

وإن الاستعمال القرآني للفظ القوم قد يكون مثيراً للتساؤل حول خصوصية دعوة نوح عليه السلام؛ إذ إن الإرسال إلى القوم لا يعني بالضرورة خصوصية الرسالة أو قوميتها باستعمال لفظ القوم؛ لأن الرسول لا يأتي إلا من بين الناس وبخصائصهم ولسانهم، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[إبراهيم: ٤]، فلا يقصد من ذلك حصر الرسالة بهم، وإنما كان القوم هم منطلق الرسالة، وتخصيصهم بالذكر مع كل رسول إنما يرتبط بالحديث عن تجربة الرسول معهم، فالرسالة الخاتمة عامة ومع هذا نجد القرآن يستعمل لفظ القوم، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾[الفرقان: ٣٠]، فالاستعمال القرآني للفظ القوم يؤكد على أن الصلة بين القومية والنبوة أشبه بصلة النسب، فلا تتعارض مع كونية الرسالة وعالميتها[3].

والجواب على ذلك هو أن الرسالة الخاتمةلم يرد لفظ القوم فيها إلا في آية واحدة، ولا أثر لذلك بين آيات أفاضت بالحديث عن عموم رسالته، منها قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[الأنبياء: ١٠٧]، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[سبأ: ٢٨]، بينما الرسالات السماوية السابقة فقد كان لفظ قوم

---

(١) انظر: «**طوفان نوح بين الحقيقة والأوهام**» جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، مملكة البحرين، ط١ (٢٠٠٥م) (ص/٩٩ - ١٠١).

(٢) انظر: «**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**» الطبري (١٨/٤٠٣).

(٣) انظر: «**الحق العربي في الاختلاف الفلسفي**» طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي (بيروت - الدار البيضاء) ط١ (٢٠٠٢م) (ص/١٩٥ - ١٩٧)، نقلاً عن «**دعوة الرسل بين الخصوصية والتكامل في القرآن الكريم**» عبد الرحمن حللي (ص/٤٢).

مصاحباً دائماً لرسالتهم وفي هذا تأكيد على خصوصيتها، بالإضافة إلى ذلك نصوص الأحاديث، ومنها ما رُوي عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي، كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود**»(١).

وقد يُقال بأن قوم نوح هم الذين كانوا عامرين الأرض يومئذ، كما هو ظاهر من حديث الشفاعة ومصرح فيه في التوراة، وبالتالي فرسالة نوح عليه السلام كانت إلى كل الناس، وإنما تم العدول إلى استعمال القوم بدل الناس إلهاباً لنفسه عليه السلام ليكون شديداً في الحرص على مافيه نجاتهم من العذاب، ففيهم أبناؤه وقرابته وأحبته(٢).

ويُجاب عليه"بأن ذلك العموم ليس كعموم بعثته ﷺ بل لانحصار أهل الأرض في قطعة منها فهو انحصار ضروري وليس عموماً من كل وجه، وهذا نحو ما يقال في بعثة آدم إلى زوجته وأولاده فإنهم حينئذ ليسوا إلا كأهل بيت واحد على أنه قيل لا إشكال، ولو قلنا بانتشار الناس إذ ذاك كانتشارهم اليوم وإرساله إليهم جميعاً لأن العموم المخصوص بنبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هو العموم المندرج فيه الإنس والجن إلى يوم القيامة"(٣).

وهناك من ذهب إلى القول بعموم رسالته بناء على ظاهر الآيات الناطقة بشمول الطوفان لأهل الأرض، كقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾[نوح: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾[الصافات: ٧٧]، وما ورد في حديث الشفاعة أن نوحاً أول رسول إلى أهل الأرض ولازم ذلك كونه مبعوثاً إليهم كافة(٤)، والكلام حول هذا سيأتي الحديث عنه.

فدعوة نوح عليه السلام خاصة لقومه، وإن وُجد فيها أبعاد عامة فهذا من حيث المضمون أو المنهج، يقول عبد الرحمن حللي: "وما دام التساؤل يطرح على مستوى دعوة نوح عليه السلام، بالإجمال فإن الإجابة فيما أرى ترتبط بمضمون الدعوة، فالبعد الإنساني لدعوة أي رسول

---

(١) «**صحيح مسلم**»، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، رقم: (٥٢١)، (١/ ٣٧٠).

(٢) انظر: «**التحرير والتنوير**» ابن عاشور (٢٩/ ١٨٧).

(٣) «**روح المعاني**» الألوسي (٢٩/ ٨٠).

(٤) انظر: «**الميزان في تفسير القرآن**» محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (بيروت - لبنان)، ط١ (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م) (١٠/ ٢٤٨).

لا يخص قوماً دون قوم أو فئة دون أخرى بل بالعكس فإن دعوة الرسل ونوح بالأخص هي عودة بالناس إلى الأصل الإنساني والبعد الفطري المشترك بين الناس جميعاً، أما البعد الخاص الممكن في الرسالات السماوية، فإنما ينصب على جوانب تشريعية - قانونية تراعي خصوصيات الزمان والمكان وهذا لم يرد منه شيء يخص رسالة نوح عليه السلام كما لم يرد ما ينفيه، ولعل الحكمة الإلهية في عدم ذكر ذلك إنما يرتبط بما يحتاج الناس إلى معرفته في عصر ختم الرسالات، وهو العمق التاريخي لرسالة التوحيد والسنة الإلهية في الكون.

وما يجدر التنويه إليه هنا هو ما أشرنا إليه سابقاً، وهو المنهج الذي سلكه نوح عليه السلام في دعوة قومه والقائم على التفكر والتأمل في الكون للاستدلال على الخالق، وهذا التنويه للدلالة على عدم وجود خصوصية في دعوة نوح عليه السلام على مستوى المنهج"[1].

(١) «**دعوة الرسل بين الخصوصية والتكامل في القرآن الكريم**» عبد الرحمن حللي (ص/٤١).

المطلب الثاني: مضمون دعوة نوح عليه السلام

إن الابتعاد عن الإيمان بالله تعالى واتخاذ الأصنام آلهة وعبادتها من دونه تعالى تجعل الحياة في حالة من العدوان والانحلال، كما تُمحى فيها الشرائع التي تحل الحلال وتحرم الحرام[1]، ومن ثم يطغى الإنسان في الأرض وينتشر فساده، وفي هذا دلالة واضحة على بعده عن هدي السماء[2]، فعندئذ لابد من بعث أنبياء ورسل، فهم الهداة إلى الحق والدعاة إلى الطريق المستقيم، وبهم يصحح الخطأ، ويُقوّم العوج، وينصح العاصي، ويهدى الضال.

وعلى هذا، فرسالات الأنبياء عليهم السلام لا تأتي إلا في أحلك الظروف والمآزق؛ لذا كانت البداية من حيث انتهى إليه طغيان الإنسان وهو التأله واستعباد البشر، والاستكبار في الأرض، ولما كان هذا الذي حصل مع قوم نوح كانت الدعوة إلى التوحيد هي مفتاح رسالته عليه السلام، مع الاقتران بالتحذير من عذاب يوم عظيم وأليم يرجع الناس فيه إلى ربهم، فذكر التوحيد لا يستقل عنه ذكر الحساب والجزاء[3]، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[الأعراف: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾[هود: ٢٥ - ٢٦].

واشتملت رسالته عليه السلام على الإنذار، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[نوح: ١ - ٢]، وهو مقدم على حلول العذاب. وهذا يقتضي إخبار نوح قومه بالعذاب، وأن الله تعالى وقّته بمدة بقائهم على الشرك بعد إبلاغه عليه السلام لهم ما أرسل به، في مدة يقع الإبلاغ في مثلها[4].

ومن المفروض أن يكون الإنذار أخر فقرة من فقرات التبليغ في الدين، فهو يستلزم قبله بيان المطلوب منهم، فإذا هم رفضوه ولم يستجيبوا له عندئذ يوجّه لهم الإنذار، وقد طُوي ذلك في النص للعلم به عن طريق النصوص التي أنزلت قبله حول قصة نوح عليه

---

(١) انظر: «**أولو العزم من الرسل**» مأمون غريب، مركز الكتاب للنشر، د.ط (ص/١٩).

(٢) انظر: «**دعوة الرسل بين الخصوصية والتكامل في القرآن الكريم**» عبد الرحمن حللي (ص/٣٧).

(٣) انظر: «**دعوة الرسل بين الخصوصية والتكامل في القرآن الكريم**» عبد الرحمن حللي (ص/٣٧).

(٤) انظر: «**التحرير والتنوير**» ابن عاشور (١٨٦/٣٠ - ١٨٧).

السلام، بالإضافة إلى الإشارة إليه-أي المطلوب منهم- بشكل صريح في النص الذي يليه[1]، قال تعالى: ﴿ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾[نوح: ٣]، ففيه بيان لمضمون دعوته التي دعا إليها وهي"مؤسسة على ثلاثة أركان:

الركن الأول: ترك عبادة الأصنام: (ود) و (سواع) و (يغوث) و (يعوق) و (نسر) التي كان يعبدها أهل ذلك الزمان من دون الله، فكان نوح يأمرهم بخلعها، وعبادة الله وحده، وهذا معنى قوله (أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ).

والركن الثاني: تقوى الله واجتناب المعاصي والذنوب والفواحش التي تفسد عليهم صحتهم وأخلاقهم وآدابهم، وتفكك روابط الألفة وعرا النظام بينهم، وهذا معنى قوله تعالى: (وَاتَّقُوهُ).

والركن الثالث: إطاعة ولي الأمر فيهم وهو نوح عليه السلام نفسه وهذا معنى قوله تعالى: (وَأَطِيعُونِ).

فالدعوة السماوية التي هي أول ما أنزل على البشر، وبلغ إليهم، مطوية في ثلاث كلمات فقط، إيمان، تقوى، طاعة، بالإيمان ينتظم أمر عقائد الأمة، فتسلم من الخرافات والأوهام، وبالتقوى ينتظم أمر أخلاقها وآدابها، فتسلم من السقوط والفساد، وبالطاعة ينتظم أمر اتحاد كلمتها وعلو شأنها، فتسلم من الانحلال والضياع.

وما زالت الأمم على سلم هذه الأركان السماوية تعلو في الحياة الاجتماعية وتسقط، وترتقي في العزة والغلبة وتهبط. وآية ذلك التاريخ، فهو الشاهد العدل، وإليه في هذه المسألة القول الفصل"[2].

ويقول الغزالي: "إن روح القصص القرآني هو احتواؤه على جملة من سنن الله الكونية في قيام الأمم وفنائها... إنه يسوق عوامل الرفعة والهبوط، والبقاء والزوال، على أنها سنن كونية لن تتخلف، طبقت على المستقدمين وتطبق على المستأخرين، لأن الحقائق الاجتماعية التي تربط بين الأحياء كالحقائق المادية التي تربط عناصر الأرض والسماء"[3].

---

(١) انظر: «**نوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيد**» عبد الرحمن حبنكة، (ص/١٦٧).

(٢) «**تفسير جزء تبارك**» عبد القادر المغربي، وزارة المعارف العمومية-مصر. المطبعة الأميرية (القاهرة) (١٣٦٦هـ-١٩٤٧م)، (ص/١٢٢).

(٣) «**نظرات في القرآن**» محمد الغزالي (ص/١٠٠ - ١٠١).

فتلك الأركان هي الخطوط الرئيسة للدعوة الإلهية في جميع الرسالات السماوية، والافتراق فيما بينها كائن في التفاصيل والفروع، فما دعا إليه نوح عليه السلام هو خلاصة دعوة الله في كل جيل بعده[1].

وبعد دعوة نوح عليه السلام لقومه، وإصرارهم على الكفر، واستكبارهم عن اتباعه، صاروا على علم بما دعا إليه، ولم يبق لهم عذر بعد التبليغ، وصاروا كفرة مذنبين عن إرادة جازمة، ولابد من أن نوح عليه السلام قد أبان لهم ذلك؛ لذا تحول عليه السلام من دعوته إلى مبادىء الإيمان، وقواعد الدين، إلى بيان ما يجب عليهم من الإقلاع عنه من الذنوب كالكفر وما دونه من فسق وعصيان، قال تعالى: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾[نوح: ١٠]، ففيه أمر من نوح عليه السلام لقومه بطلب المغفرة من الله تعالى، ومعلوم بأنها لا تكون إلا ممن صح إيمانه، وعلى هذا فهو يدعوهم إلى الإقلاع عن الكفر والعصيان، ويدعوهم إلى طلب المغفرة بعد ذلك[2]، "فالأمر بالاستغفار يقتضي أمراً بالإيمان، لأنه لا معنى لأن يطلب الجاحد من الله غفران معاصيه، وهو مقيم على كفر، وتكذيب نبيه"[3].

ويرى الرازي في الآية سؤالاً وهو ما الفائدة من أمر نوح قومه بالاستغفار، وقد أمرهم قبل هذا بالعبادة والتقوى والطاعة؟[4]، فيجيب: "أنه لما أمرهم بالعبادة قالوا له: إن كان الدين القديم الذي كنا عليه حقاً فلم تأمرنا بتركه، وإن كان باطلاً فكيف يقبلنا بعد أن عصيناه، فقال نوح عليه السلام: إنكم وإن كنتم عصيتموه ولكن استغفروه من تلك الذنوب، فإنه سبحانه كان غفاراً"[5].

وإن من مضمون دعوته عليه السلام أيضاً التذكير بالبعث والجزاء، وهو ثاني نقطة في الدعوة، وذلك من أجل البيان للإنسان أن حياته ليست دنيوية فقط، بل له حياة آخروية يحاسب فيها

---

(١) انظر: «**في ظلال القرآن**» سورة نوح، سيد قطب (ص/١٠).

(٢) انظر: «**نوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيد**» عبد الرحمن حبنكة، (ص/١٨٤-١٨٥)

(٣) «**تفسير جزء تبارك**» عبد القادر المغربي، (ص/١٢٦)

(٤) انظر: «**مفاتيح الغيب**» الرازي (١٣٧/٣٠).

(٥) «**مفاتيح الغيب**» الرازي (١٣٧/٣٠ - ١٣٨).

كل فرد بموجب أعماله[1]، وقد اقتصر نوح عليه السلام على ذكر جزاء العقاب لكن باللزوم العقلي يكون معه جزاء بالثواب، وبهذا يكون قد أخبر قومه بدار العذاب ودار النعيم[2].

(١) انظر: «**أحسن القصص بين إعجاز القرآن وتحريف التوراة**» زاهية الدجاني (ص/٣٠).

(٢) انظر: «**نوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيد**» عبد الرحمن حبنكة، (ص/٤٥).

المطلب الثالث: أساليب نوح عليه السلام في الدعوة

سلك نوح عليه السلام في دعوته أساليب متعددة آملاً من وراء ذلك الاستجابة من قومه، لكن مع ذلك لم يستجب له إلا القليل، وفي هذا دلالة على أن أحقية الدعوة، وصحة أسلوب تبليغها لا يكفيان لاستجابة المدعوين وقبولهم بها، بل لابد من وجود القابلية عند المدعوين إلى هذه الاستجابة[1]، **والأساليب هي:**

١-اللين والتلطف:

خاطب نوح عليه السلام قومه باللين والتلطف بوصفه لهم بالقوم، قال تعالى: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾[الأعراف: ٥٩]، ولا شك أن للنداء بهذا اللفظ أثراً في استجابة الآخرين، وإظهاراً للاهتمام بهم[2]، يقول ابن عاشور: "وافتتاح دعوته قومه بالنداء، لطلب إقبال أذهانهم ونداؤهم بعنوان: أنهم قومه تمهيد لقبول نصحه؛ إذ لا يريد الرجل لقومه إلا ما يريد لنفسه"[3].

كما أن كلمة "أخوهم" في قوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾[الشعراء: ١٠٦]، إثارة لعاطفة الأُخوَّة النسبية فيهم، وإيحاء لهم بأنه يريد لهم الخير، فهو ليس بعيداً عنهم، ولا غريباً منهم، إنه أخوهم.

٢- النصح والحرص عليهم:

لم يقتصر نوح عليه السلام في دعوته على القول اللين والتلطف، بل تعدى الأمر إلى النصح والحرص عليهم، وإرادة الخير لهم والإشفاق؛ إذ أنذرهم من عذاب الله تعالى إن رفضوا دعوته، فالشفيق يحذر من يشفق عليه مما يضره، ومن أسباب هذا الضرر[4]، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾[نوح: ١ -

---

(١) انظر: «**المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة**» عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ط١ (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) (١/ ١٣٠).

(٢) انظر: «**معالم الدعوة في سورة نوح عليه السلام**» صالح يحيى صواب، مركز تفسير للدراسات القرآنية، د.ط (ص/ ٢٥).

(٣) «**التحرير والتنوير**» ابن عاشور (٢٩/ ١٨٨).

(٤) انظر: «**المستفاد من قصص القرآن**» عبد الكريم زيدان (١/ ١٣١).

٢]، وفي قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ﴾[هود: ٢٦]، بيان لحرص نوح الشديد على مصلحة قومه ومنفعتهم(١).

وأما نصحه عليه السلام فظاهر في قوله تعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[الأعراف: ٦٢]، و ﴿إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ﴾[هود: ٣٤]، ومعناه" تحري الصلاح والخير للمنصوح مع إخلاص النية من شوائب الرياء"(٢)، ولقد استمر نوح بالنصح طوال فترة الدعوة لكن دون جدوى؛ إذ إن قوله تعالى: ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۖ﴾[هود: ٣٤] إشارة إلى ما هم فيه من كراهية دعوة نوح عليه السلام سببه خذلان الله إياهم ولولاه لنفعهم نصحه(٣).

٣-إشغال الأوقات كافة بالدعوة:

استغل نوح عليه السلام في دعوته جميع الأوقات في سبيل نشرها، فكان يدعو في الليل والنهار، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا﴾[نوح: ٥]، وهذا دليل على اجتهاده في الدعوة، فلم يفرط في ضياع وقت من الأوقات، بل حاول استغلال جميع الأوقات، ولم يحصرها في وقت معين؛ إذ الهدف هداية الناس بقدر ما يستطيع، وفي سلوكه هذا مراعاة للطبائع فمن لم تنفعه دعوة النهار دعاه بالليل، ومن لم تنفعه دعوة الليل دعاه بالنهار، لأن فترات استعداد الناس للدعوة متفاوتة(٤).

يقول ابن عاشور: "وجعل دعوته مظروفة في زمني الليل والنهار، للدلالة على عدم الهوادة في حرصه على إرشادهم، وأنه يترصد الوقت الذي يتوسم أنهم أقرب إلى فهم دعوته منهم في غيره من أوقات النشاط وهي أوقات النهار ومن أوقات الهدوّ وراحة البال، وهي أوقات الليل"(٥).

---

(١) انظر: «**التفسير الوسيط**» سيد طنطاوي (٥٩/٧).

(٢) «**التفسير الوسيط**» سيد طنطاوي (٦٩/٧).

(٣) انظر: «**التحرير والتنوير**» ابن عاشور (٦٢/١٢).

(٤) انظر: «**معالم الدعوة في سورة نوح عليه السلام**» صالح يحيى صواب (ص/٢٦).

(٥) «**التحرير والتنوير**» ابن عاشور (١٩٤/٢٩).

وفي هذا التنوع إشارة إلى أن الانسان يطرأ عليه ظروف نفسية أو اجتماعية أو صحية أونحوها تحول دون استيعابه أو تؤثر على فكره، فكان لابد من تقدير الظروف واختيار الوقت المناسب كل بما يناسبه[1].

٤- تعدد صيغ الخطاب.

إن دأب نوح عليه السلام على الدعوة وإصراره على المواجهة دفعه إلى سلوك كل الأساليب، فجهر بالدعوة تارة، ثم زاوج بين الإعلان والإسرار تارة أخرى[2]، قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾[نوح: ٨ - ٩]، وبناء على هذه الآيات فإن مراتب الدعوة ثلاث، بدأها نوح عليه السلام بالمناصحة في السر، ثم ثنى بالمجاهرة، فلما لم يؤثر جمع بين الإعلان والإسرار[3].

يقول الزمخشري: "قد فعل عليه الصلاة والسلام كما يفعل الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر: في الابتداء بالأهون والترقي في الأشد فالأشد، فافتتح بالمناصحة في السر فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة، فلما لم تؤثر ثلث بالجمع بين الإسرار والإعلان، ومعنى (ثُمَّ) الدلالة على تباعد الأحوال؛ لأن الجهار أغلظ من الإسرار، والجمع بين الأمرين أغلظ من إفراد أحدهما"[4].

ولكل مرتبة من المراتب دور، ففي الجهر بيان بأن هذا الأمر ليس مما ينبغي إخفاؤه والاستحياء منه، وفيه إقامة للحجة على الآخرين، وإذا قامت الحجة وعجز الكبراء عن ردها كان ذلك أدعى إلى تمسك المؤمنين، ومن ثم فيه تشجيع للآخرين على الاستجابة، وفي الإسرار فرصة لإقناع النفوس المتأثرة بمن حولها، فلا تستجيب لدعوة الله، أو لوجود مانع يمنعها من قبول الدعوة، وهو اجتماع الناس الذي قد ينتج عنه ضوضاء ولغط[5].

---

(١) انظر: «**الحوار القرآني في سورة نوح**» (دراسة تحليلية)، يحيى بن محمد زمزمي، د.ن، د.ط (ص/٣١).

(٢) انظر: «**في ظلال القرآن**» سورة نوح، سيد قطب (ص/١٢).

(٣) انظر: «**مفاتيح الغيب**» الرازي (١٣٦/٣٠ - ١٣٧).

(٤) «**الكشاف**» الزمخشري (٢١٤/٦).

(٥) انظر: «**معالم الدعوة في سورة نوح عليه السلام**» صالح يحيى صواب (ص/٢٧).

٥-الترغيب والترهيب.

إن أسلوب الترغيب والترهيب من الأساليب المؤثرة في الدعوة، لاعتماده على عنصري الثواب والعقاب، اللذين علم الله من طبيعة البشر أنهما يشكلان حافزاً قوياً، للإقبال على كل نافع، والانكفاف عن كل ما هو ضار. فهذا الأسلوب استجابة لقانون من قوانين النفس الإنسانية، فالإنسان يحب ما ينفعه، وينفر مما يضره، ومن الحكمة استعمال ذاك الأسلوب دون زيادة في أحدهما، فراراً من التسيب في الترغيب، وتجنبا لليأس في الترهيب[١].

أ- الترغيب.

قال تعالى: ﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾[نوح: ٤]، فقد رغّب نوح عليه السلام قومه في الاستجابة لدعوته بما وعدهم به من مغفرة الله تعالى لذنوبهم، وإطالة لأعمارهم، ففيها فرصة لهم كي يزدادوا من فعل الخير، وبهذا وبمغفرة ذنوبهم منفعة مؤكدة لهم في الآخرة[٢]، وطول البقاء خير دنيوي يستوي الناس في رغبته، على الرغم مما في الحياة من عوارض ومكدرات[٣].

وفي هذه الآية يقول الرازي: "كيف قال ويؤخركم مع إخباره بامتناع تأخير الأجل وهل هذا إلا تناقض؟ (الجواب) قضى الله مثلاً أن قوم نوح إن آمنوا عمرهم الله ألف سنة، وإن بقوا على كفرهم أهلكهم على رأس تسعمئة سنة، فقيل لهم آمنوا (وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) أي إلى وقت سماه الله وجعله غاية في الطول في العمر وهو تمام الألف ثم أخبر أنه إذا انقضى ذلك الأجل الأطول، لابد من الموت"[٤].

ويرى ابن عاشور عدم وجود التعارض لاختلاف المعنى، فالأجل الذي في قوله تعالى: ﴿ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾[نوح: ٤] معناه الأجل المعين لكل إنسان، وفي قوله تعالى:

---

(١) انظر: «**فقه الدعوة من قصة موسى عليه السلام**» محمود محمد عمارة (ص/١٦٣ - ١٦٤).

(٢) انظر: «**المستفاد من قصص القرآن**» عبد الكريم زيدان (١/١٣٣).

(٣) انظر: «**التحرير والتنوير**» ابن عاشور (٢٩/١٨٩).

(٤) انظر: «**مفاتيح الغيب**» الرازي (٣٠/١٣٥).

﴿ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ﴾معناه الوقت الذي عينه الله تعالى لحلول العذاب بقوم نوح إن لم يستجيبوا لدعوته[1].

وفي قوله تعالى: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾[نوح: ١٠ - ١٢]، أي توبوا إلى الله تعالى، فمن تاب إليه تاب عليه، ولو كانت ذنوبه مهما كان في الكفر والشرك، وإذا تبتم إلى الله تعالى واستغفرتموه، يكثر عليكم الرزق ويسقيكم من بركات السماء، ويعطيكم الأموال والأولاد، ويجعل لكم جنات فيها أنوع الثمار ويخللها بالأنهار الجارية بينها[2]، "وقدم إليهم الموعد بما هو أوقع في نفوسهم وأحب إليهم، من المنافع الحاضرة والفوائد العاجلة ترغيباً في الإيمان وبركاته والطاعة ونتائجها من خير الدارين"[3].

فنوح عليه السلام "أطمعهم في خير الدنيا والآخرة: أطمعهم في الغفران إذا استغفروا ربهم، فهو سبحانه غفار للذنوب: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾. وأطمعهم في الرزق الوفير الميسور من أسبابه التي يعرفونها ويرجونها، وهي المطر الغزير، الذي تنبت به الزروع، وتسيل به الأنهار، كما وعدهم برزقهم الآخر من الذرية التي يحبونها"[4].

ب- الترهيب.

ليس الترغيب وحده عاملاً من عوامل الاستجابة، بل الترهيب عامل أيضاً، بل هو أقوى من الترغيب؛ إذ لا شيء يعدل سلامة الإنسان ونجاته من العذاب، لذلك توعد الله تعالى الكافرين من قوم نوح بالعذاب الأليم، قال تعالى: ﴿ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[نوح: ١]، والعذاب الأليم يحتمل أن يكون في الدنيا أو في الآخرة أو في كلاهما، وقد ورد في غير موضع تحذير نوح عليه السلام لقومه[5]، قال تعالى: ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ

---

(١) انظر: «**التحرير والتنوير**» ابن عاشور (٢٩/١٨٩).

(٢) انظر: «**تفسير القرآن العظيم**» ابن كثير (١٤/١٤٠).

(٣) «**الكشاف**» الزمخشري (٦/٢١٥).

(٤) «**في ظلال القرآن**» سورة نوح، سيد قطب (ص/١٢).

(٥) انظر: «**معالم الدعوة في سورة نوح عليه السلام**» صالح يحيى صواب (ص/٢٤).

أَلِيمٍ ﴾[هود: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾[الأعراف: ٥٩]، أي أخاف عليكم عذاب يوم القيامة إذا لقيتم الله تعالى وأنتم مشركون به[١].

٦-الفكروالتأمل

استندت دعوة نوح عليه السلام على أسلوب التأمل والفكر واستنتاج العبر من قراءة الكون وما فيه من دلائل على التوحيد والبعث أيضاً، وفي هذا استناد إلى معارف الناس وما توصلوا إليه، فمعرفة أطوار خلق الإنسان وكيفية خلق السماوات يقود المتأمل إلى قدرة الله تعالى ووحدانيته[٢]، قال تعالى: ﴿ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ١٣ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ١٤ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ١٥ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ١٦ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ١٨ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ١٩ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ﴾[نوح: ١٣ - ٢٠].

فخلق الإنسان والسماء والأرض والشمس والقمر يجعل كل مفكر فيها يؤمن بالله تعالى، ولا بد أن قوم نوح قد فهموا من الآيات في أنفسهم والكون من حولهم ما له وقع في نفوسهم، يقودهم إلى الاستجابة لو أرادوا، فما يرونه كاف لإثارة التطلع والتدبر فيما وراء هذه الخلائق الهائلة من قدرة مبدعة[٣].

والملاحظ أن نوحاً عليه السلام قد استخدم كل أساليب الدعوة إلى الله تعالى، وذلك لطول المدة التي مكثها في قومه، فقد لبث فيهم تسعمائة وخمسين سنة، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴾[العنكبوت: ١٤]، ولم يقتصر في أساليب دعوته على الجانب النفسي، بل أشار إلى إعمال العقل بالتأمل والتفكر، ومع ذلك التنوع فالذين آمنوا من قومه عدد قليل، قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴾[هود: ٤٠]، نظراً لما يتصفون به من إصرار واستكبار وغيره.

---

(١) انظر: «**تفسير القرآن العظيم**» ابن كثير (٦/٣٢٧).

(٢) انظر: «**دعوة الرسل بين الخصوصية والتكامل في القرآن الكريم**» عبد الرحمن حللي (ص/٣٧).

(٣) انظر: «**أولو العزم من الرسل**» عمر عمر (١/٤٩، ٥١).

المطلب الرابع: موقف قوم نوح من الدعوة والرد عليه

لقد دعا نوح عليه السلام قومه إلى عبادة الله تعالى وتقواه، وأمرهم بطاعته، قال تعالى: ﴿ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾[نوح: ٣]، وقد كانت هذه الدعوة في الليل والنهار بلا كلل ولا ملل، لكن دون جدوى، بل كلما زادهم دعاء زادهم ذلك منه فراراً[١]، قال تعالى: ﴿ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ﴾[نوح: ٦]، وفيه"دلالة واضحة على إعراضهم التام عن دعوته، أي: فلم يزدهم دعائي شيئاً من الهدى، وإنما زادهم بعداً عني وفرارا مني"[٢].

بل وقابل قوم نوح الدعوة أيضاً بأشياء ذكرها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ﴾[نوح: ٧]، "أي لما دعاهم عاملوه بأشياء: أولها: (جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ) والمعنى أنهم بلغوا في التقليد إلى حيث جعلوا أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا الحجة والبينة. وثانيها: قوله (وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ) أي تغطوا بها، إما لأجل أن لا يبصروا وجهه كأنهم لم يجوزوا أن يسمعوا كلامه، ولا أن يروا وجهه. وإما لأجل المبالغة في أن لا يسمعوا، فإنهم إذاجعلوا أصابعهم في آذانهم ثم استغشوا ثيابهم مع ذلك، صار المانع من السماع أقوى، وثالثها: قوله: (وَأَصَرُّوا)، والمعنى أنهم أصروا على مذهبهم أوعلى إعراضهم عن سماع دعوة الحق"[٣]، إلا أن الأمر لم يقف بهم عند هذا الحد، فقد أثاروا جملة من الشبهات عسى أن يكون لها أثر في إبطال الدعوة، ومن ثم سلكوا مسلك التهديد والتخويف.

أولاً: الشبهات

١- كون نوح عليه السلام من البشر:

قال تعالى: ﴿ فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا ﴾[هود: ٢٧]، ومعناه أن الكبراء من قوم نوح قد جحدوا نبوته عليه السلام لكونه آدمي مثلهم في الخلق والصورة والجنس، إذ يستحيل في نظرهم أن يرسل الله من البشر رسولاً إلى خلقه[٤]، فالتفاوت الحاصل بين

---

(١) انظر: «**نوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيد**» عبد الرحمن حبنكة، (ص/١٧٩-١٨٠)

(٢) «**التفسير الوسيط**» سيد طنطاوي (١٥/١١٤).

(٣) «**مفاتيح الغيب**» الرازي (٣٠/١٣٦).

(٤) انظر: «**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**» الطبري (١٢/٣٧٩).

آحاد البشر يمتنع انتهاؤه إلى حيث يصير الواحد منهم واجب الطاعة[1]، أي أن طبائع البشر مختلفة، فيستحيل مجيء شخص متفق مع كل الطبائع حتى يطاع من قبل الجميع.

وقد زعموا بأن ادّعاء نوح عليه السلام للنبوة بغية الترفع عليهم والتعاظم، فهو بشر مثلهم، فكيف أوحي إليه من دونهم[2]، واستعملوا اسم الإشارة بغية تصغير أمر نوح أمام العامة كي لا يتقبلوا قوله[3].

وفي رؤى قوم نوح فإن إرشاد البشر كائن عن طريق الملائكة، فهم أقدر على تحقيق المقصود، بسبب علو شأنهم وشدة سطوتهم وكثرة علومهم، والخلق ينقادون إليهم دون أن يُبدوا أي شكوى في رسالتهم، ولما لم يفعل ذلك علمنا أنه ما أرسل رسولاً ألبتة[4]، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾، وهم لم يسمعوا برسالة بشر، أو بمثل ما يدعو إليه عليه السلام في الأمم الماضية[5]، قال تعالى: ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾[المؤمنون: ٢٤].

وجاء رد نوح عليه السلام على تلك الشبهة في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾[هود: ٢٨]، أي أن المساواة في البشرية لا تمنع من حصول المفارقة في صفة النبوة والرسالة، وقد ذكر لهم الطريق الدال على ذلك، في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾[هود: ٢٨]، أي على يقين وأمر جلي، وحجة ظاهرة من ربي فيما جئتكم به، ﴿وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾أي النبوة، ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾أي خفيت عنكم فلم تعرفوها ولا أنكم اهتديتم إليها، ثم بادرتم إلى تكذيبها وردها، ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾أي نغصبكم بقبولها وأنتم لها كارهون، وهل نلزمكم إياها بالجبر والاكراه؟ وليس لنا فعل هذا؛ لأن الإسلام لا يصح بإيمان الإذعان، وما علينا سوى الإبلاغ[6].

---

(١) انظر: «**مفاتيح الغيب**» الرازي (٢١٩/١٧).

(٢) انظر: «**تفسير القرآن العظيم**» ابن كثير (١٢٠/١٠).

(٣) انظر: «**التحرير والتنوير**» ابن عاشور (٤٢/١٨).

(٤) انظر: «**مفاتيح الغيب**» الرازي (٩٢/٢٣ - ٩٣).

(٥) انظر: «**الجامع لأحكام القرآن**» القرطبي (٣٤/١٥).

(٦) انظر: «**تفسير القرآن العظيم**» ابن كثير (٤٣٢/٧)، و«**تفسير القرآن الحكيم**» محمد رشيد رضا (٦٣/١٢ - ٦٤).

وفي قوله تعالى: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٦٣] رد أيضاً من نوح عليه السلام على إنكار قومه في بعثه نبياً[١]، ومعناه لا تعجبوا بإيحاء الله تعالى إلى رجل منكم، فليس بعجيب أن يوحي الله إلى رجل منكم ففي ذلك رحمة بكم وإحساناً إليكم، لينذركم ولتتقوا نقمة الله ولا تشركوا به[٢]، ويجب أن يكون الرسول من جنس من أرسل إليهم؛ إذ لو كان من الملائكة، فربما كان في اختلاف الجنس تنافر الطبع[٣]، فضلاً على أن الطعن في رسالته أقوى؛ إذ يخطر في البال أن المعجزات التي ظهرت لعل هذا الملك هو الذي أتى بها لما يتمتع به من قدرة[٤]، وحقيقة الأمر أن قوم نوح قد كرهوا ترك ما كان عليه آباؤهم واتباع ما جاء به نوح عليه السلام، فتعللوا لرفض رسالته بإظهار التعجب من أن يبعث الله للناس بشراً رسولاً، والدليل على ذلك حرف العطف بعد صيغة الاستفهام، الذي يفيد بوجود معنى مقدر بين الاستفهام وحرف العطف، والمقدر هو أكرهتم ترك ما أنتم عليه واتباع ما جئتكم به، وعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم[٥].

٢- الأتباع هم أراذل القوم:

قال تعالى: ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ [هود: ٢٧]، أي إن قوم نوح قد رفضوا دعوته؛ لأن أتباعه أراذل الناس، وهم أصحاب الصنائع الخسيسة كالباعة والحاكة، وإن اتباعهم لنوح عليه السلام لم يكن عن تروّ منهم ولا فكر ولا نظر، بل بمجرد ما دعاهم نوح أجابوه فاتبعوه[٦].

وقد صرح قوم نوح بعدم الاتباع كي لا يتساووا مع هؤلاء الأتباع، قال تعالى: ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾[الشعراء: ١١١]، أي "أنؤمن لك ونتبعك، ونتساوى في ذلك بهؤلاء الأراذل الذين اتبعوك وصدقوك، وهم أراذلنا"[٧]، فتكبروا وتعاظموا أن يكونوا هم

---

(١) انظر: «**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**» الطبري، (٢٦٢/١٠)

(٢) انظر: «**تفسير القرآن العظيم**» ابن كثير (٣٢٨/٦).

(٣) انظر: «**الجامع لأحكام القرآن**» القرطبي، (٢٦٢/٩)

(٤) انظر: «**مفاتيح الغيب**» الرازي (١٧١/١٢)

(٥) انظر: «**نوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيد**» عبد الرحمن حبنكة، (ص/٥١)

(٦) انظر: «**مفاتيح الغيب**» الرازي (٢١٩/١٧)، و«**تفسير القرآن العظيم**» ابن كثير (٤٣٠/٧).

(٧) «**تفسير القرآن العظيم**» ابن كثير (٣٥٧/١٠).

والضعفاء من القوم سواء في اتباع نوح عليه السلام[1]، ولم يقتصروا على ذلك بل طلبوا من نوح طردهم رفعاً لأنفسهم عن مشاركة أولئك الفقراء، والدليل على ذلك رده عليهم[2]، في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ﴾ [هود: ٢٩]

ويذكر ابن كثير حول هذه الشبهة بأنها دالة على جهل قوم نوح وقلة علمهم، فليس بعار على الحق رذالة من اتبعه، فالحق في نفسه صحيح، سواء اتبعه الأشراف أو الأراذل، بل إن أشراف القوم هم أتباع الحق وإن كانوا فقراء، والذين يأبون الحق هم الأراذل ولو كانوا أغنياء، وإن أتباع الحق في الغالب هم الضعفاء، والمخالفين له هم الروؤساء والكبراء[3].

و جاء رد نوح عليه السلام على تلك الشبهة في قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٩ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[هود: ٢٩ - ٣٠]، ففيه بيان من نوح عليه السلام بأن أجر تبليغ الدعوة من الله تعالى، وليس من الأغنياء حتى يتفاوت الحال بسبب كون المستجيب فقيراً أو غنياً، وإذا كان الأمر كذلك فسواء كانوا الأتباع فقراء أو أغنياء لم يتفاوت الحال في ذلك، فهو يدعو إلى الله تعالى كل من لقيه[4]، إلا أن القوم قد طلبوا منه طرد هؤلاء الأتباع عنه ترفعاً عن مجالستهم، وإذا استجاب لهم سوف يتبعوه[5]، فما كان من نوح إلا أن أخبرهم بأنه غير مقصٍ من آمن بالله وأقر بوحدانيته؛ إذ إن هؤلاء صائرون إلى الله تعالى، والله سائلهم عما كانوا يعملون، ثم أخبرهم بأن طلبكم هذا ما هو إلا جهل بالعواقب واغترار بالظواهر[6].

---

(١) انظر: «**التحرير والتنوير**» ابن عاشور (١٩/١٦٠).

(٢) انظر: «**مفاتيح الغيب**» الرازي (١٧/٢٢٣).

(٣) انظر: «**تفسير القرآن العظيم**» ابن كثير (٧/٤٣١).

(٤) انظر: «**مفاتيح الغيب**» الرازي (١٧/٢٢٣)، «**تفسير القرآن العظيم**» ابن كثير (٧/٤٣٣).

(٥) انظر: «**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**» الطبري (١٢/٣٨٥)، «**مفاتيح الغيب**» الرازي (١٧/٢٢٣)، و«**تفسير القرآن العظيم**» ابن كثير (٧/٤٣٢).

(٦) انظر: «**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**» الطبري (١٢/٣٨٥)، و«**مفاتيح الغيب**» الرازي (١٧/٢٢٤)

يقول ابن عاشور: "وعطف جملة ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ على ﴿لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا﴾ لأن مضمونها كالنتيجة لمضمون المعطوف عليها لأن نفي طمعه في المخاطبين يقتضي أنه لا يؤذي أتباعه لأجل إرضاء هؤلاء.

ولذلك عبر عن أتباعه بطريق الموصولية بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ لما يؤذن به الموصول من تغليط قومه في تعريضهم له بأن يُطردهم بما أنهم لا يجالسون أمثالهم إيذاناً بأن إيمانهم يوجب تفضيلهم على غيرهم الذين لم يؤمنوا به والرغبة فيهم فكيف يطردهم"[1].

ثم يخبر نوح عليه السلام قومه بأنه لو طرد المؤمنين فمن يمنعه من عقاب الله؟ ويقول لهم: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي ألا تتفكرون فيما تقولون، كي تعلموا الخطأ، فتنتهوا عنه[2]؟

وقد أكد نوح عليه السلام ذلك من وجه آخر، في قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ٣١]، ومعناه: كما لا أسألكم مالاً، فكذلك لا أدّعي الملك له، وليس لي أي غرض فيه لا أخذاً ولا دفعاً، ولا أعلم الغيب حتى أصل به إلى ما أريد لنفسي ولا لأتباعي، ولا أقول إني ملك حتى أتعاظم عليكم بل طريقي الخضوع والتواضع، ومن كان هذا شأنه فلا يستكبر عن مخالطة الفقراء والمساكين ومجالستهم، وإن قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا﴾ ظاهر في نسب قوم نوح الأتباع مع الفقر والذلة إلى النفاق، إلا أن نوح لم يقل بذلك، لأنه من باب الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، فربما كان باطنهم كظاهرهم فيؤتيهم الله تعالى ملك الآخرة، وإلا لو فعل ذلك لكان من الظالمين[3]، وقد صرح نوح عليه السلام حول ذلك في موضع آخر، قال تعالى: ﴿قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١٢]، أي ليس لي العلم بأعمال الأتباع، وما علي سوى قبول الأعمال حسب الظاهر، وأما الباطن فالأمر فيه لله تعالى، فوحده الذي يعلم سر أمرهم وعلانيته[4].

---

(١) «**التحرير والتنوير**» ابن عاشور (١٢/٥٥).

(٢) انظر: «**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**» الطبري (١٢/٣٨٦)

(٣) انظر: «**مفاتيح الغيب**» الرازي (١٧/٢٢٣ - ٢٢٤).

(٤) انظر: «**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**» الطبري (١٧/٦٠٢)

٣- عدم الأحقية بالفضل :

قال تعالى: ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾[هود: ٢٧]، أي لا نرى في اتباعكم لهذا الدين الذي تدعو إليه أي فضيلة قد نلتموها حتى نتبعكم ونترك ما نحن عليه من عبادة الأصنام[١]، فهم لم يروا في نوح وأتباعه من فضل لا في العقل، ولا في رعاية المصالح العاجلة، ولا في قوة الجدل، وإذا فُقد هذا في الأحوال الظاهرة فكيف لهم الاعتراف بفضل نوح عليهم في أشرف الدرجات وأرقى المقامات[٢].

ويقول ابن عاشور: "نفوا أن يكون لنوح عليه السلام وأتباعه فضل على الذين لم يؤمنوا به حتى يكون نوح عليه السلام سيداً لهم ويكون أتباعه مفضلين بسيادة متبوعهم. والفضل: الزيادة في الشرف والكمال، والمراد هنا آثاره وعلاماته لأنها التي تُرى، فجعلوا عدم ظهور فضل لهم عليهم دليلاً على انتفاء فضلهم، لأن الشيء الذي لا تخفى آثاره يصح أن يجعل انتفاء رؤيتها دليلاً على انتفائها؛ إذ لو ثبتت لرئَيت"[٣].

والرد على هذه الشبهة بأن هذا جهل منهم؛ لأن الفضيلة المعتبرة عند الله ليست إلا بالعلم والعمل، فكيف اطلعوا على بواطن الخلق، وعرفوا ما فيها حتى نفوا عنهم هذه الفضيلة؟[٤]

٤- التكذيب :

قال تعالى: ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾[هود: ٢٧]، ومعناه أن قوم نوح قد نسبوا الكذب معاً لنوح عليه السلام وأتباعه فيما يدعونه من البر والصلاح والعبادة والسعادة في الدار الآخرة[٥]، أو يكون نسب الكذب لنوح في دعواه بالنبوة، ولأتباعه في تصديقه[٦]، أو لنوح دون أتباعه

---

(١) انظر: «**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**» الطبري (١٢/٣٨٠-٣٨١)، «**تفسير القرآن العظيم**» ابن كثير (٧/٤٣١)، و«**التفسير الوسيط**» سيد طنطاوي (١٠/٢٦٣).

(٢) انظر: «**مفاتيح الغيب**» الرازي (١٧/٢٢٠ - ٢٢١).

(٣) «**التحرير والتنوير**» ابن عاشور (١٢/٤٩).

(٤) انظر: «**مفاتيح الغيب**» الرازي (١٧/٢٢٠ - ٢٢١).

(٥) انظر: «**تفسير القرآن العظيم**» ابن كثير (٧/٤٣١).

(٦) انظر «**تفسير القرآن الحكيم**» محمد رشيد رضا (١٢/٦١).

لأن أتباعه لم يكونوا رسلاً، وأخرج الخطاب وهو واحد مخرج خطاب الجميع[1]، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾[الطلاق: ١]، وفي تلك الشبهة فقد ارتقى قوم نوح من الشك- في كون نوح رسول من الله بسبب الشبهات السابقة التي أوردوها، والتي لا يلزم منها أن يكون نوح وأتباعه كاذبين، بل ربما كانوا واهمين قد تهيأت لهم أمور زعموا بها أن ما يدعون إليه حق- إلى ترجيح كون نوح وقومه كاذبين في دعواهم عن إرادة وتصميم، وقد عبروا عن ذلك بعبارة صريحة﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾[2]، وتلك الدعوى راجحة عندهم، وقد أخروها في الذكر؛ لأنها لو قدمت لما بقي لذكر تلك العلل الأخرى وجه[3].

٥- وصفه بالضلال:

قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[الأعراف: ٦٠]، أي يرى السادة والكبراء من قوم نوح في دعوته إياهم إلى عبادة الله تعالى وحده، وترك عبادة الأصنام التي وجدوا عليها آباءهم انحرافاً بيّناً عن طريق الحق والرشاد[4]، "وظاهر أن هذا الادعاء منهم ليس فيه إلا الشتيمة، ومعلوم أن كل ادعاء فيه تجريح واتهام بنقيصة دون حجة أو برهان، هو من السباب والشتائم"[5].

وجاء جواب نوح عليه السلام عن تلك الشبهة في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[الأعراف: ٦١ - ٦٢]، أي نفى الضلال عن نفسه، وأخبرهم بأنه رسول رب العالمين إليهم، وما شأن الرسول إلا التبليغ والنصح بالله[6]، ثم ذكر لهم نوح بأن هذا مستند إلى علم، والعلم مباين للضلال الذي يولّده ويدفع إليه الجهل، فقال لهم: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[الأعراف: ٦٢][7].

---

(١) انظر: «**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**» الطبري (١٢/٣٨١).

(٢) انظر: «**نوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيد**» عبد الرحمن حبنكة (ص/٩٠)

(٣) انظر: «**تفسير القرآن الحكيم**» محمد رشيد رضا (١٢/٦٢).

(٤) انظر: «**تفسير القرآن العظيم**» ابن كثير (٦/٣٢٧)، و«**التفسير الوسيط**» سيد طنطاوي (٥/٢٩٧).

(٥) «**نوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيد**» عبد الرحمن حبنكة (ص/٤٦)

(٦) انظر: «**تفسير القرآن العظيم**» ابن كثير (٦/٣٢٧).

(٧) انظر: «**نوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيد**» عبد الرحمن حبنكة (ص/٥٠)

ويقول ابن عاشور: "وانتقل إلى كشف الخطأ في شبهتهم فعطف على كلامه قوله: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[الأعراف: ٦٣]مفتتحاً الجملة بالاستفهام الإنكاري بعد واو العطف، وهذا مشعر بأنهم أحالوا أن يكون رسولاً، مستدلين بأنه بشر مثلهم، كما وقعت حكايته في آية أخرى ﴿مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾[المؤمنون: ٢٤]، واختير الاستفهام دون أن يقول: لا عجب، إشارة إلى أن احتمال وقوع ذلك منهم مما يتردد فيه ظن العاقل بالعقلاء، فقوله: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ﴾[الأعراف: ٦٣] بمنزلة المنع لقضية قولهم: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[الأعراف: ٦٠] ، لأن قولهم ذلك بمنزلة مقدمةِ دليل على بطلان ما يدعوهم إليه. وحقيقة العجب أنه انفعال نفساني يحصل عند إدراك شيء غير مألوف، وقد يكون العجب مشوباً بإنكار الشي المتعجب منه واستبعاده وإحالته،...والذي في هذه الآية كناية عن الإنكار"[(١)].

٦- اتهامه بالجنون :

قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ﴾[المؤمنون: ٢٥]، ومعناه أن نوح فيه جنون، فإن جهال العوام يقولون في المجنون زال عقله بعمل الجن، وقد أورد الملأ تلك الشبهة من أجل الترويج على العوام، أي يقولون لهم إنه مجنون، ومن كان كذلك فكيف له أن يكون رسولاً[(٢)]؟ ومن ثم يقولون ﴿فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ﴾[المؤمنون: ٢٥] أي انتظروا مدة حتى تستريحوا منه وما يدعو إليه[(٣)]، والرد على هذه الشبهة، هو أن قولهم به جنة كذب منهم، فقد كانوا يعلمون بالضرورة كمال عقله[(٤)]، ويذكر ابن عاشور بأن كلمة ﴿جِنَّةٌ﴾[المؤمنون: ٢٥] أي فيه شيء من الجنون، وهذا اقتصاد منهم في حاله، فقد احترزوا عن توريط أنفسهم في وصفه بالخبال؛ إذ المشاهد من حاله ينافي ما يدّعونه، فأوهموا قومهم أن به جنوناً خفيفاً لا تبدو آثاره واضحة[(٥)].

---

(١) «**التحرير والتنوير**» ابن عاشور (١٩٥/٨).

(٢) انظر: «**مفاتيح الغيب**» الرازي (٩٣/٢٣).

(٣) انظر: «**تفسير القرآن العظيم**» ابن كثير (١٢٠/١٠).

(٤) انظر: «**مفاتيح الغيب**» الرازي (٩٣/٢٣).

(٥) انظر: «**التحرير والتنوير**» ابن عاشور (٤٤/١٨)

وبهذا فقد غلب نوح عليه السلام قومه بحجته وعجزوا عن الدفاع عن أنفسهم[1]، لكن ذلك لم يوقفهم، وإنما ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [هود: ٣٢] أي وصفوه بكثرة المجادلة، وكان ذلك الجدال في إثبات التوحيد والنبوة والمعاد، ومن ثم طلبوا منه استعجال العذاب الذي كان يتوعدهم به، وهذا شأن الجاهل المعاند في حال عجزه يعلن التحدي إذا يئس عن مواجهة الحق[2]، فقوم نوح قد سئموا من تزييف نوح لآرائهم، فأرادوا طي بساط الجدال، وطلب تعجيل العذاب الذي توعدهم به ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾[هود: ٢٦]، لعل في ذلك إفحاماً له[3].

وإن طلب قوم نوح للعذاب ليس على وجه الحقيقة، فإن أي ذي حياة له فكر لا يفعل ذلك، وإنما كان طلبهم على سبيل التحدي، وللإشعار بأن ما ينذر به هو كاذب فيه أو عاجز عن تحقيقه[4]، لكن التكذيب والتحدي لم يؤثّرا على نوح عليه السلام، لأن قومه جهلوا حقيقته بأنه مجرد رسول ليس عليه إلا البلاغ، وأن العذاب أمره إلى الله، فهو الذي يقدر المصلحة في تعجيله أو تأجيله[5]، وهذا واضح في رده عليه السلام، ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود: ٣٣ - ٣٤]، أي أن إنزال العذاب هو من خلق الله تعالى، يفعله متى يشاء، ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾[هود: ٣٣] أي بفائتين هرباً منه، لأنكم حيث كنتم في ملكه وسلطانه، أو لا سبيل لكم إلى فعل ما عنده، فلا يمتنع عليه تعالى من إنزال العذاب بكم إذا أراد[6]، وأما قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[هود: ٣٤]، فيرى ابن عاشور فيه بأنه عطف على وعظهم بحلول العذاب بيان حال مجادلته التي

---

(١) انظر: «**التفسير الوسيط**» سيد طنطاوي (١٩٧/٧).

(٢) انظر: «**مفاتيح الغيب**» الرازي (٢٢٦/١٧ - ٢٢٧)، و«**التفسير الوسيط**» سيد طنطاوي (١٩٨/٧).

(٣) انظر: «**التحرير والتنوير**» ابن عاشور (٦٠/١٢).

(٤) انظر: «**نوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيد**» عبد الرحمن حبنكة (ص/١٠١)

(٥) انظر: «**في ظلال القرآن**» سورة هود، سيد قطب (ص/٥١).

(٦) انظر: «**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**» الطبري (٣٨٩/١٢)، و«**مفاتيح الغيب**» الرازي (٢٢٧/١٧).

قابلوها بالرفض بأنها كانت لنفعهم وصلاحهم، وفي ذلك تعريض بتحميقهم وتسفيه آراهم حيث كرهوا ما هو نفع[1].

ثانياً: التهديد والتخويف:

لقد قدم نوح عليه السلام الحجج والبراهين على دعوته، ودحض جميع الشبهات التي طرحها قومه. فما كان أمامهم بعدما أعياهم الاستدلال سوى استخدام سلاح المبطلين وهو المناضلة بالأذى، حيث لجؤوا إلى التهديد بالقتل إن لم يمتنع عن الدعوة، قال تعالى: ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾[الشعراء: ١١٦]، والرجم هو: القتل بالحجارة[2]، وكذلك في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾[القمر: ٩]، فيه زجر عن دعوى النبوة بالسب والوعيد بالقتل[3].

وأما موقف نوح عليه السلام من ذلك، فيتجلى في قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[يونس: ٧١ - ٧٢]، "أي إن كان الأمر قد بلغ منكم مبلغ الضيق، فلم تعودوا تتحملون بقائي فيكم ودعوتي لكم، وتذكيري لكم بآيات الله. فأنتم وما تريدون. وأنا ماض في طريقي لا أعتمد إلا على الله...إنه الإيمان بالله وحده ذلك الذي يصل صاحبه بمصدر القوة الكبرى المسيطرة على هذا الكون بما فيه ومن فيه. فليس هذا التحدي غروراً، وليس كذلك تهوراً، وليس انتحاراً. إنما هو تحدي القوة الحقيقية الكبرى للقوى الهزيلة الفانية التي تتضاءل وتتصاغر أمام أصحاب الإيمان"[4].

فإظهار التحدي دليل التوكل على الله وحده، ومن كان ذلك شأنه، فهو ضامن من ربه أن ينصره ولا يخذله، وأن يرد كيد أعدائه في نحورهم، وأن يعيذه من شرورهم[5].

---

(١) انظر: «**التحرير والتنوير**» ابن عاشور (٦١/١٢).

(٢) انظر: «**مفاتيح الغيب**» الرازي (١٥٥/٢٤)، «**روح المعاني**» الألوسي (١٠٨/١٩)، و«**التحرير والتنوير**» ابن عاشور (١٦٣/١٩).

(٣) انظر: «**الجامع لأحكام القرآن**» القرطبي (٨٠/٢٠).

(٤) «**في ظلال القرآن**» سورة يونس، سيد قطب (ص/٩١ - ٩٢).

(٥) انظر: «**نوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيد**» عبد الرحمن حبنكة، (ص/٧٩)

ومما سبق نجد أن قوم نوح قد سلكوا جميع الطرق من أجل إبطال الدعوة إلى الله تعالى، بدءاً من الرفض والصدود عنها، وطرح الشبهات، إلى أن وصل بهم الأمر إلى التهديد بالقتل، فما كان من نوح عليه السلام سوى تقديم البراهين والحجج على إبطال ما يدعون، ومن ثم بيان توكله على الله الذي أظهر من خلاله تحديه لهم.

المطلب الخامس: مدة الدعوة وحصيلتها

لبث نوح عليه السلام في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾[العنكبوت: ١٤]، وتلك هي فترة الرسالة االتي دعا فيها نوح عليه السلام قومه على الراجح، وقد سبقتها فترة ما قبل الرسالة وهي غير محددة، وأعقبتها فترة الطوفان وهي غير محددة أيضاً، وهذا عمر طويل[١].

وإن ذكر القرآن الكريم للمدة فيه بيان إخلاص نوح عليه السلام في الدعوة ومدى تحمله وصبره[٢]، وهي علامة فارقة له عن غيره من الرسل، فهوصاحب هذا المقام الفذ، ولعل الحكمة من هذه الإطالة هو أن قومه متصفون بالاجرام أشد وصف؛ إذ لا يعقل أن يدعو كل هذه المدة ولا يستجيب له سوى عدد يسير، وهذا لدليل قاطع على تأصل الإجرام عندهم[٣].

وقد جاء "التعبير بالسنة عن المدة التي قضاها نوح عليه السلام في قومه؛ لأن السنة تشير إلى الشدة والصعوبة، والتعبير بالعام عن المدة التي لم يكن مع قومه فيها والعام فيه معنى اليسر، كما أن السنة تطلق على التقويم الشمسي، والعام على التقويم القمري وهو أقل بأحد عشر يوماً، ففي السنة إشارة إلى الطول والشدة"[٤].

وعلى الرغم من طول المدة في الدعوة إلا أن نتيجة الاستجابة له ا عدد قليل. قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾[هود: ٤٠]، وقد وقع خلاف حول عددهم، حيث ذهب بعض المفسرين إلى القول بأنهم عشرة وذكر آخرون أنهم أربعون، وروي عن ابن عباس: أنهم كانوا ثمانين نفساً مع نسائهم، وهذا أكثر أقوال المفسرين[٥].

---

(١) انظر: «**في ظلال القرآن**» سورة العنكبوت، سيد قطب (ص/١٥).

(٢) انظر: «**الدعوة الاسلامية أصولها ووسائلها**» أحمد أحمد غلوش، دار الكتاب المصري، ط٢ (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) (ص/٢٩٠).

(٣) انظر: «**حياة نوح**» محمود شلبي، دار الجيل (بيروت - لبنان)، د.ط (ص/٥٩ - ٦٠).

(٤) «**قصص القرآن الكريم**» فضل عباس (ص/١٩٧).

(٥) انظر: «**النبوة والأنبياء**» الصابوني (ص/١٤٥).

والصواب أن يقال ما قاله تعالى: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[هود: ٤٠]، يصفهم بأنهم كانوا قليلاً، ولم يحدد عددهم بمقدار، ولا أخبر رسوله بشأنهم فلا ينبغي تجاوز ذلك[١]، ولا يدل ذلك على أن نوحاً كان مقصراً في دعوته بل على العكس فقد قام بالدعوة على أكمل وجه، وأحسن عرْضَها إلا أن القوم أصروا على كفرهم، وليس له إجبارهم، قال تعالى: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾[هود: ٢٨]، وإضافة إلى ذلك فإن أتباع الباطل كثيرون وأتباع الحق قليلون، وفي القرآن الكريم إقرارٌ لتلك الحقيقة، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[يوسف: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾[سبأ: ١٣][٢].

ولا ضيرَ في ذلك فحقيقة الإيمان بالله تعالى تستأهل الكثير من الجهود المضنية والتضحيات النبيلة، وإن كانت النتيجة ضئيلة، يقول سيد قطب: "قد يعن للإنسان أن يسأل: ترى تساوي الحصيلة هذا الجهد الطويل، وتلك التضحيات النبيلة من لدن نوح عليه السلام إلى محمد عليه الصلاة والسلام ثم ما كان بينهماوما تلاهما من جهودالمؤمنين...والجواب بعد التدبر: أن نعم: وبلا جدال. إن استقرار حقيقة الإيمان بالله في الأرض يساوي كل هذا الجهد، وكل هذا الصبر، وكل هذه المشقة، وكل هذه التضحيات النبيلة المطردة من الرسل وأتباعهم الصادقين في كل جيل، ولعل استقرر هذه الحقيقة أكبر من الإنسان ذاته، بل أكبر من الأرض وما عليها"[٣].

---

(١) انظر: «**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**» الطبري (١٢/٤١٢ - ٤١٣).

(٢) انظر: «**القصص القرآني**» صلاح الخالدي (١/١٨١ - ١٨٢).

(٣) «**في ظلال القرآن**» سورة نوح، سيد قطب (ص/٥ - ٦).

المبحث الرابع

السفينة والطوفان في القرآن الكريم

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : سبب الطوفان وصنع السفينة .

المطلب الثاني : علامة بدء الطوفان وحمولة السفينة .

المطلب الثالث : كيفية الطوفان واستواء السفينة .

المطلب الرابع : الطوفان بين العموم والخصوص .

المطلب الأول: سبب الطوفان وصنع السفينة

عجز قوم نوح عن القضاء على نوح عليه السلام ودعوته، لكنّ إصرارهم واستكبارهم لم يمنعهم من التحدي، فقد استعجلوا نوحاً بالعذاب[1]، قال تعالى على لسان قوم نوح: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[هود: ٣٢]، وشأنهم هذا شأن الموغل في العناد يلقي بنفسه في اليم أو في النار، كي لا يقال عنه غلب على أمره، وخضع لغيره، ولا يدري أنه يسجل على نفسه نهاية الخزي في الإعراض عن الحق تبعاً لشهوة باطلة أو خيال فاسد[2].

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ﴾[الشعراء: ١١٧]، بيان من نوح عليه السلام عن قومه لاستمرارهم على التكذيب والإصرار عليه بعد دعوته عليه السلام لهم الأزمنة المتطاولة، وليس هذا من باب إعلام الله تعالى، ولكنه أراد عليه السلام إظهار ما يدعو عليهم لأجله وهوتكذيب الحق[3]، فهذا "تمهيد للدعاء عليهم وهو خبر مستعمل في إنشاء التحسر واليأس من إقلاعهم عن التكذيب"[4].

ودخل اليأس إلى قلب نوح عليه السلام لبقاء قومه على الكفر والضلال، وقد تأكد هذا اليأس من إيمان قومه بما أخبره الله تعالى به، قال تعالى: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾[هود: ٣٦]، أي لا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وايذائك، ولا تهتم لأمرهم، فقد حان زمن الانتقام منهم[5]، ولما جاء هذا من عند الله دعا نوح عليه السلام على قومه فقال: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾[نوح: ٢٦]حسب ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما[6].

---

(١) انظر: «**الانحرافات الكبرى**» سعيد أيوب (ص/٥٠).

(٢) انظر: «**إلى القرآن الكريم**» محمود شلتوت، دار الشروق، د.ط (ص/٧٦).

(٣) انظر: «**روح المعاني**» الألوسي (١٠٩/١٩).

(٤) «**التحرير والتنوير**» ابن عاشور (١٦٣/١٩).

(٥) انظر: «**تفسير القرآن العظيم**» ابن كثير (٤٣٤/٧)، و«**الكشاف**» الزمخشري (١٩٧/٣).

(٦) انظر: «**مفاتيح الغيب**» الرازي (٢٢٩/١٧).

فنوح عليه السلام قد دعا على جميع الكافرين، وقد أجاب الله تعالى دعوته وأغرق أمته، وهذا كقوله ﷺ[1]: «**اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم**»[2]، ولكن قد يقول قائل: إذا كان الأمر كذلك، فلم كانت دعوة نوح عليه السلام على قومه سبباً في توقفه عن الشفاعة يوم القيامة كما جاء في الحديث، والجواب على ذلك من عدة أوجه:

١-الاختلاف بين الدعوة والشفاعة، فهذه تكون عن رضا ورقة، وتلك عن غضب وقسوة، فخاف أن يعاتب بها، فيقال له: دعوت على الكفار بالأمس وتشفع لهم اليوم.

٢-دعاء نوح على قومه كان غضباً بغير نص، فخاف الدرك فيه يوم القيامة، كما قال موسى: إني قتلت نفساً لم أُومر بقتلها وهذا ما مال إليه ابن العربي[3]، ويقول القرطبي: "إن كان لم يؤمر بالدعاء نصاً فقد قيل له: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ﴾[هود: ٣٦]. فأعلم عواقبهم فدعا عليهم بالهلاك، كما دعا نبينا ﷺ على شيبة وعتبة ونظرائهم فقال: «**اللهم عليك بهم**» لما أعلم عواقبهم، وعلى هذا يكون الأمر بالدعاء. والله أعلم"[4].

٣-الاعتذار عن الشفاعة واضح في نص الحديث: «**إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعد مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري**»[5]، فلم يكن اعتذاره عليه السلام عن خطأ ارتكبه فُحرم من الشفاعة، وإنما كانت له دعوة مستجابة فدعا بها، ولو أخرها لدعا واستشفع[6]،

---

(١) انظر: «**أحكام القرآن**» أبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان)، ط٣ (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م) (٣١٢/٤).

(٢) البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة، (٤٤/٤)، رقم (٢٩٣٣)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو، (١٣٦٣/٣)، رقم (١٧٤٢).

(٣) «**أحكام القرآن**» ابن العربي (٣١٢/٤).

(٤) «**الجامع لأحكام القرآن**» القرطبي (٢٦٩/٢١).

(٥) البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً﴾، (٨٤/٦)، رقم (٤٧١٢)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، (١٨٤/١)، رقم (١٩٤).

(٦) انظر: «**موسوعة بيان الإسلام الرد على الافتراءات والشبهات**» نخبة من كبار العلماء، دار نهضة مصر للنشر، د.ط (٥٩/٩).

يقول رسول الله ﷺ: «**لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها وأريد أن أختبىء دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة**»(١).

وفي قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴾[المؤمنون: ٢٦]، جاء النصر مجملاً، لكن إعلام الله تعالى له بعدم الرجاء في إيمان قومه، نفى أن يكون رجاؤه في نصره برجوع قومه إلى طاعته وتصديقه، ويكون سؤال نوح عليه السلام نصراً خاصاً وهو استئصال غير المؤمنين كما ورد في سورة نوح(٢).

وإن قوله تعالى: ﴿ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ ﴾[هود: ٣٦] يقتضي تعريف نوح عليه السلام أن الله تعالى معذبهم ومهلكهم، ومن المحتمل أن يعذبهم بوجوه التعذيب، فعرفه تعالى أن عذابهم بالغرق(٣)، وقد ورد لفظ الطوفان في قصة نوح عليه السلام في القرآن الكريم مرة واحدة، في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴾[العنكبوت: ١٤]، بينما جاء التعبير عنه بكثرة بلفظ الإغراق. قال تعالى: ﴿ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا عَمِينَ ﴾[الأعراف: ٦٤]، ﴿ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴾[يونس: ٧٣]، ﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴾[هود: ٣٧]، ﴿ وَقَوۡمَ نُوحٖ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغۡرَقۡنَٰهُمۡ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ لِلنَّاسِ ءَايَةٗۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴾[الفرقان: ٣٧]، ﴿ وَنَصَرۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾[الأنبياء: ٧٧]، ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔاتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ﴾[نوح: ٢٥].

فهذه الآيات بينت الأسباب التي أدت إلى استحقاق تلك العقوبة، وهي ما كان عليه القوم من الكفر والتكذيب والخطايا والظلم والفساد والسوء، بل وأنهم كانوا يتعاهدون الكفر والفجور جيلاً بعد جيل، فجاء الطوفان من أجل تصفية نوع من البشر غير الجديرين

---

(١) البخاري، كتاب الدعوات، باب لكل نبي دعوة مستجابة، (٦٧/٨)، رقم (٦٣٠٤)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب اختباء النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الشفاعة لأمته، (٨٩/١)، رقم (١٩٩).

(٢) انظر: «**التحرير والتنوير**» ابن عاشور (٤٥/١٨).

(٣) انظر: «**مفاتيح الغيب**» للرازي (٢٣٠/١٧).

بالحياة، لأنهم أفسدوا في الأرض في حين كان المؤمل منهم أن يكونوا خلفاء الله على الأرض[1]، قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[البقرة: ٣٠].

والعقوبة التي لحقت بقوم نوح هي الإغراق، وأما قوله تعالى: ﴿فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾[نوح: ٢٥] كانت بعد إغراقهم[2]، والمراد دخول النار في الآخرة، والتعقيب به بعد الإغراق لاقترابه، ولأنه كائن لا محالة، فكأنه قد كان، أو أريد به عذاب القبر[3].

ولما كان السبيل الذي به يحصل النجاة من الغرق هو تكوين السفينة، جاء أمر الله تعالى لنوح عليه السلام بإعدادها[4]، قال تعالى: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾[هود: ٣٧]، أي بمرأى وتعليم منه تعالى[5]، ثم قال تعالى: ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾[هود: ٣٧]،أي لا تدعني في دفع العذاب عن الظالمين فقد حُكم عليهم بالإغراق[6].

وقد جاء لفظ السفينة في قصة نوح عليه السلام في القرآن الكريم مرة واحدة، قال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[العنكبوت: ١٥]، ومرة بلفظ الجارية أيضاً، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِي ٱلْجَارِيَةِ﴾[الحاقة: ١١]، بينما ورد لفظ الفلك أكثر من مرة. قال تعالى: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾[هود: ٣٧]، ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾[هود: ٣٨]، ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾[المؤمنون: ٢٧]، ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾[الشعراء: ١١٩]، ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [يس: ٤١].

وذُكرت بالوصف أيضاً، قال تعالى: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾[القمر: ١٣]، فقد جاء التعبير عن السفينة بالصفة لأن فيها بيان لمتانة السفينة وإحكام صنعها[7]، وتفخيم لها

---

(١) انظر: «**طوفان نوح بين الحقيقة والأوهام**» جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية (ص/٩٦ - ٩٧).
(٢) انظر: «**الجامع لأحكام القرآن**» القرطبي (٢١/٢٦٦).
(٣) انظر: «**الكشاف**» الزمخشري (٦/٢١٩).
(٤) انظر: «**مفاتيح الغيب**» للرازي (١٧/٢٣٠).
(٥) انظر: «**تفسير القرآن العظيم**» ابن كثير (٧/٤٣٤).
(٦) انظر: «**الكشاف**» الزمخشري (٣/١٩٧).
(٧) انظر: «**التحرير والتنوير**» ابن عاشور (٢٧/١٨٤).

وتعظيم أمرها[1]، وكذا في قوله تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾[هود: ٤٢]؛ إذ الجريان بين الكتل الرهيبة من الموج يتحتم أن تكون السفينة على غاية من الضخامة والمتانة كي لا تتعرض للتمزق من قوة ضغط الموج عليها[2]، وإن إقامة الصفة مقام الموصوف، تنوب عنه وتؤدي مؤداه بحيث لا يفصل بينه وبينها، وهذا من فصيح الكلام وبديعه[3].

فتلك الألفاظ-االسفينة والفلك والجارية- أسماء لمسمى واحد، وهذا ما عليه جميع المفسرين والمؤرخين، لكن هناك من يرى فارقاً بين الألفاظ، ومن ثم يُقر بوجود أكثر من سفينة في حادثة الطوفان، مستدلاً على ذلك بأدلة، نذكر منها على سبيل المثال، بأن النجاة من الطوفان لم يكن مقتصراً على نوح ومن كان معه في الفلك فقط، بل هناك جماعات أخرى غير مؤمنة قد نجت أيضاً لوجود وسائل لديها، أو لأنها خارج منطقة الحدث؛ إذ أنهم ليسوا من المنذرين الذين حُكم عليهم بالغرق[4]، فالإيمان ليس سبباً في النجاة، وقد ركب مع نوح في الفلك فئة غير مؤمنة، قال تعالى: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[هود: ٤٨]، أي إن الناجين مع نوح أمم معه وأمم، أي جماعات لها صفات مشتركة، فقد خُصّ السلام والبركات بفئة ممن معه وليس كل من كان معه، لقوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ ۚ﴾[هود: ٤٨] ، ولو كان من معه من أمم كلها مؤمنة لقيل له (وعلى أمم معك)[5]، وهذا يؤيد الفرضية بوجود وسائل أخرى متنوعة للنجاة ضمن إطار ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ﴾[هود: ٤٣]، سواء كانت سفناً صغيرة للمناطق القريبة من الحدث، أو وسائل أخرى للمناطق التي على هامش الحدث، ويرى بأن سبب اقتصار المفسرين على القول بوجود سفينة واحدة اعتقادهم بـ أن الناجين من الطوفان هم نوح وذريته فقط.

وبناء على ذلك فنوح عليه السلام صنع فلكاً واحداً نجى به هو ومن معه، وحذّر الأقوام التي ليس لها شأن بالعقوبة بأن يتخذوا أهبتهم بصنع ما ينجيهم من الغرق، فأنجي نوح ومن معه

---

(١) انظر: «**في ظلال القرآن**» سورة القمر، سيد قطب (ص/١١).

(٢) انظر: «**حياة نوح**» محمود شلبي (ص/١٢٢).

(٣) انظر: «**الكشاف**» الزمخشري (٥/٦٥٧ - ٦٥٨).

(٤) انظر: «**طوفان نوح بين الحقيقة والأوهام**» جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية (ص/١١٤).

(٥) انظر: «**طوفان نوح بين الحقيقة والأوهام**» جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية (ص/١١١).

في الفلك المشحون، وأنجي الباقون ممن امتلك سفينة (وسيلة) للنجاة، والعنوان العريض للكل أصحاب السفينة[1].

ويُجاب على هذا، بأن بعثة نوح عليه السلام كانت لأجل الدعوة إلى الإيمان بالله تعالى، فمن أعرض وامتنع كان الإغراق عقوبة له، لذا القول بنجاة أناس غير مؤمنين- لا كافرين ولا ظالمين- بعيد عن القصة، وعلى افتراض أنهم كانوا قريبين من منطقة حدوث الطوفان، لما لم يدعهم نوح عليه السلام إلى الإيمان طالما أنهم غير مؤمنين، فضلاً عن هذا فعقوبة الله تعالى ممكن أن تكون محصورة في منطقة قوم نوح فقط دون الامتداد إلى غيرها، ثم ما هي الفائدة من صنع الفلك طالما بالإمكان النجاة بسفينة أو وسائل أخرى؟!

وإضافة إلى ذلك فإن المراد بالأمم الذين يتناسلون من ذرية الناجين فيما بعد، لأن من حمل مع نوح قليل، ولا يطلق عليه لفظ أمم، يقول الزمخشري: "يحتمل أن تكون من للبيان، فيراد بالأمم الذين كانوا معه في السفينة؛ لأنهم كانوا جماعات، أو قيل لهم أمم؛ لأن الأمم تتشعب منهم، وأن تكون لإبداء الغاية، أي: على أمم ناشئة ممن معك، وهي الأمم إلى آخر الدهر وهو الوجه"[2]، ويقول ابن عاشور: "فركاب السفينة ليسوا بأمم، لقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[هود: ٤٠]"[3].

ومما يتعلق بصنع السفينة، فقد ذكر القرآن الكريم حال قوم نوح عندما كان نوح عليه السلام يصنع السفينة، والذي فيه إشارة إلى بقائهم على موقف العناد والسخرية والاستهزاء. قال تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾[هود: ٣٨]، ففيه جاء لفظ الصنع بصيغة الحاضر مع أنها حكاية حال ماضية من أجل استحضار صورتها العجيبة، وقد كانت مقابلة قومه لعمله بالاستهزاء، إما لعدم معرفتهم بالسفينة وكيفية استعمالها والانتفاع بها، وإما لأنه كان يصنعها في برية بهماء في أبعد موضع عن الماء، وكانوا يضحكون ويقولون: يا نوح صرت نجاراً بعد ما كنت نبياً، وقيل أيضاً: إن نوحاً كان ينذرهم الغرق فلما طال مكثه فيهم، ولم يشاهدوا منه أثراً في ذلك عدّوه من باب المحال، ثم لما رأوا انشغال نوح بأسباب الخلاص فعلوا ما فعلوا، ومدار

---

(١) انظر: «**طوفان نوح بين الحقيقة والأوهام**» جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية (ص/١٢٤-١٢٥، ١٢٨).

(٢) «**الكشاف**» الزمخشري (٣/٢٠٦)

(٣) «**التحرير والتنوير**» ابن عاشور (١٢/٩٠).

ذلك كله هو إنكار أن يكون لعمله عاقبة حميدة مع ما فيه من تحمل المشاق العظيمة التي لا تكاد تطاق[1].

وقد كان جواب نوح عليه السلام: ﴿إِن تَسْخَرُوا مِنَّا﴾[هود: ٣٨] لهذا العمل من الأخذ بأسباب الخلاص من العذاب، ﴿فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾[هود: ٣٨]، لما أنتم فيه من الإعراض عن الإيمان والاستمرار على الكفر، والتعرض لأسباب حلول سخط الله عليكم والتي من جملتها سخريتكم[2].

فنوح عليه السلام قد استعمل لفظ السخرية أيضاً، لكن هناك فارق؛ إذ إن السخرية التي وقعت من قومه حمل فعله على العبث بناء على اعتقادهم أن ما يصنعه لا يأتي بتصديق مدعاه، بينما سخرية نوح عليه السلام كانت من سفه عقول الكافرين وجهلهم بالله وصفاته[3].

وإن إطلاق لفظ السخرية من قبل قوم نوح حقيقة، بينما استخدام نوح عليه السلام للفظ هو من باب المشاكلة لأنها لا تليق بالأنبياء، وقد فسرها آخرون بالاستجهال، وهو مجاز لأنه سبب للسخرية، فأطلقت وأريد سببها[4]، أي "إن تستجهلونا فإنّا نستجهلكم كما تستجهلونا"[5].

فذلك ما اقتصر القرآن الكريم على ذكره في مسألة الصنع، أما باقي التفاصيل فلم يرد الحديث عنها؛ لأنها أمور لا حاجة إلى معرفتها ألبتة، ولا يتعلق بمعرفتها أي فائدة أصلاً[6].

---

(١) انظر: «**إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**» أبي السعود (٣/٤١).

(٢) انظر: «**روح المعاني**» الآلوسي (١٢/٥١).

(٣) انظر: «**التحرير والتنوير**» ابن عاشور (١٢/٦٨).

(٤) انظر: «**روح المعاني**» الآلوسي (١٢/٥١).

(٥) «**الجامع لأحكام القرآن**» القرطبي (١١/١١٣).

(٦) انظر: «**مفاتيح الغيب**» الرازي (١٧/٢٣٢).

المطلب الثاني: علامة بدء الطوفان وحمولة السفينة

لقد أمر الله تعالى نوحاً عليه السلام بصنع سفينة للنجاة من الغرق الذي وعد قومه به، ومنذ ذلك الوقت أعلمه تعالى بالعلامة الدالة على حدوث الطوفان، وبحمولة السفينة، قال تعالى: ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[هود: ٤٠]، و﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٧]، فأما العلامة الدالة على حدوث الطوفان فهي فوران التنور، وكلمة التنور مختلف فيها على سبعة أقوال:

١- أنه وجه الأرض، والعرب تسمي وجه الأرض تنوراً، قاله ابن عباس وعكرمة والزهري وابن عيينة، والمعنى: إذا رأيت الماء على وجه الأرض فاركب أنت ومن معك.

٢- أنه التنور الذي يخبز فيه، وكان تنوراً من حجارة، وكان لحواء حتى صار لنوح، والمعنى: إذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت وأصحابك، وهذا قول الحسن ومجاهد وعطية عن ابن عباس.

٣- أنه موضع اجتماع الماء في السفينة، قول للحسن أيضاً.

٤- أنه طلوع الفجر، ونور الصبح، قول علي بن أبي طالب.

٥- أنه مسجد الكوفة، قاله علي أيضاً ومجاهد، وقال مجاهد: اتخذ نوح السفينة في جوف مسجد الكوفة، وكان التنور على يمين الداخل، وكان فوران الماء منه علماً لنوح ودليلاً على هلاك قومه.

٦- أنه أعالي الأرض، والمواضع المرتفعة منها، قاله قتادة.

٧- أنه العين التي بالجزيرة (عين الوردة)، قاله عكرمة.

ويرى القرطبي بأن هذه الأقوال ليست متناقضة، لأن الله تعالى أخبرنا بمجيء الماء من السماء والأرض، قال تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾[القمر: ١١ - ١٢]، وكلها تجتمع في أنها علامة[1].

---

(١) انظر: «**الجامع لأحكام القرآن**» القرطبي (١١/ ١١٤ - ١١٥).

وقيل بأن معنى (فار التنور): تمثيل لحضور العذاب، كما يقال: "حمي الوطيس"، ومعنى الآية إذا رأيت الأمر يشتد والماء يكثر فانج بنفسك ومن معك من المؤمنين[1].

ويرى سيد قطب بأن تلك الأقوال متفرقة، ثم يذكر فوران التنور والتنور الموقد قد يكون بعين فارت، أو بفوارة بركانية، وهذا الفوران ربما كان علامة من الله لنوح عليه السلام، أو كان مصاحباً لمجيء الأمر، وبدءاً لنفاذ هذا الأمر بفوران الأرض بالماء وسح الوابل من السماء[2].

وهناك من يرى بأن السفينة بخارية، فبعد أن فار التنور تحركت، والله تعالى أعلم بمراده[3]، ويعلق النجار على هذا فيقول: "ولست أميل إلى هذا لأنه يقتضي أن التنور يفور من نفسه، بل الذي أفهمه أن الأرض لما هيأ الله الطوفان كانت ممتلئة بالماء من تحتها إشارة إلى قربه، ففار تنور أهله الذي يخبزون فيه"[4].

وأولى الأقوال في رأي الطبري هو التنور الذي يُخبز فيه، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، وكلام الله تعالى لا يوجّه إلا إلى الأغلب الأشهر من معانيه عند العرب[5]، ورجحه الرازي، إذ الأصل هو حمل الكلام على حقيقته، ولفظ التنور حقيقة في الموضع الذي يخبز فيه، فوجب حمل اللفظ عليه، ولا امتناع في العقل من القول بأن الماء نبع أولاً من موضع معين، وكان ذلك الموضع تنوراً[6].

وذكر ابن كثير بأن الرأي الأظهر ما ورد عن"ابن عباس: التنور: وجه الأرض، أي صارت الأرض عيوناً تفور، حتى فار الماء من التنانير التي هي مكان النار، صارت تفور ماء، وهذا قول جمهور السلف وعلماء الخلف"[7]، والراجح في معنى التنور هو وجه

---

(١) انظر: «**الجامع لأحكام القرآن**» (١١/١١٦)، و«**مفاتيح الغيب**» الرازي (١٧/٢٣٣).

(٢) انظر: «**في ظلال القرآن**» سورة هود، سيد قطب (ص/٥٤).

(٣) انظر: «**المعجزة الكبرى القرآن نزوله - كتابته - جمعه - إعجازه - جدله - علومه - تفسيره - حكم الغناء به**» محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، د.ط (ص/٢٢٤).

(٤) «**قصص الأنبياء**» عبد الوهاب النجار (ص/٤٦).

(٥) «**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**» الطبري (١٢/٤٠٦ - ٤٠٧).

(٦) انظر: «**مفاتيح الغيب**» الرازي (١٧/٢٣٣ - ٢٣٤).

(٧) «**تفسير القرآن العظيم**» ابن كثير (٧/٤٣٦).

الأرض، فهو أشمل ويدخل تحته فوران التنور الذي يخبز فيه؛ إذ نبعت الأرض ومن ضمنها التنانير التي هي محال النار.

وإن فوران التنور فيه حكمة إلهية، يقول صلاح الخالدي: "حكمة الله بالغة في جعل علامة الطوفان فوران الماء من التنور. لأن المعروف عند الناس أن الماء يطفئ النار، فعندما تشتعل النار في شيء يقومون بسكب الماء عليها بإطفائها. فكيف يفور هذا الماء من وسط التنور الموقد بالنار؟ وكيف يلتقي الماء مع النار وسط التنور؟...وهكذا بدأ الطوفان، وجه الأرض كله عيون متفجرة بالماء الغزير، والسماء كلها أبواب يهطل منها الماء المنهمر، والتقى على قوم نوح الكافرين ماء السماء وماء الأرض، وارتفع الماء عليهم، وصار يعلو ويعلو، حتى أصبح أمواجاً كالجبال"[1].

وأما حمولة السفينة، ففي قوله تعالى: ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[هود: ٤٠]، جاء الأمر لنوح عليه السلام بحمل ثلاثة أنواع من الأشياء، وهي:

الأول: قوله تعالى: ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾[هود: ٤٠]: والزوجان عبارة عن كل شيئين يكون أحدهما ذكراً والآخر أنثى، والتقدير كل شيئين هما كذلك فاحمل منهما في السفينة اثنين واحد ذكر والآخر أنثى، فزوجين تثنية زوج، والمراد به الواحد المزدوج بأخر من جنسه، فالذكر زوج للأنثى كما هي زوج له، وقد يطلق على مجموعهما، وليس بمراد وإلا لزم أن يحمل من كل صنف أربعة، ولكي لا يراد ذلك وصف بقوله تعالى (**اثْنَيْنِ**)، وقرأ حفص (من كلٍ زوجين اثنين) بالتنوين: أي من كل شيء زوجين، وقرأ الأكثرون (من كلِ زوجين) بالإضافة، والقراءتان ترجعان إلى معنى واحد: شيء معه آخر لا يستغني عنه[2].

وفي القراءتين يكون الحمل اثنين، ففي الإضافة (**اثنَيْنِ**) مفعول (احْمِلْ)، وهو بيان لئلا يتوهم أن يحمل كل زوجين واحداً منهما لأن الزوج هو واحد من اثنين متصلين، كما في قوله تعالى: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾[الأنعام: ١٤٣]، ولئلا يحمل أكثر من اثنين من نوع فتضيق

---

(١) «**القصص القرآني**» صلاح الخالدي (١/١٩١ - ١٩٢).

(٢) انظر: «**مفاتيح الغيب**» الرازي (١٧/٢٣٥)، و«**روح المعاني**» الآلوسي (١٢/٥٣)، و«**الجامع لأحكام القرآن**» القرطبي (١١/١١٦).

السفينة، وفي التنوين (زَوْجَيْنِ) مفعول (احْمِلْ)، ويكون (اثنَيْنِ) صفة لـ (زَوْجَيْنِ) أي لا تزد على اثنين[1].

الثاني: قوله تعالى: ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾[هود: ٤٠]، أي واحمل أهلك، وهم سبعة مع نوح عليه السلام، ثلاثة أبناء له، ولكل واحد منهم زوجة، وقيل: هم ثمانية معهم زوجة نوح، وأما قوله﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾[هود: ٤٠] أي ابنه وامرأته، فقد حُكم عليهما بالهلاك لكفرهما.

الثالث: قوله: ﴿وَمَنْ آمَنَ﴾[هود: ٤٠] ، قالوا: كانوا ثمانين، ولما خرجوا من السفينة بنوا قرية، تُدعى قرية الثمانين إلى اليوم بناحية الموصل[2].

بينما في سورة المؤمنون كان الأمر مقتصراً على ذكر الأول والثاني، قال تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾[المؤمنون: ٢٧]؛ إذ إن همّ نوح عليه السلام -في رأي حبنكة-كان موجهاً ساعتئذ لتخليص نفسه وأهله من تدبيرات قومه، بينما المؤمنون معه لم يكونوا مقصودين بهذه التدبيرات، لكنْ لما جاء الأمر التنفيذي بالإغراق-في سورة هود- ذكر من آمن من قومه؛ لأن السفينة هي الوسيلة الوحيدة للإنقاذ من الغرق، والذين آمنوا معه يستحقون هذا الإنقاذ، فجاء الوحي عند بدء تنفيذ الأمر بإضافة حملهم في السفينة، وعلى هذا فالسكوت عنهم في الوحي السابق لا يعني عدم حملهم، وإضافتهم في الوحي اللاحق لم يكن نسخاً، وإنما رُوعي في كل من السكوت والبيان ما تقتضيه الحكمة الملاءمة لمقتضى الحال[3]، ويرى الألوسي[4] بأن كلمة الأهل قد

---

(١) انظر: «**التحرير والتنوير**» ابن عاشور (١٢/ ٧٢).

(٢) انظر: «**مفاتيح الغيب**» الرازي (١٧/ ٢٣٦)، و«**الجامع لأحكام القرآن**» القرطبي (١١/ ١١٧).

(٣) انظر: «**نوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيد**» عبد الرحمن حبنكة، (ص/ ٢٧٤-٢٧٥)

(٤) الآلُوسي الكَبير (١٢١٧ - ١٢٧٠ هـ = ١٨٠٢ - ١٨٥٤ م) محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، شهاب الدين، أبو الثناء: مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها. كان سلفي الاعتقاد، مجتهدا. تقلد الإفتاء ببلده سنة ١٢٤٨ هـ وعزل، فانقطع للعلم. ثم سافر (سنة ١٢٦٢ هـ إلى الموصل، فالآستانة، ومر بماردين وسيواس، فغاب ٢١ شهرا وأكرمه السلطان =

يُراد بها أهل الإجابة، وعلى هذا يكون المراد من (أهلك) أمة الإجابة الذين أمنوا بنوح عليه السلام سواء من ذوي قرابته أم لا، وحمْل على هذا المعنى دون المشهور ليشمل من آمن ممن ليس ذا قرابة فإنهم ذكروا في سورة هود والقرآن يفسر بعضه بعضاً[1].

وقد كان التعبير مختلفاً بين السورتين، ففي سورة هود عبر بقوله ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا﴾ [هود: ٤٠]، بينما في سورة المؤمنون ﴿فَاسْلُكْ فِيهَا﴾[المؤمنون: ٢٧]؛ لأن الخطاب في سورة هود كان عند حدوث الطوفان وذلك وقت ضيق، فأُمر بأن يحمل في السفينة من أراد الله تعالى إبقاءهم، وإسناد الحمل إلى نوح عليه السلام تمثيلاً للإسراع بإركاب من عُيّن له في السفينة، وتكون حاله عليه السلام في إدخاله إياهم حال من يحمل شيئاً ليضعه في موضع، بينما الآية الواردة في سورة المؤمنون، كان الخطاب من الله تعالى لنوح عليه السلام قبل حدوث الطوفان لإنباء بما يفعله عند حدوثه، وبالإضافة إلى ذلك أنه تفنن في حكاية القصة[2].

وامتثل نوح عليه السلام للأمر فحمل من كل زوجين اثنين، وقال لأهله والمؤمنين من قومه اركبوا في السفينة، وذكر الله تعالى ودعاه[3]، ثم قال تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[هود: ٤١]، أي اركبوا فيها قائلين باسم الله، فبتسخيره وقدرته مجراها حين تجري، ومرساها حين يرسيها، ويحتمل أنها بشارة من نوح عليه السلام أن السفينة وركابها بحفظ من الله تعالى، أي باسم الله جريانها وارساؤها فهو الذي يتولى ذلك بحوله وقوته، وختم قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[هود: ٤١] أي واسع المغفرة إذ لم يهلك الجميع على الرغم من التقصير وإنما أهلك الكافرين وحدهم، ورحيم أن سخر هذه السفينة للنجاة[4].

عبد المجيد. وعاد إلى بغداد يدون رحلاته ويكمل ما كان قد بدأ به من مصنفاته، فاستمر الى أن توفي. من مصنفاته: روح المعاني في التفسير، ودقائق التفسير، وغرائب الاغتراب، وحاشية على القطر. [انظر «**الأعلام**»: (١٦٧/٧)]

(١) انظر: «**روح المعاني**» الألوسي (٢٧/١٨).

(٢) انظر: «**التحرير والتنوير**» ابن عاشور (٤٦/١٨).

(٣) انظر: «**نوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيد**» عبد الرحمن حبنكة، (ص/١١٨)

(٤) انظر: «**تفسير القرآن الحكيم**» محمد رشيد رضا (٧٧/١٢).

المطلب الثالث: كيفية الطوفان واستواء السفينة

تناول القرآن الكريم قصة الطوفان بما يتفق وأغراض القصص القرآني دونما حاجة إلى تفصيلات لا يقتضيها السياق، بينما سلك المؤرخون والمفسرون في تفسير القصة طريق الإسهاب والتفصيل معتمدين في ذلك على الإسرائيليات التي عكرت صفوها في كثير من الأحيان[1]، وأشغلت الناس عن العبر والعظات[2].

فالقرآن الكريم ذكر كيفية الطوفان (حدوثه وانتهائه) في آيتين فقط، قال تعالى: ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾[القمر: ١١ - ١٢]، وقد كان الطوفان بعد أن دعا نوح عليه السلام ربه، قال تعالى: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾[القمر: ١٠]، أي"إن قومي قد غلبوني، تمردوا وعتوا، ولا طاقة لي بهم، فانتصر منهم بعقاب من عندك على كفرهم بك"[3]، وقد جاء هذا الدعاء بعد صبر طويل من نوح على قومه، فاستجاب الله دعائه، في قوله تعالى: ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴾[القمر: ١١] أي ماء كثير منصب بكثرة وبقوة وتتابع، ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا ﴾[القمر: ١١] أي إسالته بقوة وشدة، والأصل هو (وفجرنا عيون الأرض)، لكن جيء بهذا الأسلوب المشتمل على التمييز للمبالغة، وكأن الأرض كلها تحولت إلى عيون متفجرة[4].

ثم قال تعالى: ﴿ فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ ﴾[القمر: ١١] أي ماء السماء وماء الأرض، ﴿ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ [القمر: ١١] أي أمر مقدر[5]، وفي هذا بيان حكمته تعالى بعد بيان مظاهر قدرته[6].

فالألفاظ والعبارات المختارة تعبير عن الحركة الكونية الضخمة، وقوله ﴿ فَفَتَحْنَآ ﴾[القمر: ١١] إسناد الفعل إلى الله مباشرة، يشعر القارئ لها أن يد الجبار تفتح أبواب السماء بماء غزير متوال، وبتلك القوة جُعلت الأرض مشهداً لتفجر المياه، وكأنها

---

(١) انظر: «**دراسات تاريخية من القرآن الكريم**» بيومي مهران (٤/٧٦).

(٢) انظر: «**إلى القرآن الكريم**» شلتوت (ص/٧٨).

(٣) «**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**» الطبري (٢٢/١٢١)

(٤) انظر: «**التفسير الوسيط**» سيد طنطاوي (١٤/١٠٢ - ١٠٣).

(٥) انظر: «**تفسير القرآن العظيم**» ابن كثير (١٣/٢٩٦).

(٦) انظر: «**التفسير الوسيط**» سيد طنطاوي (١٤/١٠٣).

استحالت عيوناً، وبهذا يلتقي الماء المنهمر من السماء بالماء المتفجر من الأرض لتنفيذ ذاك الأمر المقدر، فهما طائعان للأمر محققان للقدر[1].

وقد جاء وصف آخر للطوفان في قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾[الحاقة: ١١]، أي زاد على حده وارتفع، وذلك زمن الطوفان[2]، يقول ابن عاشور: "أي في ذلك الوقت المعروف بطغيان الطوفان. والطغيان: مستعار لشدته الخارقة للعادة تشبيهاً لها بطغيان الطاغي على الناس تشبيه تقريب فإن الطوفان أقوى شدة من طغيان الطاغي"[3].

ولما تم هلاك قوم نوح بالغرق، أمر الله تعالى الأرض أن تبلع ماءها، وأمر السماء أن تقلع عن المطر[4]، قال تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾[هود: ٤٤]، أي صدر من الله تعالى نداء خاطب به الأرض والسماء، فقال يا أرض ابلعي ماءك كله الذي عليك، ويا سماء كفي عن الأمطار، فامتثل الأمر في الحال، ﴿وَغِيضَ الْمَاءُ﴾ أي غار في الأرض ونضب، ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾نفذ بإهلاك الظالمين ونجاة المؤمنين[5]، وابتلاع الأرض للماء أي دخوله بسرعة في باطنها، فلم يكن جفاف الأرض بحرارة شمس أو رياح[6].

ويذكر سيد قطب بأن الخطاب موجه إلى الأرض والسماء بصيغة العاقل، وقد استجابت كلتاهما للأمر الفاصل وابتلعت الأرض وكفت السماء، ﴿وَغِيضَ الْمَاءُ﴾أي ابتلعته الأرض في جوفها وغار من سطحها، ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾أي نفذ القضاء[7].

---

(١) انظر: «**في ظلال القرآن**» سورة القمر، سيد قطب (ص/١٠).

(٢) انظر: «**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**» الطبري (٢١٩/٢٣)، و«**تفسير القرآن العظيم**» ابن كثير (١١٢/١٤).

(٣) «**التحرير والتنوير**» ابن عاشور (١٢٣/٢٩).

(٤) انظر: «**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**» الطبري (٤١٩/١٢)، و«**تفسير القرآن العظيم**» ابن كثير (٤٤٠/٧).

(٥) انظر: «**تفسير القرآن الحكيم**» محمد رشيد رضا (٨٠/١٢).

(٦) انظر: «**التحرير والتنوير**» ابن عاشور (٧٨/١٢).

(٧) انظر: «**في ظلال القرآن**» سورة هود، سيد قطب (ص/٥٦).

والتعبير بهذه الآية عن انتهاء الطوفان وجيز لكنه بالغ في التأثير[1]، حتى قيل عنها: "لو فُتش كلام العرب والعجم ما وجد فيه مثل هذه الآية على حسن نظمها، وبلاغة وصفها، واشتمال المعاني فيها"[2].

وأما خبر الله تعالى عن استواء السفينة. فقد جاء في قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[هود: ٤٤]، أي رست السفينة على جبل اسمه "الجودي"، ومكانه مختلف فيه، فقد ذُكر أنه بناحية الموصل، أو الجزيرة[3]، وقيل: هو اسم لكل جبل[4]، واستوائها على جبل فيه حكمة في رأي ابن عاشور؛ إذ يقول: "وحكمة إرسائها على جبل أن جانب الجبل أمكَن لاستقرار السفينة عند نزول الراكبين؛ لأنها تخف عندما ينزل معظمهم، فإذا مالت استندت إلى جانب الجبل"[5]، ثم ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي هلاكاً لهم وبعداً من رحمة الله، وقد أهلكوا عن آخرهم[6].

وقد أمر الله تعالى نوحاً بعد علوه على السفينة هو ومن معه أن يحمد الله تعالى على نعمة الإنجاء من الظالمين وعلى هلاكهم[7]، قال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[المؤمنون: ٢٨]، ثم أمره تعالى أيضاً أن يقول بعد تسليم الله تعالى له وإخراجه من السفينة[8]، ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾[المؤمنون: ٢٩]، وهذا التعليم عند النزول كالتعليم عند الركوب في السفينة ﴿ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ

---

(١) انظر: «**تفسير القرآن الحكيم**» محمد رشيد رضا (١٢/٨٠).

(٢) «**الجامع لأحكام القرآن**» القرطبي (١١/١٢٦).

(٣) انظر: «**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**» الطبري (١٢/٤٢٣).

(٤) انظر: «**الجامع لأحكام القرآن**» القرطبي (١١/١٢٨).

(٥) «**التحرير والتنوير**» ابن عاشور (١٢/٧٩).

(٦) انظر: «**تفسير القرآن العظيم**» ابن كثير (٧/٤٤٢)، «**الجامع لأحكام القرآن**» القرطبي (١١/١٢٧ - ١٢٨)، و «**تفسير المنار**» محمد رشيد رضا (١٢/٨٠).

(٧) انظر: «**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**» الطبري (١٧/٣٧)، و«**الجامع لأحكام القرآن**» القرطبي (١٥/٣٦) «**روح المعاني**» الألوسي (١٨/٢٧).

(٨) انظر: «**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**» الطبري (١٧/٣٧).

رَّحِيمٌ ﴾[هود: ٤١][1]، يقول القرطبي: " فالآية تعليم من الله عز وجل لعباده إذا ركبوا وإذا نزلوا أن يقولوا هذا، بل وإذا دخلوا بيوتهم وسلموا قالوا"[2].

ثم قال تعالى: ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[هود: ٤٨]، أي اهبط من السفينة أو الجودي الذي استوت عليه على الأرض، مزوداً بسلام من رحمتنا الربانية أي التحية والسلامة من الفتن والعداوة التي أحدثها المشركون الظالمون، ﴿وَبَرَكَٰتٍ ﴾ أي: في المعايش وسعة الرزق، ﴿عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَ ﴾ من معك الآن في السفينة وعلى ذريات يتناسلون منها ويتفرقون في الأرض، ﴿وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ﴾أي: أمم آخرون من بعدهم سنمتعهم في الدنيا بأرزاقها دون السلام الرباني، فهؤلاء سيغويهم الشيطان ويزين لهم الشرك، ويكون لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة[3].

وقد جعل الله تعالى السفينة آية للأقوام التي جاءت بعد قوم نوح، قال تعالى: ﴿ وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴾[القمر: ١٥]، أي تركها تعالى عبرة وعظة للأمم التي بعد قوم نوح كي يعتبروا ويتعظوا، فينتهوا عن أن يسلكوا مسلك قوم نوح فيصبهم مثل ما أصابهم من العذاب، فقد روي عن قتادة رضي الله عنه: ألقى الله سفينة نوح على الجودي حتى أدركها أوائل هذه الأمة[4]، ويرى ابن كثير بأن المراد من ذلك جنس السفن[5]، كقوله تعالى: ﴿ وَءَايَةٞ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ٤١ وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ مَا يَرۡكَبُونَ ﴾[يس: ٤١ - ٤٢]، وقيل: بأن الفعلة هي التي تركت عبرة وموعظة[6].

يقول الألوسي: " (وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا) أي أبقينا السفينة (آيَةً) بناءً على ما روي عن قتادة. والنقاش أنه بقي خشبها على الجودي حتى رآه بعض أوائل هذه الأمة، أوأبقينا خبرها، أو

---

(١) انظر: «**مفاتيح الغيب**» الرازي (٢٣/٩٦).

(٢) «**الجامع لأحكام القرآن**» القرطبي (١٥/٣٧).

(٣) انظر «**تفسير القرآن الحكيم**» محمد رشيد رضا (١٢/٨٨).

(٤) انظر: «**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**» الطبري (٢٢/١٢٨).

(٥) انظر: «**تفسير القرآن العظيم**» ابن كثير (٧/٤٤٠).

(٦) انظر: «**الجامع لأحكام القرآن**» القرطبي (٢٠/٨٤).

أبقينا جنسها وذلك بإبقاء السفن، أو تركنا بمعنى جعلنا، وجوز كون الضمير للفعلة وهي إنجاء نوح عليه السلام ومن معه وإغراق الكافرين"[1].

ويذكر ابن عاشور بأن الترك كناية عن الإبقاء كما في قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾[الذاريات: ٣٧]، وقد بقيت السفينة محفوظة من البِلى لتكون آية يشهدها الأمم الذين أرسلت إليهم الرسل تأييداً للرسل، وتخويفاً بأول عذاب عُذبت به الأمم، وبعدها أخذت تتناقص حتى بقي منها أخشاب شهدها صدر الأمة الإسلامية، وبهذا تكون الرؤية قد حصلت من جميع الأمم وتواتر خبر السفينة بالمشاهدة تأييداً لتواتر الطوفان بالأخبار المتواترة، وقد جاء التعبير في هذه الآية بالترك؛ لأن ذكرها ورد بعد الحديث عن كيفية صنعها، وحدوث الطوفان، وحمولة السفينة، فأخبر ببقائها بعد هذه الأحوال، بينما في سورة العنكبوت قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[العنكبوت: ١٥]، فقد ورد ذكرها ابتداء، فأخبر تعالى بجعلها آية إذ أوحى إلى نوح عليه السلام بصنعها، فالآية في إيجادها وهو المعبر عنه بـ (جعلناها)[2].

---

(١) «**روح المعاني**» الآلوسي (٨٣/٢٧).

(٢) انظر: «**التحرير والتنوير**» ابن عاشور (١٨٦/٢٧).

المطلب الرابع: الطوفان بين العموم والخصوص

لم ينص القرآن الكريم على كون الطوفان عاماً أو خاصاً، ولا على المساحة التي شملها الطوفان؛ لذا وقع الخلاف بين العلماء، حيث ذهب الغالبية إلى القول بعموم الطوفان، بينما ذهب بعض العلماء إلى القول بخصوصيته.

فمعظم المؤرخين وعلماء التفسير قالوا بأن طوفان نوح كان عاماً، وأنه أهلك كلَّ من على الأرض سوى نوح عليه السلام ومن معه، واحتجوا على ذلك[1]، بقوله تعالى: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾[نوح: ٢٦]، أي إن نوحاً عليه السلام دعا الله تعالى بعدم بقاء أحد من الكافرين على الأرض، وقد استجاب الله تعالى لدعائه وأهلك جميع الكفار الموجودين على وجه الأرض[2]، وقوله تعالى: ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾[هود: ٤٠]، فيه دلالة على أن نوحاً عليه السلام حمل زوجين من جميع أصناف الحيوانات[3]، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾[الصافات: ٧٧]، يدل على أن الذين بقوا في الأرض بعد هلاك الكفار هم ذرية نوح عليه السلام، والناس كلهم من سام ويافث وحام، فالعجم والعرب أولاد سام، والترك والصقالبة والخزر أولاد يافث، والسودان أولاد حام[4]، ويقول ابن عاشور: "وضمير الفصل في قوله: (هُمُ الْبَاقِين) للحصر، أي لم يبق أحد من الناس إلا من نجّاه الله مع نوح في السفينة من ذريته، ثُم من تناسل منهم، فلم يبق من أبناء آدم غير ذرية نوح فجميع الأمم من ذرية أولاد نوح الثلاثة"[5].

بل وتوجد عبارات صريحة على عموم الطوفان للقائلين به، فالرازي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا﴾[هود: ٤٨] يقول: "أن ذلك الغرق لما كان عاماً في جميع الأرض، فعندما خرج نوح عليه السلام من السفينة علم أنه ليس في الأرض شيء مما ينتفع به من

---

(١) انظر: «**دراسات تاريخية من القرآن الكريم في العراق**» بيومي مهران (٤/٨٣).

(٢) انظر: «**تفسير القرآن العظيم**» ابن كثير (١٤/١٤٥).

(٣) انظر: «**تفسير القرآن العظيم**» ابن كثير (٧/٤٣٧)، و «**التحرير والتنوير**» ابن عاشور (١٢/٧٢).

(٤) انظر: «**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**» الطبري (١٩/٥٦٠).

(٥) «**التحرير والتنوير**» ابن عاشور (٢٣/١٣١).

النبات والحيوان، فكان كالخائف في أنه كيف يعيش وكيف يدفع جميع الحاجات عن نفسه من المأكول والمشروب، فلما قال الله تعالى: (اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا) زال عنه ذلك الخوف"[1].

ويقول ابن كثير: "أجمع أهل الأديان، الناقلون عن رسل الرحمن، مع ما تواتر عند الناس في سائر الأزمان، على وقوع الطوفان، وأنه عم جميع البلاد، ولم يبق الله أحداً من كفرة العباد، استجابة لدعوة نبيه المؤيد المعصوم، وتنفيذاً لما سبق في القدر المحتوم"[2].

ويقول ابن عاشور: "وعموم الطوفان هو مقتضى ظواهر الكتاب والسنة، ومن قالوا: إن الطوفان لم يعم الأرض، فإنما أقدموا على إنكاره من جهة قصر المدة التي حددت بها كتب الإسرائيليين، وليس يلزم الاطمئنان لها في ضبط عمر الأرض وأحداثها وذلك ليس من القواطع، ويكون القصر إضافياً؛ أي لم يبق من قومه الذين أرسل إليهم، وقد يقال: نسلم أن الطوفان لم يعم الأرض ولكنه عم البشر؛ لأنهم كانوا منحصرين في البلاد التي أصابها الطوفان، ولئن كانت أدلة عموم الطوفان غير قطعية، فإن مستندات الذين أنكروه غير ناهضة، فلا تترك ظواهر الأخبار لأجلها"[3].

ويقول محمد عبده: "لا يجوز لشخص مسلم أن ينكر قضية أن الطوفان كان عاماً لمجرد احتمال التأويل في آيات الكتاب العزيز، بل على كل من يعتقد بالدين أن لا ينفي شيئاً مما يدل عليه ظاهر الآيات والأحاديث التي صح سندها وينصرف عنها إلى التأويل إلا بدليل عقلي يقطع بأن الظاهر غير مراد، والوصول إلى ذلك في مثل هذه المسألة يحتاج إلى بحث طويل"[4].

ولم يقتصر الأمر على المفسرين والمؤرخين، بل هناك بعض أهل النظر في طبقات الأرض مَن يرى عموم الطوفان، وحجتهم في ذلك وجود بعض الأصداف والأسماك المتحجرة في أعالي الجبال، فهذه الأشياء لا تتكون إلا في البحر، ووجودها على رؤوس الجبال دليل على صعود الماء إليها، وذلك لا يكون إلا إذا عمّ الطوفان الأرض[5].

---

(١) «**مفاتيح الغيب**» الرازي (٧/١٨).

(٢) «**البداية والنهاية**» ابن كثير (٢٧٥/١).

(٣) «**التحرير والتنوير**» ابن عاشور (١٣١/٢٣ - ١٣٢).

(٤) «**تفسير القرآن الحكيم**» محمد رشيد رضا (١٠٧/١٢).

(٥) انظر: «**تفسير القرآن الحكيم**» محمد رشيد رضا (١٠٧/١٢).

بينما ذهب بعض العلماء إلى القول بأن الطوفان لم يكن عاماً، وأن طغيان الماء كان على الجهة التي يسكنها نوح وقومه، وأما بقية بقاع الأرض فلم يعمها الطوفان[1].

يقول الألوسي: "والذي يميل القلب إليه أن الطوفان لم يكن عاماً - كما قال به البعض - وأنه عليه السلام لم يحمل ما جرت العادة بتكونه من عفونة الأرض كالفأر والحشرات بل أمر بحمل ما يحتاج إليه إذا نجا ومن معه من الغرق؛ لئلا يغتموا لفقده ويتكلفوا مشقة جلبه من الأصقاع النائية التي لم يصلها الغرق، فكأنه قيل: قلنا احمل فيها من كل ما تحتاجونه إذا نجوتم زوجين اثنين"[2].

ويقول سيد قطب: "أكان الطوفان عاماً في الأرض؟ أم إنه كان في تخوم الأرض التي بعث فيها نوح؟ وأين كانت هذه الأرض؟ وأين تخومها في العالم القديم وفي العالم الحديث؟ أسئلة لا جواب عليها إلا الظن الذي لا يغني من الحق شيئاً، وإلا الإسرائيليات التي لا تستند إلى دليل صحيح...لكن هذا لا يمنع من القول بأن ظاهر النصوص القرآنية يلهم أن قوم نوح كانوا هم مجموع البشرية في ذلك الزمان. وأن الأرض التي يسكنونها كانت هي الأرض المعمورة في ذلك الحين، وأن الطوفان قد عم تلك الرقعة، وقضى على جميع الخلائق التي تقطنها ما عدا ركب السفينة الناجين"[3].

ويرى عبد الوهاب النجار بأن القرآن الكريم لم ينص حول عموم الطوفان أو خصوصيته، بل كل ما فيه أن قوم نوح عصوا الرسول فأغرقهم الله بالطوفان ونجى نوحاً ومن معه في الفلك، وجعل ذريته الباقين، فالعموم محتمل والخصوص محتمل، ومع ذلك يميل إلى القول بأنه خاص، وأن النوع الإنساني لم يكن منتشراً في جميع الأرض بل كانوا منحصرين من هذه الناحية التي عمها الطوفان، وأنهم قد هلكوا وبقي نوح وذريته[4].

ويذكر عفيف طبارة إن كان ظاهر القرآن والحديث دالاً على شمول الطوفان لقوم نوح فقط، فهذا لا يقتضي أن يكون الطوفان عاماً للأرض؛ إذ ليس هناك دليل على أن البشر كانوا يقنطون الأرض كلها، بل كانوا منحصرين في منطقة معينة وهي التي عمها الطوفان[5].

---

(١) انظر: «**قصص الأنبياء**» عبد الوهاب النجار (ص/٣٦).

(٢) «**روح المعاني**» الألوسي (١٢/٥٤).

(٣) «**في ظلال القرآن**» سورة هود، سيد قطب (ص/٥٩).

(٤) انظر: «**قصص الأنبياء**» عبد الوهاب النجار (ص/٣٦).

(٥) انظر: «**مع الأنبياء في القرآن الكريم**» عفيف عبد الفتاح طبارة، دار العلم للملايين (بيروت)، ط١٧ (١٩٨٩م) (ص/٧٣)، نقلاً عن «**شخصية نوح في القرآن الكريم**» حسن زغل (ص/٨٩).

ويذكر موريس بوكاي[1] عن رواية القرآن الكريم للطوفان بأنها جاءت ضمن السياق العام للعقوبات التي أنزلها الله تعالى على جماعات خاصة، وعلى هذا فالطوفان كارثة نزلت بشكل خاص على شعب نوح[2].

وقد أُجيب على استدلالات القائلين بالعموم، بعدم ورود نص قطعي بالعموم، وإن كلمة الأرض ليست نصاً في الدلالة على جميع أجزاء الأرض، وإنما تستعمل كثيراً ويراد بها جهة محددة من الأرض، كقوله تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[يوسف: ٥٥]، فالمراد أرض مصر لا كامل الأرض، وليس في هذا مماراة في قدرة الله أن يعم سطح الأرض كلها بالطوفان، وإنما يجب الوقوف في العقائد خاصة على ما جاء في صحيح النقل وارتاح إليه العقل[3].

وإن كلمة الكافرين الواردة في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾[نوح: ٢٦]، المراد فيها قومه الذين دعاهم إلى الإيمان والطاعة فلم يجيبوا، فإن كان الناس في عصره منتشرين في مشارق الأرض ومغاربها نحو انتشارهم اليوم فبعثته لبعض منهم كسكان جزيرة العرب ومن يقرب منهم فذاك (أي أن الكافرين هم قومه فقط)، وكذلك إن كانوا غير منتشرين بل كانوا في الجزيرة وقريباً منها فإن كانت البعثة لبعضهم أيضاً فكذلك، وإن كان الإرسال إلى كلهم فقد استشكل، إذ يلزم منه عموم البعثة، والجواب بأنها ليست كعموم بعثة النبي محمد ﷺ لانحصارهم في منطقة من الأرض، وإن قيل بأن الكافرين كانوا منتشرين في الأرض ويلزم من هذا العموم، فيجاب أن هذا العموم ليس كعموم بعثته ﷺ، فالعموم الخاص بالرسول ﷺ عموم مندرج فيه الإنس والجن[4].

---

(١) هو طبيب فرنسي نشأ على الديانة المسيحية الكاثوليكية، ولد في فرنسا سنة (١٩٢٠م)، عمل في المملكة العربية السعودية، وقد أسلم بعد دراسته للكتب المقدسة عند اليهود والمسلمين ومقارنة قصة فرعون، وتوفي عام (١٩٩٨م)، من مؤلفاته: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، انظر: موقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

(٢) انظر: «**القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة**» موريس بوكاي، مكتبة مدبولي، د.ط (ص/٢٥٠).

(٣) «**تفسير جزء تبارك**» عبد القادر المغربي (ص/١٣٩).

(٤) «**روح المعاني**» الألوسي (٢٩/٧٩ - ٨٠).

وفي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾[الصافات: ٧٧]، يجوز الحصر فيهم أن يكون إضافياً أي الباقين دون غيرهم من قومه(١).

وقوله تعالى: ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾[هود: ٤٠]، هناك قراءتان، قراءة الجمهور (مِن كُلٍّ) من دون تنوين للفظ كل وإضافته إلى زوجين، وقراءة حفص بتنوين (كلٍّ) وهو تنوين عوض عن مضاف إليه، وبناء على هذه القراءة يكون المعنى احمل فيها من كل نوع من أنواع المخلوقات التي أنت في حاجة إليها ذكراً وأنثى(٢).

وهناك من يرى التعبير في قوله تعالى: ﴿فَاسْلُكْ فِيهَا﴾[المؤمنون: ٢٧] معنى وهو "أن الحيوانات المراد حملها معه هي الحيوانات المستأنسة فقط مما كان في بيئته للحفاظ على نسلها؛ لأن كلمة (اسلك) تعني -حسب الراغب الأصفهاني - النفاذ في الطريق، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾[النحل: ٦٩]، ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ [القصص: ٣٢]، التي تتضمن معنى السهولة واليسر، وقد استخدمت هنا لتعبر عن سهولة إدخالهم في الفلك. إذن، يُفهم من ذلك أن المطلوب من نوح عليه السلام أن يحمل زوجين فقط مما يملك من حيوانات...وللقارىء أن يتخيل حال نوح عليه السلام وقد رأى فوران التنور - علامة بدء الطوفان - هذا الحدث الجلل وهو يحاول أن يحمل معه من كل حيوان موجود على وجه الأرض زوجين فيضطر أن يبحث عنها ويفحصها...ناهيك أن الحيوانات تجفل وتهرب...في الزلازل والبراكين والفيضانات ولا يمكنه إلا قيادة المربوط منها والمستأنس"(٣).

وأما بالنسبة لوجود بعض الأصداف والأسماك المتحجرة في أعالي الجبال، لا يدل على أنه من أثر ذلك الطوفان بل الأقرب أنه من أثر تكون الجبال وغيرها من اليابسة في الماء، وصعود الماء إلى الجبال أياماً معدودة لا يكفي لحدوث ما ذكر فيها(٤).

ويجيب محمد رشيد رضا عن فتوى محمد عبده في مسألة الطوفان: "وخلاصة هذه الفتوى أن ظواهر القرآن والأحاديث أنّ الطوفان كان عاماً شاملاً لقوم نوح الذين لم يكن في

---

(١) انظر: «**تفسير القرآن الحكيم**» محمد رشيد رضا (١٠٨/١٢).

(٢) انظر: «**التفسير الوسيط**» سيد طنطاوي (٢٠٥/٧ - ٢٠٦).

(٣) «**طوفان نوح بين الحقيقة والأوهام**» جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية (ص/١٠٧ - ١٠٨).

(٤) انظر: «**تفسير القرآن الحكيم**» محمد رشيد رضا (١٠٨/١٢).

الأرض غيرهم، فيجب اعتقاده ولكنه لا يقتضي أن يكون عاماً لـلأرض؛ إذ لا دليـل علـى أنهم كانوا يملؤون الأرض"[1].

فالراجح أن الطوفان خاص، وهو عقاب نزل بقوم نوح مثـل العقوبـات الأخـرى الـتي نزلت بالأقوام الكافرين؛ إذ إن رسالة نوح عليه السلام خاصة مثلها مثـل بقيـة الرسـالات السـماوية الأخرى -سوى رسالة خاتم النبيين محمد ﷺ - ، والآيات تتحدث عـن إغـراق المكـذبين وهلاك الظالمين من قوم نوح، وعلى فرض أن البشر الموجودين هم قومه فقط، فنقول بـأن الطوفان عمّ البشر لا الأرض، إذ لا دليـل علـى أنهـم كـانوا يملـؤون الأرض، والله تعـالى أعلم.

(١) «**تفسير القرآن الحكيم**» محمد رشيد رضا (١٠٨/١٢).

المبحث الخامس

امرأة نوح وابنه في القرآن الكريم

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: كفر امرأة نوح وخيانتها في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: كفر ابن نوح في القرآن الكريم وموقف نوح عليه السلام منه.

المطلب الأول: كفرامرأة نوح وخيانتها في القرآن الكريم

ذكر القرآن الكريم امرأة نوح بلفظ صريح مرة واحدة، في قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾[التحريم: ١٠]، وأشار إليها مرتين، في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ ﴾[هود: ٤٠]، و﴿ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ ﴾[المؤمنون: ٢٧]؛ إذ المراد من ﴿ وَأَهۡلَكَ ﴾[المؤمنون: ٢٧] أهل بيته وقرابته، ومعنى ﴿ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ ﴾[المؤمنون: ٢٧] ابن نوح وامرأته كانا كافرين، وقد حكم الله تعالى عليهما بالهلاك[(١)].

وتعتبر قصة امرأة نوح مثال للذين كفروا من الناس بأنهم سيعاقبون على كفرهم معاقبة مثلهم دون محاباة، وإن كانت علاقتهم مع المسلمين علاقة نسب أو مصاهرة؛ لأن الكفر بالله ورسوله قاطع للصلة، وإن كان المؤمن الذي يتصل به الكافر نبياً كحال امرأة نوح وامرأة لوط، إذ لما خانتا الرسولين فلم يغن الرسولان عنهما لما بينهما من صلة الزواج من عذاب الله شيء[(٢)]، فمخالطة الكفار ومعاشرتهم للمسلمين ليست بنافعة عند الله تعالى مالم يكن هناك إيمان حاصل في القلوب[(٣)]، يقول القرطبي: "ضرب الله تعالى هذا المثل تنبيهاً على أنه لا يغني أحد في الآخرة عن قريب ولا نسيب إذا فرق بينهما الدين"[(٤)].

وفي قوله تعالى: ﴿ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ ﴾[التحريم: ١٠]، بيان للحال الداعية إلى الخير والصلاح لكلا الزوجتين، فقد كانتا في عصمة نبيين عظيمي الشأن، ومتمكنتين من تحصيل خير الدنيا والآخرة، وحيازة سعادتهما[(٥)]، والمراد من التحتية:

---

(١) انظر: «**مفاتيح الغيب**» الرازي (٢٣٦/١٧)، و«**تفسير القرآن العظيم**» ابن كثير (٤٣٧/٧).

(٢) انظر: «**الكشاف**» الزمخشري (١٦٣/٦ - ١٦٤).

(٣) انظر: «**تفسير القرآن العظيم**» ابن كثير (٦٤/١٤).

(٤) «**الجامع لأحكام القرآن**» القرطبي (١٠٢/٢١).

(٥) انظر: «**روح المعاني**» الألوسي (١٦٣/٢٨).

"كونهما زوجين لهذين النبيين الكريمين، وتحت عصمتهما وصيانتهما وأشد الناس التصاقاً بهما"[1].

وقوله تعالى: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾[التحريم: ١٠]، "بيان لما صدر عنهما من الخيانة العظيمة مع تحقق ما ينافيها من مرافقة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أما خيانة امرأة نوح عليه السلام فكانت تقول للناس: إنه مجنون، وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدل على الضيف"[2]، وقيل المراد بالخيانة: الكفر، وقيل: النفاق، وقيل: النميمة، فالخيانة كلنت في الدين، وقد أجمع المفسرون على هذا فيما ذكره القشيري، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما: ما بغت امرأة نبي قط[3].

يقول ابن كثير: " وليس المراد (فَخَانَتَاهُمَا) في فاحشة بل في الدين، فإن نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة لحرمة الأنبياء"[4]، ويقول الزمخشري: "لا يجوز أن يراد بالخيانة الفجور؛ لأنه سمج في الطباع نقيصة عند كل أحد، بخلاف الكفر، فإن الكفار لا يستسمجونه بل يستحسنونه، ويسمونه حقاً"[5]، فمنصب الأنبياء عليهم السلام مصون عن تلك الفضيحة، ونسب ذلك إليهم هو على خلاف نص القرآن[6]، قال تعالى: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[النور: ٣]، وقال تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ﴾[النور: ٢٦].

وفي قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾[التحريم: ١٠]، أي ادخلا نار جهنم مع الداخلين فيها[7]، وهذه الأخيرة لزيادة تبكيتهما، ولتأكيد مساواتهما في العذاب مع غيرهما من الكافرين الخائنين الذين لا صلة لهم بالأنبياء، وفي ذلك تأييس لهما في أن ينتفعا بشيء من حظوة زوجيهما[8].

---

(١) «**التفسير الوسيط**» سيد طنطاوي (١٤/٤٨١).

(٢) «**روح المعاني**» الألوسي (٢٨/١٦٤).

(٣) انظر: «**الجامع لأحكام القرآن**» القرطبي (٢١/١٠٣)، و«**تفسير القرآن العظيم**» ابن كثير (١٤/٦٤).

(٤) «**تفسير القرآن العظيم**» ابن كثير (١٤/٦٤).

(٥) «**الكشاف**» الزمخشري (٦/١٦٤ - ١٦٥).

(٦) انظر: «**مفاتيح الغيب**» الرازي (١٧/٢٤٠).

(٧) انظر: «**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**» الطبري (٢٣/١١٤).

(٨) انظر: «**التحرير والتنوير**» ابن عاشور (٢٨/٣٧٦)، و«**التفسير الوسيط**» سيد طنطاوي (١٤/٤٨٢).

ويرى ابن عاشور بأن الخيانة كانت بعد الطوفان، وأن نوحاً لم يعلم بخونها لـذا سمـى الله تعالى عملها خيانة، وقد ورد في سفر التكوين بأن امرأة نوح كانت من ركـاب السـفينة، وورد فيه أيضاً بأنها خرجت من السفينة بعد الطوفان، لكن لما ذكر الله تعـالى بركتـه نوحـاً وبنيه وميثاقه معهم فلم يكن لها ذكر، فلعلها كفرت بعـد ذلـك أو لعـل نوحـاً تـزوج امـرأة أخرى بعد الطوفان لم تُذكر في التوراة[1].

ويرى النجار بأن التوراة لم تذكر أن امرأة نوح كانت كافرة وقد هلكت مـع الهـالكين، بل ذكرت دخولها إلى السفينة ونجاتها، لكن هذا ليس دليلاً على أن نوحاً لم تكن له زوجـة كافرة، لاحتمال أن له زوجتين إحداهما كافرة هلكت، والأخرى مؤمنة نجت[2].

والذي أراه أن نص القرآن الكريم مثّل حال الكافرين بحـال امـرأة نـوح، وذكـر سـبب هلاكها وهو الخيانة في الدين، وفي ذلك تأكيد على أنها كانت من الكافرين من قومه، وقد هلكت معهم، فالخيانة كانت قبل الطوفان، واحتمال وجود زوجـة أخـرى مؤمنـة لا دليـل عليه في القرآن.

وهناك من يقول بأن ذِكر امرأة نـوح لم يكـن كـذكر امـرأة لـوط، مـع أن القـرآن ذكـر المرأتين معاً في سورة التحريم، ولعل السبب في هذا أن امرأة نوح لم يكن لها الدور الـذي كانت تقوم به امرأة لوط، فقوم لوط كانت جرائمهم كثيرة متعددة مع قطـع السـبيل، وفعـل المنكرات الكثيرة، لكن قوم نوح كانت عقدتهم الشرك والتعالي، وفي هذا الجو الطبقي لـن يكون للمرأة دورها، لهذا كان القرآن يطوي ذكر المرأة في قصـة نـوح، ويكتفـي بـالقول، ﴿ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ﴾[هـود: ٤٠][3]، أولعل ذِكرها على هـذا الشكل أنها لم تكن الوحيدة من بيت نوح عليه السلام، وإنما كان ابنه أيضاً، والله أعلم.

---

(١) انظر: «**التحرير والتنوير**» ابن عاشور (٢٨/ ٣٧٤).

(٢) انظر: «**قصص الأنبياء**» عبد الوهاب النجار (ص/ ٤١ - ٤٢).

(٣) انظر: «**قصص القرآن الكريم**» فضل عباس (ص/ ٢٠٣).

المطلب الثاني: كفر ابن نوح في القرآن الكريم وموقف نوح عليه السلام منه

ذكر القرآن الكريم قصة ابن نوح بشيء من التفصيل في سورة هود، قال تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ۖ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۖ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾[هود: ٤٢ - ٤٧]، وأشار إليه في موضعين كما ذكرنا سابقاً، وهذه الآيات فيها عدة مسائل:

أولاً: نسب ابن نوح واسمه:

لقد وقع خلاف بين العلماء حول نسب ابن نوح واسمه، فأما النسب فكان الخلاف فيه على ثلاثة أقوال:

١- أنه ابن نوح حقيقة.

ذهب إلى هذا القول ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد والضحاك والجمهور[١]، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: هو ابنه غير أنه خالفه في العمل والنية، وسُئل سعيد بن جبير عنه فقال: كان ابن نوح إن الله لا يكذب[٢]، وقال الطبري: "كان ابنه، لأن الله تعالى ذكره قد أخبر نبيه محمداً ﷺ أنه ابنه فقال: (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ). وغير جائز أن يخبر أنه ابنه، فيكون بخلاف ما أخبر"[٣]، فهو ابنه حقيقة، بدليل نصه تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ

(١) انظر: «زاد المسير» ابن الجوزي (٤/١١٣).

(٢) انظر: «تفسير القرآن العظيم» ابن كثير (٧/٤٤٥).

(٣) «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» الطبري (١٢/٤٣٣).

ٱبۡنَهُۥ ﴾[هود: ٤٢]، ونص نوح في قوله ﴿يَٰبُنَيَّ﴾، ولا يجوز صرف الكلام من الحقيقة إلى المجاز دون ضرورة[١]، وقال ابن كثير: "وهو الصواب الذي لا شك فيه"[٢].

٢- أنه ابن امرأة نوح.

وهو قول محمد بن علي الباقر والحسن البصري، وروي عن علي أنه قرأ (ونادى نوح ابنها)، والضمير لامرأته، وقرأ محمد بن علي وعروة بن الزبير ﴿ٱبۡنَهَ﴾ بفتح الهاء يريدان ابنها إلا أنهما اكتفيا بالفتحة عن الألف[٣]، وهذه القراءة ابنها أو ابنهَ قراءة شاذة غير متواترة فلا يعتد بها، وإن قلنا بها فالإضافة إليها لكونه كافراً مثلها[٤].

٣- أنه ولد على فراشه لغير رشدة

نُسب هذا القول إلى الحسن ومجاهد وعبيد بن عمير وغيرهم[٥]، ويرى الألوسي أن نسبة ذلك إلى الحسن ومجاهد كذب صريح[٦]، ويذكر ابن كثير بأن ما أراده الحسن أنه ابن امرأته، أو أراد أنه نسب إليه مجازاً، لكونه ربيباً عنده، وإن حجة القائلين بأنه ابن زنية، قوله تعالى: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾[التحريم: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ﴾[هود: ٤٦][٧]، ويجاب على ذلك بأن المراد من ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾هو الخيانة في الدين، كما ذُكر سابقاً، والمراد من ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ﴾هو الكفر، لأنه عمل القلب، وأثره ظاهر في امتناع الابن عن الركوب في السفينة لتكذيبه بالطوفان[٨].

---

(١) انظر: «**مفاتيح الغيب**» الرازي (١٧/ ٢٤٠).

(٢) «**تفسير القرآن العظيم**» ابن كثير (٧/ ٤٤٥).

(٣) انظر: «**مفاتيح الغيب**» الرازي (١٧/ ٢٤٠).

(٤) انظر: «**تفسير البحر المحيط**» محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، ت: عادل أحمد عبد الموجود –علي محمد معوض وآخرون، دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان)، ط١ (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م) (٥/ ٢٢٧).

(٥) انظر: «**تفسير القرآن العظيم**» ابن كثير (٧/ ٤٤٤).

(٦) انظر: «**روح المعاني**» الألوسي (١٢/ ٥٨).

(٧) انظر: «**تفسير القرآن العظيم**» ابن كثير (٧/ ٤٤٤).

(٨) انظر: «**التحرير والتنوير**» ابن عاشور (١٢/ ٨٦).

ويعقب الرازي على ذلك القول بأنه قول خبيث يجب صون منصب الأنبياء عنه، وهو خلاف نص القرآن[1]، ويذكر النجار لعل غرض القائلين بهذا القول إبعاد ابن نوح الهالك عنه؛ إذ يرون عظيماً أن يكون ابن النبي المرسل كافراً، لكن أي فرق بين أن يكون ابنه كافراً وبين أن يكون أبوه كافراً، فقد كان إبراهيم نبياً مرسلاً وأبوه كافراً يعبد الأصنام[2].

وأما الاسم فالخلاف فيه على قولين:

١- "أحدهما: كنعان، وهو قول الأكثرين.

٢- والثاني: اسمه يام، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال عبيد بن عمير، وابن إسحاق"[3].

ثانياً: نداء نوح لابنه وما جرى بينهما من حوار:

إن النداء الذي كان من نوح عليه السلام لابنه؛ إنما يُتصور قبل انقطاع العلاقة بين السفينة والبر، ففي حينها يمكن جريان ما جرى بين نوح وابنه من المفاوضة بالاستدعاء إلى السفينة والجواب بالاعتصام بالجبل، وذكر بعض المحققين بأن النداء كان قبل الركوب في السفينة والواو لا تدل على الترتيب[4]، وقيل: بأن النداء كان قبل أن يشتد الطوفان، وترتفع أمواجه[5]، وكان ابنه في معزل ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ﴾ [هود: ٤٢]، ومعناه في اللغة: موضع منقطع عن غيره، وأصله من العزل، وهو التنحية والإبعاد، وذكر فيه أقوال؛ لأنه لا يدل في معزل من أي شيء، فالأول: أنه كان في معزل من السفينة إذ يظن أن الجبل يعصمه من الغرق، والثاني: أنه كان في معزل عن أبيه وإخوته وقومه، والثالث: أنه كان في معزل من الكفار كأنه انفرد عنهم فظن نوح عليه السلام أن ذلك إنما كان؛ لأنه أحب مفارقتهم[6].

---

(١) انظر: «**مفاتيح الغيب**» الرازي (١٧/٢٤٠).

(٢) انظر: «**قصص الأنبياء**» عبد الوهاب النجار (ص/٣٩).

(٣) «**زاد المسير**» ابن الجوزي (٤/١٠٩).

(٤) انظر: «**إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**» أبي السعود (٣/٤٦ - ٤٧)، و«**روح المعاني**» الألوسي (١٢/٥٨).

(٥) انظر: «**التفسير الوسيط**» سيد طنطاوي (٧/٢٠٨).

(٦) انظر: «**مفاتيح الغيب**» الرازي (١٧/٢٤١).

ودعا نوح عليه السلام ابنه للركوب في السفينة خوفاً عليه من الغرق، ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[هود: ٤٢] لكن الابن أعرض بقوله: ﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ﴾[هود: ٤٣]، أي سأصير إلى جبل يمنعني من الغرق، لاعتقاده بجهله أن الطوفان لا يبلغ رؤوس الجبال، ولظنه بأنه لو تعلق في رأس جبل لنجّاه ذلك من الغرق[١]، وفي ذاك القول دلالة على تمادي الابن في الكفر والإصرار عليه[٢].

وقد يُقال كيف ينادي نوح عليه السلام ابنه من أجل النجاة وهو كافر؟ مع أن نوح قال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾[نوح: ٢٦]؟! والجواب على هذا من عدة أوجه: إما أن نوح عليه السلام رآه في معزل عن الكفار لأنه يريد مفارقتهم لذلك دعاه نوح إلى السفينة، أو ناداه لأنه كان ينافقه فظن أنه مؤمن واختار ذلك كثير من المحققين، أو أن نوحاً عليه السلام كان يعلم أنه كافر إلى ذلك الوقت لكنه ظن أنه عند مشاهدة تلك الأهوال ينزجر ويقبل الإيمان، أو لم يجزم بدخوله الاستثناء لما أنه كان كالمجمل فحملته شفقة الأبوة على ندائه[٣]، فكلمة " (بني) تصغير ابن مضافاً الى ياء المتكلم وتصغيره هنا تصغير شفقة بحيث يجعل كالصغير في كونه محل الرحمة والشفقة"[٤].

وإن قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ﴾[هود: ٤٣]، رد من نوح عليه السلام على ابنه، ومعناه أنه لا مانع من أمر الله تعالى أي الغرق إلا من رحمه أي من نجاه، فالله تعالى وحده الذي يمنع من يشاء من خلقه ويعصم[٥]، ثم قال تعالى: ﴿وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ﴾[هود: ٤٣]، أي حال الموج بين نوح وابنه، وكانت عاقبته الغرق كغيره من الكافرين[٦].

---

(١) انظر: «**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**» الطبري (١٢/٤١٧)، و«**تفسير القرآن العظيم**» لابن كثير (٧/٤٤٠).

(٢) انظر: «**مفاتيح الغيب**» الرازي (١٧/٢٤١).

(٣) انظر: «**روح المعاني**» الألوسي (١٢/٥٩).

(٤) «**التحرير والتنوير**» ابن عاشور (١٢/٧٦).

(٥) انظر: «**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**» الطبري (١٢/٤١٧)، «**تفسير القرآن العظيم**» ابن كثير (٧/٤٤٠) و«**الجامع لأحكام القرآن**» القرطبي (١١/١٢٤)

(٦) انظر: «**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**» الطبري (١٢/٤١٩)، و«**الجامع لأحكام القرآن**» القرطبي (١١/١٢٥)

وقد يُقال كيف يحسن استثناء المعصوم من العاصم، والجواب على هذا من طرق كثيرة، والتأويل الذي في غاية الحسن، هو أن الآية التي قبلها ﴿ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[هود: ٤١]، بيّنت أنه تعالى رحيم، وأنه برحمته يخلص هؤلاء من آفة الغرق، وبناء على هذا لما قال ابن نوح ﴿سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾[هود: ٤٣]، قال له نوح عليه السلام أخطأت: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾[هود: ٤٣]، والمعنى إلا ذلك الذي ذكرت أنه برحمته يخلص هؤلاء من الغرق، فصار تقدير الآية لا عاصم اليوم من عذاب الله إلا الله الرحيم(١).

ثالثاً: نداء نوح لربه في شأن ابنه:

قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾[هود: ٤٥]، والنداء هو الدعاء، وهو قوله: (رَبِّ) مع ما بعده من اقتضاء وعده في تنجية أهله، ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾أي أن وعدك لا خلف فيه، وقد وعدتني بنجاة أهلي، فكيف غرق ابني ﴿وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾أي أعلمهم وأعدلهم(٢).

وقد اختلف في النداء، فقيل: إن نداء نوح عليه السلام كان بعد غرق ابنه، وعلى هذا فالنداء بمثابة السؤال للاستعلام والكشف عن حال ولده الذي غرق، والله تعالى قد وعده بنجاته، ووعده تعالى حق لايخلف، فكيف غرق وأنت أحكم الحاكمين؟(٣)

وقيل: كان النداء طلباً للمغفرة له في الآخرة؛ إذ "موقع الآية يقتضي أن نداء نوح عليه السلام هذا كان بعد استواء السفينة على الجودي نداء دعاه إليه داعي الشفقة، فأراد به نفع ابنه في الآخرة بعد اليأس من نجاته في الدنيا، لأن الله أعلمه أنه لا نجاة إلا للذين يركبون السفينة، وقد علم أنه لا وسيلة إلى نجاته، فكيف يسألها من الله، فتعين أنه سأل له المغفرة، ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾"(٤).

---

(١) انظر: «**مفاتيح الغيب**» الرازي (١٧/٢٤٢).

(٢) انظر: «**الكشاف**» الزمخشري (٣/٢٠٣ - ٢٠٤)، «**تفسير القرآن العظيم**» ابن كثير (٧/٤٤٣)، «**الجامع لأحكام القرآن**» القرطبي (١١/١٣٣)، و«**روح المعاني**» الألوسي (١٢/٦٨)

(٣) انظر: «**تفسير القرآن العظيم**» ابن كثير (٧/٤٤٣).

(٤) «**التحرير والتنوير**» ابن عاشور (١٢/٨٣).

وقيل: إن النداء قبل الغرق، وكان طلباً للنجاة[1]؛ إذ إن نداء نوح عليه السلام لربه كان إثر ندائه لابنه الذي تخلف عن السفينة ودعاه إليها فلم يستجب، فالمعقول أن الدعاء وقع بعد هذه المحاورة مع الابن وقبل أن يحول بينهما الموج ويغرق الابن[2]، فلم يكن نداء نوح عليه السلام ربه استفساراً عن سبب عدم الإنجاء، وإنما لطلب النجاة حين حال بينهما الموج؛ إذ لو كان السؤال بعد الغرق عن موجب إغراقه لما نهى الله تعالى نوحاً عليه السلام عن استفسار ما لم يعلم ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[هود: ٤٦]، فإن النهي عن استفسار ما لم يعلم غير موافق للحكمة، إذ عدم العلم بالشيء داع الى الاستفسار عنه لا إلى تركه، بل هو دعاء منه لإنجاء ابنه حين حال الموج بينهما[3].

وقد جاء الجواب من الله تعالى على نداء نوح عليه السلام في قوله تعالى:﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾[هود: ٤٦] أي ليس من أهلك الذين وعدتك بنجاتهم؛ إذ الناجون من الأهل من آمن فقط، ولهذا قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾[هود: ٤٠] فهو ممن سبق عليه القول بالغرق لكفره[4]، أو ليس من أهل دينك، وعلى القولين فابن نوح ليس من الذين وعد بإنجائهم[5]، ثم علل انتفاء كونه من أهله بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾[هود: ٤٦]، أي كأنه لفساده واجتناب الصلاح والتزامه العمل غير الصالح نفس العمل، فهو من الكافرين، والكفر قاطع للولاية بين المؤمنين والكافرين من الأقربين، وموجب براءة بعضهم من بعض[6]، ويذكر الزمخشري أن قرابة الدين غامرة لقرابة النسب، فالنسيب هو من كان على معتقدك ولو كان من الأباعد، ومن لم يكن على دينك فهو بعيد منك ولو كان أمس أقاربك رحماً، وقد جعل ذاته عملاً غير صالح مبالغة في ذمه[7]، فالعبرة بقرابة الدين لا بقرابة

---

(١) انظر: «**روح المعاني**» الألوسي (١٢/ ٧٠)، «**إرشاد العقل السليم**» أبي السعود (٤/ ٢١٢ - ٢١٣)، و«**تفسير القرآن الحكيم**» محمد رشيد رضا (١٢/ ٨٤).

(٢) انظر: «**تفسير القرآن الحكيم**» محمد رشيد رضا (١٢/ ٨٤).

(٣) انظر: «**روح المعاني**» الألوسي (١٢/ ٧٠)، و«**إرشاد العقل السليم**» أبي السعود (٤/ ٢١٢ - ٢١٣).

(٤) انظر: «**تفسير القرآن العظيم**» ابن كثير (٧/ ٤٤٣-٤٤٤).

(٥) انظر: «**روح المعاني**» الألوسي (١٢/ ٦٩)

(٦) انظر: «**تفسير القرآن الحكيم**» محمد رشيد رضا (١٢/ ٨٤).

(٧) انظر: «**الكشاف**» الزمخشري (٣/ ٢٠٤).

النسب، فهذه كانت حاصلة من أقوى الوجوه، ولكن لما انتفت قرابة الدين، نفاه الله تعالى بأبلغ الألفاظ وهو قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾[هود: ٤٦][(١)].

ثم قال تعالى: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[هود: ٤٦]، أي نهى الله تعالى نوحاً عن الطلب فيما لا علم له به أصواب هو أم غير صواب؟ وهو نهي عتاب، وسُمي النداء سؤالاً لتضمنه إياه وإن لم يصرح به[(٢)]، ولم يكن نوح عليه السلام عالماً بأن ابنه كافر، لعدم جهره بذلك، وإلا لم يدع له بل لم يدعه إلى الركوب أيضاً، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[هود: ٤٢] هو نهي عن الدخول في غمارهم، ولا دلالة فيه على أنه كافر، وكأن نوح عليه السلام حمل مقاولته على غير المكابرة، والتعنت لغلبة المحبة وذهوله عن إعطاء التأمل حقه، فلذلك طلب ما طلب، فعوتب بأن مثله في مقام الإرشاد وتحمل أعباء الدعوة مدة طويلة من الزمن لا ينبغي عليه الاشتباه بين كلام المسترشد والمعاند، ويرجع ذلك إلى ترك الأولى، وهذا المراد بقوله تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[(٣)]، "وهذه زيادة من الله وموعظة يرفع بها نوحاً عن مقام الجاهلين، ويعليه بها إلى مقام العلماء والعارفين"[(٤)].

ويقول القرطبي: "وقال علماؤنا: وإنما سأل نوح عليه السلام ربه ابنه لقوله: ﴿وَأَهْلَكَ﴾، وترك قوله: ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾، فلما كان عنده من أهله قال ﴿إِنَّ ٱبْنِى﴾يدل على ذلك قوله: ﴿وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾أي: لا تكن ممن لست منهم؛ لأنه كان عنده مؤمناً في ظنه، ولم يك نوح عليه السلام يقول لربه ﴿إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾إلا وذلك عنده كذلك؛ إذ محال أن يسأل هلاك الكفار، ثم يسأل في إنجاء بعضهم. وكأن ابنه يسر الكفر ويظهر الإيمان، فأخبر الله تعالى بما هو منفرد به من علم الغيوب. أي علمت من حال ابنك مالا تعلمه أنت"[(٥)].

أو لعل نوحاً عليه السلام فهم من قوله تعالى: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾[هود: ٣٦] أن ابنه غير داخل في هذا العموم؛ لأنه تعالى جعل الناجين صنفين أهله إلا من استثني، ومن

---

(١) «**مفاتيح الغيب**» الرازي (١٨/٣).

(٢) انظر: «**الكشاف**» الزمخشري (٣/٢٠٥)، و«**روح المعاني**» الألوسي (١٢/٧٠).

(٣) انظر: «**روح المعاني**» الألوسي (١٢/٧٠).

(٤) «**الجامع لأحكام القرآن**» القرطبي (١١/١٣٧-١٣٨).

(٥) «**الجامع لأحكام القرآن**» القرطبي (١١/١٣٣).

آمن من قومه، فجاز من فهمه أنه يؤمن من أهله من كان كافراً؛ لأنهم صنف قائم بذاته ووافق هذا الفهم وقوّاه رحمة الأبوة وشفقتها، فسأل الله تعالى أن يحققه، ولما كان هذا اجتهاداً ظنياً لا يليق بنبي رسول من أولي العزم أن يسأله فعاتبه ربه، وأدبه عليه بقوله: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[هود: ٤٦] أي لا تسألني في شيء من الأشياء التي ليس لك به علم صحيح أنه حق وصواب(١).

واستعاذ نوح عليه السلام من ذلك، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾[هود: ٤٧]، أي "﴿أَنْ أَسْـَٔلَكَ﴾من أن أطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته، تأدباً بأدبك واتعاظاً بموعظتك، ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى﴾ ما فرط مني من ذلك ﴿وَتَرْحَمْنِىٓ﴾ بالتوبة علي ﴿أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾أعمالاً"(٢).

ويرى ابن عاشور بأن نوحاً عليه السلام تردد في الإقدام على السؤال، لكن الشفقة على ابنه كانت هي الدافع إلى ذلك، وقدم الاعتذار بقوله: ﴿إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾[هود: ٤٥]؛ لأنه يريد أن يسأل سؤالاً لا يدري قبوله، ولكنه اقتحمه لأن المسؤول له من أهله فله عذر الشفقة عليه، وكذلك قوله: ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ﴾[هود: ٤٥]، فهو يعلم أن وعد الله حق، والمراد بالوعد قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾[المؤمنون: ٢٧]، وينطبق ذلك على ابنه فقد طلب منه الركوب في السفينة وأبى، وهذا دليل على كفره، فنوح عليه السلام يعلم بأن ابنه كافر، لكنه يطمع بأن يغفر الله تعالى له في الآخرة لأجل قرابته، فسؤاله المغفرة بمثابة الشفاعة له عند الله تعالى وقرينة ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَـٰكِمِينَ﴾[هود: ٤٥] أي لا راد لما حكم به وقضاه، لكنه مقام تضرع وسؤال ما ليس بمحال، واقتصاره على الجمل الثلاث في مقام الدعاء تعريض بالمطلوب فهو لم يذكره، وذلك ضرب من ضروب التأدب والتردد في الإقدام على المسؤول استغناء بعلم المسؤول، كأنه يقول: أسألك أم أترك.

وبعد ما أبان الله تعالى لنوح عليه السلام بأن ابنه ليس من أهله الموعود بنجاتهم مع التعليل، تفرع على ذلك نهيه أن يسأل ما ليس له به علم نهي عتاب، لأنه لما قيل له ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ

---

(١) انظر: «**تفسير القرآن الحكيم**» محمد رشيد رضا (١٢/٨٥).

(٢) «**الكشاف**» الزمخشري (٣/٢٠٦).

أَهۡلِكَۖ ﴾[هود: ٤٦] بسبب تعليله بأنه عمل غير صالح سقط ما مهد به لإجابة سؤاله، فكان ينبغي على نوح ألا يسأل وأن يتدبر ما أراد أن يسأل عنه، وقوله تعالى: ﴿ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾[هود: ٤٦] موعظة على ترك التثبت قبل الإقدام، فاستعاذ نوح أن يسأل ما ليس له به علم[١]، والله أعلم.

رابعاً: قدح في عصمة نوح عليه السلام:

احتج بتلك الآيات من قدح في عصمة نوح عليه السلام؛ إذ يرون فيها الدلالة على ارتكاب نوح عليه السلام للمعصية، ففي قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ ﴾[هود: ٤٦]، يدل على أنه لم يكن ابنه، وإذا كان كذلك كان قوله: ﴿ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي ﴾[هود: ٤٥] كذباً وهذا معصية[٢]، ويُجاب على ذلك بأنه ادعاء باطل، فالخلاف بين العلماء حول نسب ابن نوح على ثلاثة أقوال، وقد رجح أنه ابن نوح حقيقة كما ذُكر سابقاً. وهو الأقوى لقوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ ﴾[هود: ٤٢]، ومعنى ﴿ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ ﴾[هود: ٤٦] أي ليس من أهلك الذين وعدتك بنجاتهم، أو ليس من أهل دينك[٣]، ويقول ابن عاشور: "ومعنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ ﴾[هود: ٤٦] ، نفي أن يكون من أهل دينه واعتقاده، فليس ذلك إبطالاً لقول نوح عليه السلام: ﴿ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي ﴾[هود: ٤٥] ولكنه إعلام بأن قرابة الدين بالنسبة لأهل الإيمان هي القرابة"[٤].

وإن قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾[هود: ٤٦]، ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾[هود: ٤٧]، ﴿ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ ﴾[هود: ٤٦]دلالة على أن سؤال نوح كان معصية، فأما قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ ﴾ففيه نهي عن السؤال، فكان ذلك السؤال معصية، كما أنه صدر

---

(١) انظر: «**التحرير والتنوير**» ابن عاشور (١٢/ ٨٦ - ٨٧).

(٢) انظر: «**عصمة الأنبياء**» فخر الدين الرازي، تقديم ومراجعة: محمد حجازي، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة)، ط١ (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) (ص/٥٧).

(٣) انظر: «**عصمة الأنبياء**» فخر الدين الرازي (ص/٥٨).

(٤) «**التحرير والتنوير**» ابن عاشور (١٢/ ٨٥).

بغير علم، والقول بغير علم ذنب، لقوله تعالى: ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[البقرة: ١٦٩]، وأما قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ دلالة على أن السؤال كان محض الجهل، وهذا يدل على غاية التقريع والزجر، والجهل كناية عن الذنب في القرآن، قال تعالى: ﴿يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ﴾[النساء: ١٧]، وأما قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[هود: ٤٧] ففيه اعتراف من نوح بالذنب، والاعتراف دليل على كونه مذنباً[(١)]، وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ﴾[هود: ٤٦] فالضمير في (إِنَّهُ) عائد إلى سؤال نوح عليه السلام؛ إذ هناك قراءتان: الأولى: قراءة الكسائي: عَمِلَ غيرَ صالح، والمعنى أن ابنك عمل غير صالح، والثانية: قراءة الباقين بالتنوين والرفع. والأولى مرجوحة لأنه يقتضي إضمار الموصوف وهو على خلاف الأصل فتعينت القراءة الثانية. والهاء في قوله: ﴿إِنَّهُ﴾ ضمير، والضمير لابد وأن يكون عائداً إلى مذكور سابق، والمذكور السابق هاهنا إما السؤال وإما الابن، ولا يجوز عوده إلى الابن؛ لأن الابن لا يكون عملاً غير صالح بل ذا عمل غير صالح، فيقتضي الإضمار وإنه خلاف الأصل. فثبت أن الضمير عائد إلى السؤال، وعلى هذا يكون سؤاله عملاً غير صالح[(٢)].

والجواب على ذلك بأن الأدلة على وجوب تنزيه الأنبياء عليهم السلام من المعاصي كثيرة، لذا وجب حمل هذه الوجوه على ترك الأفضل والأكمل، وحسنات الأبرار سيئات المقربين، فلهذا السبب حصل هذا العتاب والأمر بالاستغفار، ولا دلالة على الذنب، كقوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ﴾[محمد: ١٩]، فليس جميعهم مذنبين، فدل ذلك على أن الاستغفار قد يكون بسبب ترك الأفضل[(٣)].

ويذكر الرازي أيضاً بأن دعاء نوح عليه السلام ربه في شأن ابنه كان مشروطاً بالإيمان، فإن قيل: لم قال تعالى: ﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ﴾، ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾، و ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ﴾؟ فالجواب على ذلك: لا يمتنع أن يكون نوح

---

(١) انظر: «**مفاتيح الغيب**» الرازي (١٨/ ٥).

(٢) انظر: «**عصمة الأنبياء**» فخر الدين الرازي (ص/ ٥٧ - ٥٨)، و«**مفاتيح الغيب**» الرازي (١٨/ ٥).

(٣) انظر: «**مفاتيح الغيب**» الرازي (١٨/ ٥).

عليه السلام نهى عن ذلك، وإن لم يقع ذلك منه، كما أن نبينا نهى عن الشرك لقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[الزمر: ٦٥] وإن لم يقع ذلك منه، فأما قوله: ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ فمعناه أن لا تكون منهم. ولا شك أن وعظه تعالى الذي صرف نوحاً عليه السلام عن الجهل. وأما قول نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾، فلا دلالة فيه على أنه فعل، ولو أن نوحاً دعا لابنه مطلقاً، فالدافع إلى ذلك هو الشفقة، كما أن العقل لا ينكر الدعاء للكافر وإنما يمنعه الشرع، فلعل دعائه كان بمقتضى الطبع إلى أن ورد النهي عنه شرعاً، وعلى فرض أن نوحاً عليه السلام أخطأ، لكن خطأه لا يعتبر من الكبائر؛ لأن الأدلة الدالة على عصمة الأنبياء أقوى من الدليل الدال على كون الإضمار بخلاف الأصل[1]، ويضاف إلى ذلك بأن المقصود من قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾هو ابن نوح –كما ذكرنا سابقاً–لا سؤال نوح عليه السلام، يقول الزمخشري: "وقيل: الضمير لنداء نوح، أي: إن نداءك هذا عمل غير صالح وليس بذاك"[2].

وبعد بيان القرآن الكريم لقصة نوح عليه السلام، قال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[هود: ٤٩]، أي الآيات المذكورة في قصة نوح عليه السلام وما ورد فيها من التفاصيل هي من أنباء الغيب، فما كانت معروفة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم ولا لقومه، فإن قيل: أليس قد كانت قصة طوفان نوح عليه السلام مشهورة عند أهل العلم؟ بلى مشهورة بحسب الإجمال، أما التفاصيل المذكورة ما كانت معلومة، وإن قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾معناه يا محمد اصبر أنت وقومك على أذى هؤلاء الكفار، كما صبر نوح وقومه على أذى أولئك الكفار، فالصبر عاقبته النصر والسرور كما كان لنوح عليه السلام ولقومه[3].

---

(١) «**عصمة الأنبياء**» فخر الدين الرازي (ص/٥٨ - ٦٠).

(٢) «**الكشاف**» الزمخشري (٣/٢٠٤).

(٣) انظر: «**مفاتيح الغيب**» الرازي (١٨/٩).

الفصل الثاني
قصة نوح عليه السلام في العهد القديم

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول: شخصية نوح عليه السلام وقومه في العهد القديم.

المبحث الثاني: السفينة والطوفان في العهد القديم.

المبحث الثالث: بناء نوح مذبحا للرب وميثاق اللّه في العهد القديم.

المبحث الرابع: سكر نوح ولعنة كنعان في العهد القديم.

تمهيد:

يعتبر العهد القديم أحد مصادر الفكر اليهودي الذي يضفي عليه اليهود القداسة ويستمدون منه التوجيه، وهو التسمية العلمية لأسفار اليهود، وما التوراة إلا جزء منه، تطلق عليه من باب إطلاق الجزء على الكل، أو لأهمية التوراة ونسبتها إلى موسى، فهو أبرز أنبياء بني اسرائيل، وعنده يبدأ تاريخهم الحقيقي.

والعهد القديم كتاب مقدس لدى اليهود والمسيحيين معاً، لكن أسفاره غير متفق عليها، فبعض اليهود يضيفون أسفاراً لا يقبلها أحبار آخرون، وكذا بالنسبة للمسيحيين فإن النسخة الكاثوليكية تزيد سبعة أسفار عن النسخة البروستانتية[١]، ولم يُعرف العهد القديم بهذا الاسم إلا بعد تسمية المسيحيين إنجيلهم بالعهد الجديد[٢]، فقد كان يطلق على العهد القديم قبل هذه التسمية عدة أسماء أشهرها (التناخ)، وتكتب بالعبرية (ت،ن، ك) اختصاراً للألفاظ: توارة-نبيئيم (الأنبياء)- كتوبيم (الكتب)[٣].

فالعهد القديم في صورته التي وصل بها إلينا يحتوي على ثلاثة أقسام: التوراة والأنبياء، والكتب أو أسفار الحكمة، فأما التوراة والأنبياء فهما يسيران في نسق تاريخي متصل، ويحكيان قصة حياة العبريين منذ البداية إلى عودتهم من السبي البابلي في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد، وأما الكتب ففيه تراث أدبي من الشعر والنثر، وأمثال وقصص، وهو بمثابة الغذاء الروحي المستقل إلى حد ما[٤]، وأهم هذه الأقسام القسم الأول الذي ينسبه اليهود إلى موسى ويعتقدون أنه بوحي من الله[٥].

وقد تمت كتابة أسفار العهد القديم على مدى تسعة قرون تقريباً، منذ القرن العاشر قبل الميلاد إلى القرن الأول قبل الميلاد، وكان المعتمد هو التراث الشفوي المنقول، وقد صححت وأكملت أكثرية هذه الأسفار، بسبب أحداث حصلت، أو بسبب ضرورات

---

(١) انظر: «**اليهودية**»، أحمد شلبي (ص/٢٢٩ - ٢٣٠).

(٢) انظر: «**نقد التوراة أسفار موسى الخمسة**» أحمد حجازي السقا، مكتبة النافذة، د.ط (ص/٣).

(٣) انظر: «**الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه**» حسن ظاظا، قسم البحوث والدراسات الفلسطينية، د.ط (ص/٧٣).

(٤) انظر: «**الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه**» حسن ظاظا، (ص/١٢ - ١٣).

(٥) انظر: «**اليهودية واليهود**» بحث في ديانة اليهود وتاريخهم ونظامهم الاجتماعي والاقتصادي، علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطبع والنشر (الفجالة - القاهرة)، د.ط (ص/١٤).

خاصة[1]، وفي الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عبارات كثيرة دالة على أنها لم تكتب من قبل موسى ولا باملائه ولا في حياته-وسفر التكوين على وجه الخصوص ليس فيه عبارة تشير إلى علاقة موسى به رواية أو تدويناً- وإنما دونت بعد مدة طويلة من وفاته، وبأقلام عديدة، وفي أزمنة مختلفة[2].

وقد تناول العهد القديم تاريخ العالم منذ نشأته إلى قبيل بعثة المسيح، فذكر بإجمال خلق السماوات والأرض وخلق آدمعليه السلام وحواء وتاريخهما في الجنة وهبوطهما منها، وقصة نوحعليه السلام والطوفان، وقصة أولاد نوح الثلاثة سام ويافث وحام، وعرض بشيء من التفصيل لتاريخ نسل سام، وهم الذين ينتمي إليهم بنو إسرائيل، وبالأخص تاريخ آبائهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام، ثم تناول بتفصيل كبير تاريخ بني إسرائيل في مختلف مراحل حياتهم.

واستغرق القصص حيزاً واسعاً من أسفار العهد القديم، ووردت كل قصة من القصص في صورة مسلسلة كاملة الأجزاء مترابطة الحوادث، كما تفعل كتب التاريخ[3]، فكانت التوراة (أي الحالية) أقرب إلى المؤلفات التاريخية.

وقصة نوحعليه السلام إحدى القصص التي كان لها حيز في العهد القديم، جاء الحديث عنها في التوراة في السفر الأول - سفر التكوين - بدءاً من الإصحاح الخامس إلى التاسع، وورد ذكر لنوح عليه السلام في مواضع أخرى من العهد القديم، لكن دون أي وصف بالنبوة أو الرسالة فضلاً عن الحديث عن مرحلة الدعوة، كما ورد ذكر للطوفان في التلمود[4]، وهو أحد المصادر المعتمدة لدى اليهود أيضاً.

---

(١) انظر: «**القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم**» موريس بوكاي (ص/٢٧).

(٢) انظر: «**تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم**» محمد عزة دروزة، مطابع شركة الاعلانات الشرقية، د.ط (١٦/١).

(٣) انظر: «**اليهودية واليهود**» علي عبد الواحد وافي (ص/٦٧ - ٦٨).

(٤) الشريعة الشفوية التي تلقاها موسى عليه السلام، كما يقول أصحابه، وفي أدق التعاريف له: إن التلمود شكلياً هو مجمل القانون الشفهي. «**مدخل إلى التلمود**»، أدين شتاينسالتز، ترجمة: د. فينيتا بوتشيفا الشيخ، دار الفرقد، دمشق، ط١، ٢٠٠٦م، (ص/١٣).

المبحث الأول

شخصية نوح عليه السلام وقومه في العهد القديم

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : شخصية نوح عليه السلام في العهد القديم.

المطلب الثاني : وصف قوم نوح في العهد القديم.

المطلب الأول: شخصية نوح عليه السلام في العهد القديم

أولاً: نسب نوح ومولده ونسله:

ابتدأ الحديث عن نوح عليه السلام في التوراة بذكر نسبه، وهو: نوح بن لامك بن متوشالح بن أخنوخ بن يارد بن مهللئيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم، وقد شغل النسب كل الإصحاح الخامس، ونذكر منه: [1هذَا كِتَابُ مَوَالِيدِ آدَمَ، يَوْمَ خَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ. عَلَى شَبَهِ اللهِ عَمِلَهُ. 2ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ، وَبَارَكَهُمْ وَدَعَا اسْمَهُمْ آدَمَ يَوْمَ خُلِقُوا. 3وَعَاشَ آدَمُ مِئَةً وَثَلاَثِينَ سَنَةً، وَوَلَدَ وَلَدًا عَلَى شَبَهِهِ كَصُورَتِهِ وَدَعَا اسْمَهُ شِيثًا. 4وَكَانَتْ أَيَّامُ آدَمَ بَعْدَ مَا وَلَدَ شِيثًا ثَمَانِيَ مِئَةِ سَنَةٍ، وَوَلَدَ بَنِينَ وَبَنَاتٍ. 5فَكَانَتْ كُلُّ أَيَّامِ آدَمَ الَّتِي عَاشَهَا تِسْعَ مِئَةٍ وَثَلاَثِينَ سَنَةً، وَمَاتَ...28وَعَاشَ لاَمَكُ مِئَةً وَاثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ سَنَةً، وَوَلَدَ ابْنًا. 29وَدَعَا اسْمَهُ نُوحًا، قَائِلاً: «هذَا يُعَزِّينَا عَنْ عَمَلِنَا وَتَعَبِ أَيْدِينَا مِنْ قِبَلِ الأَرْضِ الَّتِي لَعَنَهَا الرَّبُّ». التكوين: ٥: ١ - ٥، ٢٨ - ٢٩].

مولده: وُلد نوح بعد وفاة آدم عليهما السلام بمئة وستة وأربعين حسب تأريخ أهل الكتاب عند ابن كثير، وذكر ابن جرير بأن المدة بينهما عليهما السلام كانت مئة ست وعشرون سنة، وقد أشرنا إلى هذا سابقاً.

نسله: ذكرت التوراة في نهاية الإصحاح الخامس من سفر التكوين نسل نوح ثلاثة، وهم: سام وحام ويافث. [32وَكَانَ نُوحٌ ابْنَ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ. وَوَلَدَ نُوحٌ: سَامًا، وَحَامًا، وَيَافَثَ. التكوين: ٥: ٣٢]، وقد تكرر ذكرهم في غير موضع من سفر التكوين.

ولم تقتصر التوراة على ذكر أبناء نوح الثلاثة بل أسهبت في الحديث عنهم، وما تفرع منهم في إصحاح خاص من سفر التكوين، [1وَهذِهِ مَوَالِيدُ بَنِي نُوحٍ: سَامٌ وَحَامٌ وَيَافَثُ. وَوُلِدَ لَهُمْ بَنُونَ بَعْدَ الطُّوفَانِ. 2بَنُو يَافَثَ: جُومَرُ وَمَاجُوجُ وَمَادَايُ وَيَاوَانُ وَتُوبَالُ وَمَاشَكُ وَتِيرَاسُ...6وَبَنُو حَامٍ: كُوشُ وَمِصْرَايِمُ وَفُوطُ وَكَنْعَانُ...21وَسَامٌ أَبُو كُلِّ بَنِي عَابِرَ، أَخُو يَافَثَ الْكَبِيرُ، وُلِدَ لَهُ أَيْضًا بَنُونَ. 22بَنُو سَامٍ: عِيلاَمُ وَأَشُّورُ وَأَرْفَكْشَادُ وَلُودُ وَأَرَامُ. التكوين: ١٠: ١ - ٢، ٦، ٢١ - ٢٢].

ثم تحدثت التوراة عن عمر سام وبنيه، إذ تقول: [10هذه مَوَالِيدُ سَامٍ: لَمَّا كَانَ سَامٌ ابْنَ مِئَةِ سَنَةٍ وَلَدَ أَرْفَكْشَادَ، بَعْدَ الطُّوفَانِ بِسَنَتَيْنِ. 11وَعَاشَ سَامٌ بَعْدَ مَا وَلَدَ أَرْفَكْشَادَ خَمْسَ مِئَةِ سَنَةٍ، وَوَلَدَ بَنِينَ وَبَنَاتٍ. 12وَعَاشَ أَرْفَكْشَادُ خَمْسًا وَثَلاَثِينَ سَنَةً وَوَلَدَ شَالَحَ. 13وَعَاشَ أَرْفَكْشَادُ بَعْدَ مَا وَلَدَ شَالَحَ أَرْبَعَ مِئَةٍ وَثَلاَثَ سِنِينَ، وَوَلَدَ بَنِينَ وَبَنَاتٍ. 14وَعَاشَ شَالَحُ ثَلاَثِينَ

سَنَةً وَوَلَدَ عَابِرَ. [١٥]وَعَاشَ شَالَحُ بَعْدَ مَا وَلَدَ عَابِرَ أَرْبَعَ مِئَةٍ وَثَلاَثَ سِنِينَ، وَوَلَدَ بنينَ وَبَنَاتٍ. التكوين: ١١: ١٠ - ١٥].

وهذه الأعمار متناقضة مع نص توراتي تم فيه تحديد عمر للإنسان بعد الطوفان بمائة وعشرين سنة؛ إذ تقول: [٣فَقَالَ الرَّبُّ: لاَ يَدِينُ رُوحِي فِي الإِنْسَانِ إِلَى الأَبَدِ، لِزَيَغَانِهِ، هُوَ بَشَرٌ. وَتَكُونُ أَيَّامُهُ مِئَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً. التكوين: ٦: ٣].

ويعقب ابن حزم[(١)] على هذا قائلاً: "وهذا كذب فاحش، ومصيبة إلى الأبد، لأنه ذكر بعد هذا القول إن سام بن نوح عاش بعد ذلك ستمائة سنة. وأرفخشاذ بن سام عاش أربعمائة وخمسة وستين سنة...الخ"[(٢)].

وأما ابن نوح الغريق بسبب الكفر، فقد أغفلت التوراة ذكره بينما تناول القرآن الكريم قصته بشكل مفصل، يقول ابن كثير: "وهذا الابن هو يام، أخو سام وحام ويافث، وقيل: اسمه: كنعان. وكان كافراً عاملاً غير صالح، مخالفاً أباه في دينه ومذهبه، فهلك مع من هلك"[(٣)].

ثانياً: صفات نوح:

وصف العهد القديم نوحاً بالرجل البار، حيث جاء فيه: [٩هذِهِ مَوَالِيدُ نُوحٍ: كَانَ نُوحٌ رَجُلاً بَارًّا كَامِلاً فِي أَجْيَالِهِ. وَسَارَ نُوحٌ مَعَ اللهِ. التكوين: ٦: ٩]، وورد أيضاً: [١٤هؤُلاَءِ الرِّجَالُ الثَّلاَثَةُ: نُوحٌ وَدَانِيآلُ وَأَيُّوبُ، فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا يُخَلِّصُونَ أَنْفُسَهُمْ بِبِرِّهِمْ. حزقيال: ١٤: ١٤]، إلا أن الوصف بالبر والتقوى والكمال لم يبق مصاحباً لنوح، فقد وُصف في موضع آخر من سفر التكوين، بالسكر والتعري. [٢٠وَابْتَدَأَ نُوحٌ يَكُونُ فَلاَّحًا وَغَرَسَ كَرْمًا. ٢١وَشَرِبَ

---

(١) هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد، ولد في قرطبة سنة ٣٨٤هـ، كان حافظاً عالماً بعلوم الحديث وفقهه، وفقيهاً، يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة، انتقد كثير من العلماء والفقهاء، وهو ناقد محلل وصفه البعض بالفيلسوف، توفي في الأندلس سنة ٤٥٦هـ، من مؤلفاته: الإيصال إلى فهم كتاب الخصال الجامعة، الإحكام لأصول الأحكام، الفصل في الملل في الأهواء والنحل. انظر: «**وفيات الأعيان**» ابن خلكان (٣/٣٢٥ - ٣٢٦) و«**الأعلام**» الزركلي (٤/٢٥٤).

(٢) «**الفصل في الملل والأهواء والنحل**» ابن حزم الظاهري، ت: محمد ابراهيم نصر - عبد الرحمن عميرة، دار الجيل (بيروت)، د.ط (١/٢٠٩).

(٣) انظر: «**البداية والنهاية**» ابن كثير، (١/٢٦٤).

مِنَ الْخَمْرِ فَسَكِرَ وَتَعَرَّى دَاخِلَ خِبَائِهِ. سفر التكوين: ٩: ٢٠ - ٢١]، فالتوراة تشير إلى صلاح نوح تارة، وإلى فساده تارة أخرى.

ولم يرد في العهد القديم نص صريح بنبوة نوح. لكن هناك من يرى إشارة لها في التوراة من خلال حديث الله تعالى لنوح عن فساد الأرض والبشر، [١٣فَقَالَ اللهُ لِنُوحٍ: «نِهَايَةُ كُلِّ بَشَرٍ قَدْ أَتَتْ أَمَامِي، لأَنَّ الأَرْضَ امْتَلأَتْ ظُلْمًا مِنْهُمْ. فَهَا أَنَا مُهْلِكُهُمْ مَعَ الأَرْضِ. التكوين: ٦: ١٣]، ففي هذه الإشارة بيان لصلة ما كانت موجودة بين الله وبين نوح، وتلك الصلة لا تكون إلا عن طريق الوحي بين الله وبين نبي، ويرى أيضاً أن التوراة لم تأتِ بلفظ نبي، لكنها تكني عنه بلفظ آخر وهو (سار مع الله)[(١)]، [وَسَارَ نُوحٌ مَعَ اللهِ.التكوين: ٦: ٩].

وأما في النسخة الكاثوليكية للعهد القديم، فقد ورد في أحد أسفارها -أي الأسفار الزائدة - تصريح بنبوة نوح، ويُسمى هذا السفر بسفر "طوبيا" أو"طوبيت"؛ إذ يقول: [لا تأخذوا نساء أجنبيات من خارج عشيرة أبيكم، لأننا أبناء الأنبياء، نوح وإبراهيم وإسحاق ويعقوب آبائنا منذ البدء. سفر طوبيا: ٤\ ١٢][(٢)].

وعلى أية حال فالمعتمد لدى اليهود في وصف نوح-كما أشرنا شابقاً- أنه من الآباء دون الأنبياء، مع أنه قد تلقى الوحي الإلهي بحسب ما ورد في نصوصهم، وأما القرآن الكريم فقد صرح بنبوة نوح عليه السلام ورسالته فضلاً عن أنه من أولي العزم من الرسل.

ثالثاً: عمر نوح:

نصت التوراة على أن نوحاً عليه السلام عمّر ٩٥٠ سنة، وبيّنت ذلك بالتفصيل، فعند بدء الطوفان كان عمره ستمئة سنة، [٦وَلَمَّا كَانَ نُوحٌ ابْنَ سِتِّ مِئَةِ سَنَةٍ صَارَ طُوفَانُ الْمَاءِ عَلَى الأَرْضِ. التكوين: ٧\ ٦]، ثم عاش بعد الطوفان ثلاثمئة وخمسين سنة، وبهذا كانت أيامه تسعمئة وخمسين سنة، تقول: [٢٨وَعَاشَ نُوحٌ بَعْدَ الطُّوفَانِ ثَلاَثَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً. ٢٩فَكَانَتْ كُلُّ أَيَّامِ نُوحٍ تِسْعَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً، وَمَاتَ. التكوين: ٩\٢٨ - ٢٩].

---

(١) انظر: «**القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان**» حسن الباش، دار قتيبة، ط١ (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م) (٢/١٣٦).

(٢) انظر: مقال: «**رمزية القصص الديني في الفكر الكتابي**» قصة الطوفان أنموذجاً، نزار علي الصغير صميدة، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، المجلد الثالث والعشرون، العدد الأول يناير (٢٠١٥م) (ص/٣٥١).

والملاحظ أن المدة المذكورة في القرآن الكريم والعهد القديم واحدة، لكن الفارق بينهما أن المدة في القرآن الكريم هي - حسب ظاهر الآية - مدة الدعوة وهو الراجح كما ذكرنا سابقاً، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾[العنكبوت: ١٤]، بينما التوراة نصت على أن المدة كلها عمر نوح، ولم تذكر مدة لدعوته على الرغم من التفصيل؛ إذ لم تتعرض لدعوته فضلاً عن ذِكر مدتها.

المطلب الثاني: وصف قوم نوح في العهد القديم

لم تذكر التوراة قوم نوح - على الرغم من أنهم سبب العقاب الإلهي - على وجه الخصوص. وإنما أشارت إليهم ضمن وصفها لحالة الفساد في ذرية آدم، والتي تتمثل بزواج أبناء الله من بنات الناس، ذلك الزواج الذي كان نتيجته ميلاد الجبابرة، ودون بيان المراد من كلمة أبناء الله[1]، تقول: [1وَحَدَثَ لَمَّا ابْتَدَأَ النَّاسُ يَكْثُرُونَ عَلَى الأَرْضِ، وَوُلِدَ لَهُمْ بناتٌ، 2أَنَّ أَبْنَاءَ الله رَأَوْا بنات النَّاسِ أَنَّهُنَّ حَسَنَاتٌ. فَاتَّخَذُوا لأَنْفُسِهِمْ نِسَاءً مِنْ كُلِّ مَا اخْتَارُوا. 3فَقَالَ الرَّبُّ: «لاَ يَدِينُ رُوحِي فِي الإِنْسَانِ إِلَى الأَبَدِ، لزَيَغَانِهِ، هُوَ بَشَرٌ. وَتَكُونُ أَيَّامُهُ مِئَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً. 4كَانَ فِي الأَرْضِ طُغَاةٌ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ. وَبَعْدَ ذلِكَ أَيْضاً إِذْ دَخَلَ بنو الله عَلَى بنات النَّاسِ وَوَلَدْنَ لَهُمْ أَوْلاَداً، هؤُلاَءِ هُمُ الْجَبَابِرَةُ الَّذِينَ مُنْذُ الدَّهْرِ ذَوُو اسْمٍ. التكوين: ٦: ١ - ٤].

وقد أثارت كلمة أبناء الله كثيراً من الجدل لدى دارسي التوراة وشرّاحها، فبعضهم قال بأن المراد منها الملائكة وآخرون استبعدوا هذا المعنى[2]؛ إذ يصعب أن يكون أبناء الله هم الملائكة؛ لأن الملائكة لا يتزوجون ولا يلدون، وهذه العبارة تشير إلى أبناء شيث (وهم شعب الرب) في اعتقاد بعض العلماء، ولكن الأبناءلم يعودوا أتقياء، وعليه فهذه الأعداد تحدثنا عن الزواج المختلط بين نسل شيث الأتقياء ونسل قايين الأشرار، ولابد أن هذا الزواج أضعف النسل التقي، وزاد من الفساد الأدبي في العالم، وأدى تزايد عدد السكان إلى تزايد الشر[3].

يقول ابن حزم معقباً على قولهم أبناء الله حقيقة، أو تأويلهم بالملائكة: "وهذا حمق ناهيك به، وكذب عظيم إذ جعل لله أولاداً ينكحون بنات آدم وهي مصاهرة تعالى الله عنها، حتى أن بعض أسلافهم قال: إنما عنى بذلك الملائكة، وهذه كذبة إلا أنها دون الكذبة الأولى في ظاهر اللفظ"[4].

---

(١) انظر: «**أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم**» كارم محمود عزيز، مكتبة النافذة، ط١ (٢٠٠٦م) (ص/٢١٥ - ٢١٦).

(٢) انظر: مقال: «**رمزية القصص الديني في الفكر الكتابي**» نزار صميدة (ص/٣٤٩).

(٣) انظر: «**التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**» شركة ماستر ميديا (القاهرة)، د.ط (ص/٢٣).

(٤) «**الفصل في الملل والأهواء والنحل**» ابن حزم الظاهري (ص/٢٠٩).

ثم تذكر التوراة ما كان منهم من تزايد الشر في الأرض[1]، [5رَأَى الرَّبَّ أَنَّ شَرَّ الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ. التكوين: ٦: ٥]، والظلم الذي ملأ الأرض، مما جعل الرب يقرر نهاية البشرية[2]، [11وَفَسَدَتِ الأَرْضُ أَمَامَ الله، وَامْتَلأَتِ الأَرْضُ ظُلْمًا. 12وَرَأَى اللهُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ قَدْ فَسَدَتْ، إِذْ كَانَ كُلُّ بَشَرٍ قَدْ أَفْسَدَ طَرِيقَهُ عَلَى الأَرْضِ.13فَقَالَ اللهُ لِنُوحٍ: نِهَايَةُ كُلِّ بَشَرٍ قَدْ أَتَتْ أَمَامِي، لأَنَّ الأَرْضَ امْتَلأَتْ ظُلْمًا مِنْهُمْ. التكوين: ٦: ١١ - ١٣].

فالفساد الأخلاقي هو الذي عرّض القوم إلى عقوبة الإغراق[3]، والسبب الأساسي لتلك الآثام والخطايا - في رأي ليوتاكسيل - هو ترك أحفاد آدم للصلاة في الصباح والمساء على أغلب الظن؛ لأن ما من شيء يغضب الرب سوى الخلل بمواعيد الصلاة[4].

فالتوراة اقتصرت في الحديث عن قوم نوح بوصف الحال الذي كانوا عليه من شر وظلم، دون ذكر للجانب العقدي، وما دعا إليه نوح، وما جرى بينه وبين قومه من حوار كما جاء في القرآن الكريم، ويقول حسن الباش: "لا تذكر التوراة أي دعوة توحيدية لنوح، ولا تذكر قومه، ولا جداله معهم... فلا خصائص للنبوة، ولا منهج لدعوته. ولا وجود لقوم يجادلهم ويدعوهم إلى ديانة التوحيد"[5].

---

(١) انظر: «**أساطير التوراة الكبرى**» كارم عزيز (ص/٢١٦).

(٢) انظر: «**دراسات تاريخية من القرآن الكريم في العراق**» بيومي مهران (٤/٥١).

(٣) انظر: «**طوفان نوح بين الحقيقة والأوهام**» جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية (ص/٤١).

(٤) انظر: «**التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير**» ليوتاكسيل، ترجمة: حسان ميخائيل إسحاق، د.ط (ص/٦٥).

(٥) «**القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان**» حسن الباش (٢/١٨١).

المبحث الثاني

السفينة والطوفان في العهد القديم

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : سبب الطوفان وصنع السفينة .

المطلب الثاني : حمولة السفينة وكيفية حدوث الطوفان .

المطلب الثالث : انتهاء الطوفان واستقرار السفينة .

المطلب الرابع : خروج نوح من السفينة .

المطلب الخامس : عموم الطوفان .

المطلب الأول: سبب الطوفان وصنع السفينة

شغلت حادثة الطوفان في التوراة حيزاً كبيراً من قصة نوح، حتى أصبحت تُعرف باسمها قصة الطوفان العبرية، وأغفل كتّاب التوراة المقدمات التي كانت سبب ذلك العقاب الإلهي على الرغم من أهميتها، فلا يوجد سوى إشارة بسيطة حول ذاك السبب التي دفع الرب إلى اتخاذ القرار بمحو الإنسان عن وجه الأرض على حد تعبيرهم.

وقد وردت رواية الطوفان في التوراة في سفر التكوين في الإصحاحات من السادس إلى التاسع[1]، بالدقائق والتفاصيل، وجاءت إشارات عابرة لها في بقية الأسفار[2]، وهي: [لأَنَّهُ كَمِيَاهِ نُوحٍ هذِهِ لِي. كَمَا حَلَفْتُ أَنْ لاَ تَعْبُرَ بَعْدُ مِيَاهُ نُوحٍ عَلَى الأَرْضِ، هكَذَا حَلَفْتُ أَنْ لاَ أَغْضَبَ عَلَيْكِ وَلاَ أَزْجُرَكِ. إشعياء: ٥٤: ٩]، و[يَمْنَعُ الْمِيَاهَ فَتَيْبَسُ. يُطْلِقُهَا فَتَقْلِبُ الأَرْضَ. أيوب: ١٢: ١٥]، وفي مزامير داود: [٦كَسَوْتَهَا الْغَمْرَ كَثَوْبٍ. فَوْقَ الْجِبَالِ تَقِفُ الْمِيَاهُ. ٧مِنِ انْتِهَارِكَ تَهْرُبُ، مِنْ صَوْتِ رَعْدِكَ تَفِرُّ. ٨تَصْعَدُ إِلَى الْجِبَالِ. تَنْزِلُ إِلَى الْبِقَاعِ، إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي أَسَّسْتَهُ لَهَا. ٩وَضَعْتَ لَهَا تُخْمًا لاَ تَتَعَدَّاهُ. لاَ تَرْجِعُ لِتُغَطِّيَ الأَرْضَ. مزامير داود: ١٠٤: ٦ - ٩]، [١٠الرَّبُّ بِالطُّوفَانِ جَلَسَ، وَيَجْلِسُ الرَّبُّ مَلِكًا إِلَى الأَبَدِ. مزامير داود: ٢٩: ١٠).

والسبب الذي حدا بالرب (يهوه) إلى إتخاذ قرار محو الإنسان عن وجه الأرض، هو كثرة وتزايد شر الإنسان فيها[3]، وهوما جعل الرب يحزن لخلقه الإنسان في الأرض ويأسف في قلبه، فدفعه ذلك على معاقبته[4]، وشمل هذا القرار البهائم والدواب وطيور السماء، التي لا يتضح من الرواية أي ذنب جنت، سوى أن الرب حزن لأنه خلقها، تقول: [٥رَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ.٦فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الإِنْسَانَ فِي الأَرْضِ، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ. ٧فَقَالَ الرَّبُّ: أَمْحُو عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ الإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ، الإِنْسَانَ مَعَ بَهَائِمَ وَدَبَّابَاتٍ وَطُيُورِ السَّمَاءِ، لأَنِّي حَزِنْتُ

---

(١) انظر: «**دراسات تاريخية من القرآن الكريم في العراق**» مهران بيومي (٤/ ٥٠)، و«**أساطير التوراة الكبرى**» كارم عزيز (ص/ ٢١٥).

(٢) انظر: مقال: «**رمزية القصص الديني في الفكر الكتابي**» نزار صميدة (ص/ ٣٤٨).

(٣) انظر: «**أساطير التوراة الكبرى**» كارم عزيز (ص/ ٢١٦).

(٤) انظر: «**الشخصيات الأسطورية في العهد القديم وثالوث عزرا : الوثنية"يهوه – العنصرية"الشعب المختار" - الاستعمار"الأرض الوعد"**» (دراسة تحليلية للشخصيات والأحداث)، جميل خرطبيل، د.ن، د.ط (ص/ ٢٨)، و«**دراسات تاريخية في القرآن الكريم في العراق**» بيومي مهران (٤/ ٥١).

أَنِّي عَمِلْتُهُمْ. التكوين: ٦: ٦ - ٧]، واستثنى الرب"يهوه" رجلاً واحداً من بين البشر وهو نوح؛ لأنه كان باراً وسار مع الله[١]، [٨وَأَمَّا نُوحٌ فَوَجَدَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ.٩هذِهِ مَوَالِيدُ نُوحٍ: كَانَ نُوحٌ رَجُلاً بَارًّا كَامِلاً فِي أَجْيَالِهِ. وَسَارَ نُوحٌ مَعَ اللهِ. التكوين: ٦: ٨ - ٩].

ويذكر مرة أخرى سبب إبادة الإنسان بأنه الفساد الذي ملأ الأرض، [١١وَفَسَدَتِ الأَرْضُ أَمَامَ الله، وَامْتَلأَتِ الأَرْضُ ظُلْمًا. ١٢وَرَأَى اللهُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ قَدْ فَسَدَتْ، إِذْ كَانَ كُلُّ بَشَرٍ قَدْ أَفْسَدَ طَرِيقَهُ عَلَى الأَرْضِ. التكوين: ٦: ١١ - ١٢]، ويعلن الرب (إلوهيم) قرار الإبادة دون إيضاح الوسيلة[٢]، [فَهَا أَنَا مُهْلِكُهُمْ مَعَ الأَرْضِ. التكوين: ٦: ١٣].

ويحيط الرب نوحاً علماً بما انتواه، ويأمره بصنع سفينة ذات هندسة خاصة[٣]، [١٣فَقَالَ اللهُ لِنُوحٍ: نِهَايَةُ كُلِّ بَشَرٍ قَدْ أَتَتْ أَمَامِي، لأَنَّ الأَرْضَ امْتَلأَتْ ظُلْمًا مِنْهُمْ. فَهَا أَنَا مُهْلِكُهُمْ مَعَ الأَرْضِ.١٤اصْنَعْ لِنَفْسِكَ فُلْكًا مِنْ خَشَبِ جُفْرٍ. تَجْعَلُ الْفُلْكَ مَسَاكِنَ، وَتَطْلِيهِ مِنْ دَاخِلٍ وَمِنْ خَارِجٍ بِالْقَارِ. ١٥وَهكَذَا تَصْنَعُهُ: ثَلاَثَ مِئَةِ ذِرَاعٍ يَكُونُ طُولُ الْفُلْكِ، وَخَمْسِينَ ذِرَاعًا عَرْضُهُ، وَثَلاَثِينَ ذِرَاعًا ارْتِفَاعُهُ. ١٦وَتَصْنَعُ كُوًّا لِلْفُلْكِ، وَتُكَمِّلُهُ إِلَى حَدِّ ذِرَاعٍ مِنْ فَوْقُ. وَتَضَعُ بَابَ الْفُلْكِ فِي جَانِبِهِ. مَسَاكِنَ سُفْلِيَّةً وَمُتَوَسِّطَةً وَعُلْوِيَّةً تَجْعَلُهُ. ٦: ١٣ - ١٦].

فالقصة التوراتية قد أعطت معلومات مفصلة عن طبيعة السفينة حول البناء والتركيب[٤]، حيث ذكرت طول الفلك ٣٠٠ ذراع، وعرضه ٥٠ ذراع، وارتفاعه ٣٠ ذراع، وأن طلاءه بالقار والقطران من الداخل والخارج كي لا يتسرب إليه الماء[٥]، بل وحددت نوع الخشب الذي صنع منه الفلك، وهو خشب قطراني جفر، وهذا النوع من الخشب منطقياً لن يكون نوعاً عادياً، وإن كانت تلك الشجرة مجهولة إلى اليوم لدى أغلب شراح الكتاب المقدس[٦].

---

(١) انظر: «**أساطير التوراة الكبرى**» كارم عزيز (ص/٢١٦)، و«**دراسات تاريخية من القرآن الكريم في العراق**» بيومي مهران (٤/٥١).

(٢) انظر: «**أساطير التوراة الكبرى**» كارم عزيز (ص/٢١٦).

(٣) انظر: «**دراسات تاريخية من القرآن الكريم في العراق**» بيومي مهران (٤/٥١)، و«**طوفان نوح بين الحقيقة والأوهام**» جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية (ص/٤٢).

(٤) انظر: «**أحسن القصص بين إعجاز القرآن وتحريف التوراة**» زاهية الدجاني (ص/٢١٠).

(٥) انظر: «**دراسات تاريخية من القرآن الكريم في العراق**» بيومي مهران (٤/٥١).

(٦) انظر: مقال: «**رمزية القصص الديني في الفكر الكتابي**» نزار صميدة (ص/٣٥٢).

يقول ليوتاكسيل: "وعلينا أن نفترض أن الخشب الذي صنع منه الفلك هو من أفضل أنواعه؛ لأنه إذا قرر أحدهم أن يصرف مئة عام على صنع سفينة، فإنه لن يجد الخشب الذي يبقى سليماً حتى نهاية عملية البناء، ولتحولت مؤخرة السفينة إلى فتات متآكل عندما يصل البناؤون إلى مقدمتها. وهكذا تتحول العملية إلى إعادات متكررة. فما هو نوع الخشب الذي استخدمه نوح يا ترى؟ حتى الآن لا أحد يعرف. وعلى الرغم من أن التوراة تسميه خشب الجفر"[1].

ومع دقة المقاييس والمواصفات للفلك في سفر التكوين، إلا أنها لم تمنع من وقوع الاختلاف بين مفسري الكتاب المقدس في بيان طبيعتها[2]، فقد ذهب أهل التفسير التطبيقي إلى القول بأن الفلك لم يكن مجرد زورقاً صغيراً؛ وإنما مركباً يبلغ طوله مرة ونصف طول ملعب كرة القدم، وارتفاعه ارتفاع مبنى أربعة أدوار، فطول الفلك ستة أضعاف عرضه، وهي نفس النسبة التي يراعيها بناة السفن اليوم[3]، بينما ذهب أصحاب تفسير الكتاب المقدس إلى القول" أن بناء السفينة لم يكن بناء فعلياً، فنوح لم يبن سفينة بالمعنى الصحيح، لكنه جمع كتلاً خشبية بحيث تكون ثابتة على سطح الماء، وعمل لها سقفاً"[4].

لم تسجل التوراة مقدار الزمن المستغرق في بناء السفينة، لكن في رأي ليوتاكسيل المدة التي استغرقها نوح في بناء السفينة هي مائة عام، مستنداً في ذلك إلى مقارنة بين معطيات الإصحاح الخامس من سفر التكوين التي تنص على أن نوحاً كان في خمس المئة من عمره عندما قرر "يهوه" إبادة الكائنات الحية كلها، ومعطيات الإصحاح السابع من نفس السفر، والتي تنص على أن نوحاً كان في ست المئة من عمره عندما انفجرت ينابيع السماء وانفتحت طاقاتها كلها[5].

وبالمقارنة مع القرآن الكريم نجد تشابهاً جزئياً، فالعهد القديم اقتصر في سبب الطوفان على الجانب الأخلاقي وهو الفساد والظلم ، وأغفل الجانب العقدي، بينما القرآن الكريم ذكرهما معاً، وفي صنع السفينة جاء في العهد القديم أن الرب أمر نوحاً عليه السلام بصنعها، مع

---

(١) انظر: «**التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير**» ليوتاكسيل (ص/٦٧).

(٢) انظر: مقال: «**رمزية القصص الديني في الفكر الكتابي**» نزار صميدة (ص/٣٥٢).

(٣) انظر: «**التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**» (ص/٢٤).

(٤) «**تفسير الكتاب المقدس**» إصدار كنيسة السيدة العذراء، الفجالة (مصر- القاهرة)، ط١ (٢٠٠٨م) (١/١٦٠)، نقلاً عن «**رمزية القصص الديني في الفكر الكتابي**» نزار صميدة (ص/٣٥٢).

(٥) انظر: «**التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير**» ليوتاكسيل (ص/٥٣٠).

إسهاب في ذكر التفاصيل، كالطول والعرض ونوع الخشب، وغير ذلك من الأمور التي لا فائدة منها ألبتة، و ورد لفظ واحد للسفينة وهو الفلك، بينما ذكرها القرآن الكريم بعدة تسميات كالسفينة والفلك والجارية، وأحياناً جاء ذكرها بالوصف، وكل بحسب السياق، وإن صنع نوح عليه السلام للسفينة كان بأمر من الله تعالى أيضاً، ولكن دون ذكر لتلك التفاصيل.

المطلب الثاني: حمولة السفينة وكيفية حدوث الطوفان

ذكرت التوراة حمولة السفينة بعد صنع نوح لها، وقد اقتصرت في الذكر على حمل نوعين من الأشياء فقط، وهما: **النوع الأول**: نوح وأهله (امرأته وبنوه ونساء بنيه)[(١)]، لكن دون بيان أي صفة لهم تُظهر سبب نجاتهم سوى نوح عليه السلام، والذي يبدو أنه تصنيف عشائري لا إيماني، يقول الخالدي: "كان تصنيف الأحبار لركاب السفينة تصنيفاً عشائرياً نَسَبياً، وليس تصنيفاً إيمانياً، فالإيمان لا اعتبار له عند رواية الأحبار لأحداث التاريخ، إنما المعتبر عندهم هو البعد القومي والقبلي والعشائري والنَسَبي"[(٢)].

وذلك يتناقض مع نص توراتي آخر، فقد جاء في التوراة: [٢٥وَعَاشَ مَتُوشَالَحُ مِئَةً وَسَبْعًا وَثَمَانِينَ سَنَةً، وَوَلَدَ لاَمَكَ. ٢٦وَعَاشَ مَتُوشَالَحُ بَعْدَ مَا وَلَدَ لاَمَكَ سَبْعَ مِئَةٍ وَاثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ سَنَةً، وَوَلَدَ بنِينَ وَبَنَاتٍ. ٢٧فَكَانَتْ كُلُّ أَيَّامِ مَتُوشَالَحَ تِسْعَ مِئَةٍ وَتِسْعًا وَسِتِّينَ سَنَةً، وَمَاتَ. ٢٨وَعَاشَ لاَمَكُ مِئَةً وَاثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ سَنَةً، وَوَلَدَ ابْنًا. ٢٩وَدَعَا اسْمَهُ نُوحًا سفر التكوين: ٥: ٢٥ - ٢٨].

فبناء على ذلك يكون عمر متوشالح عندما ولد نوح ثلاثمائة وتسع وستين سنة، فوجب من هذا ضرورة أن نوحاً عليه السلام كان ابن ستمائة سنة إذ مات متوشالح[(٣)].

[٦وَلَمَّا كَانَ نُوحٌ ابْنَ ستِّ مِئَةِ سَنَةٍ صَارَ طُوفَانُ الْمَاءِ عَلَى الأَرْضِ، ٧فَدَخَلَ نُوحٌ وَبَنُوهُ وَامْرَأَتُهُ وَنِسَاءُ بنِيهِ مَعَهُ إِلَى الْفُلْكِ مِنْ وَجْهِ مِيَاهِ الطُّوفَانِ. سفر التكوين: ٧: ٦ - ٧]، و[١٤وَفِي الشَّهْرِ الثَّانِي، فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الشَّهْرِ، جَفَّتِ الأَرْضُ. ١٥وَكَلَّمَ اللهُ نُوحًا قَائِلاً: ١٦«اخْرُجْ مِنَ الْفُلْكِ أَنْتَ وَامْرَأَتُكَ وَبَنُوكَ وَنِسَاءُ بنِيكَ مَعَكَ. سفر التكوين: ٨: ١٤ - ١٥].

يقول ابن حزم: "فوجب من هذا ضرورة لا محيد عنها أن (متوشالح بن حنوك) دخل السفينة، وأنه فيها مات قبل خروجهم منها بشهرين غير ثلاثة أيام، وقد قطع فيها وبت على أنه لم يدخل التابوت أحد من الناس إلا نوح وبنوه الثلاثة وامرأة نوح وثلاثة نساء

---

(١) انظر: «**أساطير التوراةالكبرى**» كارم عزيز (ص/٢١٦).

(٢) «**سفر التكوين في ميزان القرآن الكريم من آدم إلى إبراهيم**» صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار العلوم للنشر والتوزيع (عمان - الأردن)، ط١ (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م) (ص/١٠٦).

(٣) انظر: «**الفصل في الملل والأهواء والنحل**» ابن حزم (ص/٢١٠).

لأولاده،...وهذه كذبات فواضح نعوذ بالله من مثلها، لأن في نصوص توراتهم كما أوردنا: أن متوشالح لم يغرق، لأنه لو غرق لم يستوف تمام السنة الموفية ستمائة سنة لنوح وفي نصها أنه استوفاها. وأيضاً فإنه عندهم محمود ممدوح لم يستحق الهلاك قط، وأبطلوا أيضاً أن يكون دخل التابوت؛ إذ قطعوا بأنه لم يدخلها إنسي أعني السفينة إلا نوح وبنوه ونساؤهم، وأبطلو أن ينجو في غير التابوت بقطعهم أنه لم ينج إنس ولا حيوان في غير التابوت ولابد لمتوشالح من أحد هذه الوجوه الثلاثة، فلاح الكذب البحت في نقل توراتهم ضرورة"[1].

ويتعارض مع نص توراتي آخر أيضاً، إذ تقول التوراة: [19وَاتَّخَذَ لاَمَكُ لِنَفْسِهِ امْرَأَتَيْنِ: اسْمُ الْوَاحِدَةِ عَادَةُ، وَاسْمُ الأُخْرَى صِلَّةُ. 20فَوَلَدَتْ عَادَةُ يَابَالَ الَّذِي كَانَ أَبًا لِسَاكِنِي الْخِيَامِ وَرُعَاةِ الْمَوَاشِي. 21وَاسْمُ أَخِيهِ يُوبَالُ الَّذِي كَانَ أَبًا لِكُلِّ ضَارِبٍ بِالْعُودِ وَالْمِزْمَارِ. 22وَصِلَّةُ أَيْضًا وَلَدَتْ تُوبَالَ قَايِينَ الضَّارِبَ كُلَّ آلَةٍ مِنْ نُحَاسٍ وَحَدِيدٍ. التكوين: ٤: ١٩-٢٢]، وهذا دليل على أن نسل لامك لم ينقطع، مع أنه لم يدخل الفلك لعدم كونه من أولاد نوح، ولامك هو: ابن متوشالح بن أخنوخ بن يارد بن مهللئيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم، وفي ذلك دلالة على أن السفينة ركب فيها من آمن من الناس من غير نوح وأهله كما ورد في القرآن الكريم ﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾[هود: ٤٠]، وإذا لم يكن ذلك صحيحاً، فكيف بقي نسل لامك؟ فقوله: [الَّذِي كَانَ أَبًا لِسَاكِنِي الْخِيَامِ وَرُعَاةِ الْمَوَاشِي] دليل على عدم قطع سلسلة النسب بين هؤلاء وبين لامك، وكذلك قوله: [الَّذِي كَانَ أَبًا لِكُلِّ ضَارِبٍ بِالْعُودِ وَالْمِزْمَارِ]، يلزم عنه الاعتراف بأحد الأمرين، إما أن الطوفان خاص وهذا لا تقول به التوراة، وإما أن الكاتب قد تعمد ألا يذكر أن فريقاً من المؤمنين قد دخلوا الفلك من غير أبناء نوح، لأن غرضه إظهار بأن الله رب لليهود فقط[2].

والنوع الثاني: الكائنات الحية من حيوانات وطيور، على أن يكون عددها اثنين (ذكراً وأنثى) من كل نوع، وإلى جانب ذلك ما يحتاجه من الطعام، فينفذ نوح ما أمره به الرب (إلوهيم)[3]، تقول التوراة: [18وَلَكِنْ أُقِيمُ عَهْدِي مَعَكَ، فَتَدْخُلُ الْفُلْكَ أَنْتَ وَبَنُوكَ وَامْرَأَتُكَ وَنِسَاءُ بَنِيكَ مَعَكَ. 19وَمِنْ كُلِّ حَيٍّ مِنْ كُلِّ ذِي جَسَدٍ، اثْنَيْنِ مِنْ كُلٍّ تُدْخِلُ إِلَى الْفُلْكِ

(١) «**الفصل في الملل والأهواء والنحل**» ابن حزم (ص/٢١٠ - ٢١١).

(٢) انظر: «**نقد التوراة أسفار موسى الخمسة**» أحمد حجازي السقا (ص/١٢٥-١٢٦).

(٣) انظر: «**أساطير التوراةالكبرى**» كارم عزيز (ص/٢١٦).

لاسْتِبْقَائِهَا مَعَكَ. تَكُونُ ذَكَرًا وَأُنْثَى. [٢٠]مِنَ الطُّيُورِ كَأَجْنَاسِهَا، وَمِنَ الْبَهَائِمِ كَأَجْنَاسِهَا، وَمِنْ كُلِّ دَبَّابَاتِ الأَرْضِ كَأَجْنَاسِهَا. اثْنَيْنِ مِنْ كُلٍّ تُدْخِلُ إِلَيْكَ لاسْتِبْقَائِهَا. [٢١]وَأَنْتَ، فَخُذْ لِنَفْسِكَ مِنْ كُلِّ طَعَامٍ يُؤْكَلُ وَاجْمَعْهُ عِنْدَكَ، فَيَكُونَ لَكَ وَلَهَا طَعَامًا»[٢٢]فَفَعَلَ نُوحٌ حَسَبَ كُلِّ مَا أَمَرَهُ بِهِ اللهُ. هكَذَا فَعَلَ...التكوين: ٦: ١٨ - ٢٢].

إلى هنا تبدو الرواية متماسكة نوعاً ما[١]، ثم يأتي أمر مجدد من قبل الرب (يهوه) لنوح بدخول الفلك مع من حددهم له من قبل، لكن مع اختلاف بشأن عدد الكائنات الحية، فالحيوانات الطاهرة والطيور عددها سبعة (ذكراً وأنثى)، وغير الطاهرة عددها اثنان (ذكراً وأنثى)[٢]، [١]وَقَالَ الرَّبُّ لِنُوحٍ: ادْخُلْ أَنْتَ وَجَمِيعُ بَيْتِكَ إِلَى الْفُلْكِ، لأَنِّي إِيَّاكَ رَأَيْتُ بَارًّا لَدَيَّ فِي هذَا الْجِيلِ. [٢]مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ الطَّاهِرَةِ تَأْخُذُ مَعَكَ سَبْعَةً سَبْعَةً ذَكَرًا وَأُنْثَى. وَمِنَ الْبَهَائِمِ الَّتِي لَيْسَتْ بِطَاهِرَةٍ اثْنَيْنِ: ذَكَرًا وَأُنْثَى. [٣]وَمِنْ طُيُورِ السَّمَاءِ أَيْضًا سَبْعَةً سَبْعَةً: ذَكَرًا وَأُنْثَى. لاسْتِبْقَاءِ نَسْلٍ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ. التكوين: ٧: ١ - ٣].

والملاحظ هو تكرار التوصيات لكن مع مفارقات عجيبة؛ إذ بعد أن أمره بإدخال اثنين من كل نوع، نجده يأمره مجدداً باصطحاب سبعة من البهائم الطاهرة والطيور، واثنين من البهائم غير الطاهرة، وما يثير الغرابة أن كاتب النص التوراتي يذكر - في النهاية - أن نوحاً لن يحمل معه فعلاً في الفلك إلا زوجاً واحداً أي ذكراً وأنثى من كل نوع من الحيوانات[٣]، [٨]وَمِنَ الْبَهَائِمِ الطَّاهِرَةِ وَالْبَهَائِمِ الَّتِي لَيْسَتْ بِطَاهِرَةٍ، وَمِنَ الطُّيُورِ وَكُلِّ مَا يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ: [٩]دَخَلَ اثْنَانِ اثْنَانِ إِلَى نُوحٍ إِلَى الْفُلْكِ، ذَكَرًا وَأُنْثَى، كَمَا أَمَرَ اللهُ نُوحًا.التكوين: ٧: ٨ - ٩].

فالتوراة تارة تقول بأن الكائنات الحية التي حملها نوح في السفينة، زوج من كل نوع، وتارة أخرى تقول بأنه أخذ سبعة من كل نوع ذكر وأنثى من الحيوانات المسماة بالطاهرة، وزوجاً واحداً من الحيوانات المسماة بغير الطاهرة، والذي تحدد في النهاية أن نوحاً لم يدخل في السفينة إلا زوجاً من كل نوع من الحيوانات[٤]، فهل أمر الله نوحاً أن يأخذ (سبعة سبعة) أم (اثنين اثنين)؟ أم إن نوحاً - وحاشا لنبي ذلك - عصى أمر ربه؟ أم إن الكاتب قد

---

(١) انظر: مقال: «**رمزية القصص الديني في الفكر الكتابي**» نزار صميدة (ص/٣٥٤).

(٢) انظر: «**أساطير التوراة الكبرى**» كارم عزيز (ص/٢١٦ - ٢١٧).

(٣) انظر: مقال: «**رمزية القصص الديني في الفكر الكتابي**» نزار صميدة (ص/٣٥٤ - ٣٥٥).

(٤) انظر: «**القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم**» موريس بوكاي (ص/٥٤).

أخطأ؟ وإذا كان ذلك، فأي النصين صحيح، نص الأمر أم نص التنفيذ، علماً بأن هذا الأخير قد تكرر مرة ثانية[1].

والحق هو في الرواية التي تنص على إدخال اثنين من كل صنف؛ لأن الغرض استبقاء النسل وهو حاصل من ذكر وأنثى من جانب، ولو كان المقصود إدخال سبعة أزواج من كل صنف لكان عدد الحيوانات الداخلة إلى الفلك عدداً كبيراً يعجز عنه نوح فضلاً عن عدم سعة الفلك، وفي تلك الرواية عدم التمييز بين الحيوانات، فقد كانت جميعها في حِل، تقول التوراة: [كُلُّ دَابَّةٍ حَيَّةٍ تَكُونُ لَكُمْ طَعَامًا. التكوين: ٩: ٣]، فلم يكن التحريم موجوداً -ومن ثم اعتباره نجساً- إلا في شريعة موسى، وفي هذا استدلال على أن التوراة قد دونت بعد موسى عليه السلام[2].

ثم يعلم الرب نوحاً بإغراق الأرض ومن عليها بعد سبعة أيام عن طريق مطر يسقط على الأرض أربعين يوماً وأربعين ليلة[3]، [4لأَنِّي بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ أَيْضًا أُمْطِرُ عَلَى الأَرْضِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً. وَأَمْحُو عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ كُلَّ قَائِمٍ عَمِلْتُهُ. التكوين: ٧: ٤]، ويذكر تاريخ الطوفان في عام ستمائة من عمر نوح، حيث دخل نوح الفلك وأهله معه، [6وَلَمَّا كَانَ نُوحٌ ابْنَ ستِّ مِئَةِ سَنَةٍ صَارَ طُوفَانُ الْمَاءِ عَلَى الأَرْضِ، 7فَدَخَلَ نُوحٌ وَبَنُوهُ وَامْرَأَتُهُ وَنِسَاءُ بَنِيهِ مَعَهُ إِلَى الْفُلْكِ مِنْ وَجْهِ مِيَاهِ الطَّوفَانِ.التكوين: ٧: ٦ - ٧].

وعلى هذا يكون الطوفان قد وقع عندما كان عمر سام مائة عام، لكن في موضع آخر من السفر ذاته عندما كان عمر سام ثمانية وتسعين، "ومن ذلك أن سفر التكوين قد ذكر في الفقرة الثانية والثلاثين من الإصحاح الخامس أن نوحاً حينما بلغ خمسمائة سنة ولد له سام. وذكر في الفقرة السادسة من الإصحاح السابع أن الطوفان قد حدث حينما بلغ سام سن المائة. ثم ذكر بعد ذلك في الفقرة العاشرة من الإصحاح الحادي عشر من السفر نفسه أن سام حينما بلغ مائة سنة ولد له أرفخشاد وأن ذلك كان بعد سنتين من الطوفان. أي أن الطوفان قد حدث وسن سام ثمان وتسعون سنة لا مائة سنة كماذكر من قبل"[4].

---

(١) انظر: «**دراسات تاريخية من القرآن الكريم في العراق**» بيومي مهران (٤/٥٥).

(٢) انظر: «**نقد التوراة أسفار موسى الخمسة**» أحمد حجازي السقا (ص/١٢٦ - ١٢٧).

(٣) انظر: «**دراسات تاريخية من القرآن الكريم في العراق**» بيومي مهران (٤/٥١)، و«**أساطير التوراة الكبرى**» كارم عزيز (ص/٢١٧).

(٤) انظر: «**اليهودية واليهود**» علي عبد الواحد وافي (ص/٨٠ - ٨١).

ويذكر مرة أخرى بأن حدوث الطوفان كان بعد مرور سبعة أيام بالمياه السفلية التي تمثلت في انفجار ينابيع الغمر العظيم، والمياه العلوية التي تمثلت في مياه الأمطار، وذلك لمدة أربعين يوماً وأربعين ليلة، ثم يذكر تحديد دقيق للطوفان في اليوم السابع عشر من الشهر الثاني من عام ستمائة من حياة نوح، ويكرر المؤلف ذكر دخول نوح وأهله الفلك ومعهم الحيوانات والطيور، ومن ثم يغلق الرب على نوح الفلك(١)، [١٠وَحَدَثَ بَعْدَ السَّبْعَةِ الأَيَّامِ أَنَّ مِيَاهَ الطُّوفَانِ صَارَتْ عَلَى الأَرْضِ. ١١فِي سَنَةِ ستِّ مِئَةٍ مِنْ حَيَاةِ نُوحٍ، فِي الشَّهْرِ الثَّانِي، فِي الْيَوْمِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، انْفَجَرَتْ كُلُّ يَنَابِيعِ الْغَمْرِ الْعَظِيمِ، وَانْفَتَحَتْ طَاقَاتُ السَّمَاءِ. ١٢وَكَانَ الْمَطَرُ عَلَى الأَرْضِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً.١٣فِي ذلِكَ الْيَوْمِ عَيْنِهِ دَخَلَ نُوحٌ، وَسَامٌ وَحَامٌ وَيَافَثُ بَنُو نُوحٍ، وَامْرَأَةُ نُوحٍ، وَثَلاَثُ نِسَاءِ بَنِيهِ مَعَهُمْ إِلَى الْفُلْكِ.١٤هُمْ وَكُلُّ الْوُحُوشِ كَأَجْنَاسِهَا، وَكُلُّ الْبَهَائِمِ كَأَجْنَاسِهَا، وَكُلُّ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ كَأَجْنَاسِهَا، وَكُلُّ الطُّيُورِ كَأَجْنَاسِهَا: كُلُّ عُصْفُورٍ، كُلُّ ذِي جَنَاحٍ. ١٥وَدَخَلَتْ إِلَى نُوحٍ إِلَى الْفُلْكِ، اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ مِنْ كُلِّ جَسَدٍ فِيهِ رُوحُ حَيَاةٍ. ١٦وَالدَّاخِلاَتُ دَخَلَتْ ذَكَرًا وَأُنْثَى، مِنْ كُلِّ ذِي جَسَدٍ، كَمَا أَمَرَهُ اللهُ. وَأَغْلَقَ الرَّبُّ عَلَيْهِ. التكوين: ٧: ١٠ - ١٦].

ثم يعيد المؤلف ذكر مدة الطوفان مرة ثالثة بأنها أربعون يوماً وأربعون ليلة، ويتابع في سرد أحداث الطوفان واصفاً له كيف تكاثرت المياه، ورفعت الفلك على الأرض وتغطت جميع الجبال، وماتت جميع الكائنات الحية سوى نوح ومن معه(٢)، [١٧وَكَانَ الطُّوفَانُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا عَلَى الأَرْضِ. وَتَكَاثَرَتِ الْمِيَاهُ وَرَفَعَتِ الْفُلْكَ، فَارْتَفَعَ عَنِ الأَرْضِ. ١٨وَتَعَاظَمَتِ الْمِيَاهُ وَتَكَاثَرَتْ جِدًّا عَلَى الأَرْضِ، فَكَانَ الْفُلْكُ يَسِيرُ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ. ١٩وَتَعَاظَمَتِ الْمِيَاهُ كَثِيرًا جِدًّا عَلَى الأَرْضِ، فَتَغَطَّتْ جَمِيعُ الْجِبَالِ الشَّامِخَةِ الَّتِي تَحْتَ كُلِّ السَّمَاءِ. ٢٠خَمْسَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا فِي الارْتِفَاعِ تَعَاظَمَتِ الْمِيَاهُ، فَتَغَطَّتِ الْجِبَالُ. ٢١فَمَاتَ كُلُّ ذِي جَسَدٍ كَانَ يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الطُّيُورِ وَالْبَهَائِمِ وَالْوُحُوشِ، وَكُلُّ الزَّحَّافَاتِ الَّتِي كَانَتْ تَزْحَفُ عَلَى الأَرْضِ، وَجَمِيعُ النَّاسِ. ٢٢كُلُّ مَا فِي أَنْفِهِ نَسَمَةُ رُوحِ حَيَاةٍ مِنْ كُلِّ مَا فِي الْيَابِسَةِ مَاتَ. ٢٣فَمَحَا اللهُ كُلَّ قَائِمٍ كَانَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ: النَّاسَ، وَالْبَهَائِمَ، وَالدَّبَّابَاتِ، وَطُيُورَ السَّمَاءِ. فَانْمَحَتْ مِنَ الأَرْضِ. وَتَبَقَّى نُوحٌ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ فَقَطْ. التكوين: ٧: ١٨ - ٢٣]، وفي

---

(١) انظر: «**أساطير التوراة الكبرى**» كارم عزيز (ص/٢١٧).

(٢) انظر: «**دراسات تاريخية من القرآن الكريم في العراق**» (٤/٥١ - ٥٢)، و«**أساطير التوراة الكبرى**» كارم عزيز (ص/٢١٧ - ٢١٨).

ذلك وصف لهول الطوفان وعظمته حيث تكاثرت المياه حتى غطت أعالي الجبال وأهلكت كل حي على الأرض[1].

ويصف التلمود هول الطوفان وجزع الناس منه ونجاة الأبرار: "وعند مضي سبعة أيام قصفت الرعود والبروق في السماء فهزت أركان الأرض، وأظلم بهاء الشمس، وهطل مطر عظيم، وتجاوزت حدة العواصف كل ماعرفه الإنسان أو تخيله. هرع الناس إلى التابوت وتمسكوا به وصاحوا بنوح مستغيثين، فأجابهم: مئة وعشرون سنة مضت وأنا ألح عليكم لتسمعوا كلامي، أما الآن فهيهات، قد فاتتكم الفرصة.

وهطل المطر أربعين يوماً وأربعين ليلة بقوة هادرة، حتى أن أصحاب التابوت أصابهم الهلع والقلق، من خوفهم ألا يكون تابوتهم قادراً على تحمل هذا الجبروت الغامر. فراحت كل بهيمة في التابوت، على اختلاف أنواعها تصيح من الخوف والعجز، حتى أضحى الصخب هادراً ورهيباً "[2].

ويذكر الكاتب مدة أخرى للطوفان، بأن المياه تعاظمت على الأرض مدة مائة وخمسين يوماً، خلافاً لما ذكره سابقاً[3]. [٢٤وَتَعَاظَمَتِ الْمِيَاهُ عَلَى الأَرْضِ مِئَةً وَخَمْسِينَ يَوْمًا. التكوين: ٧: ٢٤].

وهذا الاختلاف سببه وجود روايتان في التوراة، إحداهما تنتمي إلى المصدر اليهوي والأخرى إلى المصدر الكهنوتي، ولا تأتي هاتان الروايتان كل إلى جانب الأخرى، وإنما تتشابكان وتتداخل عناصر إحداهما في عناصر الأخرى، وتتعاقب فقرات كل مصدر بالتبادل مع المصدر الآخر، ولا تتمتع بالوضوح إلا من حيث تعاقب الأحداث، كما توجد بين النصين تناقضات صارخة[4].

ويذكر جيمس فريزر[5] بأن نقاد العهد القديم قد أجمعوا على أن قصة الطوفان في سفر التكوين مصوغة من روايتين منفصلتين في أصلهما، ومتناقضتين تناقضاً جزئياً، لكن

---

(١) انظر: مقال: «**رمزية القصص الديني في الفكر الكتابي**» نزار صميدة (ص/٣٥٥).

(٢) «**التلمود كتاب اليهود المقدس**» تاريخه وتعاليمه ومقتطفات من نصوصه، أحمد إيبش، قدم له: أ. د. سهيل زكّار، دار قتيبة، د. ط (ص/٧٥).

(٣) انظر: «**أساطير التوراة الكبرى**» كارم عزيز (ص/٢١٨).

(٤) انظر: «**القرآن الكريم والتوراة والانجيل والعلم**» موريس بوكاي (ص/٢٤٨).

(٥) هو جيمس جورج فريزر، ولد في اسكوتلاندا سنة ١٨٥٤م، عالم انثروبولوجيا كبير، توفي سنة =

الكاتب (عزرا) مزج بينهما بطريقة فجة للغاية، بحيث لا يفوت القارئ لها ما فيهما من تكرار وتناقض، ولو كان القارئ غير مدقق[1].

وإن هاتين الروايتين مختلفتان اختلافاً بيّناً في الأسلوب والطبيعة، كما أنهما منتميتان إلى عصور مختلفة[2]، فالعناصر التفصيلية التي تتألف منهما قصة الطوفان تتميز بعضها عن بعض في اللفظ والمادة معاً، فمن الناحية الشكلية اختلاف اسم الرب في كلا المصدرين، فهو في المصدر اليهوي (يهوه)، وهو في المصدر الكهنوتي (إلوهيم)، ومن الناحية المادية تبرز الاختلافات بشكل واضح، حتى تصل في بعض الحالات إلى حد التناقض القاطع، مما يثبت أن هذه الحكايات من مصدرين منفصلين يقيناً[3]، والاختلافات المادية هي:

١- **سبب الطوفان.**

ترى الرواية اليهوية أن سبب الطوفان أن البشرية انحدرت إلى شر وغواية، بينما في الكهنوتية جاء قرار القضاء؛ لأن الأرض قد فسدت جميعاً[4].

٢- **عدد الحيوانات التي تم إدخالها إلى الفلك.**

جاء في النص أن الله أمر نوحاً [٢مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ الطَّاهِرَةِ تَأْخُذُ مَعَكَ سَبْعَةً سَبْعَةً ذَكَرًا وَأُنْثَى. وَمِنَ الْبَهَائِمِ الَّتِي لَيْسَتْ بِطَاهِرَةٍ اثْنَيْنِ: ذَكَرًا وَأُنْثَى. ٣وَمِنْ طُيُورِ السَّمَاءِ أَيْضًا سَبْعَةً سَبْعَةً: ذَكَرًا وَأُنْثَى. التكوين: ٧: ٢- ٣]، ثم نقرأ بعد ذلك في السفر ذاته بل وفي نفس الاصحاح[5]، [٨وَمِنَ الْبَهَائِمِ الطَّاهِرَةِ وَالْبَهَائِمِ الَّتِي لَيْسَتْ بِطَاهِرَةٍ، وَمِنَ الطُّيُورِ وَكُلِّ مَا يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ: ٩دَخَلَ اثْنَانِ اثْنَانِ إِلَى نُوحٍ إِلَى الْفُلْكِ، ذَكَرًا وَأُنْثَى].

ولعل سبب التناقض كما يرى جيمس فريزر أن المصدر اليهوي يميز بين الحيوانات الطاهرة وغير الطاهرة؛ لذا أخذ نوح سبعة من صنوف الحيوان الطاهر، واثنين من غير

(١٩٤١م)، من مؤلفاته: الغصن الذهبي - الطوطمية والزواج بغير ذوي القربى، انظر: موقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

(١) انظر: «**الفولكلور في العهد القديم**» جيمس فريزر، ترجمة: نبيلة إبراهيم، مراجعة: حسن ظاظا، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٧٢م)، د.ط (ص/١٠٦).

(٢) انظر: «**الفولكلور في العهد القديم**» جيمس فريزر، ترجمة (ص/١٠٦).

(٣) انظر: «**الفولكلور في العهد القديم**» جيمس فريزر (ص/١١١ - ١١٢).

(٤) انظر: «**دراسات تاريخية من القرآن الكريم في العراق**» بيومي مهران (٤/٥٥ - ٥٦).

(٥) انظر: «**دراسات تاريخية من القرآن الكريم في العراق**» بيومي مهران (٤/٥٤).

الطاهرة، إذ يقول بأن التفرقة بين صنوف الحيوان على أساس الطهارة والنجاسة كانت معروفة لدى الجنس البشري منذ العصور الأولى، بينما المصدر الكهنوتي لم يميز بينها، على أساس أن هذه التفرقة قد أوحى بها الرب لموسى لأول مرة، ومن ثم فإن نوحاً لم يكن يعرفها، فأدخل زوجين من كل صنف[1].

٣- عامل الطوفان ومدته.

إن عامل الطوفان هو ماء المطر حسب الرواية اليهوية، وماء المطر وينابيع الأرض حسب الرواية الكهنوتية، ومدة الطوفان في الرواية اليهوية حيث ظلت المياه تهطل مدة أربعين يوماً وأربعين ليلة، وظل نوح في الفلك ثلاثة أسابيع قبل أن ينحسر الماء، وبهذا تكون مدة الطوفان إحدى وستين يوماً، بينما في الحكاية الكهنوتية كانت مدة هطول الأمطار مائة وخمسون يوماً، ثم اخذت بعدها بالانحسار[2].

ويرى جيمس فريز بأن مدة الطوفان في العموم اثني عشر شهراً وعشرة أيام، حيث أن الشهور العبرية شهور قمرية، فإن الاثني عشر شهراً تقدر بثلاثمائة وأربعة وخمسين يوماً، وإذا أضيف اليها عشرة أيام، أصبحت المدة سنة شمسية كاملة، وبهذا يمكن الدعوى بأن الكاتب عاش في الزمن الذي استطاع به اليهود أن يصححوا الخطأ الكبير في تقويمهم القمري عن طريق مراقبتهم للشمس.

وبناء على ذلك فإن الموازنة بين الروايتين تؤكد النتيجة التي توصل إليها النقاد، وهي أنه في الأصل كانتا مستقلتين، والحكاية اليهوية أقدم من الكهنوتية، وأن الكاتب هو من قام بالمزج بينهما بطريقة فجة للغاية[3].

وبالمقارنة مع القرآن الكريم نجد أن التوراة اقتصرت على نوعين من حمولة السفينة وهما: الأول: نوح عليه السلام وأهله، والثاني: زوجين اثنين من كل المخلوقات، بينما القرآن الكريم أضاف إليهما نوعاً ثالثاً: وهو الفئة التي آمنت مع نوح عليه السلام، مع ذكره لاستثناء بعض

---

(١) انظر: «**الفولكلور في العهد القديم**» جيمس فريزر (ص/١١٢).

(٢) انظر: «**الفولكلور في العهد القديم**» جيمس فريزر (ص/١١٢)، «**القرآن الكريم والتوراة والإنجيل**» موريس بوكاي (ص/٥٤ - ٥٥)، «**دراسات تاريخية من القرآن الكريم في العراق**» بيومي مهران (٥٦/٤)، و«**أساطير التوراة الكبرى**» كارم عزيز (ص/٢٢٣).

(٣) انظر: «**الفولكلور في العهد القديم**» جيمس فريزر (ص/١١٢-١١٣).

أهل نوح، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴾[هود: ٤٠]

كما أن التوراة اختلفت عن القرآن الكريم في علامة الطوفان وهي مرور سبعة أيام، وذكرها لروايتين في كيفية حدوث الطوفان، إحداهما مياه السماء فقط، والأخرى مياه السماء والأرض معاً، وكذلك في مدة الطوفان تارة تذكرها أربعين يوماً وليلة وأخرى مائة وخمسون يوماً فضلاً عن التأريخ، بينما القرآن الكريم فعلامة الطوفان فيه فوران التنور، وكيفية حدوثه بماء السماء والأرض معاً، وبدون ذِكر لأي تأريخ، قال تعالى: ﴿ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ۝١١ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ﴾[القمر: ١١ - ١٢].

المطلب الثالث: انتهاء الطوفان واستقرار السفينة

تقول التوراة: [1ثُمَّ ذَكَرَ اللهُ نُوحًا وَكُلَّ الْوُحُوشِ وَكُلَّ الْبَهَائِمِ الَّتِي مَعَهُ فِي الْفُلْكِ. التكوين: ٨: ١]، ومعنى (ذكر) هنا ملتبس، إذ الفعل الذي استخدمه المؤلف وهو (وَيَّزكُرْ) يعني ذَكَر أو تذكَّر[١]، فالأول يشير إلى أن الرب ذكر نوحاً ومن معه برحمته، أي حفظهم من الطوفان، بينما الثاني (تذكر) يعني أن الرب كان قد نسي ركاب الفلك في غمارالأحداث، ثم عاد وتذكرهم وتذكر عهده معهم، وهو الراجح في رأي كارم عزيز؛ إذ لو كان الأول هو المراد لاستمر في وصف الطوفان وهوله ليبرز رحمة الرب لنوح ومن معه، لكن المؤلف أعقب موضع الالتباس مباشرة بوصف الأفعال التي قام بها الرب لينهي أحداث الطوفان، مما يوحي بدلالة التذكر فجأة بعد نسيان، حيث لجأ الرب بعد أن تذكر إلى إنهاء هذه الأحداث[٢].

وما ورد في التلمود يؤكد معنى التذكر: "توجه نوح إلى الله الأزلي ضارعاً: يا رب أتوسل إليك، نجّنا الساعة! فبغير عون في وجه هذه الشدة ترانا سنؤوب إليك. أنهار المياه تروّعنا، والموت يلتطم بين الأمواج حولنا. انظر بوجهك إلينا يارب! ارحمنا، أحينا وأنجدنا وخلصنا!"[٣].

ونتيجة تذكر الله لنوح ومن معه أرسل ريحاً على الأرض فسكنت المياه، وانقطعت مياه السماء وانسدت عيون الأرض، فتناقصت المياه وتراجعت عن الأرض[٤].[...وَأَجَازَ اللهُ رِيحًا عَلَى الأَرْضِ فَهَدَأَت الْمِيَاهُ 2وَانْسَدَّتْ يَنَابِيعُ الْغَمْرِ وَطَاقَاتُ السَّمَاءِ، فَامْتَنَعَ الْمَطَرُ مِنَ السَّمَاءِ. 3وَرَجَعَتِ الْمِيَاهُ عَنِ الأَرْضِ رُجُوعًا مُتَوَالِيًا. التكوين: ٨: ١ - ٣].

ثم يذكر النص بأن الموضع الذي استقر عليه الفلك هو جبال "أراراط"، مع التحديد لتاريخ الاستقرار في اليوم السابع عشر من الشهر السابع، ثم يعود فيذكر تناقص المياه إلى الشهر العاشر، وأن رؤوس الجبال ظهرت في اليوم الأول من الشهر العاشر[٥]، [4وَاسْتَقَرَّ

---

(١) انظر: «**قاموس عبري- عربي**» -ي قوجمان، ميلون عفري- عرافي، دار الرائد العربي للطباعة والنشر (القاهرة)، (ص/٢٢٣) نقلاً عن «**أساطير التوراة الكبرى**» كارم عزيز (ص/٢١٨).

(٢) انظر: «**أساطير التوراة الكبرى**» كارم عزيز (ص/٢١٨).

(٣) «**التلمود كتاب اليهود المقدس**» أحمد إيبش (ص/٧٦).

(٤) انظر: مقال: «**رمزية القصص الديني في الفكر الكتابي**» نزار صميدة (ص/٣٥٧).

(٥) انظر: «**أساطير التوراة الكبرى**» كارم عزيز (ص/٢١٨).

الْفُلْكُ فِي الشَّهْرِ السَّابِعِ، فِي الْيَوْمِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ، عَلَى جِبَالِ أَرَارَاطَ. ٥وَكَانَتِ الْمِيَاهُ تَنْقُصُ نَقْصًا مُتَوَالِيًا إِلَى الشَّهْرِ الْعَاشِرِ. وَفِي الْعَاشِرِ فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ، ظَهَرَتْ رُؤُوسُ الْجِبَالِ. التكوين: ٨: ٤ - ٥].

و"أراراط: هذا اللفظ العبري مأخوذ من الأصل الأكادي (أورارطو)، وقد أطلق هذا الاسم على بلاد جبلية تقع شمالي أَشّور، على أحد جبالها استقر فلك نوح، والقمة التي يطلق عليها اليوم جبل (أراراط) ترتفع إلى (١٦٩١٦) قدماً فوق سطح البحر"[١].

وفي النص ما يثير العجب، كيف أن الفلك قد رسا فوق جبال (أراراط)، والتي يبلغ ارتفاعها ٥١٥٦ متراً، بينما الجبال الذي يزيد ارتفاعها على ارتفاع أراراط كقمم الهملايا الأربع عشرة التي يبلغ ارتفاعها ٨٠٠٠ متراً أو القمم الأخرى (في أمريكا الجنوبية وإفريقيا)، لم تظهر إلا في اليوم الأول من الشهر العاشر أي بعد ستة أسابيع[٢].

يقول السقا: "الآية الرابعة: تثبت أن سفينة نوح عليه السلام استقرت في الشهر السابع على جبال أراراط...والآية الخامسة: تثبت أن ظهور الجبال كان في الشهر العاشر. فإذا كان ظهور الجبال في العاشر فكيف استقرت السفينة في السابع والرؤوس لم تظهر بعد؟ "[٣].

فانتهاء الطوفان في التوراة كان بإرسال ريح على الأرض، وإيقاف السماء وينابيع الأرض عن إطلاق المياه، ومن ثم أخذت المياه بالرجوع رجوعاً متوالياً، واستقرت السفينة على جبال أراراط، بينما في القرآن الكريم جاء الأمر للسماء والأرض فقط لإنهاء الطوفان، قال تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ﴾[هود: ٤٤]، واستقرار السفينة كان على جبل الجودي.

---

(١) «**قاموس الكتاب المقدس**» نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، هيئة التحرير: د.بطرس عبد الملك-د. جون ألكسندر طمسن- أ. إبراهيم مطر. د.ط، (ص/٣٣).

(٢) انظر: «**التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير**» ليوتاكسيل (ص/٧١).

(٣) «**نقد التوراة أسفار موسى الخمسة**» أحمد حجازي السقا (ص/١٢٧).

المطلب الرابع: خروج نوح من السفينة

استقرت السفينة على جبال أراراط، وبعد أن مضى أربعون يوماً فتح نوح نافذة السفينة، وبدأ بعملية إرسال الطيور لاستطلاع أحوال الأرض بعد الطوفان، فأرسل الغراب أولاً، ثم أرسل الحمامة؛ فعادت بعد فترة (لأنها لم تجد مقراً لرجلها)، ثم أرسلها ثانية بعد سبعة أيام، فعادت ومعها ورقة زيتون خضراء، ثم أرسلها الثالثة بعد سبعة أيام أخر، فلم تَعد إليه، عندها علم بأن الأرض قد جفت[1]، [٦وَحَدَثَ مِنْ بَعْدِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَنَّ نُوحًا فَتَحَ طَاقَةَ الْفُلْكِ الَّتِي كَانَ قَدْ عَمِلَهَا ٧وَأَرْسَلَ الْغُرَابَ، فَخَرَجَ مُتَرَدِّدًا حَتَّى نَشِفَتِ الْمِيَاهُ عَنِ الأَرْضِ. ٨ثُمَّ أَرْسَلَ الْحَمَامَةَ مِنْ عِنْدِهِ لِيَرَى هَلْ قَلَّتِ الْمِيَاهُ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ، ٩فَلَمْ تَجِدِ الْحَمَامَةُ مَقَرًّا لِرِجْلِهَا، فَرَجَعَتْ إِلَيْهِ إِلَى الْفُلْكِ لأَنَّ مِيَاهًا كَانَتْ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ. فَمَدَّ يَدَهُ وَأَخَذَهَا وَأَدْخَلَهَا عِنْدَهُ إِلَى الْفُلْكِ. ١٠فَلَبِثَ أَيْضًا سَبْعَةَ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَادَ فَأَرْسَلَ الْحَمَامَةَ مِنَ الْفُلْكِ، ١١فَأَتَتْ إِلَيْهِ الْحَمَامَةُ عِنْدَ الْمَسَاءِ، وَإِذَا وَرَقَةُ زَيْتُونٍ خَضْرَاءُ فِي فَمِهَا. فَعَلِمَ نُوحٌ أَنَّ الْمِيَاهَ قَدْ قَلَّتْ عَنِ الأَرْضِ. ١٢فَلَبِثَ أَيْضًا سَبْعَةَ أَيَّامٍ أُخَرَ وَأَرْسَلَ الْحَمَامَةَ فَلَمْ تَعُدْ تَرْجِعْ إِلَيْهِ أَيْضًا. التكوين: ٨: ٦ - ١٢].

ومن تلك الحادثة جعل اليهود الحمامة رمزاً للسلام، فقد رسموا للسلام حمامة وفي فمها غصن زيتون، وانتشر هذا الرمز اليهودي في العالم، فهو إذن من مظاهر تأثر العالم بالثقافة اليهودية[2].

ثم يأتي الكاتب برواية أخرى عن معرفة نوح لجفاف الأرض، وفي الإصحاح ذاته، وهي أن نوحاً كشف الغطاء فوجد وجه الأرض قد نشف، في أول الشهر الأول من السنة الحادية بعد الستمائة من حياة نوح، [١٣وَكَانَ فِي السَّنَةِ الْوَاحِدَةِ وَالسِّتِّ مِئَةٍ، فِي الشَّهْرِ الأَوَّلِ فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ، أَنَّ الْمِيَاهَ نَشِفَتْ عَنِ الأَرْضِ. فَكَشَفَ نُوحٌ الْغِطَاءَ عَنِ الْفُلْكِ وَنَظَرَ، فَإِذَا وَجْهُ الأَرْضِ قَدْ نَشِفَ. التكوين: ٨: ١٣]، ثم يعود ليذكر أن الأرض جفت في السابع

---

(١) انظر: «**دراسات تاريخية من القرآن الكريم في العراق**» بيومي مهران (٤/٥٢)، «**أساطير التوراة الكبرى**» كارم عزيز (ص/٢١٨)، ومقال: «**رمزية القصص الديني في الفكر الكتابي**» نزار صميدة (ص/٣٥٨).

(٢) انظر: «**سفر التكوين في ميزان القرآن الكريم**» الخالدي (ص/١١٥).

والعشرين من الشهر الثاني من نفس السنة[1]، [14وَفِي الشَّهْرِ الثَّانِي، فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الشَّهْرِ، جَفَّتِ الأَرْضُ. التكوين: ٨: ١٤].

بعد ذلك أمر الرب نوحاً بالخروج من السفينة ومن معه، ليعيدوا إحياء الأرض وإكثار النسل، فيستجيب نوح لأمر الرب[2]، [15وَكَلَّمَ اللهُ نُوحًا قَائلاً: 16اخْرُجْ مِنَ الْفُلْكَ أَنْتَ وَامْرَأَتُكَ وَبَنُوكَ وَنِسَاءُ بَنِيكَ مَعَكَ. 17وَكُلَّ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي مَعَكَ مِنْ كُلِّ ذِي جَسَدٍ: الطُّيُورِ، وَالْبَهَائِمِ، وَكُلَّ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ، أَخْرِجْهَا مَعَكَ. وَلْتَتَوَالَدْ فِي الأَرْضِ وَتُثْمِرْ وَتَكْثُرْ عَلَى الأَرْضِ. 18فَخَرَجَ نُوحٌ وَبَنُوهُ وَامْرَأَتُهُ وَنِسَاءُ بَنِيهِ مَعَهُ. 19وَكُلَّ الْحَيَوَانَاتِ، كُلَّ الدَّبَّابَاتِ، وَكُلَّ الطُّيُورِ، كُلَّ مَا يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ، كَأَنْوَاعِهَا خَرَجَتْ مِنَ الْفُلْكِ. التكوين: ٨: ١٥ - ١٩].

فالتوراة ذكرت بأن خروج نوح من السفينة ومن معه جاء بعد معرفة نوح لجفاف الأرض- وقد تعددت الروايات حولها- مع التفصيل في ذلك، وأما القرآن الكريم فقد ذكر خروج نوح عليه السلام من السفينة ومن معه لكن بدون ذكر لتلك التفاصيل، قال تعالى: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[هود: ٤٨].

(١) انظر: «**أساطير التوراة الكبرى**» كارم عزيز (ص/٢١٩).

(٢) انظر: مقال: «**رمزية القصص الديني في الفكر الكتابي**» نزار صميدة (ص/٢٥٩).

المطلب الخامس: عموم الطوفان

لقد تعرضت التوراة إلى مسألة عموم الطوفان؛ إذ تقول: [١٧وَكَانَ الطُّوفَانُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا عَلَى الأَرْضِ. وَتَكَاثَرَتِ الْمِيَاهُ وَرَفَعَتِ الْفُلْكَ، فَارْتَفَعَ عَنِ الأَرْضِ. ١٨وَتَعَاظَمَتِ الْمِيَاهُ وَتَكَاثَرَتْ جِدًّا عَلَى الأَرْضِ، فَكَانَ الْفُلْكُ يَسِيرُ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ. ١٩وَتَعَاظَمَتِ الْمِيَاهُ كَثِيرًا جِدًّا عَلَى الأَرْضِ، فَتَغَطَّتْ جَمِيعُ الْجِبَالِ الشَّامِخَةِ الَّتِي تَحْتَ كُلِّ السَّمَاءِ. ٢٠خَمْسَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا فِي الارْتِفَاعِ تَعَاظَمَتِ الْمِيَاهُ، فَتَغَطَّتِ الْجِبَالُ. ٢١فَمَاتَ كُلُّ ذِي جَسَدٍ كَانَ يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الطُّيُورِ وَالْبَهَائِمِ وَالْوُحُوشِ، وَكُلُّ الزَّحَّافَاتِ الَّتِي كَانَتْ تَزْحَفُ عَلَى الأَرْضِ، وَجَمِيعُ النَّاسِ. ٢٢كُلُّ مَا فِي أَنْفِهِ نَسَمَةُ رُوحِ حَيَاةٍ مِنْ كُلِّ مَا فِي الْيَابِسَةِ مَاتَ. ٢٣فَمَحَا اللهُ كُلَّ قَائِمٍ كَانَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ: النَّاسَ، وَالْبَهَائِمَ، وَالدَّبَّابَاتِ، وَطُيُورَ السَّمَاءِ. فَانْمَحَتْ مِنَ الأَرْضِ. وَتَبَقَّى نُوحٌ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ فَقَطْ. التكوين: ٧: ١٨ - ٢٣]

يقول عبد الوهاب النجار: "إن القرآن لم يتعرض لعموم كل الأرض بالطوفان، والتوراة تعرضت لذلك ونصت على أن الأرض قد علاها الماء خمسة عشر ذراعاً، وباد كل ذي حياة من إنسان ووحش وطير ودبابات على وجه الأرض"(١)، فالعهد القديم قد أعطى الطوفان طابعاً عاماً(٢).

وأرى الإشارة إلى عموم الطوفان قد كانت منذ البداية؛ إذ لم تتحدث التوراة عن قوم نوح، وإنما عن ذرية آدم ككل، [١وَحَدَثَ لَمَّا ابْتَدَأَ النَّاسُ يَكْثُرُونَ عَلَى الأَرْضِ، وَوُلِدَ لَهُمْ بَنَاتٌ، ٢أَنَّ أَبْنَاءَ اللهِ رَأَوْا بَنَاتِ النَّاسِ أَنَّهُنَّ حَسَنَاتٌ. فَاتَّخَذُوا لأَنْفُسِهِمْ نِسَاءً مِنْ كُلِّ مَا اخْتَارُوا. ٣فَقَالَ الرَّبُّ: «لاَ يَدِينُ رُوحِي فِي الإِنْسَانِ إِلَى الأَبَدِ، لزَيَغَانِهِ، هُوَ بَشَرٌ. وَتَكُونُ أَيَّامُهُ مِئَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً. ٤كَانَ فِي الأَرْضِ طُغَاةٌ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ. وَبَعْدَ ذلِكَ أَيْضًا إِذْ دَخَلَ بَنُو اللهِ عَلَى بَنَاتِ النَّاسِ وَوَلَدْنَ لَهُمْ أَوْلاَدًا، هؤُلاَءِ هُمُ الْجَبَابِرَةُ الَّذِينَ مُنْذُ الدَّهْرِ ذَوُو اسْمٍ. التكوين: ٦: ١ - ٤]، كما أنها اقتصرت في حمولة السفينة على نوح وأهله فقط؛ لتؤكد بأن نوحاً أبو البشرية الثاني، ومن نسله كانت البشرية، [٦وَلَمَّا كَانَ نُوحٌ ابْنَ سِتِّ مِئَةِ سَنَةٍ صَارَ طُوفَانُ الْمَاءِ عَلَى الأَرْضِ، ٧فَدَخَلَ نُوحٌ وَبَنُوهُ وَامْرَأَتُهُ وَنِسَاءُ بَنِيهِ مَعَهُ إِلَى الْفُلْكِ مِنْ وَجْهِ مِيَاهِ الطُّوفَانِ. التكوين: ٧: ٦ - ٧]، بل ونصت على ذلك، إذ تقول: [١٨وَكَانَ بَنُو نُوحٍ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنَ الْفُلْكِ سَامًا وَحَامًا وَيَافَثَ. وَحَامٌ هُوَ أَبُو كَنْعَانَ. ١٩هؤُلاَءِ الثَّلاَثَةُ هُمْ بَنُو

---

(١) «**قصص الأنبياء**» عبد الوهاب النجار (ص/٤٢ - ٤٣).

(٢) انظر: «**القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم**» موريس بوكاي (ص/٢٤٨).

نُوحٍ. وَمِنْ هؤُلاَءِ تَشَعَّبَتْ كُلَّ الأَرْضِ. التكوين: ٩: ١٨-١٩].

وقد انقسم مفسرو التوراة - يهود ومسيحيون - حول مسألة الطوفان إلى فئتين، الأولى تؤمن بعالميته، وهذه انقسمت إلى من يدافع عن العالمية تديناً وإيماناً بحرفية الكتاب، وإلى من يدافع عن عالميته لأهداف خاصة، والثانية تؤمن بمحليته، وهذه أيضاً انقسمت إلى من يؤيد محلية الطوفان؛ لأنه وجد من البراهين العلمية ما يسقط نظرية عالميته، مع التأكيد على قدسية التوراة لديه، وإلى من يُقر بمحدودية الطوفان؛ لأن القول بعالمية الطوفان يتضارب مع عقيدته بنظرية النشوء والتطور الداروينية.

وإن القائلين بعموم الطوفان اعتماداً على نصوص التوراة قد استدلوا بعدة أدلة منها، أن الماء غمر الأرض حتى أعلى جبل فيها، وأن جميع من في الأرض غرقوا إلا من كان في السفينة، وأن البقاء في السفينة أكثر من سنة دليل على عموم الطوفان، وكذلك الأمر بحمل جميع الكائنات لاستبقاء نسلها[١].

وأُجيب عن هذا بأن ظاهر النص التوراتي يوحي بعموم الطوفان، والسبب هو الترجمة - في رأي مؤلفي كتاب طوفان نوح بين الحقيقة والأوهام – إذ يقولون: "التوراة نفسها لا تصرح بعالمية الطوفان وإنما فسرت بعض ألفاظها وفهمت من قبل البعض ليثبتوا ذلك"[٢]، وقد ذكروا أمثلة على ذلك، فكلمة (حِرار) العبرية صارت (تلال) بالانجليزية، ثم صارت (الجبال الشامخة) بالعربية، ولفظ (الأرض) أو (كل الأرض)لا يعني كوكب الأرض، وإنما المنطقة التي حدث فيها الطوفان[٣]؛ إذ إن كلمة الأرض يعبر عنها في النص العبري ب (adamah) وتترجم في الانكليزية إلى عدة معان (soil: country, erth, ground, land)، ومرة أخرى يعبر عنها في النص العبري (erest-eh-rest) وتُقرأ أرص ومعناها الأرض في العربية، فالكلمة الواحدة لها معان واسعة فقد تعني العالم أو الحقل أو المدينة أو القطر، وبناء على اللفظ المختار يكون المعنى[٤]، وفضلاً عن هذا فقد افترض مفسرو

(١) انظر: «**طوفان نوح بين الحقيقة والأوهام**» جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية (ص/٢٠٤ - ٢٠٧).

(٢) «**طوفان نوح بين الحقيقة والأوهام**» جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية (ص/٢٠٧).

(٣) انظر: «**طوفان نوح بين الحقيقة والأوهام**» جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية (ص/٢٠٧).

(٤) انظر: «**طوفان نوح بين الحقيقة والأوهام**» جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية (ص/٣٧-٣٨).

التـوراة –أي القـائلين بـالعموم- افتراضـات غـير علميـة مـن أجـل إثبـات فكـرة عمـوم الطوفان، لاسيما في حمل نوح زوجين من جميع الكائنات[1].

ولكن الملاحظ هو أن نص التوراة واضح في إعطـاء الطوفـان طابعـاً عامـاً، وأن ميـل بعـض مفسـري التـوراة إلى القـول بالخصـوص نظـراً لتعارضـه مـع النظريـات العلميـة أو الاعتقادية، بينما نص القـرآن الكـريم عـن الطوفـان فمحتمـل بـين العمـوم والخصـوص، والراجح هو خصوصيته كما ذكرنا سابقاً.

وقد قدم موريس موكاي دليلاً على بطلان عمـوم الطوفـان في الروايـة التوراتيـة، مـن خلال ذِكر التوراة لزمن وقوع الطوفان وهـو في السـنة السـتمئة مـن عمـر نـوح، وإعطائهـا إشارات عن موقع نوح الزمني بالنسبة لآدم وبالنسبة لإبـراهيم علـيهم السـلام، وذلـك مـن خلال قائمة الأنساب، التي يظهر من خلالها أن نوحاً ولد بعد ١٠٥٦عامـاً مـن آدم، وبنـاء على ذلك يكون الطوفان قد وقع بعد ١٦٥٦عاماً من خلق آدم، وبالنسـبة لإبـراهيم فيحـدد الطوفان بـ ٢٩٢سنة قبل ميلاده.

ومع قول التوراة بأن الطوفان قـد عـمّ وأعـدم جميـع الكائنـات علـى الأرض، تكـون البشرية قد أعادت تكوين نفسها ابتداء من أولاد نوح وزوجـاتهم، بحيـث إنـه عنـدما يولـد إبراهيم بعد ذلك بثلاثة قرون تقريبـاً، فإنـه يجـد الإنسـانية قـد أعـادت تكـوين نفسـها في مجتمعات، فكيف يمكن لإعادة البناء هذه أن تتم في زمن قليل إلى هذا الحد؟ ثم يذكر بـأن هذه الملاحظة البسيطة تنزع عن النص أية معقولية.

وإن المعطيات التاريخية تُحيل اتفاق الرواية التوراتيـة مـع المعـارف الحديثـة، فعصـر إبراهيم –حسب الواقع-محدد بالسنوات ١٨٥٠ - ١٨٠٠ق.م، وإذا كان الطوفان قد حدث قبل ثلاثة قرون من إبراهيم، فإن الطوفان يقع في القـرن الحـادي أو الثـاني والعشـرين قبـل الميلاد، وهذا العصر قد ظهرت فيه حضارات، في نقاط مختلفة من الأرض، فعلـى سـبيل المثال بالنسبة لمصر هو تاريخ االفترة الوسطى الأولى قبل الأسرة الحادية عشرة، وفي بابـل أسرة أور الثالثة، ومن المعروف أنـه لم يحـدث انقطـاع في هـذه الحضـارات، وبالتـالي لم يحدث إعدام للبشرية برمتها كما تقول التوراة[2].

---

(١) انظر: «**طوفان نوح بين الحقيقة والأوهام**» جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية (ص/٢٠٧).

(٢) انظر: «**القرآن الكريم والتـوراة والإنجيـل والعلـم**» مـوريس بوكـاي (ص/٥٥ - ٥٦)، و«**أسـاطير التوراة الكبرى**» كارم عزيز (ص/٢٢٤ - ٢٢٥).

ثم يقول موريس موكاي: "عندما نعرف أن مؤلفاً مثل سفر التكوين قد عدل على الأقل مرتين، وهذا على مدى ثلاثة قرون، فكيف ندهش حين نجد أموراً غير معقولة، أو روايات يستحيل أن تتفق مع واقع الأشياء، منذ أن سمح تقدم المعارف البشرية -إن لم يكن معرفة كل شيء - فعلى الأقل بامتلاك معرفة كافية عن بعض الأحداث تسمح بإقامة الحكم على درجة اتفاق الروايات القديمة بهذه المعرفة. أي شيء أكبر منطقية إذن من من الاكتفاء بهذا التفسير لأخطاء نصوص التوراة، تلك التي لا تضع الإنسان إلا في موضع النقاش...؟ وإنه لمن المؤسف ألا يأخذ بهذا التفسير عامة المعلقين مسيحيين كانوا أو يهوداً "[1]، بينما رواية القرآن للقصة شاملة مختلفة، ولا تثير أي نقد من وجهة النظر التاريخية[2].

(١) «**القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم**» موريس بوكاي (ص/٥٦).

(٢) انظر: «**القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم**» موريس بوكاي (ص/٢٥٠).



المبحث الثالث

بناء نوح مذبحاً للرب وميثاق اللّه في العهد القديم

لقد خرج نوح ومن معه من السفينة، تقول التوراة: [18فَخَرَجَ نُوحٌ وَبَنُوهُ وَامْرَأَتُهُ وَنِسَاءُ بَنِيهِ مَعَهُ. 19وَكُلَّ الْحَيَوَانَاتِ، كُلَّ الدَّبَّابَاتِ، وَكُلَّ الطُّيُورِ، كُلَّ مَا يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ، كَأَنْوَاعِهَا خَرَجَتْ مِنَ الْفُلْكِ. التكوين: ٨: ١٨ - ١٩]، وبعدها بنى نوح مذبحاً للرب، وأصعد محرقات من الحيوانات الطاهرة على المذبح، ويبدو أن رائحة تلك المحرقات قد أغوت الرب (يهوه)، فقطع عهداً على نفسه بألا يلعن الأرض من أجل الإنسان، وذلك أنه تذكر أن الإنسان شرير منذ حداثته، ومن ثم لن يعود فيهلك الأحياء خلال أيام الأرض جميعاً[1]، [20وَبَنَى نُوحٌ مَذْبَحًا للرَّبِّ. وَأَخَذَ مِنْ كُلِّ الْبَهَائِمِ الطَّاهِرَةِ وَمِنْ كُلِّ الطُّيُورِ الطَّاهِرَةِ وَأَصْعَدَ مُحْرَقَاتٍ عَلَى الْمَذْبَحِ، 21فَتَنَسَّمَ الرَّبُّ رَائِحَةَ الرِّضَا. وَقَالَ الرَّبُّ فِي قَلْبِهِ: «لاَ أَعُودُ أَلْعَنُ الأَرْضَ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ الإِنْسَانِ، لأَنَّ تَصَوُّرَ قَلْبِ الإِنْسَانِ شِرِّيرٌ مُنْذُ حَدَاثَتِهِ. وَلاَ أَعُودُ أَيْضًا أُمِيتُ كُلَّ حَيٍّ كَمَا فَعَلْتُ. 22مُدَّةَ كُلِّ أَيَّامِ الأَرْضِ: زَرْعٌ وَحَصَادٌ، وَبَرْدٌ وَحَرٌّ، وَصَيْفٌ وَشِتَاءٌ، وَنَهَارٌ وَلَيْلٌ، لاَ تَزَالُ». التكوين: ٨: ٢٠ - ٢٢].

"والمذبح هو بناء يُبنى على مكان مرتفع، تُذبح عليه الذبائح لله، ثم تُحرق عليه تلك الذبائح لله، وتكون محرقات، وفي أسفار العهد القديم تفصيلات دقيقة مملة لبناء المذابح، وكيفية ذبح البهائم وحرقها عليها"[2].

فقصة القربان التي يشير إليها النص تنتمي إلى المصدر اليهوي وفقاً لاستخدامها الاسم (يهوه)، وهذا يؤكد بشكل ضمني القصة المنتمية إلى نفس المصدر، والتي تحدد عدد الحيوانات، والطيور الطاهرة (بسبعة: ذكراً وأنثى) وغير الطاهرة (باثنين: ذكراً وأنثى)، بينما تتناقض مع القصة المنتمية إلى المصدر الكهنوتي والتي حددت ذلك العدد (باثنين: ذكراًوأنثى) دون تمييز بين الطاهرة وغير الطاهرة.

وعلى هذا فتقديم القربان لا يتعارض مع العدد سبعة، حيث أنه سيبقى بعض الحيوانات والطيور بعد القربان تستطيع أداء وظيفتها التناسيلية للحفاظ على النوع، بينما لو كان الحمل اثنين فقط حسب الرواية الكهنوتية فالتعارض شديد، إذ لو قدم منه القربان لانقرض النوع، وبالتالي تعارض مع الهدف الذي من أجله حمل في السفينة وهو المحافظة على النوع[3].

---

(١) انظر: «**أساطير التوراة الكبرى**» كارم عزيز (ص/٢١٩ - ٢٢٠).

(٢) «**سفر التكوين في ميزان القرآن الكريم**» صلاح الخالدي (ص/١١٦).

(٣) انظر: «**أساطير التوراة الكبرى**» كارم عزيز (ص/٢١٩ - ٢٢٠).

وتذكر التوراة أن الرب بارك نوحاً وبنيه، مسلطاً إياهم على الكائنات الحية، ومذكراً إياهم بأنه عمل الإنسان على صورته[1]، وتالياً عليهم جملة من الوصايا التي هي بمثابة الشريعة الربانية، كتحريم قتل بعضهم بعضاً[2]، [1وَبَارَكَ اللهُ نُوحًا وَبَنِيهِ وَقَالَ لَهُمْ: أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلؤوا الأَرْضَ. 2وَلْتَكُنْ خَشْيَتُكُمْ وَرَهْبَتُكُمْ عَلَى كُلِّ حَيَوَانَاتِ الأَرْضِ وَكُلِّ طُيُورِ السَّمَاءِ، مَعَ كُلِّ مَا يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ، وَكُلِّ أَسْمَاكِ الْبَحْرِ. قَدْ دُفِعَتْ إِلَى أَيْدِيكُمْ. 3كُلُّ دَابَّةٍ حَيَّةٍ تَكُونُ لَكُمْ طَعَامًا. كَالْعُشْبِ الأَخْضَرِ دَفَعْتُ إِلَيْكُمُ الْجَمِيعَ. 4غَيْرَ أَنَّ لَحْمًا بِحَيَاتِهِ، دَمِهِ، لاَ تَأْكُلُوهُ. 5وَأَطْلُبُ أَنَا دَمَكُمْ لأَنْفُسِكُمْ فَقَطْ. مِنْ يَدِ كُلِّ حَيَوَانٍ أَطْلُبُهُ. وَمِنْ يَدِ الإِنْسَانِ أَطْلُبُ نَفْسَ الإِنْسَانِ، مِنْ يَدِ الإِنْسَانِ أَخِيهِ. 6سَافِكُ دَمِ الإِنْسَانِ بِالإِنْسَانِ يُسْفَكُ دَمُهُ. لأَنَّ اللهَ عَلَى صُورَتِهِ عَمِلَ الإِنْسَانَ. 7فَأَثْمِرُوا أَنْتُمْ وَاكْثُرُوا وَتَوَالَدُوا فِي الأَرْضِ وَتَكَاثَرُوا فِيهَا. التكوين: ٩: ١ - ٧].

وبعد ذلك يذكر النص وجود ميثاق قائم بين الله ونوح وبنيه ونسلهم من بعدهم، وكذلك جميع الكائنات الحية، وهو عدم إغراق الأرض بالطوفان بعد اليوم، [8وَكَلَّمَ اللهُ نُوحًا وَبَنِيهِ مَعَهُ قَائِلاً: 9وَهَا أَنَا مُقِيمٌ مِيثَاقِي مَعَكُمْ وَمَعَ نَسْلِكُمْ مِنْ بَعْدِكُمْ، 10وَمَعَ كُلِّ ذَوَاتِ الأَنْفُسِ الْحَيَّةِ الَّتِي مَعَكُمْ: الطُّيُورِ وَالْبَهَائِمِ وَكُلِّ وُحُوشِ الأَرْضِ الَّتِي مَعَكُمْ، مِنْ جَمِيعِ الْخَارِجِينَ مِنَ الْفُلْكِ حَتَّى كُلِّ حَيَوَانِ الأَرْضِ. 11أُقِيمُ مِيثَاقِي مَعَكُمْ فَلاَ يَنْقَرِضُ كُلُّ ذِي جَسَدٍ أَيْضًا بِمِيَاهِ الطُّوفَانِ. وَلاَ يَكُونُ أَيْضًا طُوفَانٌ لِيُخْرِبَ الأَرْضَ. التكوين: ٩: ٨ - ١١].

وقد جعل علامة الميثاق، هي قوس الرب في السحاب، فمتى نشر السحاب على الأرض وظهر القوس تذكر ميثاقه، فلا يكون طوفان يهلك كل ذي جسد على الأرض[3]، فالغرض من تلك العلامة وفقاً للنص، تذكر الرب للعهد الذي أقامه مع كل ذي نفس حية، وفي هذا نفي للقدرة الإلهية، إذ يجعله كالإنسان ينسى ويتذكر[4]، [12وَقَالَ اللهُ: «هذِهِ عَلاَمَةُ الْمِيثَاقِ الَّذِي أَنَا وَاضِعُهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَبَيْنَ كُلِّ ذَوَاتِ الأَنْفُسِ الْحَيَّةِ الَّتِي مَعَكُمْ إِلَى أَجْيَالِ الدَّهْرِ: 13وَضَعْتُ قَوْسِي فِي السَّحَابِ فَتَكُونُ عَلاَمَةَ مِيثَاقٍ بَيْنِي وَبَيْنَ الأَرْضِ. 14فَيَكُونُ مَتَى

---

(١) انظر: «**أساطير التوراة الكبرى**» كارم عزيز (ص/٢٢٠).

(٢) انظر: «**دراسات تاريخية من القرآن الكريم في العراق**» محمد بيومي مهران (٤/٥٢)، ومقال: «**رمزية القصص الديني في الفكر الكتابي**» نزار صميدة (ص/٣٥٩).

(٣) انظر «**أساطير التوراة الكبرى**» كارم عزيز (ص/٢٢٠)، و«**دراسات تاريخية من القرآن الكريم في العراق**» بيومي مهران (٤/٥٢).

(٤) انظر «**أساطير التوراة الكبرى**» كارم عزيز (ص/٢٢٠).

أَنْشُرْ سَحَابًا عَلَى الأَرْضِ، وَتَظْهَرِ الْقَوْسُ فِي السَّحَابِ، ١٥أَنِّي أَذْكُرُ مِيثَاقِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَ كُلِّ نَفْسٍ حَيَّةٍ فِي كُلِّ جَسَدٍ. فَلاَ تَكُونُ أَيْضًا الْمِيَاهُ طُوفَانًا لِتُهْلِكَ كُلَّ ذِي جَسَدٍ. ١٦فَمَتَى كَانَتِ الْقَوْسُ فِي السَّحَابِ، أُبْصِرُهَا لأَذْكُرَ مِيثَاقًا أَبَدِيًّا بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ كُلِّ نَفْسٍ حَيَّةٍ فِي كُلِّ جَسَدٍ عَلَى الأَرْضِ. ١٧وَقَالَ اللهُ لِنُوحٍ: هذِهِ عَلاَمَةُ الْمِيثَاقِ الَّذِي أَنَا أَقَمْتُهُ بَيْنِي وَبَيْنَ كُلِّ ذِي جَسَدٍ عَلَى الأَرْضِ. التكوين: ٩: ١٢ - ١٧].

ويعقب ليوتاكسيل على ذلك بأن: "النص المقدس يقول: "قوسي"، "أنا وضعت قوسي". وهذا يعني بوضوح، أن قوس قزح لم يكن موجوداً قبل الحدث. وبما أن قوس قزح يتشكل من انكسار أشعة الشمس وانعكاسها في قطرات الماء، فمن الجلي أن الأرض لم تعرف المطر كوسيلة للري، خلال القرون الفاصلة بين خلق العالم والطوفان، أي إن الشجر والنباتات كانت تنمو تلقائياً"(١).

ويذكر الخالدي بأن قوس قزح ظاهرة طبيعية تظهر عند انعكاس أشعة الشمس مختلفة الألوان على قطرات المطر النازلة على الأرض، فيراها الناس قوساً، له عدة ألوان، منها الأحمر والأصفر والأخضر والبني وغير ذلك، إلا أن الأحبار فسروها تفسيراً مسيئاً لله سبحانه(٢).

وهناك مجموعة من الآراء تتناول رمزية علامة العهد بين الله والمخلوقات، ومؤداها - في رأي كارم عزيز - أن قوس قزح قد وضع كرمز طبيعي أو مادي لذلك الميثاق، وهذه القصة على هذا الوجه تحتمل تفسيرين متناقضين: إما أن قوس قزح كان موجوداً مسبقاً ثم خصص رمزاً للميثاق بين الله وخلقه، وإما أن هذا القوس ظهر لأول مرة عقب الفيضان الذي اجتاح الأرض، كعهد من الله لخلائقه(٣).

وبالمقارنة مع القرآن الكريم نجد أن التوراة قد نصت على أن الله بارك نوحاً وبنيه وأوصاه بمجموعة من التشريعات، بينما القرآن الكريم اقتصر على ذكر السلام والبركات لنوح ومن معه- بنيه وغيرهم-، قال تعالى: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[هود: ٤٨]، وانفردت التوراة عنه بإضافات

(١) «**التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير**» ليوتاكسيل (ص/٧٣).
(٢) انظر: «**سفر التكوين في ميزان القرآن الكريم من آدم إلى إبراهيم**» الخالدي (ص/١١٨ - ١١٩).
(٣) انظر: «**أساطير التوراة الكبرى**» كارم عزيز (ص/٢٢١).

وهي بناء نوح مذبحاً للرب وجعل قوس قزح ميثاقاً بين الله تعالى ومخلوقاته، وقد نسبت إلى الرب من خلالها أوصاف بشرية كالنسيان والتذكر وأنه يشتم رائحة القربان.

فطغيان النزعة الأنثروبومورفية (أي تشخيص الإله في صورة بشرية) ظاهر على النص، وموجود في الروايتين (اليهوية والكهنوتية) معاً، وقد نسبتا إلى الرب بعض الأفعال التي تنفي عنه القدرة اللائقة بمفهوم الرب، وتهبط به إلى مستوى البشرية، فالرب ينسى ويتذكر ويشتم رائحة القربان وغير ذلك من الندم والحزن، وفي هذه الأفعال دلالات لا تليق بمفهوم الألوهية[1].

(١) انظر: «**أساطير التوراة الكبرى**» كارم عزيز (ص/٢٢٥).



المبحث الرابع

سكر نوح ولعنة كنعان في العهد القديم

انفردت التوراة بجزئية غير موجودة في القرآن الكريم ولاحتى في روايات الحضارات القديمة[1]، وهي أن نوحاً بعدما نجا من الطوفان شرب نبيذ العنب الذي غرس كرمه بيده، ففقد وعيه وانكشفت عورته، وكان الذي رآه على هذه الصورة ابنه "حام"؛ فسخر منه وحمل ذلك الخبر إلى أخويه "سام" و"يافث"، اللذين كانا أكثر منه أدباً؛ إذ حملا رداءً وسارا به نحو أبيهما وسترا عورته دون أن يبصراها، وعندما أفاق نوح من سكره وعلم بما صنع "حام"، لعن كنعان ودعا على نسله أن يكونوا عبيداً لعبيد أولاد سام ويافث[2]، تقول التوراة: [٢٠وَابْتَدَأَ نُوحٌ يَكُونُ فَلاَّحًا وَغَرَسَ كَرْمًا. ٢١وَشَرِبَ مِنَ الْخَمْرِ فَسَكِرَ وَتَعَرَّى دَاخِلَ خِبَائِهِ. ٢٢فَأَبْصَرَ حَامٌ أَبُو كَنْعَانَ عَوْرَةَ أَبِيهِ، وَأَخْبَرَ أَخَوَيْهِ خَارِجًا. ٢٣فَأَخَذَ سَامٌ وَيَافَثُ الرِّدَاءَ وَوَضَعَاهُ عَلَى أَكْتَافِهِمَا وَمَشَيَا إِلَى الْوَرَاءِ، وَسَتَرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا وَوَجْهَاهُمَا إِلَى الْوَرَاءِ. فَلَمْ يُبْصِرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا. ٢٤فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نُوحٌ مِنْ خَمْرِهِ، عَلِمَ مَا فَعَلَ بِهِ ابْنُهُ الصَّغِيرُ، ٢٥فَقَالَ: «مَلْعُونٌ كَنْعَانُ! عَبْدَ الْعَبِيدِ يَكُونُ لإِخْوَتِهِ».٢٦وَقَالَ: «مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلَهُ سَامٍ. وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ. ٢٧لِيَفْتَحِ اللهُ لِيَافَثَ فَيَسْكُنَ فِي مَسَاكِنِ سَامٍ، وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ». التكوين: ٩\٢٠ - ٢٦].

والأمر الأكثر غرابة هو التفسير الذي أتوا به، فقد جاء في التفسير التطبيقي للكتاب المقدس: "سكر نوح بطل الإيمان العظيم، ويا له من مثال سيّيء أمام أبنائه. ولعل هذه القصة كتبت في الكتاب لترينا أنه حتى الرجال الأتقياء يمكن أن يخطئوا، وأن تأثيرهم السيىء يمتد إلى عائلاتهم. ومع أن الناس الأشرار على الأرض قد هلكوا، إلا أن إمكانية عمل الشر ما زالت موجودة في قلوب نوح وعائلته"[3].

وإن قول التوراة: [٢٤فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نُوحٌ مِنْ خَمْرِهِ، عَلِمَ مَا فَعَلَ بِهِ ابْنُهُ الصَّغِيرُ، ٢٥فَقَالَ: «مَلْعُونٌ كَنْعَانُ! عَبْدَ الْعَبِيدِ يَكُونُ لإِخْوَتِهِ».٢٦وَقَالَ: «مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلَهُ سَامٍ. وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ. ٢٧لِيَفْتَحِ اللهُ لِيَافَثَ فَيَسْكُنَ فِي مَسَاكِنِ سَامٍ، وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ». التكوين: ٩\٢٤ - ٢٦]. فيه إقرار بالرق على شعب كنعان لدعوة دعاها نوح على كنعان ونسله[4]،

---

(١) انظر: «**طوفان نوح بين الحقيقة والأوهام**» جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية (ص/٧٢).

(٢) انظر: «**الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام**» علي عبد الواحد وافي، مكتبة نهضة (مصر-الفجالة) ط١ (١٣٨٤هـ-١٩٦٤م) (ص/٣٢-٣٣)، و«**دراسات تاريخية من القرآن الكريم في العراق**» بيومي مهران (٤/٥٢ - ٥٣).

(٣) «**التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**» (ص/٢٩).

(٤) انظر: «**الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام**» علي عبد الواحد وافي (ص/٣٣)

ويصرحون بهذا في تفسيرهم؛ إذ يقولون: "لعنة نوح لم تكن موجهة إلى أي جنس معين من البشر، بل إلى الأمة الكنعانية (وهي أمة كان الله يعلم أنها ستصبح أمة شريرة ورديئة)"[١].

ويتجلى بطلان ما سبق ذكره من خلال عدة ملاحظات وضُعت على النص فضلاً عن تناقضه مع نصوص من التوراة، ونذكر من ذلك:

١- إن اختصاص حام بالتعريف بأنه أبو كنعان دون تعريف أخويه سام ويافث، يدفع إلى التساؤل عن الخصوصية التي انفرد بها حتى دعي بذلك، لكن القصد من ذلك واضح وهو إقحام اسم كنعان تمهيداً للعنة فيما بعد.

٢- عندما يستيقظ نوح من سكرته ويعلم ما فعل حام يقوم بلعن حفيده كنعان ويدعو عليه بأن يكون عبداً لإخوته، فبدلاً من هذا كان عليه لعن حام، وأن يقول عن كنعان عبداً لأعمامه بدلاً من إخوته.

٣- لو سلمنا أن حاماً أخطأ مع نوح فاستحق ابنه اللعنة، لماذا تم التمييز بين سام ويافث، مع أنهما قاما معاً بستر عورة أبيهما؟

٤- إن حام دخل على أبيه فوجده متعرياً، وهو لا يعلم بهذا حسب نص التوراة، لذا فهو ليس مخطئاً، إنما المخطئ هو من علم (حيث دخل سام ويافث)، والتصرف الصحيح كان بعدم دخولهما لستر أبيهما؛ إذ يكتفى بواحد للقيام بذلك، أو عدم الدخول نهائياً؛ لأن وجوده في خبائه في حكم المستور[٢].

٥- إن كاتب التوراة قد وضع عقوبة لحام ومكافأة لسام، فهَب حام بن نوح أطغى من فرعون، فما ذنب كنعان وأولاده، وهب سام بن نوح خير خلق الله، ألم يجد واضع التوراة ما يكافئه به إلا أن يخص اليهود فقط من بين ذريته بهذه الغنيمة المهداة لهم وعبودية كنعان وأولاده[٣]، يقول أحمد عبد الوهاب: "وثمة تساؤل عن الظلم الفادح الذي أصاب كنعان بسبب تصرف نسب إلى أبيه حام، إذ من الواضح أن كنعان بريء تماماً من كل خطية تورثه اللعنة والعبودية أو حتى أقل منهما بمراحل كاللوم والتقريع. وإذا كان هناك من يُدان فهو بلا شك شخص آخر غير كنعان وأبيه حام"[٤].

---

(١) «**التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**» (ص/٢٩).

(٢) انظر: «**طوفان نوح بين الحقيقة والاوهام**» جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية (ص/٧٤ - ٧٧).

(٣) انظر: «**توراة اليهود والإمام ابن حزم الأندلسي**» قدم له وهذّبه ورتّبه وعلق عليه: عبد الوهاب عبد السلام طويلة، دار القلم (دمشق)، د.ط (ص/٢٣١).

(٤) «**النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام**» أحمد عبد الوهاب (ص/٣٣-٣٤).

٦- وصفت التوراة نوحاً بالرجل البار، [كَانَ نُوحٌ رَجُلاً بَارًّا كَامِلاً فِي أَجْيَالِهِ. التكوين: ٦\٩]، فكيف لهذا الرجل. بعد أن رأى آيات الله في الطوفان ونجا منه هو وعائلته. أن يشرب الخمر ولا يعي ما يفعل حتى وصل به الأمر إلى التعري، فيراه ابنه حام، الذي تجاوز من العمر مائة عام أو أكثر بنص التوراة وكتب التاريخ، ومن المفترض أن يفطن إلى ستر عورة أبيه دون إخباره إخوته، فيظهران على مستوى من الورع بحيث يغطيان عورة أبيهما ورجوعهما إلى الوراء، وبهذا تكون المباركة لسام واللعنة لكنعان.

٧- إن كنعان لم يرتكب ذنباً يجعله يستحق تلك اللعنة، وإغلاق باب التوبة وحرمانه منه مخالف لنص التوراة القائلة: [٢٠اَلنَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ. اَلابْنُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الأَبِ، وَالأَبُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الابْنِ. بِرُّ الْبَارِّ عَلَيْهِ يَكُونُ، وَشَرُّ الشِّرِّيرِ عَلَيْهِ يَكُونُ. ٢١فَإِذَا رَجَعَ الشِّرِّيرُ عَنْ جَمِيعِ خَطَايَاهُ الَّتِي فَعَلَهَا وَحَفِظَ كُلَّ فَرَائِضِي وَفَعَلَ حَقًّا وَعَدْلاً فَحَيَاةً يَحْيَا. لاَ يَمُوتُ..حزقيال: ١٨: ٢٠ - ٢١].

٨- إن الله بارك نوحاً وبنيه، تقول التوراة: [١وَبَارَكَ اللهُ نُوحًا وَبَنِيهِ وَقَالَ لَهُمْ: أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الأَرْضَ. التكوين: ٩: ١]، وأنه أخذ معهم ميثاق، [٨وَكَلَّمَ اللهُ نُوحًا وَبَنِيهِ مَعَهُ قَائِلاً: ٩وَهَا أَنَا مُقِيمٌ مِيثَاقِي مَعَكُمْ وَمَعَ نَسْلِكُمْ مِنْ بَعْدِكُمْ. التكوين: ٩: ٨ - ٩]، وحسب تلك النصوص فإن ميثاق الله وبركته لهم دون استثناء، ولعن نوح تكون مخالفة لأمر الله ونقضاً للميثاق(١).

٩- إن العاقل يتسائل على فرض صحة القصة، ما ذنب كنعان ليلعنه جده نوح لو فرضنا أن أباه أخطأ؟ ولما اختص كنعان من بين إخوته، فهو أحد أولاد حام، حسب نص التوراة(٢)، [٦وَبَنُو حَامٍ: كُوشُ وَمِصْرَايِمُ وَفُوطُ وَكَنْعَانُ. التكوين: ١٠: ٦]، وكيف لنوح أن يلعن شعباً لم يظهر إلى الوجود، فهل هذا تنبؤ بالمستقبل أم أن الكاتب أراد اسقاط الحاضر على الماضي السحيق(٣)، فضلاً عن هذا فرسل الله ليسوا سبابين ولا

---

(١) انظر: «**طوفان نوح بين الحقيقة والاوهام**» جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية (ص/٧٤، ٧٦-٧٧).

(٢) انظر: «**مغالطات اليهود وردها من واقع أسفارهم**» عبد الوهاب عبد السلام طويلة، دار القلم (دمشق)، د.ط (ص/٤٤٩).

(٣) انظر: «**الشخصيات الأسطورية في العهد القديم**» جميل خرطبيل (ص/٣٠).

لعانين، ولم يلعنوا إلا من لعنه الله من الكافرين والكاذبين والظالمين، وهذه الحادثة كلها لم تحدث، فلعنة نوح لكعنان لم تحدث أيضاً[1].

١٠- تقول التوراة: [٦وَبَنُو حَامٍ: كُوشُ وَمِصْرَايِمُ وَفُوطُ وَكَنْعَانُ. ٧وَبَنُو كُوشَ: سَبَا وَحَوِيلَةُ وَسَبْتَةُ وَرَعْمَةُ وَسَبْتَكَا. وَبَنُو رَعْمَةَ: شَبَا وَدَدَانُ. ٨وَكُوشُ وَلَدَ نِمْرُودَ الَّذِي ابْتَدَأَ يَكُونُ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ، ٩الَّذِي كَانَ جَبَّارَ صَيْدٍ أَمَامَ الرَّبِّ. لِذلِكَ يُقَالُ: كَنِمْرُودَ جَبَّارُ صَيْدٍ أَمَامَ الرَّبِّ. ١٠وَكَانَ ابْتِدَاءُ مَمْلَكَتِهِ بَابِلَ. التكوين: ١٠: ٦ - ١٠]، وهذا تكذيب لنوح في خبره-أن كنعان ونسله عبيد-، إذ وصف أن ولد أبي كنعان صاروا ملوكاً على إخوة بني كنعان وبنيهم[2]، فاللعنة لم ترافق نسل كنعان دائماً، فالحثيون عظموا بين قدماء الأمم، واشتهر الصيدونيون والفينيقيون بالتجارة وإن انحطوا في الروحيات بسبب عبادتهم للأوثان، فاليهود أيضاً قد عبدوا الأصنام على الرغم من أنهم من نسل سام كما يدعون[3].

ومما سبق نجد أن الإضافة-التي انفردت بها التوراة- تناقض نصوص التوراة والحقائق التاريخية، كما أنها منافية للأخلاق الإنسانية، لكن تم استغلالها من أجل وضع بذرة التمييز العرقي، وإرجاع نسب اليهود إلى سام، وتبرير السكنى لهم في أرض كنعان[4]، كما يظهر فيها تدنيس بيت النبوة، وإبراز العداوة لكنعان وذريته[5]، الذين لا ذنب لهم سوى أنهم سكنوا فلسطين التي يريدها اليهود[6]، ففي تلك الحادثة أبعاد ومقاصد، وهي:

١- تأصيل للنظرية الاسرائيلية القائلة باصطفاء بني اسرائيل ورفعهم - عرقياً وعنصرياً - فوق الكنعانيين، لكونهم أصحاب الأرض الذي استولى عليها بنو اسرائيل.

٢- تشنيع أول رسول بعث إلى أهل الأرض، وفي هذا تنفيذ لخطتهم الخبيثة في تشويه صورة الأنبياء عموماً، ورسل الله خصوصاً[7].

---

(١) انظر: «**سفر التكوين في ميزان القرآن الكريم**» صلاح الخالدي (ص/١٢٤).

(٢) انظر: «**الفصل في الملل والأهواء والنحل**» ابن حزم (١/٢١٢).

(٣) انظر: «**نقد التوراة أسفار موسى الخمسة**» أحمد حجازي السقا (ص/١٢٩ - ١٣٠).

(٤) انظر: «**طوفان نوح بين الحقيقة والأوهام**» جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية (ص/٧٩).

(٥) انظر: «**مغالطات اليهود وردها من واقع أسفارهم**» عبد الوهاب طويلة (ص/٤٤٩).

(٦) انظر: «**الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في العهد القديم**» محمد علي البار (ص/٧٠).

(٧) انظر: «**في مقارنة الأديان بحوث ودراسات**» محمد عبد الله الشرقاوي (ص/١٩٤ - ١٩٥).

ويقول أحمد عبد الوهاب: "ومن المحزن حقاً أن يكون مصدر الكتاب المقدس مصدر إلهام للمبشرين بالتفرقة العنصرية وسنداً قوياً يحتجون به، فقد أصدرت مجلة لايف عدداً خاصاً عن الكتاب المقدس، جاء فيه:

لا تزال حكومة جنوب إفريقيا تعتمد على ما جاء في سفر التكوين_الذي يصف أحد أبناء حام وهو كنعان بأنه عبد العبيد_لتبرير سيطرتها على السود وإذلالهم"[1].

وإن وصف نوح بالسكر والتعري ادعاء باطل ولا يؤيده القرآن الكريم، فالأنبياء -عليهم السلام- مترفعون عن أهواء النفس، وحياتهم محفوفة بالصبر والصدق والإخلاص، وهم قدوة لبني البشر[2]، ومثل هذه الادعاءات"من شأنها أن تترك انعكاسات سيئة على نفسية المؤمن التقي الورع، فيقول في نفسه: إذا كان هذا حال أنبياء الله ورسله، فلا حرج علينا العمل مثلهم، وهذه ثغرة يمكن أن يستغلها أصحاب النفوس المريضة للانزلاق في المعاصي والآثام"[3].

ويستحيل أن يحكي موسى عليه السلام هذا الكلام عن نبي مثله، فذلك لا يرضاه لنفسه أحد من كرام الناس، فكيف بصفوتهم، لكنه الحقد الإسرائيلي على خيرة البشر وهداتهم[4].

فانفراد التوراة بقصة يُوصف فيها نبي من الأنبياء بأوصاف قبيحة، دلالة على أن تلك الخاتمة من تلفيق مدوني التوراة لتحقيق مآربهم الخاصة من فعل المحرم بحجة أن نوحاً قد ارتكبه، وإثبات حق الصراع مع الكنعانين على قطع الأرض والجوار والآبار[5].

---

(١) «**النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام**» أحمد عبد الوهاب (ص/٣٤).

(٢) انظر: «**اليهود في القرآن الكريم**» عفيف طبارة (ص/٢٦٠).

(٣) «**اليهود في القرآن الكريم**» عفيف طبارة (ص/٢٦٠).

(٤) انظر: «**في مقارنة الأديان**»، الشرقاوي (ص/١٩٦).

(٥) انظر: «**طوفان نوح بين الحقيقة والاوهام**» جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية (ص/٧٢).

الفصل الثالث
قصة نوح عليه السلام في الدراسات المعاصرة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: قصة نوح في العلم الأركيولوجي والتنقيبات الحفرية.

المبحث الثاني: قصة نوح في الفكر المعاصر.

تمهيد:

لقد كان العهد القديم المرجع الوحيد لمعرفة تاريخ الشرق الأدنى القديم فضلاً عن التاريخ الإسرائيلي حتى بداية القرن التاسع عشر، حيث كانت الطفرة الهائلة التي تمت في ميدان الحفائر والاكتشافات الأثرية في هذه المنطقة، وكذا النجاح في قراءة كتابات قديمة كانت طلاسم وألغازاً، كالكتابات المصرية مثل الهيروغليفية[1] والهيراطيقية[2]، والكتابات المسمارية في العراق وما جاوره: كالسومرية والبابلية والآشورية والكنعانية وغيرها، بالإضافة إلى النصوص التي أميط عنها اللثام من الفينيقيين في لبنان، والقرطاجين في تونس، والآراميين في سوريا وغير ذلك، وبفضل هذا كله بدأت أضواء جديدة - علمية يقينية وتاريخية جديرة بالاعتبار - تزاحم المأثورات الشعبية، والعنعنات اليهودية، وتنازعها حق القيادة والتوجيه فيما يصل ببداية الفكر الإنساني وتاريخ الحضارة في هذه المنطقة، وساعد على ذلك عوامل عدة منها نزعة تحرر من سلطان الكهنوت، وسيادة الكنيسة، والثورة الاقتصادية والعلمية.

وبناء على ذلك رأى الباحثون - على اختلاف مللهم وعقائدهم - ضرورة إعادة النظر في كل المرويات الإسرائيلية التي كانت المعتمد الوحيد من دون مناقشة على مدى أجيال وأجيال من التاريخ[3].

وكان من بين تلك الاكتشافات الأثرية رواية الطوفان التي أشغلت الفكر الإنساني منذ القدم وحتى الآن. وهي رواية منتشرة في أغلب أنحاء العالم تقريباً، في آسيا وأستراليا وأمريكا الجنوبية والشمالية والوسطى، لكنها قليلة نسبياً في أوربا، وأقل منها في إفريقيا[4].

---

(١) كلمة يونانية قديمة، معناها الخط المقدس. ومنها الهيروغليفية، اسم أطلقه الغربيون على الكتابة المصرية القديمة المحفورة في قبور المصريين القدماء ومعابدهم، وكل ما يتصل بتراثهم. «**معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**». مصطفى عبد الكريم الخطيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، (ص/٤٣٥).

(٢) لفظ أغريقي اعتمده الغربيون كاصطلاح يقصدون به نوعاً من الخط السريع، يختصر من الإشارات والرموز الهيروغليفية، يكتب باليراع على قراطيس البردي أو على اللخاف والخشب والقماش، وقد أقر هذا اللفظ بمجمع اللغة العربية. «**معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**». مصطفى عبد الكريم الخطيب، (ص/٤٣٦).

(٣) انظر: «**الفكر الديني الاسرائيلي أطواره ومذاهبه**» حسن ظاظا (ص/٩ - ١٠).

(٤) انظر: «**الفولكلور في العهد القديم**» جيمس فريزر (ص/٢٠٤ - ٢٠٥).

وإن أصل قصص الطوفان كان موضع جدل، ومن خلال استقصاء العلماء حقيقة ما جاء في الوثائق الشعبية القديمة عن الطوفان- على الرغم من وجود الاختلاف في الوصف والنتائج والمسببات - تبين أن القصة تعود الى أصل واحد تناقلته الأجيال مشافهة حتى تعلموا الكتابة فسجلوه -في أزمنة وأماكن متعددة- في أكثر من وثيقة[1].

فالطوفان حادثة تاريخية واقعية حدثت في طيات الماضي البعيد، ونظراً لجسامته وفداحته، فقد ترك أثراً بليغاً في عقول الأجيال المختلفة، وتناقله بالروايات الشفوية هو من أوقع التشويه في تفاصيله التاريخية[2].

يقول البار: "ليس من المستغرب أن تعرف هذه القصة أمم أخرى بعيدة كل البعد عن مسرح هذه الأحداث؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد أخبرنا أنه أرسل إلى كل أمة رسولاً منها.. وهذا الرسول يخبر قومه بما أراد الله، ومن ذلك قصص الأمم الغابرة"[3].

ويقول هاون يحيى: "قصة الطوفان معروفة لدى كل شعوب العالم عن طريق الرسل الذين جاؤوا بدين الحق إلا أنها حرفت إلى أساطير مع انتقالها من جيل إلى جيل وزيد عليها ففسدت رواياتها"[4].

وعلى الرغم من تلك الأدلة وغيرها في إثبات القصة، وانتشار الحديث عنها في أدبيات الشعوب حتى لا تكاد أمة من الأمم تخلو عن حكايتها، إلا أنها تُعد من الأساطير في نظر بعض المعاصرين، ومن بينهم من يعتقد بالقرآن الكريم، لكن سبب قول هذا الأخير هو أنه يخشى على القرآن من القول بوجود أخطاء تاريخية فيه كما حصل مع التوراة، وقد كان لقوله دور في وسم بعض العلمانيين للنص القرآني بأنه أسطوري، ومن ثم السعي إلى تحقيق هدفهم المسبق وهو نزع القداسة عن القرآن الكريم.

---

(١) انظر: «**أساطير التوراة الكبرى**» كارم عزيز (ص/١٩٣).

(٢) انظر: «**ملحمة كلكامش أوديسة العراق الخالدة**» طه باقر (ص/١٥).

(٣) «**المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم**» محمد علي البار، دار القلم (دمشق)-الدار الشامية (بيروت)، ط١ (١٤١٠هـ-١٩٩٠م) (ص/١٥١).

(٤) «**الأمم البائدة**» هارون يحيى، ترجمة: ميسون نهلوي، مراجعة: أورخان محمد علي، د.ن، د.ط (ص/٣٢).

المبحث الأول

قصة نوح في العلم الأركيولوجي والتنقيبات الحفرية

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : قصة نوح والآثار.

المطلب الثاني : الطوفان في التنقيبات الحفرية.

المطلب الثالث : السفينة في التنقيبات الحفرية

المطلب الأول: قصة نوح والآثار

لقد أصبح الاعتقاد بكون التوراة أقدم مصدر تاريخي لقصة الطوفان مجرد وهم بناء على الاكتشافات الأثرية، فقدعثر عام ١٨٥٣م على نسخة من رواية الطوفان البابلية (في أحد ألواح ملحمة جلجامش)، وفي الفترة ما بين عامي ١٨٨٩ - ١٩٠٠م، اكتشفت أول بعثة أمريكية في العراق اللوح الطيني الذي يحتوي على القصة السومرية للطوفان في مدينة "نيبور" (نفر)[١].

أولاً: الرواية السومرية:

تعتبر الرواية السومرية أقدم الروايات المدونة في قصة الطوفان[٢]، وتنحصر مصادرها في مرجعين هما: "قائمة الملوك السومرية" و"لوح نفر"[٣].

أ- **قائمة الملوك السومرية:**

إن قائمة الملوك السومرية من الوثائق التاريخية الشهيرة، وقد ورد فيها ذكر الطوفان، وابتدأت الوثيقة بذكر أسماء الملوك الذين حكموا في وادي الرافدين منذ أقدم الأزمان، وحتى نهاية سلالة إيسن (٢٠٢٠ - ١٧٩٠ق.م)، وبعد ذكر المؤلف لأسماء الملوك والمدن التي حكموا فيها مع بيان المدة الزمنية لفترة الحكم، يأتي الحديث عن الطوفان الذي أغرق الأرض، ومن ثم نزول الملوكية ثانية إلى مدينة كيش (تل الأحيمر الآن)؛ إذ يقول: (ثم اكتسح الطوفان البلاد وبعد أن اكتسح الطوفان البلاد نزلت الملوكية ثانية في مدينة كيش)، وفي هذا دلالة على أهمية حادثة الطوفان من قبل المؤرخين الأقدمين في وادي الرافدين، بحيث إنهم صنفوا سلالتهم إلى سلالات حكمت قبل الطوفان وسلالات حكمت بعد الطوفان[٤].

---

(١) انظر: «**دراسات تاريخية من القرآن الكريم في العراق**» بيومي مهران (ص/٣١).

(٢) انظر: «**الفولكلور في العهد القديم**» جيمس فريزر (ص/٩٤).

(٣) انظر: «**أساطير التوراة الكبرى**» كارم عزيز (ص/١٩٩).

(٤) انظر: «**الطوفان في المراجع المسمارية**» فاضل عبد الواحد علي، د.ن، د.ط (ص/١٨ - ١٩)، «**دراسات تاريخية من القرآن الكريم في العراق**» بيومي مهران (ص/٣٨)، «**أساطير التوراة الكبرى**» كارم عزيز (ص/١٩٩-٢٠٠).

ب- **لوح نفر:**

وردت قصة الطوفان السومرية في لوح سومري تم العثور عليه في مدينة نفر، وكان "آرنو بوبل" أول من قام بنشره عام ١٩١٤م، ولا تزال ترجمته الأساس المعتمد إلى الآن لدى جميع الباحثين[١]، وإن هذا اللوح لم يصل كاملاً، وإنما وصل ما بقي منه وهو الثلث الأخير فقط، وفي نظر بعض الباحثين أنه دُوّن في شكله الحالي في العصر البابلي القديم في حدود (١٦٠٠ق.م)، إلا أنه نسخة من تأليف سومري أقدم من هذا التاريخ بقرون كثيرة ، وإن الإشارة إلى الطوفان قد وردت فعلاً في نصوص سومرية (أدبية – دينية) تتعلق بالملك اشمي دكان (١٩٥٣ - ١٩٣٥ق.م)[٢].

ويذكر جيمس فريزر أن من طابع الكتابة الذي كتبت به القصة السومرية يبدو أنها دونت فيما يقرب من عصر الملك البابلي الشهير "حمورابي"، أي أنها في حوالي سنة ٢١٠٠ق.م، وأنه من المؤكد أن القصة نفسها ترجع إلى عصر أقدم من ذلك بكثير؛ لأنه في هذا الوقت الذي كتب به اللوح لم يكن هناك وجود للسومريين كعنصر مستقر، فقد ذابو في المجتمع السامي ،كما أن لغتهم الأصلية قد أصبحت من قبل لغة ميتة، وذلك على الرغم من أن الكتبة والكهنة الساميين كانوا لا يزالون يدرسون الأدب القديم والنصوص المقدسة المحفوظة في ثنايا تلك الآداب، ويعيدون كتابتها، فقصة الطوفان السومرية المكتشفة تدعو إلى افتراض أنها ترجع إلى زمن سابق على احتلال الساميين لوادي الفرات، وأن هؤلاء الساميين قد أخذو الأسطورة - بعد هجرتهم إلى وادي الفرات - عن السومريين الذين سكنوا بابل قبلهم[٣].

وإن أهمية هذا اللوح لا تكمن في حادثة الطوفان فحسب، بل في العبارات التي تأتي في مقدمة قصة الطوفان كتمهيد لها، وتتناول تلك العبارات الحديث عن خلق الإنسان والحيوان والنبات وأصل الملكية، فضلاً عن الحديث عن خمس مدن ترجع إلى ما قبل فترة

---

(١) انظر: «**من ألواح سومر**» صمويل كريمر، ترجمة: طه باقر، مراجعة وتقديم: الدكتور: أحمد فخري، مكتبة المثنى ببغداد ومؤسسة الخانجي بالقاهرة، د.ط (ص/٢٥١)، و«**الطوفان في المراجع المسمارية**» فاضل عبد الواحد علي (ص/٢٠)، و«**دراسات تاريخية من القرآن الكريم في العراق**» بيومي مهران (٤/٣١).

(٢) انظر: «**الطوفان في المراجع المسمارية**» فاضل عبد الواحد علي (ص/٢٠ - ٢١).

(٣) انظر: «**الفولكلور في العهد القديم**» جيمس فريزر (ص/١٠٣).

الطوفان[1]، وذلك على الرغم مما في النص من كسر ونقص، فقد فقدت المقدمة والنهاية الخاصة بالنص، مع غموض في أكثر نواحيه، ويقدر النص بثلاثمائة سطر، وما تم العثور عليه حوالي المائة، ومع هذا فالخطوط الرئيسة موجودة[2].

وعندما ينتظم النص- بعد سبعة وثلاثين سطراً مفقودين- يُقرأ أن أحد الآلهة أراد إنقاذ الجنس البشري من الدمار، وأن الإنسان سوف يبني المدن والمعابد، ثم يعقب هذا الكلام ثلاثة أسطر تصعب معرفتها، ومن المرجح أنها متضمنة لما سوف يبذله الإله في سبيل الانقاذ، ثم يأتي أربعة أسطر عن خلق الإنسان والحيوانات، وبعدها ترد أسطر مفقودة، ثم يأتي الحديث عن الملكية من السماء وخمس مدن، ثم أسطر مفقودة ربما كانت الإشارة فيها عن إصرار الآلهة على الدمار، وحين يصبح النص مقروءاً تُظهر بعض الآلهة عدم رضاها عن ذلك القرار، وتتصل بالملك (زيوسودرا) الذي كان ذات يوم ملكاً وكاهناً للإله (إنكي) إله السومريين، يقوم على خدمته بخشوع ويطيل النظر الى المكان المقدس، ونتيجة ذاك الورع جاءت المكافأة، وهي الإخبار بالقرار الصادر عن مجمع الآلهة بالقضاء على الجنس البشري عن طريق عاصفة ممطرة، لكن قبل ذلك، جاء الطلب - من الإله إنكي - بالوقوف إلى جانب حائط، وقال له: (قف عند الحائط الذي يقع على جانبي الأيسر، وعند هذا الحائط سأسر إليك بكلماتي).

ومن المحتمل بعده أن يصف بناء السفينة، ولجوء "زيوسودرا" إليها، لكن غياب ذلك سببه فقدان شطر من اللوحة، ومن ثم نرى الانتقال من التحذير إلى موضوع الطوفان، فيصف العاصفة والأمطار وقد ثارت جميعاً، وتستمر الرواية فتقول: (وبعد أن هبت العاصفة الممطرة على الأرض سبعة أيام وسبع ليال، وبعد أن حملت الريح العاصف السفينة على المياه المضطربة، ظهر إله الشمس، وهو يسكب الضوء على السماء والأرض)، بعدها خرّ (زيوسودرا) ساجداً، وقدم ثوراً وضحية للإله، ثم يلي ذلك فجوة، وبعدها تقول القصة بأن "زيوسودرا" قد وُهب الخلود، بل حمل لقب المحافظ على سلالة

---

(١) انظر: «**دراسات تاريخية من القرآن الكريم في العراق**» بيومي مهران (٤/٣٢)، و «**من ألواح سومر**» صمويل كريمر (ص/٢٥٢)، «**أساطير التوراة الكبرى**» كارم عزيز (ص/٢٠٠).

(٢) انظر: «**دراسات تاريخية من القرآن الكريم في العراق**» بيومي مهران (٤/٣٢).

الجنس البشري، وسكن جبلاً اسمه "دلمون"[1]، وقد وقع خلاف حول موقعه، لكن قول غالبية العلماء بأنه في جزيرة البحرين الحالية أو الجزيرة والساحل المقابل لها[2].

ثانياً: الرواية البابلية:

بقيت الرواية البابلية حول الطوفان مجهولة لدى الباحثين قروناً طويلة لا يعرفون عنها سوى مقتطفات وردت في قصة "بيروسوس" التي كتبت باللغة اليونانية، إلى أن تم الاكتشاف عن طريق الحفائر التي حصلت في "نينوى"[3]، فأصبح لقصة الطوفان البابلية ثلاثة مصادر، ملحمة "أتراخاسيس" وملحمة "جلجامش" وقصة "بيروسوس"[4].

أ- ملحمة أتراخاسيس.

لقد اكتشف عدد لا بأس به من الرقم الطينية التي تحتوي على أجزاء من قصة الطوفان البابلية، وقد اصطلح على تسميتها بملحمة"أتراخاسيس" نسبة إلى بطلها، وأقدم هذه الرقم يعود إلى العصر البابلي القديم، وقد استنسخ زمن الملك البابلي"أمي - صدوقا" (١٦٤٦ - ١٦٢٦ق.م)، كما أن أغلبها جاء من مدينة سبار، وهناك نصان يعودان إلى العصر البابلي الوسيط، وكذلك عدد من الرقم يعود إلى العصر الاشوري الحديث حيث إنها وجدت في مكتبة آشور بانيبال في نينوى، وأغلبها وصلت مهشمة، وأحسنها حفظاً ثلاثة رقم تعود إلى العصر البابلي القديم زمن الملك آمي صدوقا، وقد كتبت من قبل ناسخ اسمه كو-إيا[5].

---

(١) انظر: «**الفولكلور في العهد القديم**» جيمس فريزر (ص/١٠٣ - ١٠٥)، و«**من ألواح سومر**» صمويل كريمر (ص/٢٥٤ - ٢٥٨)، و«**مغامرة العقل الأولى**» دراسة في الأسطورة، سوريا، أرض الرافدين، فراس السواح، د.ن، د.ط (ص/١٥٨)، «**الطوفان في المراجع المسمارية**» فاضل عبد الواحد علي (ص/٢١-٢٤)، «**دراسات تاريخية من القرآن الكريم في العراق**» بيومي مهران (٤/٣٣-٣٤)، و«**أساطير التوراة الكبرى**» كارم عزيز (ص/٢٠٠-٢٠٣).

(٢) انظر: «**دراسات تاريخية من القرآن الكريم في العراق**» بيومي مهران (٤/٣٦).

(٣) انظر: «**الفولكلور في العهد القديم**» جيمس فريزر (ص/٩٦).

(٤) انظر: «**أساطير التوراة الكبرى**» كارم عزيز (ص/٢٠٣).

(٥) انظر: «**الطوفان في المراجع المسمارية**» فاضل عبد الواحد علي (ص/٢٥)، و«**أساطير التوراة الكبرى**» كارم عزيز (ص/٢٠٣).

فالقصة وصلت موزعة على عدة كسرات ألواح، ومع ذلك فسياقها العام واضح ويمكن متابعتها[1]، وتعتبر هذه الملحمة أكمل من بعض الوجوه من قصة الطوفان الواردة في ملحمة جلجامش، حيث إنها توضح قرار"إنليل" بتدمير البشرية، وتشير المقارنة بينهما أن ملحمة "أتراخاسيس" كانت أحد المصادر المستخدمة من قبل مؤلف ملحمة "جلجامش"[2].

وتنص الملحمة على أنه قد سبق الطوفان الأمراض والأوبئة التي أرسلها الإله"إنليل" في محاولة للتقليل من البشر الذين بدأ تكاثرهم وضجيجهم يقض عليه مضجعه ويمنعه من النوم[3]، وكان "أتراخاسيس" يتوسل إلى الإله "إيا" في كل أزمة من الأزمات لطلب النجدة، لكن خطورة الطوفان دفعت الإله "إيا" في هذه المرة إلى الأخذ بزمام المبادرة و تحذير (أتراخاسيس) من الخطر الذي يهدد البشرية وحثه على الإسراع في بناء سفينة النجاة، وأوصاف هذا البناء غير واضحة بسبب تشويه مواضعها، وأما حمولة السفينة فجاءت مفصلة، وهي رجل الطوفان وأهله وصحبه ومؤن وأمتعة وعمال السفينة، وبعد صعودهم أخذ ينتظر حلول الطوفان، الذي كان موعده بعد سبع ليال[4].

ب- ملحمة جلجامش :

تعتبر ملحمة جلجامش أهم المصادر البابلية في الطوفان، بسبب العثور عليها كاملة دون نقص أو تشويه، ولدقة التعبير وجمال الأداء الأدبي فيها، فضلاً عن ذيوع صيتها في العالم القديم، وترجمتها إلى معظم لغات المنطقة القديمة[5].

وقد تم العثور عليها في مكتبة الملك آشور بانيبال (٦٦٨-٦٢٦ق.م)، وعلى الرغم من تعرض الألواح فيها إلى التهشم، ومن ثم تحولها إلى قطع متناثرة، فقد استطاع "جورج

---

(١) انظر: «**مغامرة العقل الأولى**» فراس السواح (ص/١٧١).

(٢) انظر: «**عظمة بابل موجز حضارة وادي دجلة والفرات القديمة**» ترجمة وتعليق: عامر سليمان - سيما روتوماج، فرنسا (١٩٧٩م)، هاري ساكز (ص/٤٦٠) نقلاً عن «**أساطير التوراة الكبرى**» كارم عزيز (ص/٢٠٤).

(٣) انظر: «**مغامرة العقل الأولى**» فراس السواح (ص/١٧١).

(٤) انظر: «**الطوفان في المراجع المسمارية**» فاضل عبد الواحد علي (ص/٦٩ - ٧٠، ٧٨، ٨١، ٨٣).

(٥) انظر: «**مغامرة العقل الأولى**» فراس السواح (ص/١٧٠).

سميث" عام ١٨٧٢م جمع القطع المتناثرة من ملحمة جلجامش بعضها إلى بعض، مكتوبة في اثني عشر لوحاً، ومحتوية على قصة الطوفان في لوحها الحادي عشر.

وتبدأ قصة الطوفان عندما فقد جلجامش صديقه، فأراد أن يبحث عن الخلود، فجاءه الجواب بأن الإنسان لم يكتب له ذلك، وتعجب جلجامش من هذه الإجابة التي صدرت عن شخص كان هو نفسه إنساناً فانياً ثم أصبح خالداً، فكان من الطبيعي أن يندفع جلجامش إلى سؤال جده "أوتنابشتم" كيف استطاع أن يهرب من تلك النهاية المحتمة لكل إنسان، فأخذ يجيبه عن ذلك من خلال حادثة الطوفان[١].

ويروي"أوتنابشتم" بأن الطوفان كان في مدينة "شورباك" التي قامت فيها آخر سلالة حاكمة قبل حدوث الطوفان، وفي النص أن الآلهة قد أخذت قراراً بفعل الطوفان[٢]دون بيان سبب واضح حوله، والذي يبدو أن "إيا" إله الحكمة قد أسف لقرار الآلهة وقرر أن ينقذ "أوتنابشتم"، عن طريق إفشاء سر الآلهة القاضي بإغراق العالم بواسطة الطوفان، (يا كوخ القصب، يا كوخ القصب!يا حائط، يا حائط!..يا رجل شورباك،..اهدم هذا المنزل، وابن سفينة..اترك مالك، وانشد الحياة)، وبناء على هذا التحذير، يقوم "أوتنابشتم" ببناء سفينة ذات مقاييس خاصة، ومن ثم يحمّلها ذرية من الكائنات الحية، ويقترب موعد الطوفان ويصعد "أوتنابشتم" إلى السفينة وتعصف الريح مسببة الطوفان بوساطة الأمطار الغزيرة، ويغرق الطوفان الأرض وتشملها العاصفة، وعند اقتراب اليوم السابع تهدأ العاصفة والطوفان، وتستقر السفينة على جبل نصير، وفي اليوم السابع من استقرارها يقوم "أوتنابشتم" بإرسال الحمامةثم السنونو ثم الغراب على التتابع، وهذا الأخير يجد الأرض يابسة فيذهب بعيداً ولا يعود إلى السفينة، عندها يعلم "أوتنابشتم" أن الطوفان قد انتهى، ويبدو أن انحسار الطوفان كان لخشية الآلهة من عدم العبادة، وأنها ستحرم من الذبائح التي تحرق تعبّدا لها، ويقرر أوتنابشتم أن يقدم القربان للآلهة، فتقبله وهي شاكرة، (وشمّت الآلهة الرائحة، شمّت الآلهة الرائحة العذبة، وتزاحموا كالذباب فوق القربان)، ثم ينال أوتنابشتم وزوجته مرتبة الألوهية من الآلهة، ويرتحل إلى مصب الأنهار حيث يستقر هناك

---

(١) انظر: «**الفولكلور في العهد القديم**» جيمس فريزر (ص/٩٦ - ٩٨).

(٢) انظر: «**الطوفان في المراجع المسمارية**» فاضل عبد الواحد علي (ص/٢٩).

في دلمون، (ومن الآن سيصير أوتنابشتم وزوجته إلهين مثلنا. سيعيشان بعيداً عنا، عند منبع النهر)[1].

ويذكر فاضل عبد الواحد بأن رواية الطوفان في ملحمة "جلجامش" لا تحتوي على التفاصيل الموجودة في ملحمة "أتراخاسيس" كخلق الإنسان وإنزال الوباء والقحط في الأرض، ويرى اعتماد ملحمة جلجامش بشكل أساسي على ملحمة "أتراخاسيس" سواء في الهيكل العام أو في المضمون أو حتى في بعض التعابير[2].

ج- قصة "بيروسوس".

عاش"بيروسوس" المؤرخ البابلي في القرن الثالث قبل الميلاد، وقام بكتابة تاريخ بلاده ومن ثم نشره باللغة اليونانية، إلا أن أعماله ضاعت كلها سوى مقتطفات حفظها المؤرخون الإغريق المتأخرون، وكان من بين تلك المقتبسات رواية "بيروسوس" عن الطوفان[3].

تتلخص القصة بأن"اكسيسوثروس" الملك العاشر الذي حكم بابل رأى الإله "كرونوس" في الحلم وأنبأه بإهلاك الحياة على الأرض بواسطة طوفان مدمر، آمراً إياه بكتابة ألواح عن بداية كل شيء وتطوره ونهايته ومن ثم طمر تلك الألواح في مدينة"سيبار"، كما أمره ببناء سفينة يقلع فيها هو وعائلته وأقرباؤه، وأن يحمل فيها من الحيوانات الحية من كل ما يطير أو يدب على الأرض، وتم بناء الفلك ونفذ تعليمات الإله، وبعدها تم إغراق الأرض، ثم انحسر الطوفان، وفور ذلك أطلق "أكسيسوثروس"سراح بعض الطيور، أكثر من مرة، وعندما أطلقها ولم تعد، علم بأن الأرض قد جفت، وما لبثت أن استوت السفينة على أحد الجبال ولم تعد تتحرك، فنزل من السفينة ومن معه، فسجد على الأرض وبنى مذبحاً وقدم قرباناً للآلهة[4].

---

(١) انظر: «**أساطير التوراة الكبرى**» كارم عزيز (ص/٢٠٦ - ٢٠٨)، و«**الفولكلور في العهد القديم**» جيمس فريزر (ص/٩٨ - ١٠١).

(٢) انظر: «**الطوفان في المراجع المسمارية**» فاضل عبد الواحد علي (ص/٢٩).

(٣) انظر: «**مغامرة العقل الأولى**» فراس السواح (ص/١٧٩).

(٤) انظر: «**مغامرة العقل الأولى**» فراس السواح (ص/١٧٩ - ١٨٠)، «**الفولكلور في العهد القديم**» جيمس فريزر (ص/٩٤ - ٩٥)، «**أساطير التوراة الكبرى**» كارم عزيز (ص/٢٠٨)، و«**دراسات تاريخية من القرآن الكريم في العراق**» بيومي مهران (٤/٤٨).

والملاحظ أن القصة السومرية والبابلية متفقتان في الملامح الأساسية، ففي كلتا القصتين قرّر إله كبير أن يهلك الجنس البشري عن طريق إغراق الأرض بالأمطار، وحذّر إله آخر من الكارثة حيث أنقذ هذا الرجل ومن معه عن طريق سفينة تم بناؤها، وفي كلتيهما بلغ الطوفان ذروته في اليوم السابع، وقدم الإنسان ضحية للآلهة بعد أن انتهى الطوفان، ولا يظهر الخلاف بينهما سوى باسم البطل فهو "زيوسودرا" في السومرية و"أوتنابشتم" في البابلية[1]، لكن الأب سهيل قاشا يرى التشابه حتى في هذا، إذ يقول: "زيوسودرا كان بطل الطوفان السومري، والكلمة تعني (الذي وضع يده على العمر المديد) وذلك اعتماداً على ما أعطته إياه الآلهة من حياة سرمدية بعد الطوفان. أما اسم أوتنابشتم البطل البابلي (الذي رأى الحياة) والاسم مشتق من طبيعة المكافأة التي نالها من إنقاده الحياة على الأرض وهنا تتشابه المسألة (العمر المديد) بين بطلي الطوفان السومري والبابلي ونوح الذي عاش ٩٠٠ سنة"[2].

وهناك من يرى بأن القصة البابلية مأخوذة من الرواية السومرية مع إضافات عليها، فيقول: "تأثر الكتاب البابليون بقصة الطوفان السومرية بصورة مباشرة فأخذوا موضوعها وخطوطها العريضة ولكنهم أضافوا إليها، كما فعلوا ذلك بالنسبة لمعظم التآليف الأدبية ذات الأصل السومري، جوانب وآفاق وشخصيات جديدة مما أسفر عن ظهور نتاج أدبي جيد في شكله قديم في أصوله"[3].

ولقد جرت عدة تفاسير حول الأصل الذي ألهم سكان بلاد الرافدين تلك الأسطورة، فمنها أنه حدوث فيضان قاس استثنائي جعله في مخيلة الشرقيين طوفاناً عالمياً، أو حدوث جائحة كبيرة شملت كل أرض وادي الرافدين، فأثارت مخيلة سكانه، لكن تلك التفسيرات لا تقدم إجابة على اثنتين من الحقائق المهمة وهما:

١- تأكيد القصص السومرية والبابلية على أن الطوفان لم ينتج عن فيضان نهري دجلة والفرات.
٢- أن أسطورة الطوفان لا تعود إلى منطقة الشرق الأدنى القديم، وإنما شائعة في أنحاء العالم.

---

(١) انظر: «**الفولكلور في العهد القديم**» جيمس فريز (ص/١٠٥).
(٢) «**تاريخ الفكر في العراق القديم**» الأب سهيل قاشا، مكتبة السائح، د.ط (ص/٥٦).
(٣) «**الطوفان في المراجع المسمارية**» فاضل عبد الواحد علي (ص/٢٤-٢٥).

وعلى هذا فإما أن يكون الطوفان محض أسطورة اخترعتها الشعوب البدائية كي تمحو شريحة طويلة مجهولة من الماضي، أو أن الطوفان قد حدث فعلاً ولكن في عصور ما قبل تاريخية مبكرة جداً[1]، والحقيقة في الاحتمال الثاني، إذ إن ترديد هذا الحدث ضمن الأساطير يؤكد وقوعه[2].

وقد"أثيرت الشكوك حول القيمة التاريخية للأساطير والملاحم القديمة نظراً لما يرد فيها من أوصاف غير واقعية، ولاعتمادها على الخيال والرمز، وتحويرها للشخصيات إلى غير ذلك من الأمور التي تبتعد بالأسطورة عن الواقع الفعلي لحياة شخوصها. ومع ذلك فهذا كله لا يعني أن الأسطورة ليست لها قيمة تاريخية... فالأسطورة تعبير أدبي عن أنشطة الإنسان القديم الذي لم يكن قد طور بعد أسلوباً للكتابة التاريخية يعينه على تسجيل أحداث يومه. فكانت الأسطورة هي الوعاء الذي وضع فيه خلاصة فكره، والوسيلة التي عبر عنها عن هذا الفكر وعن الأنشطة الإنسانية المختلفة التي مارسها"[3].

فالأسطورة يبقى فيها جانب من الحقيقة. وفي النظر إلى التاريخ والأسطورة نجد تشابهاً بينهما من حيث الوظيفة والطبيعة، وكأنهما وجهان لعملة واحدة، والحقيقة أن التاريخ ليس كله وصفاً للحقيقة، وكذلك الأسطورة ليست كلها للخيال، وهناك علاقة ثنائية بين الأسطورة والتاريخ، تسمح ببعض الخيال في الوصف التاريخي، كما تسمح ببعض الواقعية في الوصف الأسطوري[4].

ثالثاً: الرواية التوراتية وروايات السومريين والبابليين:

لقد دفع التشابه الكبير -بين روايات السومريين والبابليين والرواية التوراتية- النقاد إلى الإجماع على أن الرواية التوراتية حول الطوفان استعيرت من أصول سابقة -سومرية أو بابلية - استناداً إلى النصوص التي تم الكشف عنها، ولكن ليس حتماً وبالضرورة، فقد

---

(١) انظر: العراق القديم، جورج رو، ترجمة وتعليق: حسين علوان حسين، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد)، (١٩٨٦م) (ص/١٦٣) نقلاً عن «**أساطير التوراة الكبرى**» كارم عزيز (ص/٢٠٩).

(٢) انظر: «**عورة نوح ولعنة كنعان وتلفيق الأصول**» أحمد الدبش، خطوات للنشر والتوزيع، ط١ (٢٠٠٧م) (ص/٥٧).

(٣) «**الأسطورة والتاريخ في التراث الشرقي القديم**» دراسة في ملحمة جلجامش، محمد خليفة حسن أحمد، عين الدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية (١٩٩٧م) (ص/٢٧).

(٤) انظر: «**الأسطورة والتاريخ في التراث الشرقي القديم**» محمد خليفة حسن (ص/٢٧).

كانت القصة شائعة بين الشعوب القديمة، ولعل الرواية العبرية استقت عناصرها من روايات أخرى، ضاعت أصولها أو أنها لا تزال في طي الغيب، ولم تتهيأ الظروف للكشف عنها، كما كانت الحال بالنسبة للرواية السومرية قبل عام ١٩١٤م[١].

ويكاد يوجد اتفاق بين العلماء أمثال"ليونارد وولي[٢]" و"ول ديورانت[٣]" و"جيمس فريزر" وغيرهم على أن الرواية العبرية ليست أصيلة، وإنما أخذها الإسرائيليون من ميزوبوتاميا (بلاد ما بين النهرين)، لكنها لم تنقل بطريقة عمياء، وإنما تصرفوا فيها بطريقة تتفق وأهداف كتابهم المقدس، ذلك لأن القصة التوراتية هي نفس القصة التي وجدت على ألواح مكتوبة منذ فترة ترجع إلى ما قبل عصر إبراهيم عليه السلام[٤].

والرواية البابلية أقدم من الرواية العبرية بما يقرب أحد عشر أو اثني عشر قرناً، فضلاً عن الإشارة العبرية إلى المكان القابل لحدوث الطوفان مثل بابل، الأمر الذي لا يدع مجالاً للشك أنها نشأت في بابل ثم انتقلت إلى فلسطين، والقصتان لا تتفقان بالأمور الأساسية فقط، وإنما يمتد ذلك إلى التفصيلات الجزئية بحيث لا يمكن القول بأن ذلك محض الصدفة[٥]، يقول طه باقر: "وبالنظر لأوجه الشبه الكثيرة بين رواية الطوفان في ملحمة جلجامش وبين رواية التوراة فإننا نعتقد أن كلتا الروايتين ترجع إلى حادثة واحدة، وإن هذه

---

(١) انظر: «**دراسات تاريخية من القرآن الكريم في العراق**» بيومي مهران (٤/٥٨).

(٢) هو تشارليز ليونارد وولي، عالم آثار بريطاني، ولد في لندن سنة (١٨٨٠م)، كانت اهتماماته متوجهة نحو الشرق الأوسط، يُنسب إليه اكتشاف مدينة أور الأثرية جنوب العراق بين عامي (١٩٢٢ - ١٩٢٤م)، كشف عن عدد من المباني الدينية بالقرب من الزقزورات والتي تبرز سمات عديدة للعمارة السومرية، كما عثر على عدد من المقابر الملكية المشهورة بالجواهر خاصة في عصر بداية الأسرة الثالثة حوالي ٢٥٠٠ق.م، وله اكتشافات أخرى، توفي سنة (١٩٦٠م). انظر: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

(٣) هو ويليام جيمس ديورانت، فيلسوف ومؤرخ وكاتب أمريكي، ولد سنة ١٨٨٥م، من مؤلفاته: مرحلة التحول، قصة الفلسفة، قصة الحضارة، توفي سنة (١٩٨١م) في كاليفورنيا. انظر: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة..

(٤) انظر: «**دراسات تاريخية من القرآن الكريم في العراق**» بيومي مهران (٤/٦١ - ٦٢).

(٥) انظر: «**الفولكلور في العهد القديم**» جيمس فريزر (ص/١١٣، ١١٥).

الحادثة وقعت في العراق القديم، ولاسيما في القسم الجنوبي منه، أي في السهل الرسوبي"[1].

وقد برّر الأب ديفو وجود التشابه للقصة بين اللوحات البابلية والتوراة؛ إذ يقول: "إذا كانت التوراة قد تحدثت عن ذكريات سيل واحد مخرب أو أكثر من واحد، وقع بوادي دجلة والفرات، وأنه إذا كان التراث قد ضخم أبعاد كارثة عالمية، فإن ذلك لا يهم لأن جوهر المسألة هو أن الكاتب الديني قد حمّل هذه الذكرى بتعاليم أزلية عن عدل ورحمة الله، وعن خبث الإنسان والخلاص الممنوح للعادل"[2].

وهناك من يرى فارقاً بين الرواية التوراتية والبابلية؛ إذ هذه الأخيرة تجعل سبب حدوث الطوفان لهوى في نفس الآلهة، ونيل بطل الطوفان النجاة؛ لأن له نصيراً من بين الآلهة الكثيرة، بينما الرواية التوراتية تجعل الطوفان عقلباً من الله لمحو الأشرار، ونجاة البطل ومن معه؛ لأنه إنسان بار، أي إن التوراة تقدم ديانة توحيدية، والرواية البابلية تقدم أحط دركات الديانات التي تنادي بتعدد الآلهة، فالفارق عظيم بين فكرة الوحي السامية في قصة التوراة، وبين الفكرة الخرافية المليئة بالخيالات والأوهام في القصة البابلية[3].

ويُجاب على ذلك بأن هذا الكلام ليس هو الحق؛ لأن الكلام عن الطوفان في القصتين كان لمحو الأشرار، ونجاة نوح؛ لأنه إنسان بار كذلك الأمر بالنسبة لبطل الرواية الأخرى فقد كان ملكاً صالحاً يخشى الآلهة، وأما أن التوراة تقدم ديانة توحيدية والأخرى ليست كذلك، فالاتفاق معه بحذر، فكما أن أحداً لم يقل بأن ديانة السومريين والبابلين كانت ديانة توحيدية، فإن التوراة لا تقدم ديانة توحيدية كما يُعرف التوحيد ، فدعوة موسى عليه السلام كانت توحيدية لكن التوراة الحالية لا تقدم ما يتفق ودعوة الوحدانية، وتنزيه الله عن صفات البشر[4].

وبالمقارنة بين القرآن الكريم وتلك الروايات تبين أن الخطوط الرئيسة لقصة نوح عليه السلام ظاهرة في جميع المصادر على الرغم من اختلافها، كانحراف القوم عن سواء السبيل، ومن

---

(١) «**ملحمة كلكامش أوديسة العراق الخالدة**» طه باقر، د.ن، د.ط (ص/١٥).

(٢) «**المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم**» محمد علي البار (ص/١٥٠ - ١٥١).

(٣) انظر: «**الأحجار تتكلم**» جون إلدر، ترجمة: د. عزت زكي، مراجعة: داود رياض، دار النشر الأسقفية (القاهرة)ط٤، (ص/٤١-٤٢)

(٤) انظر: «**دراسات تاريخية من القرآن الكريم في العراق**» بيومي مهران (٤/٧٠ - ٧١).

ثم قضاء الله العادل في عقوبة الطوفان، التي لم ينج منها سوى بطل القصة وأهله- والذين آمنوا كما ورد في القرآن الكريم-، وقد كان بطل الطوفان باتفاق الروايات جميعاً باراً تقياً، ولكن هناك خلافات جوهرية بين النص القرآني والنصوص الأخرى (الوضعية أو المقدسة بزعم أصحابها)، فالنص القرآني ذكر نوحاً عليه السلام بأنه رسول وبيّن دعوته وأن الله تعالى لم يأت بالطوفان إلا بعد تحمله لكل صنوف الأذى، وبعد أن أخبره الله تعالى بعدم إيمان أحد بعدما يئس نوح عليه السلام منهم، عندئذ دعا على الكافرين، بينما لا وجود لهذا كله في النصوص الأخرى، وإن القرآن الكريم ذكر سبب النجاة من الطوفان هو الإيمان بينما في النصوص الأخرى كان القرابة، وقد نجت زوجة بطل القصة في التوراة والروايات السومرية والبابلية بينما أخبر القرآن الكريم بهلاكها، وفي النص القرآني تنزيه لله تعالى عن الندم على إحداث الطوفان، بينما ورد هذا في التوراة والرواية البابلية، وكذلك الحديث عن تقديم القرابين وشم الآلهة في النصوص السومرية والبابلية، وشم الرب في التوراة رائحة الشواء فيسكن غضبه، ورد القرآن الكريم على ذلك في قوله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ﴾[الحج: ٣٧]، وإضافة إلى ذلك فإن النص القرآني يمتاز بالخلو من التناقض، وعدم التعارض مع العلم بخلاف التوراة[(١)].

ويُختم القول بأن سبب التشابه والاختلاف بين القرآن الكريم وتلك الأساطير تأثر الأساطير بالأديان، يقول أحمد الطعان: " الأساطير هي المتأثرة بالأديان، بمعنى أن الوحي الإلهي الصافي الخام نزل مع الإنسان الأول الذي ظهر على سطح هذه الأرض، وظل أنبياء الله عز وجل يعلمون البشر في كل زمان ومكان، ويحملون إليهم صورة الوحي الحقيقة الخام، ولكن البشر عبر حضاراتهم وأزمنتهم كانوا يضيفون ويخلطون وينسجون أوهامهم وخيالاتهم على النواة الأولى التي لديهم، فتكونت الأساطير المجنحة والأخيلة المضخمة، وبقي فيها آثار من ظلال الوحي الإلهي وبقايا من هدايته، حتى جاء الإسلام دين الله مهيمناً على ما سبقه بالتصديق والتصحيح، وأنزل للناس رسالة الوحي التي لا تفارقهم أبداً إلى يوم الدين، تحول بين الناس وبين صناعة الأساطير والخيالات"[(٢)].

---

(١) انظر: «**دراسات تاريخية من القرآن الكريم في العراق**» بيومي مهران (٤/٩٧ - ١٠١).

(٢) «**العلمانيون والقرآن الكريم (تاريخية النص)**» أحمد إدريس الطعان، تقديم: الأستاذ الدكتور: نور الدين عتر – محمد عمارة، مكتبة ودار ابن حزم للنشر والتوزيع (الرياض)، ط١ (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م) (ص/٥٧٩).

فالقرآن الكريم صاحب الحكم على التوراة وغيرها، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾[المائدة: ٤٨]، يقول علي حب الله: "النظر إلى مكمن اللقاء بين القرآن الكريم والأساطير القديمة وملاحم الشعوب على أنها حكاية لأحداث تاريخية جرت في مقتبل عمر البشرية العاقلة، ثم عمل الحس الجمالي والفني لدى الإنسان على أسطرتها مع مرور الزمن وتراكم الأحداث، ثم جاء القرآن الكريم ليقرأ لنا التاريخ كما كان في حقيقته، وليحذف الإضافات الخيالية والتحريفات البشرية ويقر الحقيقة بكامل نصوعها وسطوعها"[1].

(١) «**قراءات نقدية في الفكر العربي المعاصر**» علي حب الله، دار المحجة البيضاء - دار الرسول الأكرم (لبنان)، ط (١٩٩٨م - ١٤١٩هـ) (ص/١٤٠) بتصرف عن «**العلمانيون والقرآن الكريم**» أحمد إدريس الطعان (ص/٥٨٠).

المطلب الثاني: الطوفان في التنقيبات الحفرية

لم تقتصر حادثة الطوفان على الألواح الطينية التي تم العثور عليها، وإنما كان هناك أدلة مادية على وجوده من خلال التنقيبات الحفرية التي أجريت في منطقة وادي الرافدين. فقد تم تنفيذ عدد كبير من الحفريات في تلك المنطقة في المدن الأربعة (أور، ايريك، كيش، شورباك)، ومن خلال التنقيب فيها عُثر على آثار طوفان يعتبر طوفاناً عارماً بشكل خاص في الألف الثالث قبل الميلاد.

ففي مدينة "أور" التي تعرف اليوم "بتل المقير" كشفت الحفريات التي أجريت فيها على أقدم الآثار لإحدى الحضارات والتي تعود إلى الألف السابع قبل الميلاد، وباعتبارها موطناً لإحدى الحضارات القديمة فقد كانت مدينة استيطان للعديد من الحضارات التي تتالت عليها، وتدل الكشوفات الآثرية أن هذه المنطقة شهدت انقطاعاً حضارياً بسبب طوفان عظيم، وأن حضارات أخرى قامت فيما بعد، وأول من قام بتلك الحفريات "ر.ه هول" من المتحف البريطاني، وتابع السير في ذلك "ليونارد وولي"، إذ قام بالإشراف على الحفريات التي نظمها المتحف البريطاني وجامعة بنسلفانيا وذلك ما بين عامي ١٩٢٢ - ١٩٣٤م.

وأثناء الحفريات تم إصابة قبور لملوك ونبلاء سومر، وفيها تم العثور على العديد من الكنوز الفنية كالمغافر والسيوف وآلات الموسيقى فضلاً عن القيود والسجلات التاريخية البارزة المضغوطة على ألواح طينية، وكتابات تحمل نفس الأسماء الموجودة في قائمة ملوك أور، وقد توصل "وولي" إلى أن هذه القبور تعود إلى ما قبل العائلة المالكة لأور، أي أن هناك مدينة كبيرة كانت موجودة قبل مدينة "أور".

وتابع "وولي" التنقيب ووجد تحت القبور طبقة من الطين، ثم استمر في الحفريات، وبعد اجتياز مترين ونصف من طبقة من الطين الصافي، وجدوا أدوات تعود ألى أصحاب مدينة العصر الحجري الأخير، وبعد إتمام عمليات تنظيف الطين تبين وجود مدينة مدفونة في الأعماق، وكانت الآثار تدل على حصول طوفان في تلك المنطقة، بالإضافة إلى ذلك فإن التحليلات المجهرية قد كشفت أن هذه الترسبات الضخمة من الطين تحت الهضبة من أور كانت نتيجة طوفان عظيم ذهب بالحضارة السومرية، ويرى "وورنر كيلر" في ظهور تلك المخلفات في الطبقة الطينية السفلى دلالة على حدوث طوفان في تلك المنطقة[1].

---

(١) انظر: «**الأمم البائدة**» هارون يحيى (ص/٢٧ - ٣٠).

واعتبر"وولي" الطبقة من الغرين السميك دليلاً مادياً على الطوفان السومري، نظراً لكثافته وتوافقه الزمني إلى حد كبير مع النصوص السومرية، بالإضافة إلى وقوع تلك الطبقة فوق وتحت آثار تنتمي إلى عصر حضارة العبيد-عصر ما قبل الأسرات الأول في جنوب العر اق-، وقد أجرى"وولي" الحفر أيضاً في موقع بعيد عن أور للبحث عن مدى امتداد تلك الطبقة الغرينية، فكانت النتيجة إيجابية، مما دفعه إلى القول في ارتباط تلك الطبقة الغرينية السميكة بالطوفان الذي ذكرته الكتب المقدسة[1].

وفي مدينة كيش" التي تعرف اليوم بـ "تل الأحيمر" آثار للطوفان العظيم أيضاً، وحسب المصادر السومرية، كانت هذه المنطقة مستقراً لأول سلالة حاكمة بعد الطوفان.

وفي مدينة "شورباك" التي تعرف اليوم بـ"تل الفعرة" ظهرت آثار الطوفان العظيم، وقد قاد الحملة الأثرية في هذه المنطقة "إيريك شميدث" من جامعة بنسلفانيا ما بين عامي ١٩٢٠ - ١٩٣٠، وأظهرت الحفريات ميلاد وازدهار مدينة قبل ٢٠٠٠ - ٣٠٠٠ق.م، وكانت آثارها واضحة في الطبقات المختلفة من الحفريات، وأكثر المكتشفات وضوحاً هو أنقاض منازل مبنية مع ألواح سومرية تحمل سجلات إدارية وقوائم كلمات تشير إلى مجتمع متطور جداً ظهر عند نهاية الألف الرابع قبل الميلاد، ويروي "مالوان" أن شميدث وصل إلى عمق ٣ - ٤ أمتار تحت الأرض؛ ليجد طبقة من التربة الصفراء، وقد وصفها بأنها رمال من أصل نهري، و ربطها مع طوفان نوح.

وكذلك مدينة "إيريك" التي تعرف اليوم بـ "تل الورقة" تأثرت بالطوفان، فقد ظهرت فيها أيضاً طبقة من طين الطوفان، والتي تعود إلى ما بين ٣٠٠٠ - ٢٩٠٠ق.م[2].

فمنطقة وادي الرافدين هي منطقة الطوفان بناء على هذه الكشوف الأثرية، وكذلك الأقوال التي وردت حول تلك المنطقة، وهي أن وادي الرافدين قد قامت فيها أقدم الحضارات التي عرفها التاريخ، وأن موقعها بين نهري دجلة والفرات يؤهلها لتلك الحادثة، فمن المحتمل أن يكونا أحد العوامل المساعدة في حدوث الطوفان، بالإضافة إلى السبب التاريخي وهو ذكر حادثة الطوفان في سجلات العديد من الحضارات- وبنفس المدة الزمنية- التي تتابعت على المنطقة[3]، وعلى سبيل المثال قائمة الملوك السومرية-التي

---

(١) انظر: «**دراسات تاريخية من القرآن الكريم**» بيومي مهران (٤/٣٧).

(٢) انظر: «**الأمم البائدة**» هارون يحيى (ص/٣١).

(٣) انظر: «**الأمم البائدة**» هارون يحيى (ص/٢٤ - ٢٥).

ذُكرت سابقاً-، فعلى الرغم من ذكرها لفترة حكم الملوك بأرقام خيالية إلا أنها تحمل معلومات تاريخية صحيحة، فقد ورد في تلك القائمة حديثاً عن طوفان يفصل بين فترتي حكم، الأولى سابقة له والثانية تالية له، تبدأ بنزول الملكية مرة ثانية من السماء إلى كيش ثم الوركاء فأور، ولعل في هذا دليلاً واضحاً على أن قائمة الملوك السومرية إنما تعتبر حادثة الطوفان بمثابة كسر في عملية استمرار تاريخ العراق القديم، ومن ثم فهو حد فاصل بين عصور ما قبل التاريخ والعصر التاريخي[١].

فهذا الطوفان في نظر "وولي" طوفان كبير لا مثيل له في أي عصر لاحق من تاريخ العراق القديم، وإن كانت هناك أدلة على فيضانات محلية ومؤقتة في أوقات مختلفة من تاريخ العراق القديم، وفي بعض الأحايين لم يكن أكثر من أمطار هطلت في منطقة محدودة، لكن هذا الطوفان هو الذي يتفق في توقيته مع التاريخ السومري الموجود في الروايات، وهو عينه الطوفان الذي تحدثت عنه قائمة الملوك السومرية، وكذلك المذكور في التوراة في سفر التكوين، فالقصة ذات خلفية حقيقية تاريخية، وما جاء فيها من التفاصيل قد تم صياغته من قبيل المؤلف السومري والعبري بما يتفق مع أهداف كل منهما.

وقد تعرض "وولي" أيضاً إلى الحديث عن مسألة عموم الطوفان، فذكر بأنه طوفان غير عالمي، حصل في جنوب العراق فقط بمساحة ربما كانت ٤٠٠ ميل طولاً في ١٠٠ ميل عرضاً، وأنه أغرق غالب السكان بسبب الآثام والخطايا، ولم ينج منه سوى قلة نادرة على رأسها بطل القصة وهو هنا"زيوسودرا"[٢].

يقول طه باقر: "إن هذه الحادثة وقعت في العراق القديم، ولاسيما في القسم الجنوبي منه، أي في السهل الرسوبي، وإن زمنها يرجع إلى نهاية العهد المسمى في تأريخ حضارة وادي الرافدين باسم جمدة نصر (في حدود ٣٢٠٠ق.م) وإلى أوائل العصر الحضاري المسمى بعصر فجر السلالات (في حدود بداية الألف الثالث ق.م)، كما يرجح ذلك بدلالة التنقيبات الحديثة التي عثر على بقايا ترسبات طوفان تفصل بين عهدي جمدة نصر وعصر فجر السلالات في جملة مدن قديمة مثل كيش (تل الأحيمر الآن) والوركاء وشورباك (فارة الآن)"[٣].

---

(١) انظر: «**دراسات تاريخية من القرآن الكريم في العراق**» بيومي مهران (٤/٣٨ - ٣٩).

(٢) انظر: «**دراسات تاريخية من القرآن الكريم في العراق**» بيومي مهران (٤/٣٩-٤٠).

(٣) «**ملحمة جلجامش**» طه باقر (ص/١٥ - ١٦).

المطلب الثالث: السفينة في التنقيبات الحفرية

نصت روايات الحضارات القديمة والكتب المقدسة على وجود سفينة تم من خلالها نجاة فئة من الناس بسبب حدوث الطوفان، إلا أنها اختلفت فيما بينها على موقع استواء السفينة، فجاء في الروايات باستوائها على جبل نصير، وفي التوراة على جبال أراراط، بينما في القرآن الكريم استوت على الجودي.

ووجدت عدة محاولات من أجل البحث عن السفينة في جبال أراراط. وأول من قام بالبحث عام ١٨٢٩م أستاذ بالفلسفة في جامعة تارتو اسمه فريديرك باروت، لكنه لم يشاهد السفينة، وقال: "إن السفينة قد تكون مطمورة تحت طبقات الجليد في قمة الجبل"، وتابعه على نفس المنوال أستاذ في جامعة أوكسفورد جيمس برايس في عام ١٨٧٦م، ووجد قطعة من الخشب وكان مقتنعاً بأنها من بقايا السفينة[١].

وفي شهر مايو عام ١٩٤٨م اكتشف أحد رعاة الأغنام المدعو"رشيد سرحان"سفينة نوح وبقايا من أخشابها مطمورة في رسوبيات مياه عذبة في قمة جبل الجودي، الذي يقع في جنوب شرقي تركيا إلى الشمال الشرقي من جزيرة ابن عمر (على ضفاف نهر دجلة) بالقرب من الحدود التركية العراقية - السورية وإلى الشمال من مدينة الموصل، وقد تتابعت دراسات لهذا الموقع بعد ذلك، وأثبتت هذه الدراسات الأثرية أمثال دراسات "مارتين روي" سنة ١٩٩٤م، و"تشارلس ويليس" سنة ١٩٨٠م، و"جون مونتجومري" في السبعينات من القرن العشرين، أن بقايا السفينية موجودة فعلاً فوق جبل الجودي على بعد ٢٥٠ ميلاً إلى الجنوب الغربي من جبل أراراط، فضلاً عن الروايات التاريخية القديمة التي تشير إلى ذلك، مثل كتابات"بيراسوس"من كهان الحضارة البابلية، و"أبيدنوس" من تلامذة سقراط[٢].

وكانت أول بعثة إلى منطقة الأكراد الجبلية شرق تركيا لمعاينة السفينة المتحجرة على سفح جبل الجودي عام ١٩٦٠م، ولم يبدأ الاهتمام الفعلي إلا عام ١٩٨٥م وقد استخدمت البعثات العلمية حتى مايو ٢٠٠٧م تقنيات حديثة فأكدت الدراسة نبأ القرآن الكريم.

---

(١) انظر: مقال: «**سفينة نوح**»، موقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

(٢) انظر: «**تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم**» زغلول النجار، مكتبة الشروق الدولية، ط١ (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م) (١/ ٣٥٠ - ٣٥٢).

وأظهر التصوير بالرادار واستشعار المواد المعدنية تركيب السفينة من الداخل بهيئة تكوينات منتظمة غير طبيعية تؤكد أنها صنعة يد، ووجد الباحثون حفريات متحجرة حول السفينة لقواقع مياه عذبة ومياه مالحة ومرجان على ارتفاع لا توجد فيه بحار، كما تم الاكتشاف لبعض المسامير التي تربط الألواح الخشبية وهي تعرف اليوم باسم براشيم، وقد سماها القرآن "بالدسر"[1].

وعلى الرغم من هذا، بقيت محاولات الغربيين قائمة من أجل إثبات رسو السفينة على جبل أراراط دفاعاً عما جاء في عهدهم القديم، إلى أن أعلنت مجموعة من العلماء الروس عام ٢٠٠٥\٣\٢٥م في مؤتمر صحفي نقلته وكالة أنترفاكس للأنباء عدم وجود أية آثار لسفينة نوح على جبال أراراط، وأن جميع العينات التي تم دراستها تؤكد ذلك.

وما ورد في المؤتمر: أنه حدث في عام ١٨٤٠م ثورة بركانية في جبل أراراط وتمزقت الكتل النباتية المتحجرة والتي ظنها نفر من السابقين خطأ على أنها قد تكون من بقايا سفينة نوح، ومن هنا لا يمكن القول بأية إمكانية لوجود بقايا محفوظة لتلك السفينة فوق جبل أراراط، فالمجموعة العلمية قامت بالدارسة سنة ٢٠٠٤م وعادت بالكثير من أشرطة الفيديو والعينات الصخرية (مثل النباتات المتحجرة -كتل الصخور التي شكلتها عوامل التعرية على هيئة مصنعة وغير مصنعة)، وتبين من خلال الدراسة أن ذلك من فعل النشاط البركاني ولا علاقة لها بسفينة نوح عليه السلام التي ثبت وجودها في جبل الجودي[2].

فآثار السفينة وُجدت على جبل الجودي لا على جبال أراراط، فهما اسمان لموقعين مختلفين، بخلاف من يرى حدوث الطوفان غرب الجزيرة العربية، إذ يقول: "الجبل الذي استقرت عليه سفينة نوح عليه السلام -الجودي-هو نتوء جبلي يقع ضمن جبال السراة غرب الجزيرة العربية التي عرفت بأسماء متعددة، وهو ليس جبلاً واحداً وإنما سلسلة من الجبال تصل إلى سبعة أو أكثر تمتد على ساحل البحر الأحمر، ... وهو نفسه الذي ذُكر في الأساطير باسم -جبلnishur-، وهو نفسه جبل أرارات (الجبل المتوقد) الذي ذُكر في

---

(١) انظر: مقال: «**الطوفان العظيم**» محمد دودح، مستشار علمي بالهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة - منتدى التوحيد.

(٢) انظر: «**تفسير الآيات الكونية**» زغلول النجار (١/ ٣٥٢).

التوراة، ...وهو الجودي الذي ذكره القرآن، وبهذا يُحل إشكال اختلاف التسميات واختلاف المواقع الذي جاء في المصادر المختلفة"[1].

والجواب على هذا بأن القصة قد وردت في تلك المصادر المختلفة، لكن ليس من الضروري اتفاقها بكل النقاط، فهناك كتابات وضعية وأخرى سماوية تم تحريفها، وقد جاء القرآن الكريم مصدقاً ومهيمناً عليها، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾[المائدة: ٤٨]، وعلى هذا فنقاط الخلاف موجودة ومن بينها موقع استواء السفينة، فضلاً عن عدم وجود أدلة أثرية تثبت وقوع الحادثة غرب الجزيرة العربية.

(١) «**طوفان نوح بين الحقيقة والأوهام**» جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية (ص/١٥٥ - ١٥٦).

المبحث الثاني

قصة نوح في الفكر المعاصر

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : قصة نوح في الفكر الاستشراقي.

المطلب الثاني : قصة نوح في الفكر العلماني.

المطلب الثالث : قصة نوح في القراءة المعاصرة.

المطلب الرابع : قصة نوح في رأي كمال الصليبي.

المطلب الأول: قصة نوح في الفكر الاستشراقي

إن الفكر الاستشراقي في معظمه حركة فكرية غربية مضادة للإسلام، وقد نشأت تلك الحركة- وهناك آراء متعددة في تاريخ النشوء- في الغالب بعد فشل الغرب في الحروب الصليبية، حيث كان من أفضل الوسائل التي وجدها الغرب لمحاربة المسلمين هو تحريف وتشويه دينهم، لمنع انتشاره بين اليهود والنصارى من جانب، ولتشكيك المسلمين في دينهم من جانب آخر(١).

ويذكر مصطفى السباعي بأن الغربيين بعد الفشل العسكري لهم في الحروب الصليبية لم ييأسوا من العودة إلى احتلال بلاد العرب والمسلمين، فقد اتجهوا إلى دراسة تلك البلاد في كافة شوؤنها من عقيدة وعادات وأخلاق وثروات، ومن ثم تم تحديد مواطن القوة فيها فيضعفونها، ومواطن الضعف فيغتنمونها، ولما حصلت لهم السيطرة السياسية على تلك البلاد عملوا على إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوس المسلمين، وبث الوهن والارتباك في التفكير وذلك عن طريق التشكيك بالفائدة من التراث(٢).

وقد كانت البداية في عمل المستشرقين التشكيك في القرآن الكريم والحديث النبوي لكونهما المصدرين الأساسين لدى المسلمين، ومن جملة الشبهات التي أثاروها حول القرآن الكريم بأنه ليس إلهي المصدر، واعتبروه من صنع الرسول محمدﷺ، وأن موضوعاته مقتبسة من اليهودية والنصرانية، كما حاولوا إثبات وجود صلة للرسولﷺ بالأحبار والرهبان الذين كان يلقاهم في أسفاره أو يتصل بهم في مكة ومنهم استقى مادة القرآن لاسيما قصصه(٣).

---

(١) انظر: «**آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية**» محمد خليفة حسن، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط١ (١٩٩٧م)، (ص/٩، ١١).

(٢) انظر: «**الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم**» مصطفى السباعي، دار الوراق-المكتب الإسلامي، د.ط، (ص/٢١-٢٢).

(٣) انظر: «**آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية**» محمد خليفة حسن، (ص/١٠١)، «**مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية**» القرآن والمستشرقون، التهامي نقرة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (تونس)، صدر في إطار الاحتفاء بالقرن الخامس عشر الهجري (٢٦/١).

وهذا الافتراء من قبل المستشرقين ليس بجديد فقد سبقهم إليه مشركي مكة الذين بلغهم الرسولﷺ رسالته والوحي القرآني مباشرة[1] ؛ إذ زعموا أن القصص التي جاء بها القرآن قد تعلمها محمدﷺ من نصراني أعجمي اللسان كان بمكة، وقد رد القرآن على زعمهم[2]، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾[النحل : ١٠٣]

وقد استدل المستشرقون على اقتباس القرآن الكريم لقصصه من مصادر يهودية ونصرانية من خلال "دراسة القصص القرآني على ضوء ما كشفت عنه الوثائق التاريخية من العهدين وغيرهما من كتب التاريخ والأخبار، أبانت عن مفارقات تشكك في صحته، لأنه كان يتلقى هذه الأخبار عن الأرقاء المسيحيين الذين كانوا يخدمون السادة من قريش، وكانوا يروون ما تناقلوه من قصص محرف"[3].

فجولدتسيهر[4] يقول عن محمد: " لقد أفاد من تاريخ العهد القديم - وكان ذلك في أكثر الأحيان عن طريق قصص الأنبياء - ليذّكر على سبيل الإنذار والتمثيل، بمصير الأمم السالفة الذين سخروا من رسلهم الذين أرسلهم الله لهدايتهم ووقفوا في طريقهم"[5].

ويقول أيضاً: "كان هناك ما ورد في الكتب السابقة من مختلف القصص، التي أجملها محمد نفسه، بمنتهى الإيجاز، وأحياناً على وجه متداخل"[6].

---

(١) انظر: «**مزاعم المستشرقين حول القرآن الكريم**» محمد مهر علي، د.ن، د.ط (ص/٢٧٥).

(٢) انظر: «**سيكولوجية القصة في القرآن الكريم**» التهامي نقرة (ص/٦٤).

(٣) «**سيكولوجية القصة في القرآن الكريم**» التهامي نقرة (ص/٦١).

(٤) هو اجناس جولدتسهير، مستشرق مجري يهودي، عُرف بنقده للإسلام وبجدية كتاباته، ولد سنة (١٨٥٠م)، من مؤلفاته: مذاهب التفسير الإسلامي - دراسات عن النبي صلى الله عليه وسلم - الحديث في الإسلام - «**العقيدة والشريعة في الإسلام**». وهو من شر ما ألف عن الإسلام وأسوء ما وجه إليه من طعنات وهذا قول الشيخ محمد الغزالي عنه.، توفي سنة (١٩٢١م). انظر: الأعلام (١/٨٤).

(٥) «**العقيدة والشريعة في الإسلام**» اجناس جولدتسهير، نقله إلى العربية وعلق عليه: الدكتور محمد يوسف موسى والدكتور: علي حسن عبد القادر والأستاذ: عبد العزيز عبد الحق، دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى ببغداد، ط٢ (ص/١٥).

(٦) «**مذاهب التفسير الإسلامي**» إجناس جولدتسهير، مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد، د.ط (ص/٧٥).

وكذلك "بلاشير[1]على - اعتداله في أحكامه - يتحدث في كتابه (معضلة محمد) عن مصدر القصص القرآني، ذاكراً بالخصوص أن مما لفت انتباه المستشرقين هو التشابه الحاصل بين هذه القصص، وبين هذا القصص اليهودي المسيحي. وقد كان التأثير المسيحي واضحاً في السور المكية الأولى، إذ كثيراً ما تكشف مقارنة بالنصوص غير الرسمية كإنجيل الطفولة الذي كان سائداً في ذلك العهد عن شبه قوي. ويعرض في هذا الصدد آراء بعض الباحثين، مبيناً رأيه فيما يستنتج من العلاقات المستمرة التي كانت تربط بين مؤسس الإسلام والفقراء المسيحيين بمكة"[2].

تعقيب ونقد :

إن الدعوى التي يقدمها جولدتسهير تتطلب منه بيان الخلل أو التداخل الذي رآه في القصص القرآني حتى يحكم عليه به؟ وقد كان عليه الإتيان ولو بمثال واحد من القرآن الكريم يُقارن به كي يُصدّق قوله، فلا يصح التنبؤ بما ستسفر عنه هذه المقارنة، لذلك كل حكم مسبق لا تؤدي إليه نتيجة البحث لا يُعتد به[3].

وإن التشابه الحاصل بين القصص القرآني والقصص الكتابي أمر طبيعي ما دام المصدر واحد وهو الله سبحانه، ووجود التناقض سببه التحريف الحاصل للكتب السابقة[4].

وقصص القرآن الكريم ليست صورة عما ورد في التوراة، لا من حيث الإجمال ولا من حيث التفصيل، والفارق ظاهر بينهما، كما أن هناك قصص وردت في القرآن الكريم دون ورودها في التوراة، وكذلك العكس[5]، فعلى سبيل المثال قصص الأنبياء كهود

---

(١) هو ريجي بلاشير، مستشرق فرنسي، ولد سنة (١٩٠٠م)، معروف باطلاعة العميق على اللغة العربية والأدب، وتوفي سنة (١٩٧٣م)، من آثاره: ترجمة القرآن إلى اللغة الفرنسية - تاريخ الأدب العربي، عضو مجمع اللغة العربية بدمشق. عمل على خدمة القضايا العربية المغربية والفلسطينية. انظر: «**الأعلام**»، (٢/٧٢).

(٢) «**مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية**» القرآن والمستشرقون، التهامي نقرة (١/٣١).

(٣) انظر: «**سيكولوجية القصة في القرآن الكريم**» التهامي نقرة (ص/٦٣).

(٤) انظر: «**دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية أضاليل وأباطيل**» إبراهيم عوض، مكتبة البلد الأمين، ط١ (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) (ص/٢٥٠).

(٥) انظر: «**قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية**» (نقد مطاعن - ورد شبهات)، فضل حسن عباس، دار البشير، ط٢ (١٤١٠هـ - ١٩٨٩م) (ص/٦١).

وصالح وزكريا ويحيى عليهم السلام وردت في القرآن الكريم فقط، وهناك قصص لأنبياء كثر كالنبي عاموس وهوشع وإشعيا وغيره اختصت التوراة بذكرهم[1].

وإن التباين بين موقف المسلمين واليهود من الرسل عليهم السلام أيضاً لدليل على أن القرآن الكريم غير مقتبس من التوراة، يقول طبارة: "إن اختلاف وجهة النظر إلى رسل الله بين التوراة والقرآن لدليل على أن القرآن غير مقتبس من اليهودية، بل هو إصلاح لما طرأ عليها من البدع، ومن هذه البدع وصم الأنبياء والرسل بقبائح الأعمال"[2].

كما لا يمكن اعتبار التوراة أو الإنجيل أساس للقرآن، إذ إن هذين الكتابين قد ترجما إلى العربية بعد قرون من بعثة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وإن القرآن الكريم يختلف في كثير من مسائله وقضاياه وأحكامه عما قرر في هذين الكتابين، صحيح هناك قضايا مشتركة وهذا أمر بدهي لابد منه، فالقرآن كتاب سماوي جاء لإرساء كثير من المقررات الدينية وترسيخها في النفوس، ولابد من وجود جوانب مشتركة بينه وبين هذه الكتب[3].

وعلى هذا، فالإسلام ليس ديناً جديداً ولكنه امتداد لليهودية والنصرانية ومكمل لهما ومصلح لما طرأ عليهما من البدع والخلافات[4]، قال تعالى: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾[الشورى: ١٣].

وإن الحديث عن كثرة الالتقاء بالفقراء المسيحين والأخذ عنهم غير صحيح، فأوقاته ﷺ كانت بين رحلة لتجارة، أو رعي لغنم، أو جلوس مع قوم لما تتطلبه الأمور الحياتية، وقد كان ﷺ في الآونة الأخيرة قبل البعثة يخلو بنفسه، وكثيراً ما يتردد على غار حراء يقضي فيه الليالي ذوات العدد[5].

ويقول الباقلاني: "ما انطوى عليه القرآن من قصص الأولين وسِيَر الماضين، وأحاديث المتقدمين، وذكر ما شجر بينهم وكان في أعصارهم، مما لا يجوز حصول علمه إلا لمن

---

(١) انظر: «**القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان**» حسن الباش، (٢/١٧٢، ١٧٤).

(٢) «**اليهود في القرآن**» عفيف عبد الفتاح طبارة (ص/٢٥٩).

(٣) انظر: «**قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية**» فضل حسن عباس (ص/٢٠٢).

(٤) انظر: «**اليهود في القرآن**» عفيف عبد الفتاح طبارة (ص/٢٥٧).

(٥) انظر: «**قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية**» فضل حسن عباس (ص/٢٠١).

كثر لقاؤه لأهل السير، ودرسه لها وعنايته بها، ومجالسته لأهلها، وكان ممن يتلو الكتب ويستخرجها، مع العلم بأن النبيﷺ، لم يكن يتلو كتاباً، ولا يخطه بيمينه، وأنه لم يكن ممن يعرف بدراسة الكتب ومجالسة أهل السير والأخذ عنهم، ولا لقي إلا من لقوه، ولا عرف إلا من عرفوه، وأنهم يعرفون دأبه وديدنه، ومنشأه وتصرفه، في حال إقامته بينهم وظعنه عنهم، فدل ذلك على أن المخبر له عن هذه الأمور هو الله سبحانه علام الغيوب"[1].

فادعاء المستشرقين بأن قصص الأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم مقتبسة من الكتب السابقة باطل، وقصة نوح عليه السلام - موضوع البحث – أنموذج من القصص التي وردت في القرآن الكريم والتوراة، والفروق بينهما كثيرة وقد أشرنا إليها سابقاً، نذكر بعضاً منها:

- تناول القرآن الكريم الحديث عن حال قوم نوح بشكل مفصل، بينما أغفلت التوراة هذا الجانب على الرغم من أهميته، فلو كان القرآن الكريم قد اقتبس القصة من التوراة لاكتفى بحديثه عن ظاهرة الطوفان، وهذا فارق مهم لم يقف عليه المستشرقون[2].
- تحدثت التوراة عن طوفان عالمي لعقاب كل البشرية الكافرة، بينما ذكره القرآن الكريم بأنه عقوبة نزلت بشكل خاص على شعب نوح، وحددت التوراة زمن الطوفان ومدته، بينما القرآن الكريم لم يشر إلى شيء من هذا.
- تناول القرآن الكريم بشكل صريح الحديث عن محتوى سفينة نوح، وهو أن الله أمر نوحاً عليه السلام بأن يضع في السفينة من كل زوجين اثنين وأسرته سوى من سبق عليه القول ومن آمن معه، بينما التوراة لا تشير إلى هؤلاء أبداً، فضلاً عن أنها قد ذكرت أكثر من رواية لمحتوى السفينة.

وهذه الفروق جوهرية بين القرآن الكريم والتوراة[3]، ويقول موريس بوكاي: " فالاختلافات بين روايات القرآن وروايات التوراة موجودة، وهي هامة. وبعض هذه الاختلافات يفلت من أي فحص نقدي. إذ هناك افتقاد للمعطيات الموضوعية. ولكن إذا

---

(١) «**إعجاز القرآن**» محمد بن الطيب أبو بكر الباقلاني، ت: السيد أحمد صقر، دار المعارف (مصر) في الهامش (ص/٤٩).

(٢) انظر: مقال: «**محتوى النص القرآني في فهم المستشرقين**» عادل عباس النصراوي، مجلة دراسات استشراقية (فصلية تعنى بالتراث الاستشراقي عرضاً ونقداً)، السنة الثالثة –العدد ٦ - شتاء (١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م)، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية (ص/١٧).

(٣) انظر: «**القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم**» موريس بوكاي (ص/٢٥٠ - ٢٥١).

كان بالإمكان التحقق من معطيات الكتب المقدسة، وذلك بمعونة معطيات أكيدة، يصبح واضحاً تمام الوضوح عدم إمكانية اتفاق رواية التوراة - في تقديمها للطوفان بزمنه ومدته - مع مكتسبات المعرفة الحديثة، وعلى العكس من ذلك فإن رواية القرآن تتضح خالية من أي عنصر مثير للنقد الموضوعي"[1].

(١) «**القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم**» موريس بوكاي (ص/٢٥٢).

المطلب الثاني: قصة نوح عليه السلام في الفكر العلماني

نشأت العلمانية في الغرب، وقد كان لظهورها عدة مبررات (دينية-فكرية- تاريخية وغيرها)[١]، ومعنى ذلك أنها بضاعة أجنبية لم تنبت في أرضنا، ولا تستقيم مع عقائدنا ومسلماتنا الفكرية[٢].

و"لقد استغرقت ولادة العلمانية في صورتها الحديثة زمناً طويلاً، ودخلت في مخاضها بلحظات عصيبة من الصراع بين الماضي والحاضر، وظل بروزها يتم شيئاً فشيئاً حتى اكتمل في القرن الماضي"[٣].

ووفقاً للمصادر الغربية فإن معنى العلمانية هو: "التحرر من الأديان عبر (السيرورة) التاريخية، واعتبار الأديان مرحلة بدائية لأنها تشتمل على عناصر خرافية كالماورائيات والغيبيات، ولا يتم الخلاص من هذه الأعباء إلا عن طريق تحقيق النضج العقلي الذي تحققه العلمنة عبر آلياتها الثقافية والفكرية والفلسفية"[٤].

وعلى هذا فالإسلام في نظر العلمانيين قائم على أسس خرافية وأسطورية لا عقلانية، وهو مرحلة من مراحل تطور الفكر البشري نحو الفكر العقلاني الوضعي الذي يرى الأديان مجموعة من الأوهام التي صنعها البشر[٥].

وقد وجّه العلمانيون إلى القرآن الكريم طعوناً كثيرة منها أن خطابه المقدم أسطوري خرافي، ومعلوماته التاريخية غير دقيقة ويجب مناقشتها على ضوء المعارف التاريخية الأخرى، وخصوصاً قصص الأنبياء فهي ليست وقائع تاريخية حدثت، بل كلها مجاز وضرب أمثلة[٦].

---

(١) انظر: «**العلمانية والإسلام وجهاً لوجه**» يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، ط٧ (١٤١٧ه-١٩٩٧م)، (ص/٤٧).

(٢) انظر: «**العلمانية والإسلام وجهاً لوجه**» يوسف القرضاوي، (ص/٤٦).

(٣) «**العلمانيون والقرآن الكريم**» أحمد الطعان (ص/١٢١).

(٤) «**العلمانيون والقرآن الكريم**» أحمد الطعان (ص/١٣٠).

(٥) انظر: «**العلمانيون العرب وموقفهم من الاسلام**» مصطفى باجو، المكتبة الإسلامية (القاهرة)، ط١ (١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م) (ص/٥).

(٦) انظر: «**العلمانيون العرب وموقفهم من الاسلام**» مصطفى باجو، (ص/١٢٩).

ويقول الطعان: "يسلك فريق من العلمانيين مسلكاً آخر لتحجيم دور القرآن الكريم وفاعليته في الحياة والفكر والسلوك، يتوجهون من خلاله إلى أبعاد النص وأفاقه التاريخية وأخباره عن الأمم الغابرة، والشعوب الدارسة، والحضارات البائدة.

والهدف المسبق الذي يحكم هذه الدراسات هو إثبات الخُلْف في أخبار القرآن، والطعن في صحتها بناء على بعض المعطيات الأثرية أو الأركيولوجية -كما يقولون - وإذا ثبت هذا الخلف فإن ثقة المسلمين بكتابهم ستهتز، وإيمانهم به سيتزعزع، وإذالم يتم رفضه بصراحة عندئذ كمرجعية يمكن أن يرفض تحت مسميات أخرى أقل صدماً، وأهون وقعاً"[1]، ونذكر بعض الشخصيات:

١- **طه حسين**[2]:

يعتبر طه حسين من أوائل المعاصرين الذين طعنوا في أخبار القرآن الكريم في كتابه " في الشعر الجاهلي"، وذلك عندما قال: "للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضاً، ولكن ورد هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي... ونحن مضطرون إلى أن نرى في هذه القصة نوعاً من الحيلة في إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة، وبين الإسلام واليهودية والقرآن والتوراة من جهة أخرى"[3]، إلا أنه لم يستمر على ذلك، فقد حذف العبارات التي تمس المعتقدات الإسلامية في الطبعة الجديدة للكتاب وهي تحت عنوان "في الأدب الجاهلي"[4].

---

(١) «**العلمانيون والقرآن الكريم**» أحمد إدريس الطعان (ص/٥٤٧).

(٢) طهَ حُسَيْن (١٣٠٧ - ١٣٩٣ هـ = ١٨٨٩ - ١٩٧٣ م) طه بن حسين بن علي بن سلامة، الدكتور في الأدب: من كبار المحاضرين. جدد مناهج، وأحدث ضجة في عالم الأدب العربيّ. وأصيب بالجدري في الثالثة من عمره، فكف بصره. وبدأ حياته في الأزهر، ثم بالجامعة المصرية القديمة. وهو أول من نال شهداة (الدكتوراه) منها (١٩١٤) بكتاب (ذكرى أبي العلاء) وسافر في بعثة إلى باريس فتخرج بالسوربون (١٩١٨) وعاد إلى مصر، فاتصل بالصحافة. وعين عميدا لتلك الكلية فوزيرا للمعارف. وفي هذه البرهة تمكن من جعل التعليم الثانوي والفني مجانا. وكان من أعضاء المجمع العلمي العربيّ المراسلين بدمشق. وأقبل الناس على كتبه. «**في الأدب الجاهلي**» و «**في الشعر الجاهلي**» و «**حديث الأربعاء**». انظر: «**الأعلام**»، (٢/٢٣٠-٢٣١).

(٣) «**في الشعر الجاهلي**» طه حسين، دار المعارف للطباعة والنشر (تونس)، د.ط (ص/٣٨).

(٤) انظر: «**الإسلام بين التنوير والتزوير**» محمد عمارة، دار الشروق، ط١ (١٤١٦هـ -١٩٩٥م) (ص/١٧١).

٢- **خلف الله**[١] :

جاء خلف الله متابعاً لما ذكره طه حسين-على الرغم من تراجعه- فنفى الحقيقة التاريخية عن القصة القرآنية تحت شعار الفن القصصي، لكيلا يتناقض القرآن الكريم - بزعمه- مع حقائق التاريخ[٢]، فالتاريخ ليس من مقاصد القرآن الكريم أصلاً، وإنما العبرة والعظة[٣] ، أي إن خلف الله قد أخذ القصص القرآني بمعايير القصص الأدبي بما فيه من تلفيقات الوهم والخيال، فجرّه هذا إلى القول بأن القصص القرآني ليس كله حقاً وصدقاً، وليس هذا من مقاصده، وإنما هو مسوق للإثارة الفنية التي تجيء من وراءها العبرة والعظة[٤].

وقد قال بأن التمسك بالتاريخ "خطر على النبي وعلى القرآن، بل هو جدير بأن يدفع الناس إلى الكفر به كما كفروا من قبل بالتوراة"[٥].

فالمفارقات الموجودة بين أحداث القصص القرآني ومقولات التاريخ عن تلك الأحداث تعتبر-في رأيه- خدشاً للقرآن الكريم، وقد علل لهذا بأن القرآن الكريم لم يكن في عرضه للأحداث ينظر إليها من حيث واقعها، وإنما كان يحدث بها على الوجه الذي يعلمه من أهل الكتاب، سواء كان هذا العلم مما في أيديهم من كتب، أو مما راج عندهم من أساطير[٦]؛ إذ يقول: "والظاهرة التي يحسن بنا الالتفات إليها في هذا المقام هي أن

---

(١) هو محمد أحمد خلف الله، ولد سنة (١٩٠٤م)، أديب مصري وعالم باللغة العربية، يعترف بتأثره بأستاذه أمين الخولي، متخصص في الدراسات القرآنية، وإن كتابه الفن القصصي في القرآن الكريم تم رفضه من قبل لجنة المناقشة وأحدث زوبعة سنتي ١٩٤٧و ١٩٤٨م، من مؤلفاته: محمد والقوى المضادة، دراسات في الأدب الإسلامي - القرآن ومشكلات حياتنا المعاصرة - دراسات في النظم والتشريعات الأسلامية، توفي سنة (١٩٨٣م)، انظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة، ومؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث.

(٢) انظر: «**العلمانيون والقرآن الكريم**» أحمد إدريس الطعان (ص/٥٤٩).

(٣) انظر: «**الفن القصصي في القرآن الكريم**» محمد أحمد خلف الله، شرح وتعليق: خليل عبد الكريم، سينا للنشر - الانتشار العربي (لندن - بيروت - القاهرة)، ط٤ (١٩٩٩م) (ص/٣٦ - ٣٧).

(٤) انظر: «**القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**» مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف، عبد الكريم الخطيب، دار المعرفة للطباعة والنشر (بيروت - لبنان)، ط٢ (١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م) (ص/١١).

(٥) «**الفن القصصي في القرآن الكريم**» خلف الله (ص/٧١).

(٦) انظر: «**القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**» عبد الكريم الخطيب (ص/٢٨٤).

القرآن حين جعل هذه الأخبار من آيات النبوة وعلامات الرسالة جعلها أيضاً مطابقة لما في الكتب السابقة أو لما يعرفه أهل الكتاب من أخبار، حتى ليخيل إلينا أن مقياس صدقها وصحتها من الوجهة التاريخية، ومن جهة دلالتها على النبوة والرسالة أن تكون مطابقة لما يعرفه أهل الكتاب من أخبار"[1].

وإن الوقوف على التاريخ -في رأيه- هو السبب في شبهة التكرار؛ إذ يقول: "لماذا كرر القرآن قصص آدم ونوح وهود ولوط وصالح وشعيب وغيرهم من الرسل والأنبياء؟

إن الوقوف على تاريخ كل واحد من هؤلاء قد يكفي فيه إيراد القصة الواحدة في الموطن الواحد وليس يلزم أن تكرر القصة في أكثر من موطن من مواطن القرآن.

إن تكرار القصة وبخاصة حين تكون الأحداث القصصية واحدة والمواد التاريخية متشابهة والمواقف متفقة أمر يحتاج إلى تعليل وإلى بيان وإيضاح... ولو أن العقل الإسلامي أقام فهمه للقصص القرآني على أساس بلاغي أو أساس فني أدبي لما وقف هذه الوقفة ولعرف منذ اللحظة الأولى أن الذي عده من التكرار ليس من التكرار في شيء لأن هذه المواد التاريخية غير مقصودة من القصص"[2].

ويرى خلف الله بأن قول المستشرقين عن قصص القرآن بأنها مبنية على أساطير لا بأس به على القرآن، فإنما هذا سبيل الآداب العالمية والأديان الكبرى، وأنه يكفينا فخراً أن كتابنا الكريم قد سن السنن وقعد القواعد وسبق غيره في هذه الميادين، ويجب ألا يكون إثبات الأساطير في القرآن الكريم محلاً للإزعاج، لأن هذا الإثبات لا يعارض نصاً من نصوصه[3].

بل إن خلف الله قد صرح بوجود الأساطير في القرآن الكريم؛ إذ يقول: "فإنا لا نتحرج من القول بأن في القرآن أساطير، لأننا في ذلك لا نقول قولاً يعارض نصاً من نصوص القرآن"[4]، واستدل على ذلك بآيات من القرآن الكريم ورد فيها أقوال للمشركين واصفة ما

---

(١) «**الفن القصصي في القرآن الكريم**» خلف الله (ص/٥٣).

(٢) «**الفن القصصي في القرآن الكريم**» خلف الله (ص/٦٢، ٦٤).

(٣) انظر: «**الفن القصصي في القرآن الكريم**» خلف الله (ص/٢٠٩).

(٤) «**الفن القصصي في القرآن الكريم**» خلف الله (ص/٢٠٧).

يلقى على أسماعهم من القرآن أو قصصه بأنه أساطير الأولين، مع أقوال لبعض المفسرين وجد فيها لمحات تشير إلى رأيه[1]، فأما الآيات القرآنية فنذكر منها:

١- قال ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾[الأنعام: ٢٥].

٢- قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا ۙ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾[الأنفال: ٣١-٣٢].

٣- قال تعالى: ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾[المؤمنون: ٨٣].

٤- قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[الفرقان: ٥ - ٦]

٥- قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَإِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾[النمل: ٦٧-٦٨].

٦- قال تعالى: ﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾[الأحقاف: ١٧]

وقد عقب على هذه الآيات بأنها جميعها مكية بما فيها آيات الأنفال (٣٠-٣٦)، وأنه فهم من ذلك أن الحديث عن الأساطير كان من أهل مكة فقط، وأن القائلين بالأساطير هم في الغالب الذين ينكرون البعث بالحياة الآخرة، وذلك واضح كل الوضوح من آيات سورة المؤمنون، النمل، الأحقاف، لأن الحديث معهم في هذه المسألة بالذات.

وفهم من تلك الآيات أيضاً بأن المشركين كانوا يعتقدون بما يقولون اعتقاداً صادقاً، وأن الشبهة عندهم كانت قوية جارفة، فقد ذهبوا إلى النبي واستمعوا ما يتلوه من آيات، ففي سورة الأنعام نرى ذهاب المشركين لسماع القرآن ومن ثم بعد الاستماع، يقولون﴿ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٥]، في مواجهة النبي، وهذا ناجم عن اعتقاد أن ما يقولونه

(١) انظر: «**القصص القرآني**» عبد الكريم الخطيب (ص/٣٠٢)

هو الصواب، ومعناه أن الشبهة عندهم قوية، وكذلك في سورة الأنفال يذهبون ويستمعون ومن ثم يقولون ﴿قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣١]، ولم يكتفوا بذلك، بل ذهبوا في التحدي إلى أبعد من هذا، ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[الأنفال: ٣٢]، والقرآن صادق في نقل تصوير إحساساتهم، فلا بد من التسليم بأن هذه العقيدة قوية عندهم، وقائمة على أساس يطمئنون إليه من حيث وسعهم معه أن يقرروا بهذه القوة وجود الأساطير في القرآن، وإلا ما كانوا ليطلبوا من الله أن يمطرهم بحجارة من عذاب ويعرضوا أنفسهم للتهلكة[1].

ثم يقول: "ما يُفهم من النظر في هذه الآيات التي هي كل ما تحدث به القرآن عن الأساطير أن القرآن نفسه لم يحرص على أن ينفي عن نفسه وجود الأساطير فيه، وإنما حرص على أن ينكر أن تكون هذه الأساطير هي الدليل على أنه من عند محمد عليه السلام، وليس من عند الله"[2].

فالقرآن اكتفى بوصف صنيع المشركين دون التعقيب، وما ورد فيه من تهديد في سورتي الأنعام والمطففين كان على إنكار المشركين للبعث أو على صدهم للناس عن اتباع النبي، لا على قولهم بوجود الأساطير فيه.

ولا يوجد في القرآن رداً على وصف المشركين له بالأساطير سوى في سورة الفرقان، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[الفرقان: ٥ - ٦]، ثم يتساءل خلف الله، هل هذا الرد نفي على ورود الأساطير في القرآن، أم نفي على أن تكون تلك الأساطير من عند محمد وإثبات على أنها من عند الله؟ فيذكر لعل الثاني أوضح[3]، ويستشهد له بما قاله الرازي: "في بيان هذا كيف يصلح أن يكون جواباً عن تلك الشبهة؟ وتقريره ما قدمنا أنه ﷺ تحداهم بالمعارضة وظهر عجزهم عنها، ولو كان ﷺ أتى بالقرآن بأن استعان بأحد لكان الواجب

(١) انظر: «**الفن القصصي في القرآن**» خلف الله (ص/٢٠٢ - ٢٠٥).

(٢) «**الفن القصصي في القرآن**» خلف الله (ص/٢٠٥).

(٣) انظر: «**الفن القصصي في القرآن**» خلف الله (ص/٢٠٥).

عليهم أن يستعينوا بأحد ويأتوا بمثل هذا القرآن، فلما عجزوا عنه ثبت أنه وحي الله وكلامه، فلهذا قال: ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ ﴾"[1].

تعقيب ونقد :

إن الرأي الذي قدمه خلف الله حول قصص القرآن بأنها مقتبسة من الكتب السماوية السابقة قد تابع به رأي بعض المستشرقين القائلين بأن مادة القرآن الكريم مستقاة من معارف اليهود والنصارى، وإن يكن من كلام الله[2]!

وقد عقب عبد الكريم الخطيب على ذلك قائلا: "إذا سلمنا بأن القرآن قد جاء في قصصه بما يطابق ما عند اليهود من معارف، وذلك ليثبت لهم، ولمن تلقى عنهم من مشركي مكة- صدق محمد، وأنه نبي، وأنه لو جاءهم بالواقع الذي يخالف ما عندهم لما سلموا له- نقول لو سلمنا بهذا القول في القرآن لكان معنى ذلك أن القرآن ليس كتاباً خالداً مع هذه الرسالة الخالدة التي جاء بها، وأنه إنما جاء ليعيش في هذه البيئة المحدودة، كزمن محدود، ولهذا جاء على وفق تفكيرها"[3].

وإن تكرار القصة في القرآن الكريم في سور شتى ليس في صورة واحدة، من ناحية القدر الذي يساق وطريقة الأداء في السياق، وأنه حيثما تكررت حلقة كان هناك جديد تؤديه[4]، أي "إن كل مرة تعرض فيها القصة تكشف عن جانب من جوانبها، أو تجسم صورة من صورها، أو تكمل حدثاً من أحداثها.. الأمر الذي لا يمكن أن يتم في عرض واحد مستقل، دون أن يقع في الأسلوب اضطراب، وتناقض وثقل، لهذا التكرار المتصل، ولاختلاف المقولات فيما يبدو أنه موقف واحد"[5].

والقرآن الكريم لم يكرر من القصص إلا ما كان أشد تجاوباً مع بيئة الدعوة وأكثر استجابة لأهدافها وخدمة أغراضها، مثل قصص آدم ونوح ولوط وإبراهيم وغيرهم، والدليل على هذا أن هناك قصص لم تذكر إلا مرة واحدة، كقصة أهل الكهف، وقصة ذي القرنين.

---

(١) «**مفاتيح الغيب**» الرازي (٢٤/٥١).

(٢) انظر: «**القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**» عبد الكريم الخطيب (ص/٢٨٥).

(٣) «**القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**» عبد الكريم الخطيب (ص/٢٩٠).

(٤) انظر: «**في ظلال القرآن**» سورة البقرة، سيد قطب (٢/٣٩ - ٤٠).

(٥) «**القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**» عبد الكريم الخطيب (ص/٢٣٣).

وبالوقوف على القصص المتكررة نلحظ أسباب ومبررات التكرار، فمثلاً قصة آدم وإبليس قد تكررت لأنها قصة الإنسانية كلها في صراعها المتجدد بين قوى الخير والشر، وقصة نوح عليه السلام تكررت لأنه هو الرائد الأول للرسل، وديانته أقدم الديانات، فكان أول رسول بعث إلى أهل الأرض، وكان قومه يعبدون الأصنام دهراً طويلاً كالعرب، وقد جعل الله تعالى ذريته عمّاراً للأرض وخلفاء، وشاء تعالى أن يبقي ذكره في الأجيال إلى آخر الزمان[1]، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ٧٧ - ٧٩].

وفيما يتعلق بدعوى وجود الأساطير في القرآن، فإن قول المشركين عن القرآن الكريم بصفة عامة وعن إنذاراته المتكررة بتأكيد البعث والرجعة إلى الله لم يكن عن عقيدة، ولا ناتجاً عن شبهة احتواء القرآن شيء من الأساطير يطمئنون إليها، وإنما مبعثه هو ما ساءهم من الرسالة بصفة عامة من عقيدة تهدد وجودهم في السيادة والصدارة، ومنهج يقضي على امتيازاتهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية إن بقوا على شركهم.

وإن اقتصار القرآن الكريم على وصف صنيع المشركين ليس بصحيح، فالقرآن تعقب مواضع قولهم وأنكره، وتوعد القائلين به بأنواع شتى من الوعيد[2]، فمثلاً في سورة الأنعام قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: ٢٥]، فيه وصف المشركين للقرآن بأنه أساطير الأولين وهذا تكذيب للقرآن وانتقاص منه، وقد جاء تعقيباً عليه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ٢٧]، وهذا وعيد للمشركين نتيجة لوصفهم القرآن بأنه أساطير[3].

وإن القول بوجود الأسطورة في القرآن يتنافى مع الصفة الملازمة له وهي الصدق المطلق، ولو اتسعت كلمات القرآن لأي شبهة من شبهات الباطل، لانسحب ذلك على كل ما يحمله من مقررات في العقيدة والشريعة، وعدم بقاء مفهوم صحيح لتلك الصفات التي

---

(١) انظر: «**قصص القرآن الكريم**» فضل عباس (ص/٧٥-٧٦)، و «**سيكولوجية القصة في القرآن الكريم**» التهامي نقرة (ص/١١٨، ١٢٠ - ١٢١).

(٢) انظر: «**لا أساطير في القرآن**» إسماعيل أحمد الطحان، د.ن، د.ط (ص/٢١٨، ٢٢١).

(٣) انظر: «**العلمانيون والقرآن الكريم**» أحمد الطعان (ص/٥٦٠).

وصف القرآن بها نفسه[1]، كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[فصلت: ٤١ - ٤٢].

وإن قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾﴾[الفرقان: ٦]، رد على قولهم ﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[الفرقان: ٥]، أي هذا الذي يقولون عنه أساطير الأولين، إنما هو منزل من ممن يعلم السر في السماوات والأرض، فهل من يعلم بذلك ينزل على حكم الأساطير ويتعامل معها؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فالذي يتعامل مع الأساطير هو من يعجز عن أن يمسك بالحقيقة أو ينفذ إلى أعماقها؛ إذ لا يجد بداً من التعلق بالأوهام والخيالات.

وإن المشركين قد وصفوا القرآن الكريم بأوصاف أخرى ، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾[الفرقان: ٤]، ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠]، ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾[المدثر: ٢٤]، فهذه المقولات مع القول بأنه أساطير الأولين من واد واحد، وتنزع عن موقف إزاء القرآن كله لا قصصه فقط، فالوصف بالأساطير لا يختلف عن وصف السحر والشعر وأضغاث أحلام، وما هذا إلا نوعاً من التشغيب واللغو الذي يعارضون به القرآن، حتى يلفتوا الناس عن الرسول وعن دعوته[2]، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦].

وأما استشهاده برأي الرازي فغير صحيح، فقد حاول الرازي أن يبين كيف يصلح تعقيب القرآن في هذا المقام جواباً عن تلك الشبهة (أي وصف المشركين للقرآن بأنه أساطير الأولين)، لئلا يدع لمدع أن القرآن لم ينف عن نفسه وجود الأساطير فيه، وهو رأي يُستأنس به في إنكار العلماء والمفسرين اتهام المشركين بأن القرآن أساطير[3].

---

(١) انظر: «**القصص القرآني**» عبد الكريم الخطيب (ص/٣٠٦).

(٢) انظر: «**القصص القرآني**» عبد الكريم الخطيب (ص/٣١٤، ٣١٦، ٣١٨).

(٣) انظر: «**لا أساطير في القرآن**» إسماعيل الطحان (ص/٢٢٢).

كما أن "الرازي وغيره من المفسرين لم يلتزموا رأياً واحداً في التفسير، وإنما هم ينقلون آراء متعددة لمجرد العلم بها، دون أن يكون ذلك فهما خاصاً لهم..فإن كان لهم في الآية فهم خاص صرحوا به.. وصاحب الرسالة ينقل عن الفحر الرازي ما يقع اختياره عليه من هذه الآراء، وكثير منها من الإسرائيليات والخرافات التي هي قبيل العرض، لا الرأي"[1].

و"لعل صاحب الرسالة درس فن القصة في الأدب وأدرك من عناصرها الأساسية الخيال الذي يعتمد على التصور، وأنه كلما ارتقى خيالها ونأى عن الواقع كثر الشوق إليها، ورغبت النفس فيها، واستمتعت بقراءتها، ثم قاس القصص القرآني على القصة الأدبية.

وليس القرآن كذلك، فإنه تنزيل من عليم حكيم، ولا يرد في أخباره إلا ما يكون موافقاً للواقع، وإذا كان الفضلاء من الناس يتورعون من أن يقولوا زوراً ويعدونه من أقبح الرذائل المزرية بالإنسانية فكيف يسوغ لعاقل أن يلصق الزور بكلام ذي العزة والجلال؟"[2].

وإن "الفن القصصي في الأدب لا يصح أن تُحَكّم مقاييسه بصورة آلية مطلقة في القرآن. فهو ليس كتاب أدب... والقصص القرآني قصص ديني قبل كل شيء. فلا يمكن النظر إليه من زاوية أدبيّة صرفة، وقد جاء لخدمة أغراض متنوعة، فلا يمكن تفسيره بالاعتماد على نظرية واحدة"[3].

ولو أن خلف الله" قال إنه يتخذ هذا البحث وسيلة إلى إثبات سمو الناحية الفنية في كتاب الله وعمقها. وأنه كمؤمن بالقرآن الكريم يصدق بأن هذه الوقائع جميعاً لابد أن تكون حقائق تاريخية، وذلك مما يزيد في روعة التصوير ودقة الفن، ولا عجب فهو ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨] لو قال هذا لاستراح وأراح، ونفى عن نفسه وعن الذين يقرؤون له لوثات الزيغ والضلال"[4].

---

(١) «**القصص القرآني**» عبد الكريم الخطيب (ص/٣١٥).

(٢) «**مباحث في علوم القرآن**» مناع القطان، مكتبة وهبة (القاهرة)، ط١١ (٢٠٠٠م) (ص/٣٠٤).

(٣) «**سيكولوجية القصة في القرآن الكريم**» التهامي نقرة (ص/١٧٠).

(٤) «**نظرات في القرآن**» محمد الغزالي (ص/١٠٣).

ويضاف إلى ذلك بأن العبرة والعظة من القصص القرآني لا تحصل مالم تكن القصة واقعية، ففي قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[يوسف: ١١١]، يقول ابن عاشور: "وجملة ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾إلى آخرها تعليل لجملة ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ﴾أي لأن ذلك القصص خبر صدق مطابق للواقع وما هو بقصة مخترعة. ووجه التعليل أن الاعتبار بالقصة لا يحصل إلا إذا كانت خبراً عن أمر وقع، لأن ترتب الآثار على الواقعات رتّب طبيعي فمن شأنها أن تترتب أمثالها على أمثالها كلما حصلت في الواقع، ولأن حصولها ممكن إذ الخارج لا يقع فيه المحال ولا النادر وذلك بخلاف القصص الموضوعة بالخيال والتكاذيب فإنها لا يحصل بها اعتبار لاستبعاد السامع وقوعها لأن أمثالها لا يُعهد، مثل مبالغات الخرافات وأحاديث الجن والغول عند العرب وقصة رستم وأسفنديار عند العجم. فالسامع يتلقاها تلقي الفكاهات والخيالات اللذيذة ولا يتهيأ للاعتبار بها إلا على سبيل الفرض والاحتمال وذلك لا تحتفظ به النفوس"[(١)].

٣- الجابري[(٢)]

ردد الجابري قول خلف الله في نفي الحقيقة التاريخية عن القصص القرآني، لكن من طريق ثان، وهذا بحسب تصريح الجابري عن نفسه؛ إذ يقول: "من الذين كتبوا في هذا الموضوع وأثارت آراؤهم جدلاً في الخمسينات من القرن الماضي، كتاب المرحوم محمد خلف الله (الفن القصصي في القرآن)، وقد انتهى فيه إلى أن القصة القرآنية لم يكن هدفها التاريخ بل العظة والاعتبار، وأن هناك أقوالاً جاءت على لسان بعض الشخصيات في القصة أنطقها القرآن على لسانهم، وأن مضمون القصة القرآنية هو ما يعرفه المعاصرون للنبي من تاريخ. ومع أننا لا نختلف كثيراً حول هذه النتائج إلا أن طريقنا إليها يختلف عن طريق خلف الله"[(٣)].

---

(١) «**التحرير والتنوير**» ابن عاشور (١٣/ ٧١ - ٧٢).

(٢) هو محمد عابد الجابري، مفكر وفيلسوف عربي، ولد سنة (١٩٣٦م) في المغرب، مشروعه نقد العقل العربي، توفي سنة (٢٠١٠م)، من مؤلفاته: نحن والتراث - الخطاب العربي المعاصر - التراث والحداثة - فهم القرآن الحكيم التفسير الواضح حسب ترتيب النزول. انظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

(٣) «**مدخل إلى القرآن الكريم الجزء الأول في التعريف بالقرآن**» محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت-لبنان)، ط١ (٢٠٠٦م)، في الهامش (ص/٢٥٩).

فالجابري يعتبر "القصص القرآني هو نوع من ضرب المثل، والمثل لا يضرب لذاته ولا من أجل ذاته، بل من أجل البيان من أجل العبرة من أجل البرهنة على صحة القضية الذي يستشهد فيها بالمثل... وهكذا فكما أننا لا نسأل عن صحة القصة التي وراء الأمثال التي تضرب لموقف أو حال...فكذلك القصص القرآني في نظرنا. والصدق في هذا المجال سواء تعلق الأمر بالمثل أو بالقصة لا يلتمس في مطابقة أو عدم مطابقة شخصيات القصة والمثل للواقع التاريخي، بل الصدق فيه مرجعه مخيال المستمع ومعهوده... فلا معنى لطرح مسألة الحقيقة التاريخية. إن الحقيقة التي يطرحها القصص القرآني هي العبرة، هي الدرس الذي يجب استخلاصه"[1].

ثم بعد أسطر من نفيه للحقيقة التاريخية عن القصص، يصفها بأنها تاريخية وقد وضع هذه الكلمة بين قوسين، فيقول: "إن القصص القرآني ليس قصصاً خيالياً بل هو قصص يتحدث عن وقائع "تاريخية" تدخل ضمن معهود العرب. ولم يكن العرب أعراباً "أميين" كلهم، بل كان منهم يهود ونصارى في مكة ويثرب وشمال الجزيرة العربية وشرقها وغربها، وكان منهم خبراء في "الأنساب" و"متخصصون" في القصص: قصص نوح والطوفان وفرعون، وقصص أنبياء بني إسرائيل. كل ذلك كان يدخل ضمن المعهود العرب الثقافي والفكري"[2].

ويرى الجابري أيضاً بأن قصص القرآن حكاية لما ورد في التوراة والإنجيل، ولا يختلف القرآن عنهما سوى في طريقة العرض؛ إذ يقول: "إن علاقة القرآن بالتوراة والإنجيل علاقة تصديق بصورة عامة. بل يمكن القول إنها في مجال القصص علاقة حكاية، بمعنى أن القرآن يحكي ما ورد في التوراة من أخبار أنبياء بني إسرائيل...

والحق أن الأصالة والإبداع في القرآن - وفي مجال القص خاصة - هما في طريقته الخاصة في عرض القصص، قصص التوراة"[3].

وقد وضع الجابري في دراسته للقصص القرآني مجموعة من الضوابط -انفرد بها على حد تعبيره- كالاقتصار في الدراسة على القرآن الكريم دون الإسرائيليات والموروث القديم جملة (إلا لضرورة في شرح كلمة أو بيان مسألة، وليس لأنه صحيح في نفسه بل لكونه

---

(١) «**مدخل إلى القرآن الكريم**» الجابري (ص/٢٥٧ - ٢٥٩).

(٢) «**مدخل إلى القرآن الكريم**» الجابري (ص/٢٥٩).

(٣) «**مدخل إلى القرآن الكريم**» الجابري (ص/٤٢٢-٤٢٣).

يُعبر عن فهم العرب لتلك الكلمة أوالمسألة)، وتتبع القصص حسب ترتيب النزول لا ترتيب المصحف؛ إذ هذا الأخير سيحتم على الباحث منطق تسلسل وقائع القصة لا منطق القص القرآني، والقرآن كتاب دعوة يستعمل القص لأهداف الدعوة، وليس كتاب قصص، وهدفه من اتباع ترتيب النزول تتبع تطور هذا القص الدعوة المحمدية من جهة، والتعرف من جهة أخرى إلى الكيفية التي وظف بها القرآن هذا القص كنوع من أنواع البيان لنصرة هذه الدعوة، واعتماد تصنيف وتحقيب للقصص القرآني يميز فيه بين ثلاث مراحل، اثنتان مكية (تمتد الأولى من سورة الفجر ورقم ترتيبها ١٠ إلى سورة القمر وترتيبها ٣٧، وتمتد الثانية من سورة ص ورقم ترتيبها ٣٨ إلى سورة العنكبوت وترتيبها٨٥) ، وواحدة مدنية (وتمتد من السنة الأولى للهجرة إلى وفاة النبيﷺ)[١].

ثم جاء بدراسة تطبيقية بناء على تلك الضوابط، وكان من بين تلك النماذج (أي القصص القرآني) قصة نوح عليه السلام، وقد تمت قراءته لها من خلال سور محددة (الأعراف- الشعراء- يونس- هود) فقط، وأما السور الأخرى التي وردت فيها قصة نوح فلا جديد- على حد تعبيره- فيها.

واعتبر الجابري القصص القرآني المفصل والمستوفي لعناصره يبدأ مع سورة الأعراف، فكثير من القصص التي تأتي في السور اللاحقة إما تفصيل لبعض الجوانب المذكورة في هذه السورة وإما صياغة لها جديدة يقتضيها المقام، فسورة الأعراف بمثابة برنامج لقسم كبير من القصص، ومن ثم تخلص السورة إلى ذكر الصراع بين الرسول محمد ومشركي قريش وهذا هو الغرض من القصص، ثم يذكر بأن الأمر يتضح أكثر من خلال التذكير بالاستراتيجيات التي سلكها القرآن في مجال القص، وهي:

١- مراعاة التسلسل الزمني للتاريخ المقدس الذي تروي سورة الأعراف فصوله من خلال قصص الأنبياء.
٢- توظيف قصص الأنبياء في تحذير قريش إن تمادوا في الكفر والشرك، وتثبيت قلب النبي وتقوية معنويات أصحابه.
٣- صب خطاب الأنبياء السابقين في صيغة تحاكي وتعزز الخطاب الذي يوجهه محمد ﷺ إلى قومه، أي كأن خطاب الأنبياء مع أقوامهم يعبر عن حال النبي محمد مع قومه قريش.

---

(١) انظر: «**مدخل إلى القرآن الكريم**» الجابري (ص/٢٥٧ - ٢٥٨، ٢٦٠ - ٢٦٢).

وإن التكرار الذي يُلاحظ في القصص القرآني هو في الصيغة لا المضمون، أي أن المضمون واحد لكن يصاغ في كل مرة حسب مبدأ لكل مقام مقال، فالمقام متحرك والمقال ثابت[1].

وبناء على ذلك البرنامج الموجود في سورة الأعراف يقدم الجابري قراءة لقصة نوح تتمثل في أربع سور (الأعراف- الشعراء-يونس-هود) فقط.

- **في سورة الأعراف :**

إن قصة نوح تمثل ذاك البرنامج الموجود في هذه السورة، إذ يقول الجابري: "فمن الناحية الزمنية تمثل هذه القصة الفصل الثاني من فصول التاريخ المقدس، تاريخ الأنبياء، بعد الفصل الأول الذي يشغله آدم. ومن الناحية الوظيفية تأتي هذه القصة لتخوف قريشاً بتذكيرهم بالطوفان الذي أهلك المكذبين من قوم نوح من جهة، ولتبعث الثقة في نفس النبي محمد ﷺ بكون النصر في النهاية لرسل الله.

أما من ناحية صيغة الخطاب فمن السهل وضع اسم محمد مكان اسم نوح، وصرف كلمتي "أنجيناه" و"أغرقنا" من صيغة الماضي (المناسبة لنوح) إلى صيغة الحاضر والمستقبل (المناسبة لمحمد)، لتبقى الحقيقة المراد تقريرها هي هي"[2].

ثم يذكر بأن الابتداء بقصة نوح كونه أول رسول بعد آدم عليهما السلام، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ﴾[الأعراف: ٥٩ - ٦٤]، وهو نص قصير لا يحكي سوى الحوار الدائر بين نوح وقومه، وهو لا يختلف عن الحوار الذي ورد في آيات عديدة بين النبي محمد ﷺ وبين قومه قريش[3].

---

(١) انظر: «**مدخل إلى القرآن الكريم**» الجابري (ص/٢٩١ - ٢٩٢).

(٢) «**مدخل إلى القرآن الكريم**» محمد عابد الجابري (ص/٢٩٩).

(٣) انظر: «**مدخل إلى القرآن الكريم**» محمد عابد الجابري (ص/٣٠٠).

- **في سورة الشعراء :**

جاءت سورة الشعراء بعنصرين جديدين لم يرد لهما ذكر في سورة الأعراف، وهما مهمان بالنسبة إلى من يحاول أن يجد لما تحكيه كتب السيرة عن وقائع الدعوة المحمدية ما يشهد لها بالصحة من القرآن، فهو النص الوحيد المتواتر الذي يجب الاعتماد عليه في هذا المجال، والعنصران هما:

أ- أن قريشاً عرضت على النبي ﷺ المال والجاه والسلطة على أن يتخلى عن دعوته فرفض، والصيغة التي وردت فيها قصة نوح في سورة الشعراء تؤكد أن الأنبياء قد تعرضوا لذلك الاغراء ورفضوه، وقد ورد رفضهم في كثير من الآيات بالصيغة الموجودة في سورة الشعراء، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[الشعراء: ١٠٩].

ب- أن قريشاً اشترطت على النبي أن يطرد الفقراء والعبيد من صفوفه، كي يجالسونه ويستمعون منه، وبينما يفكر في ذلك جاءه الوحي بالنهي، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[الأنعام: ٥٢]، وفي الصيغة التي تعرض بها سورة الشعراء قصة نوح نجد الأمر نفسه، فقوم نوح يطلبون منه طرد الأراذل من صفوفه ﴿ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴾[الشعراء: ١١١]، فأجابهم عليه السلام: ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[الشعراء: ١١٤ - ١١٥].

وفي ما عدا هذين العنصرين اللذين تلتقي فيهما التجربة التي خاضها الرسول ﷺ مع تجربة نوح، تقتصر القصة على التذكير بالعنصر الخاص بتجربة نوح، وهو دعاؤه على قومه واستجابة ربه له بإغراقهم.

- **في سورة يونس :**

أضافت سورة يونس إلى قصة نوح شيئاً واحداً وهو التلميح إلى أن قوم نوح قد طرحوا للمناقشة فيما بينهم إمكانية التخلص منه بقتله. وهذا هو الأمر الذي دفع نوحاً عليه السلام إلى الدعاء عليهم، فكانت الاستجابة إغراقهم.

وفي ذلك تذكير بقريش التي قد طرحت للمناقشة بينها، خلال صراعها مع النبي ﷺ القضية نفسها وهي التخلص منه ﷺ بقتله، إلا أنها أعرضت عن ذلك مخافة الانزلاق إلى حرب أهلية، حسب ما ورد في كتب السيرة[1].

- **في سورة هود :**

تتناول هذه السورة من قصة نوح قسمين متميزين، أحدهما: يستعيد جدل نوح مع قومه بصورة أقرب ما تكون من جدل النبي محمد مع قومه، ثم يذكر بأن النبي نوح يتكلم بلسان النبي محمد عليهما السلام، بل إن قصص الأنبياء كلها على هذا النمط.

والقسم الآخر من السورة يتناول الحديث عن تفاصيل الطوفان التي لم يسبق ذكرها في السور السابقة (حسب ترتيب النزول)، ثم تختم السورة بالنتيجة المتوخاة من عرض تلك التفاصيل[2] "وهي أن إتيان النبي محمد ﷺ بهذه التفاصيل التي يجهلها هو وقومه دليل على أن القرآن وحي من الله. فالقصة موجهة إذاً إلى المكذبين من قريش لنبوة محمد لتقوم بدور الشاهدعلى صحة نبوته قال تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[هود: ٤٩]"[3].

وتنتهي أحداث قصة نوح-في رأي الجابري- بما ورد في سورة هود، وأما ما بقي من السور التالية لها حسب ترتيب النزول فلا جديد فيها؛ إذ يقول: "إن قصة نوح في القرآن المكي تنتهي بما ورد في السورة السابقة (سورة هود)، بمعنى أنها قد استكملت جميع عناصرها. أما ما جاء منها في السور التالية لها-حسب ترتيب النزول- فلا يضيف جديداً، وهو بالجملة صنفان:

أ- ما ورد في سورة نوح ورتبتها ٧١، وقد سميت باسمه، والجديد فيها لا يقع على مستوى عناصر القصة، بل على مستوى الأسلوب ولهجة الخطاب.

ب- أما ما ورد عنها في السور التالية لسورة نوح وبالتحديد: سورة إبراهيم وسورة الأنبياء وسورة المؤمنون ورتبها على التوالي: ٧٢، ٧٣، ٧٤ فليس فيه جديد

---

(١) انظر: «**مدخل إلى القرآن الكريم**» الجابري (ص/٣٠١ - ٣٠٥).

(٢) انظر: «**مدخل إلى القرآن الكريم**» الجابري (ص/٣٠٧ - ٣٠٩).

(٣) «**مدخل إلى القرآن الكريم**» الجابري (ص/٣٠٩).

سوى أنها تأكيد لما سبق بصيغ متنوعة. تبقى بعد هذا سورة العنكبوت التي نقرأ فيها سياقاً جديداً"[1].

- **في سورة نوح (لهجة مختلفة).**

تعرض هذه السورة قصة نوح بصيغة ولهجة مختلفة عن صيغ السور الأخرى؛ إذ إن السياق التي ورد في سورة نوح غير السياق في السور السابقة، والنبي نوح عليه السلام في سورة نوح يتحدث بنوع من اليأس واضح، فقد دعا على قومه بالهلاك، وهو عكس ما عليه السور المنتمية إلى برنامج سورة الأعراف من كون القصة تنتهي بما يسلي النبي ويثبته ويدعوه إلى الصبر، ثم يذكر الجابري بأن هناك مرويات تفسر شدة موقف نوح، وهي دعوته لقومه مدة طويلة من الزمن وعدم الاستجابة مع الإصرار على الكفر فيئس منهم نوح ودعا عليهم[2].

- **في سورة العنكبوت (سياق آخر):**

وردت قصة نوح في هذه السورة لكن بسياق آخر، سياق يتجه الحديث فيه إلى بعض المسلمين الذين اشتكوا من الاضطهاد والتعذيب وطول انتظار النصر، فجاء الاستشهاد بقصة نوح الذي طال دعواه لقومه في ما يقرب ألف سنة رداً على تلك الشكوى، ولتثبيت قلوبهم وتسليتهم من خلال بيان ما حصل مع أتباع الأنبياء قبلهم.

ويشير الجابري في الهامش إلى أن هناك أقوال كثيرة للمفسرين ومروجي الإسرائيليات حول عمر نوح، لكن لا ضرورة لها؛ إذ المقصود من ذكر المدة هو التنبيه إلى صبر نوح وثباته هو ومن آمن معه، وفي هذا خطاب غير مباشر للمسلمين الجدد الذين اشتكوا من ظلم قريش.

وبهذا تنتهي قصة نوح في القرآن المكي، وأما ما ورد بشأنها في القرآن المدني فهو مجرد ذكر لاسم نوح إلى جانب أسماء أنبياء آخرين[3].

---

(١) «**مدخل إلى القرآن الكريم**» الجابري (ص/٣٠٩).

(٢) انظر: «**مدخل إلى القرآن الكريم**» الجابري (ص/٣٠٩-٣١١).

(٣) انظر: «**مدخل إلى القرآن الكريم**» الجابري (ص/٣١١-٣١٣).

تعقيب ونقد:

لقد نفى الجابري عن القصص القرآني الحقيقة التاريخية ثم بعد أسطر ذكر أنها ليست خيالاً محضاً، وقد وضع كلمة تاريخية بين قوسين، وذكر بأن القصص التي وردت في القرآن الكريم ما كان شائعاً ومعهوداً في الحكايات لدى العرب، وفي هذا يكون الجابري قد ناقض نفسه، بل إنه جازف مجازفة لم يسبقه إليها أحد، وهي أنه أنكر وقوع الحوار الذي دار بين الأنبياء وأقوامهم، فقد شبهه بالحوار الذي لم يقع بعد بين أهل الجنة وأهل النار[١]؛ إذ يقول: "أما ما يجري في هذا القصص من حوار بين الأنبياء وأتباعهم من جهة، وخصومهم من جهة أخرى، فهو في نظرنا كالحوار الذي يجري-في القرآن- بين أصحاب الجنة وأصحاب النار، في وقت لم تقم فيه القيامة بعد"[٢]، وهذا يؤدي إلى مجموعة من الاسقاطات والتجازوات في فهم كتاب الله، فذكر نوح وقومه وإبراهيم وقومه وغيرهم من الأنبياء مجرد رموز وعلامات المراد بها أشخاص أخرون موجودون على الأرض[٣].

وهناك من يرى عدم وجود التناقض في كلام الجابري، لأنه قد وضع كلمة "تاريخية" بين قوسين، وأكد ذلك بتقييده ذلك بمعهود العرب؛ أي إن القصص القرآني في نظره لا يدل على وقائع تاريخية حقيقية، ولكنه حسب ما كان شائعاً ومعهوداً في الحكايات الشعبية لدى العرب، وبالتالي ليست خيالاً محضاً، وإنما هي حكاية لما كان شائعاً في الأوساط العربية[٤]، وبهذا يكون الجابري قد وضع الشاهد على صحة القصص القرآني خبراء الأنساب ومتخصصون في قصص الأمم السابقة، والقرآن حجة عنده، لكن الاحتجاج به متوقف على ما يشهد له بالصحة، وهذا قمة العبث والجهل[٥].

وما يؤكد تشكيك الجابري بالقصص القرآني ما ذكره عند حديثه عن القصص المتعلق بالدعوة المحمدية[٦]؛ إذ يقول: "هذا فيما يتعلق بالأحداث التي يرويها القرآن عن الأقوام

---

(١) انظر: «**رد افتراءات الجابري على القرآن الكريم**» محمد عمارة، دار السلام، د.ط (ص/٨٨).

(٢) «**مدخل إلى القرآن الكريم**» الجابري (ص/٢٧٠).

(٣) انظر: «**القراءات المعاصرة في القرآن الكريم (الجابري نموذجاً)**» محمد الناسك، نسخة وورد (ص/١٨١).

(٤) انظر: «**العلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام**» مصطفى باجو (ص/١٧١).

(٥) انظر: «**القراءات المعاصرة في القرآن الكريم (الجابري نموذجاً)**» محمد الناسك (ص/١٧٩).

(٦) انظر: «**القراءات المعاصرة في القرآن الكريم (الجابري نموذج)**» محمد الناسك، إشراف: عبد الله غازيوي، جامعة محمد بن عبد الله/كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس، بحث لنيل شهادة الدكتوراه، السنة الدراسية (٢٠١٣-٢٠١٤م) (ص/١٧٧).

الماضية. أما ما ورد، خلال حكاية ذلك، مما يخص الدعوة المحمدية، فهو حقائق تاريخية، وردت بشأنها أخبار في كتب السيرة. وهذه الأخبار ليست الدليل على صحتها. بل إن ما ورد منها في القرآن هو دليل الصحة فيها"[1].

فالجابري يرى القصص القرآني بما يخص الدعوة المحمدية حقائق تاريخية لورود أخبار بشأنها في السيرة، ثم ينقض قوله بأن ما ورد منها في القرآن هو الدليل على صحتها.

وإذا كان القرآن كما يقول الجابري هو الدليل، فلم كان القرآن دليلاً على صحة ما ورد في كتب السيرة، ولم يكن دليلاً فيما ورد فيه من قصص السابقين؟[2].

وأما بالنسبة للعلاقة بين قصص القرآن وقصص التوراة فليست علاقة تصديق فقط، وإنما هي علاقة لها وجه آخر هام جداً، إنها علاقة هيمنة واحتواء وتفوّق، بدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[المائدة: ٤٨]، فالقرآن مهيمناً عليها في كل المجالات، كالقصص، والعقائد، والتشريع[3].

يقول محمد عمارة: "فالقرآن قد جاء مصدقاً للتوراة والإنجيل ولكل الكتب الإلهية في التوحيد الذي هو جوهر دين الله الواحد، عبر النبوات والرسالات، لكنه لا يمكن أن يكون مصدقاً لصورة الله في أسفار العهد القديم...ثم من قال إن القرآن الكريم قد وقف عند حكاية مافي التوراة من أخبار بني إسرائيل؟

إن الفارق بين صورة أنبياء بني إسرائيل في القرآن وصورتهم في أسفار العهد القديم هو الفارق بين الثريا والثرى!..بين ديوان عصمة الأنبياء وتكريمهم وبين مستنقع ازدراء الأنبياء والمرسلين"[4].

وإن اقتصار الجابري على القرآن وحده في التفسير غير مسلم له، لإهماله ما جاء في الأحاديث الصحيحة والتفاسير المأثورة سواء للنبي أو الصحابة الذين اعتنى عدد مهم منهم بهذا الجانب من القرآن الكريم، ولا شك أن الاهتمام بما ورد من نصوص في هذا الباب

---

(١) «**مدخل إلى القرآن الكريم**» الجابري (ص/٢٧٠).

(٢) انظر: «**القراءات المعاصرة في القرآن الكريم (الجابري نموذج)**» محمد الناسك، (ص/١٧٧).

(٣) انظر: «**أباطيل وخرافات حول القرآن الكريم والنبي محمد عليه الصلاة والسلام**» - دحض أباطيل عابد الجابري وخرافات هشام جعيط حول القرآن ونبي الإسلام -، خالد كبير علال، دار المحتسب (٢٠٠٨م) (ص/٧٤).

(٤) «**رد افتراءات الجابري على القرآن الكريم**» محمد عمارة (ص/٧٦-٧٧).

مفيد في بيان القصص القرآني، لأن السنة مبينة للقرآن شارحة لـه، وعـدم اعتمادهـا مخـل بالفهم الصحيح وذريعة للتأويلات والأقوال غير الصحيحة[١].

ودراسة قصص الأنبياء من قبل السابقين كانت في بيان حياة كل نـبي، ومـا لاقـاه مـن شدائد وما انتهى إليه أمره مع قومه حسـب مراحـل عمـره، وعمـر دعوتـه، والآيـات الـتي تتحدث عن ذلك كله ليست دائماً في سورة واحدة، بل غالبا في سور عديدة يكمل بعضـها بعضاً، فهم لم يعتمدوا ترتيب المصحف وإنما حسب الترتيب التـاريخي، وكـانوا يفسـرون كل آية في إطار كل مرحلة تاريخية من دعوة الأنبياء، ولم يتناولوا القصـص حسـب ترتيـب النزول، لأنه لا يمكن الجزم بهذا الترتيب أولاً، ولأنه لا داعي له ثانياً[٢].

وإن فكرة الترتيب حسب النزول ليست مبتدعة من قبل الجابري فقد سبقه إليها العديـد من المستشرقين، أمثال فيشير وبريتسل وغيرهم، لكنها باءت بالفشل[٣].

و"الترتيب الجابري كي يكون تأريخاً للـدعوة المحمديـة، قـد يفضـي إلى ربطـه بهـذا التأريخ، ومن ثم يفتح باب التاريخية والتاريخانية التي تحيـل القـرآن الكـريم إلى الاسـتيداع بعد طوي التاريخ صفحات الأحداث التي مثلت مسار الدعوة الأسلامية، والتي حدثت قبل نحو خمسة عشر قرناً؟!"[٤].

ويقول سامر رشواني: "إذا كان الجابري قد نجح نسبياً في جعل النص القرآني معاصراً لنفسه، من خلال تتبعه للقصص القرآني، فإن هذا لا يعـني أنـه قـد نجـح تمامـاً في جعلـه معاصراً لنا، إذ لا يكفي لتحقيق ذلك - برأيي - أن نفهم السيرة القرآنية والمقاصـد القرآنيـة في عصر الرسالة، بل ما يعنينا - ربما بالدرجة الأولى - الرسـالة الأبديـة والـدعوة العالميـة التي يحملها القرآن في طياته، والتي ينبغي أن نجدَّ في اكتشافها وفهمها، مـن أجـل تحقيـق الطابع العالمي والمطلق للقرآن"[٥].

---

(١) انظر: «**الشبه الاستشراقية في كتاب مدخل إلى القرآن الكريم للدكتور محمد عابد الجابري**» (رؤيـة نقدية)، عبـد السـلام البكـاري والصـديق بـوعلام، الـدار العربيـة للعلـوم ناشـرون - دار الأمـان (الرباط)، ط١ (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م) (ص/٢٦٣).

(٢) انظر: «**الشبه الاستشراقية**» عبد السلام البكاري والصديق بوعلام (ص/٢٦٧).

(٣) انظر: «**رد افتراءات الجابري على القرآن الكريم**» محمد عمارة (ص/٤١-٤٢).

(٤) «**رد افتراءات الجابري على القرآن الكريم**» محمد عمارة (ص/٧٦-٧٧).

(٥) مقال: «**محمد عابد الجابري قارئاً للقرآن**» سامر رشواني،

www.liberaldemocraticpartyofiraq.com

وإن "التعامل مع القصص القرآني بحسب ترتيب نزوله لا يراعي الوحدة البنائية والموضوعية لسور القرآن الكريم، فالتناسق الذي يجمع بين أجزاء السورة والذي عبر عنه مصطفى صادق الرافعي بروح التركيب يجعل من السورة وحدة متلائمة الأجزاء على الرغم من تعدد الوجوه التي تنصرف فيها من أعراض الكلام كالقصص والمواعظ والحكم والتعليم والجدل والتشريع وغير ذلك مما تدور حوله السورة خاصة والقرآن عامة"[1].

وفيما يتعلق بإبطال شبهة التكرار فقد ذُكر ذلك سابقاً، ويضاف إلى ذلك بأن القصص القرآني الذي ذكر أكثر من مرة لا يوجد منه قصة واحدة ذكرت في سورتين اثنتين بطريقة واحدة، بل ما جاء في سورة مختلف عما جيء في غيرها، وكل قصة فيها من المشاهد والجزئيات والأحداث ما تفردت به السورة التي ذكرت فيها هذه القصة، وإن كانت هناك قضايا مشتركة اقتضاها السياق لكنها لم تأت على أسلوب واحد[2]، فاقتصار الجابري في قراءته لقصة نوح عليه السلام على أربع سور فقط فيه نقص لكثير من المشاهد والأحداث التي تناولتها القصة.

وفيما يتعلق بدعاء نوح عليه السلام على قومه، فإن معظم التفاسير تشير إلى أن الدعاء كان بسبب عدم الإيمان، وبعد أن أخبره الله تعالى أنه لم يؤمن أحد من قومه. قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾[هود: ٣٦]، أي لما جاء هذا من عند الله تعالى، عندها دعا نوح عليه السلام على قومه، فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾[نوح: ٢٦][3]، بينما يرى الجابري بأن دعاء نوح على قومه بسبب تأمر قومه على قتله، مع أنه قد ذكر في سورة نوح من أن النبي نوح عليه السلام يتحدث بنوع من اليأس واضح، لعدم استجابة قومه لدعوته وإصرارهم على الكفر، إلا أنه لم يختاره، فهو عكس ما عليه السور المنتمية إلى برنامج سورة الأعراف من كون القصة تنتهي بما يسلي النبي ويثبته ويدعوه إلى الصبر.

---

(١) مقال: «**مدخل إلى القرآن الكريم : استكشاف أم تشكيك؟**» قراءة في كتاب" مدخل إلى القرآن الكريم: في التعرف بالقرآن " للدكتور محمد عابد الجابري، محمد اكيج (باحث في الفكر الإسلامي والدراسات القرآنية)، شبكة ضياء للمؤتمرات والندوات (٢٠١٥م) .www.diae.net

(٢) انظر: «**قصص القرآن الكريم**» فضل عباس (ص/٧٨).

(٣) انظر: «**مفاتيح الغيب**» الرازي (١٧/٢٢٩).

٤- شخصيات أخرى.

لقد اشترك الجابري مع خلف الله في نفي الحقيقة التاريخية عن القصص القرآني لكن من طريق مختلف كما ذكرنا سابقاً، إلا أن هناك من جاء وأثنى على خلف الله، بل وأخذ يردد أفكاره وكلماته بأشكال مختلفة[١]، وذلك بوصفه للقرآن بأنه ذو بنية أسطورية منفتحة على كل ما هو عجائبي ومدهش وأسطوري[٢]، وأنه يبلور قصصه بنفس طريقة الفكر الأسطوري الذي يشتغل على أساطير قديمة[٣].

فأركون[٤] يرى القراءة الإسلامية للتاريخ بأنها أسطورية، وهذا واضح -بزعمه- في قصص الأنبياء[٥]؛ إذ يعلق على قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[هود: ١٢٠]، فيقول: "هناك مفهومات خمسة تتيح لنا أن نوضح كيف أن هذه الآية تحيل إلى نوع من الاستخدام الأسطوري للتاريخ، واستخدام تاريخي للأسطورة"[٦].

---

(١) انظر: «**العلمانيون والقرآن الكريم**» أحمد الطعان (ص/٥٥٢).

(٢) انظر: «**العنف والمقدس والجنس في الميثولوجيا الإسلامية**» تركي علي الربيعو، المركز الثقافي العربي (بيروت)، ط٢ (١٩٩٥م) (ص/٥٤).

(٣) انظر: «**الفكر الإسلامي قراءة علمية**» محمد أركون، ترجمة هاشم صالح، المركز الثقافي العربي، ط٢ (١٩٩٦م) (ص/٢٠٣).

(٤) هو مفكر وباحث، ولد في الجزائر سنة (١٩٢٨م)، كان مشروعه نقد العقل الإسلامي، وهو مشروع تاريخي وانثروبولوجي، توفي سنة (٢٠١٠م)، من مؤلفاته: من الاجتهاد إلى نقل العقل الإسلامي - نزعة الأنسنة في الفكر العربي - العلمنة والدين: الإسلام، المسيحية، الغرب - قضايا في نقد العقل الديني - من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، انظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

(٥) انظر: «**الأثر الاستشراقي في موقف محمد أركون من القرآن الكريم**» محمد بن سعيد السرحاني (ص/٢٤).

(٦) «**الفكر الإسلامي نقد واجتهاد**» محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، ط٣ (١٩٩٨م) (ص/١٣٠) نقلاً عن «**الأثر الاستشراقي في موقف محمد أركون من القرآن الكريم**» محمد بن سعيد السرحاني (ص/٢٤).

والقصص القرآني -في رأيه-مقتبس من التراث اليهودي والمسيحي[1]، ولم يقتصر على ذلك بل ساوى بين القرآن الكريم والتوراة بوصفه لهما أنهما نموذجان رائعان للأسطورة؛ إذ يقول: "إن الحكايات التوراتية والخطاب القرآني هما نموذجان رائعان من نماذج التعبير الميثي (الأسطوري)" [2].

ويرى الربيعو[3] أيضاً بأن قصص الأنبياء أحداث أسطورية، محاطة بهالة من القداسة من أجل زحزحة الحدث التاريخي لصالح الحدث الأسطوري، كقصة نوح وعمره المديد[4].

ويذكر الشرفي[5] أيضاً بأن القرآن متأثر بالمنظومات القديمة؛ لذا تجد أثراً للأساطير فيه، مثل: خلق الإنسان من طين، والجنة، وقصة الأكل من الشجرة والقرابين والطوفان[6]، فيقول: "الرسالة المحمدية امتداد للرسالات التوحيدية السابقة، تحتوي بالضرورة على عناصر من ثقافة القرن السابع الميلادي في مكة أولاً، وفي الحجاز والجزيرة ثانياً، وفي منطقة الشرق الأدنى كله ثالثاً. فبما أنها موجهة إلى البشر وإلى أناس بأعيانهم،

---

(١) انظر: «**نحو نقد العقل الاسلامي**» محمد أركون، ترجمة هاشم صالح، دار الطليعة (بيروت)، ط١ (٢٠٠٩م) (ص/٧٨)، نقلاً عن «**العلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام**» مصطفى باجو، المكتبة الإسلامية (عين شمس الشرقية-القاهرة، ط١ (١٤٣٣هـ-٢٠١٢م) (ص/١٧٣).

(٢) «**تاريخية الفكر العربي الاسلامي**» محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، مركز الإنماء القومي-المركز الثقافي الغربي، ط٢ (١٩٩٦م) (ص/٢١٠).

(٣) هو باحث ومفكر سوري، ولد في مدينة القامشلي سنة ١٩٥١م، درس التاريخ الإسلامي من خلال رؤية حداثية، من الباحثين والنقاد في علم الأنثروبولوجيا، حاول نقد التركيز على الأساطير في الاعتقاد الديني، من مؤلفاته: الإسلام والغرب الحاضر والمستقبل، الإسلام وملحمة الخلق والأسطورة، أزمة الخطاب التقدمي العربي في منعطف الألف الثالث، توفي سنة ٢٠٠٧م، انظر: موقع شبكة جيرون الإعلامية.

(٤) انظر: «**العنف والمقدس والجنس في الميثولوجيا الإسلامية**» تركي الربيعو، (ص/٥١ - ٥٢).

(٥) هو باحث تونسي ولد سنة ١٩٤٢م، مختص في الفكر والحضارة الاسلامية، يحلل النص القرآني من الداخل بنظرة وأدوات فكرية لرجل من القرن الحادي والعشرين، من مؤلفاته، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى - المسلم في التاريخ - الإسلام والحداثة - مستقبل الإسلام في الغرب والشرق، انظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

(٦) انظر: «**الإسلام بين الرسالة والتاريخ**» عبد المجيد الشرفي، دار الطليعة للطباعة والنشر (بيروت)، ط٢ (٢٠٠٨م) (ص/٢١ - ٢٢).

لا يُنتظر منها أن لا تكون على هذا النحو. ومن الواضح أن الحديث فيها عن الجن وعن الهبوط من الجنة وعن دور إبليس والشياطين والملائكة وعن الطوفان وعمر نوح، وغير ذلك من الظواهر الميثية مستمد من تلك العناصر التي تبدو اليوم بعيدة عن المفاهيم والتصورات الحديثة"[١].

وإن الأسلوب الذي توخاه الوحي قائم على الرمز والمجاز والاستعارة والإشارة والتلميح وضرب الأمثال، حتى يستوعب الإنسان المراد منه ويعمل على الاستجابة له، وأن مفسرو النص القرآني قد فصلوا ما هو مجمل، وترجموا الرمز عموماً إلى وقائع تاريخية حسية، لاعتبارهم الخطاب الميثي منتمياً إلى الخطاب المفهومي ومتماهي معه تماهياً كاملاً[٢]، أي "إن القصص الأسطورية المذكورة في القرآن ما هي إلا رموز تهدف إلى إيصال مفاهيم معينة، لا أنها حدثت فعلاً في التاريخ"[٣].

ويعتبر القمني[٤] قصة الطوفان أسطورة أيضاً، بل وينظر إليها نظرة تشكيك واستهزاء[٥]؛ إذ يقول: "لا شك أن أي مؤمن وأي شاك ستطيب نفسه إن تمكن من تفسير الحكمة الإلهية في إهلاك شعب مقابل ناقة تلدها صخرة!! كما لاجدال أن إيجاد تفسير معقول لإفناء قوم نوح في ضوء المعقول الآني الذي يفرض حرية الاعتقاد"[٦].

ويقول عصام الدين حفني ناصف[٧]: "لا يسلم بصحتها في الوقت الحاضر إلا رجل يفكر في القرن العشرين بعد الميلاد تفكير الذين كانوا يعيشون في القرن العشرين قبل

---

(١) «**الإسلام بين الرسالة والتاريخ**» الشرفي (ص/٤٥).

(٢) انظر: «**الإسلام بين الرسالة والتاريخ**» الشرفي (ص/٥٥).

(٣) «**العلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام**» مصطفى باجو (ص/١٧٢).

(٤) هو كاتب علماني مصري ولد سنة ١٩٤٧م، معظم أعماله الأكاديمية تناولت منطقة شائكة في التاريخ الإسلامي، ويعتبره البعض باحثاً في التاريخ الإسلامي من وجهة نظر ماركسية، يقول بوجود جانب روحي وميثولوجي أسطوري إلى الجانب التاريخي في القرآن، من مؤلفاته: النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة، النبي إبراهيم والتاريخ المجهول، قصة الخلق، انظر: موقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

(٥) انظر: «**العلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام**» مصطفى باجو (ص/١٧٢).

(٦) «**الأسطورة والتراث**» سيد القمني (ص/٢٧).

(٧) حِفْني ناصِف (١٢٧٢ - ١٣٣٨ هـ = ١٨٥٦ - ١٩١٩ م) حفني (أو محمد حفني) بن إسماعيل ابن خليل بن ناصف: قاض أديب، له شعر جيد. ولد ببركة الحج (من أعمال القليوبية - بمصر) وتعلم =

الميلاد، رجل يتمتع بعقل كعقول الأطفال وتصديق ساذج كتصديق العجائز"[1]، بل وصل به الأمر إلى حد السخرية، عندما ذكر عن نوح كيف استطاع التمييز بين الذكر والأنثى عند الحشرات مع أنه لم يكن مزوداً بمجهر؟ وكيف قفزت تلك الحيوانات التي لا تحسن السباحة من قارة إلى أخرى وجاءت إلى السفينة، وكم سنة أمضاها الحيوان الكسلان من أمريكا الجنوبية إلى العراق وهو لا يستطيع أن يقطع أكثر من خمسة عشر متراً في اليوم؟[2].

ولم يكتف العلمانيون بوصف القصص القرآني بالأسطورة، وإنما دعا بعضهم إلى القيام بالنقد، فقد قالوا: "أولاً: ينبغي القيام بنقد تاريخي لتحديد أنواع الخلط والحذف والإضافة والمغالطات التاريخية التي أحدثتها الروايات القرآنية بالقياس إلى معطيات التاريخ الواقعي المحسوس، وثانياً: ينبغي القيام بتحليل بنيوي لتبيين كيف أن القرآن ينجز أو يبلور بنفس طريقة الفكر الأسطوري"[3].

تعقيب ونقد :

إن القول باقتباس القرآن الكريم قصصه من غيره هو ترديد لمزاعم المستشرقين، وقد تم دحضه سابقاً، وكذلك القول باحتواء القرآن على الأساطير أي الأباطيل والأكاذيب. إلا أن بعض العلمانيين يعتمد معنى للأسطورة يكتنفه الغموض والضبابية من أجل إسقاطات ومناورات يمارسونها بإزاء المعتقدات والثوابت الإسلامية[4].

في الأزهر، وتقلب في مناصب التعليم، ثم في مناصب القضاء، وعين أخيرا مفتشا أول للغة العربية بوزارة المعارف المصرية. واشترك في الثورة العرابية بخطب كان يلقيها ويكتبها ويوزعها على خطباء المساجد والشوارع. وكان يكتب في بعض الصحف المصرية باسم (إدريس محمدين) وقام برحلات إلى سورية والآستانة واليونان ورومانيا والنمسا وألمانيا وسويسرا والسويد وبلاد العرب. له: «**تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية**» و«**مميزات لغات العرب**». انظر «**الأعلام**»: (٢/٢٦٥).

(١) «**اليهودية بين الأسطورة والحقيقة نشوء وتطور العقيدة الموسوية**» عصام الدين حفني ناصف، دار المروج (بيروت - ١٩٨٥م) (ص/١١١).

(٢) انظر: «**اليهودية بين الأسطورة والحقيقة نشوء وتطور العقيدة الموسوية**» عصام الدين حفني ناصف (ص/١٠٦، ١٠٨).

(٣) «**الفكر الإسلامي قراءة علمية**» محمد أركون (ص/٢٠٣)، و«**العنف والمقدس والجنس في الميثولوجيا الإسلامية**» تركي علي الربيعو، (ص/٥٢).

(٤) انظر: «**العلمانيون والقرآن الكريم**»"تاريخية النص"، أحمد إدريس الطعان (ص/٥٦٨).

فـ القمني يقـول: "إن الأسـطورة وإن اشـتملت علـى أحـلام وانفعـالات وتصـورات وأخيلة، فإنها اشتملت على حقائق يمكن أن تنكشف بوضوح إذا عرفنا كيـف نفسـرها بعـد ربطها بشرطها التاريخي،...وقد دعمنا تلك الرؤية بما كشـفنا عنـه في كتابنـا (أوزيـريس)، وكيف عبر المصريون زمانها عن تحولهم التاريخي بأسطورة، بل وغيروا واقعهم الاجتماعي والسياسي، بأيديولوجيا تمت صياغتها لتحقيق أهداف ذلك التغيير في صياغة أسطورية"[١]، وفي موضع آخر من كتابه يرى بأن أسطورية أوزيريس لم تعد أسطورة إنمـا أصـبحت محـل اعتقاد، أصبحت ديناً[٢]، أي الاعتقاد هو ما يميز الأسطورة عـن الخرافـة، ومعـنى هـذا أن الحدث يُقاس بفاعليته وحيويته، وهذه الفاعلية هي المعيار في تحول الحـدث إلى أسـطورة أودين، لا كون الحدث واقعاً أو خيالاً[٣].

وإن "الأسطورة أو التركيب الأسطوري للحكايات الشعبية ليس وهماً أو خيـالاً صـرفاً كله، وإنما هو يستند على أساس من الواقع يشبه النواة المركزية المغلفة بغلافات مـن صـنع الخيال، وهذا هو التعريف الانتربولوجي الحـديث لكلمـة أسـطورة، ولـذلك ينبغـي علـى القارىء العربي ألا يفهم من اسـتخدامنا لكلمـة أسـطورة أو (وعـي أسـطوري) أننـا نقصـد الأكاذيب والخرافات التي لا أساس لها من الصحة"[٤].

ويُجاب على ذلك بقول الطعان وهو: "ماذا يقدم المعنى الجديد للأسطورة فيما يخص التعامل مع الدراسات القرآنية والإسـلامية عمومـاً إذا كانـت البُـنى العقديـة توصـف بأنهـا أساطير؟ وإذا كان المرجع الأساسي لهذه البُنى يوصف بأنه يحتوي علـى أسـاطير؟ كمـا في وصف إبراهيم عليه السـلام وقصـة أهـل الكهـف وذو القـرنين، ويـأجوج ومـأجوج بأنهـا حكايات وأساطير؟"[٥].

وعلى الرغم من وجود شيء من الإيجابية في الأسطورة – بأن لها أصـل – إلا أن أمـر الأباطيل والأكاذيب يبقى قائماً بسبب الخيال والأوهام التي تنسج حول ذاك الأصل، فضـلاً

---

(١) «**الأسطورة والتراث**» سيد القمني، المركز المصري لبحـوث الحضـارة (القـاهرة)، ط٣ (١٩٩٩م) (ص/٢٥-٢٦).

(٢) انظر: «**الأسطورة والتراث**» سيد القمني (ص/٣١).

(٣) انظر: «**العلمانيون والقرآن الكريم**»"تاريخية النص"، أحمد إدريس الطعان (ص/٥٦٩).

(٤) «**تاريخية الفكر العربي الاسلامي**» محمد أركون، هوامش: هاشم صالح (ص/٣٥).

(٥) «**العلمانيون والقرآن الكريم**»"تاريخية النص"، أحمد إدريس الطعان (ص/٥٧١).

عن وجود عبارات صريحة لهم بنفي الحقيقة التاريخية عن القصص القرآني، وكل هذا مرفوض، والقرآن الكريم منزه عنه، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾[آل عمران: ٦٢].

فالقصص القرآني كلها حقائق تاريخية، ومنها قصة نوح عليه السلام، وهناك من الأدلة العقلية- إذا كان العقل هو المعتمد عند العلمانيين- ما يثبتها لا سيما حادثة الطوفان، كالألواح التي تم العثور عليها في مكتبة آشور بانيبال، حيث ذكرت قصة الطوفان، وأنه بعد انتهاء الطوفان عادت الحياة إلى الأرض، والطبقات الكثيفة من الغرين التي تم اكتشافها في مدينة أور، والتي فيها آثار لسكنى البشرية فوق هذه الطبقات وتحتها، ووجود القصة في كتب الأقدمين من هنود وفرس وآشوريين وغيرهم يجعل الحدث حدثاً معروفاً عالمياً...لكن الموضوع هو إيمان أو لا إيمان، فحين يفسر الملحد الحدث فإنه يجانب الحقيقة حتماً ليثبت أمراً قرره وأراده، فيتناسى الاكتشافات وغيرها(١).

وإن "الطوفان ذكر في القرآن العظيم ...ولمحات القرآن الكريم أثبتها العلم الحديث، بل جاء العلم الحديث مطابقاً لها تماماً. مما جعل العلماء من غير العرب يقرون بالسبق العلمي للقرآن الكريم في كل لمحاته الكونية والطبية والطبيعية"(٢)، فموريس بوكاي يقول: "صحة القرآن التي لا تقبل الجدل تعطي النص مكانة خاصة بين كتب التنزيل، ولايشترك مع نص القرآن في هذه الصحة لا العهد القديم ولا العهد الجديد"(٣).

---

(١) انظر: «**آراء يهدمها الإسلام**» شوقي أبو خليل، دار الفكر (دمشق)، ط٥ (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) (ص/٩٣ - ٩٥).

(٢) «**آراء يهدمها الإسلام**» شوقي أبو خليل (ص/٩٦).

(٣) «**القرآن والتوراة والإنجيل والعلم**» موريس بوكاي (ص/١٥٨).

المطلب الثالث: قصة نوح عليه السلام في القراءة المعاصرة

تعتبر القراءة المعاصرة شيئاً جديداً كلياً، وذلك على مستوى المناهج والأدوات، وتصور جديد للعالم متأثر بحصيلة التصور الغربي وحداثته للعالم، وقد كانت بدايات ظهور القراءة المعاصرة في الأربعينات من القرن الماضي، إلا أن سك مصطلح "القراءة المعاصرة" عائد إلى الكاتب السوري محمد شحرور[1]، نظراً لما أثارته قراءته من ضجيج[2].

والقراءات السابقة لقراءة شحرور والحاج حمد كانت قد نفت الحقيقة التاريخية عن القصص القرآني، وصرحت بعضها بوصف القصص بالأساطير فضلاً عن وسم للنص القرآني بأنه ذو بنية أسطورية، بينما قراءة شحرور لم تنف عن القصة وقوعها لكنها أخرجتها عن معناها، وذلك لخروج القراءة عن الضوابط الأساسية في التفسير القرآني، واستبدالها بمناهج غربية فضلاً عن تحكم الخلفيات الفكرية كالماركسية والاستشراقية وغيرها، وكذلك قراءة الحاج حمد[3] قد جاءت بمعان خارجة عن سياق النص لاعتمادها على مناهج غربية ومذاهب فلسفية.

١- محمد أبو القاسم الحاج حمد :

يرى الحاج حمد بأن فهم القرآن الكريم في الوقت الراهن لا يكون إلا بتجاوز التراث، ومن ثم الاعتماد على ما توصل إليه العقل البشري من مناهج وعلوم –وخاصة الغربية–

---

(١) هو مهندس مدني تخريج جامعة موسكو، مواليد دمشق عام ١٩٣٨م، وُجّه إليه اعتناق الفكر الماركسي، وقد بدأ كتاباته عن الإسلام بعد عودته من موسكو، وقد استعمل بعض الأساليب اللغوية الجديدة في محاولة تفسير جديد للقرآن، من مؤلفاته: الدولة والمجتمع، الإسلام والإيمان منظومة القيم - الكتاب والقرآن رؤية جديدة - الدين والسلطة قراءة معاصرة للحاكمية - السنة الرسولية والسنة النبوية رؤية جديدة، وغيرها. انظر: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

(٢) انظر: مقال: «**حوار حول الدراسات القرآنية والقراءات المعاصرة**» عبد الرحمن الحاج، www.almultaka.org/site.php?id.

(٣) هو سياسي ومفكر وباحث سوداني، ولد سنة (١٩٤٢م)، عمل مستشاراً علمياً ل (المعهد العالمي للفكر الإسلامي)، أسس مركز الإنماء الثقافي في أبو ظبي، ودار الدينونة في قبرص، توفي سنة (٢٠٠٤م)، من مؤلفاته: العالمية الإسلامية الثانية - منهجية القرآن المعرفية - القرآن والمتغيرات الاجتماعية، وغيرها. انظر: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة..

وعلى رأسها علم الألسنية الحديثة وغيرها[1]، وقد أعلن رفضه المطلق للسنة النبوية بكونها مختلقة وموضوعة، ودعا إلى الاكتفاء بالقرآن وحده[2].

كما أنه نفى الترادف والاشتراك والمجاز على مستوى التحليل اللغوي، وتأثر بالرؤية الماركسية لحركة التاريخ ولكن في إسقاط اجتماعي ديني (الآدمية - القومية - العالمية)، ومع ذلك فقد كان مدافعاً عن إطلاقية القرآن ونسبته الإلهية.

وقد تأثر -في دراساته الأخيرة- بشحرور مع أن هذا الأخير أقل عدة بكثير من أن يتأثر به، وشحرور يقف على خلفية فلسفية ماركسية[3].

ويذكر الحاج حمد بأن القرآن الكريم فيه معنى الاسترجاع النقدي التحليلي، فهو مصدق لما قبله ومهيمن عليه، وذلك بنص الآيات القرآنية، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[المائدة: ٤٨]، وهذا التصديق ليس عفوياً، وإلا لما لزمت الهيمنة، قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ۝٦٢ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[النحل: ٦٣-٦٤]، وإن مصدر الهيمنة القرآنية على الكتب الأخرى يرجع إلى أمرين هما:

أولاً: ما أصاب نصوص تلك الكتب من تحريفات. قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[المائدة: ١٣].

---

(١) انظر: مقال: «**المدرسة الفكرية المعاصرة في تفسير القرآن الكريم (١)**» الجيلاني بن التوهامي مفتاح، مجلة المسلم المعاصر، العدد (١٠١) سبتمبر (٢٠٠١م).

(٢) انظر: مقال: «**القصص القرآني قراءة في كتابات الحداثيين العرب**» تقي الحسني، صحيفة المثقف، العدد ٣٣٨٥ (٢٠١٥/١٢/١٢) صادرة عن مؤسسة المثقف العربي..www.almothaqaf.com

(٣) انظر: مقال: «**حوار حول الدراسات القرآنية والقراءات المعاصرة**» عبد الرحمن الحاج.

ثانياً: النسيج العقلي الأسطوري والتراثي والخرافي المسيطر على ثقافات تلك الحقب وتلبس معاني النصوص بحيث أعطت في كثير من الأحيان نقيض معانيها.

ولكي يستطيع القرآن الكريم أن يفعل ذلك، يحب أن يكون متميزاً بأمرين هما:

أولاً: حفظ الله تعالى لنصوصه من التحريف.

ثانياً: حمل القرآن لإطار معرفي ومنهجي يمكنه من القدرة على الاسترجاع النقدي والتحليلي لما سبق من موروث روحي[1].

ثم يقول: "فالاسترجاع النقدي القرآني لا يتم على مستوى تصحيح الوقائع فقط، كأن تقول أنه ليس لنوح ذرية أصلاً، أو أن الله لم يطلب قرباناً بشرياً ثم يفديه...فليس هذا المقصد النهائي وإن كان ذلك مدخلاً ضرورياً له، وإنما يتجه المقصد لما يتضمنه القرآن من محددات منهجية تتضمنها هذه المسائل وغيرها، أي أنه من خلالها يبرز المنهج المعرفي ويتضح ثم تقنن قواعده ليستصحبها الباحثون في إعادة قراءة النص القرآني"[2].

وقد وضع الحاج حمد لذلك عدة نماذج تطبيقية، ومنها قصة نوح عليه السلام، التي تناول منها عدة نقاط، وهي:

أ- **ذرية نوح:**

نفى الحاج حمد أن يكون لنوح عليه السلام ذرية، ورأى بأن من جاء بعده هم ذرية من كانوا معه في الفلك، وبالتالي لا حقيقة لما يقال بتفوق الجنس السامي وأفضليته على الأجناس الأخرى.

ب- **قوم نوح:**

لقد تفوق قوم نوح في ميادين شتى من العلوم، فهم قد فهموا كيفية الخلق، وخصائص القمر والشمس، وقد فهموا أصل التكوين، وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٤]، خطاب كوني علمي دقيق يشير الله فيه إلى خصائص حضارات لا زالت

(١) انظر: «**جدلية الغيب والإنسان والطبيعة العالمية الإسلامية الثانية**» محمد أبو القاسم حاج حمد (١/٧٢).

(٢) «**جدلية الغيب والإنسان والطبيعة العالمية الإسلامية الثانية**» محمد أبو القاسم حاج حمد (١/٧٣).

مجهولة المصدر لدينا، وقد بلغت في خصائصها حد الإعجاز، وما يدل على ذلك أن نوحاً قد بنى فُلْكه في خمسين عاماً تحت نظرهم[1].

ج- **ابن نوح وزوجته:**

إن ابن نوح الوارد في القرآن ليس ابنه في الحقيقة، وإن نوحاً عليه السلام كان متوهماً أنه ابنه، وقد بيّن القرآن بطلان بنوته عبر إشارات واضحة، فالله تعالى وعد نوحاً عليه السلام بإنقاذ أهله من الطوفان، ولكن لم ينقذ من دعاه نوح عليه السلام ابناً، فلما تساءل نوح عليه السلام عن الوعد لم يجبه الله تعالى بالقول أن ابنه غير صالح في عمله فلا يكون أهلاً له ويتبرأ منه، بل أجابه الله بأن هذا الابن هو في ذاته (عمل غير صالح)؛ أي نتاج عمل غير صالح، وما يؤكد هذا المعنى أن القرآن الكريم قد أشار إلى خطيئة امرأة نوح ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾[التحريم: ١٠]، فنوح يعلم كفر ابنه، لكن لا يعلم بأنه نتاج غير صالح، وقد استعاذ نوح -فيما بعد- من عدم علمه بهذا الأمر، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ﴾ [هود: ٤٧].

وقد خلص الحاج حمد من هذه القصة إلى القول بتحريم التبني، وبيان مساوئه، وذلك بربط ثلاث قصص نبوية لتأييد ما ذهب إليه.

١- قصة ابن نوح: لم يستجيب الابن لدعوة أبيه، مع أنه قد دعاه قروناً، ولو بدافع التعاطف، لعدم وجود رابط وراثي بينهما.
٢- قصة النبي ﷺ مع زيد: إن النبي لم يستطيع التعامل (نفسياً) مع المحيط العائلي للمتبنى إلا بكتمان ما في نفسه.
٣- قصة يوسف عليه السلام وامرأة العزيز: لم تستطع امرأة العزيز وهي في مقام أمه بالتبني أن تمسك نفسها عنه، وقد همّا ببعضهما[2].

---

(١) انظر: «**جدلية الغيب والإنسان والطبيعة العالمية الإسلامية الثانية**» محمد أبو القاسم حاج حمد، (١/ ٧٤ - ٧٦).

(٢) انظر: «**جدلية الغيب والإنسان والطبيعة العالمية الإسلامية الثانية**» محمد أبو القاسم حاج حمد، (١/ ٧٦ - ٧٨).

د- فلك نوح وهبوطه:

يرى الحاج حمد بأن نوحاً عليه السلام قد هبط على عرفات ثم أفاض إلى المشعر الحرام، واستدل على ذلك بقرينتين في آيات من القرآن الكريم تربطان ما بين فلك نوح وجبل عرفات، وما بين قوم نوح والإفاضة من عرفات إلى المشعر الحرام، والقرينتان هما:

الأولى: إن قوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾[المؤمنون: ٢٩]، فيه أمر من الله تعالى لنوح بطلب منزلاً مباركاً، وذاك المنزل يتوافق مع المذكور في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾[آل عمران: ٩٦]، ولكي لا تنصرف الى مكان مقدس غيره فقد جاءت القرينة على ذلك، وهي خطاب النبي بأن يفيض من عرفات بنفس الكيفية السابقة التي أفاض بها أناس آخرون من عرفات، قال تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[البقرة: ١٩٨ - ١٩٩] فمن هؤلاء الناس إن لم يكونوا نوحاً وقومه؟

الثانية: التماثل بين الوقوف في عرفات وبين إقلاع فلك نوح ورسوه، فنحن نقف في عرفة في النصف الثاني من اليوم التاسع من ذي الحجة، فالنصف الثاني يوم، واليوم التاسع عقد. ونوح قد لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، فالحساب بالسنوات والاستثناء بالعام يظهر ذلك.

والسنة لغة تصدر عن تَسنَّه الأشياء ارتباطاً بتأثير الشمس الطبيعي، قال تعالى: ﴿ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾[البقرة: ٢٥٩]، فالسنة دلالة على الشهور الشمسية والعام دال على الشهور القمرية والفرق بينهما معلوم من قوله تعالى: ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾[الكهف: ٢٥]، فكل ثلاثمائة سنة شمسية تعادلها ثلاثمائة وتسع سنوات قمرية، أي بزيادة ثلاث سنوات قمرية على كل مائة سنة شمسية، وفي تجربة نوح وبناء الفلك المشحون نكتشف توقيت الوقوف في عرفات، وأمر الله لنوح ببناء الفلك المشحون الذي بقي يبنيه في الخمسين عاماً، والخمسون عاماً المستثناة تعادل في حساب السنوات ثماني وأربعين سنة ونصف السنة فلا يبقى من تمام الألف سنة إلا سنة ونصف، فنوح قد

أقلع بفلكه في نهاية الألف وقبل تمامه بسنة ونصف، وهذا عينه توقيت وقوفنا بعرفات في نهاية اليوم التاسع وقبل الدخول في بداية اليوم العاشر وبعد جمع وقصر صلاتي الظهر والعصر، وفي نهاية هذا التوقيت نزل قوم نوح من الفلك، ثم أفاضوا من مرتفع عرفات باتجاه المشعر الحرام، وهكذا أمرنا من بعدهم، ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩][(١)].

تعقيب ونقد :

إن المنهجية التي سلكها حاج حمد في دراسته فيها مشكلات عديدة، وهو لم يلتزم بها أصلاً[(٢)]، وإن رأيه الذي قدمه في كون القرآن الكريم مصدق ومهيمن على غيره من الكتب لا يختلف عما ذكره بعض المفسرين القدامى، إلا أنه عند التطبيق لمفهوم التصديق والهيمنة وقع في تناقضات وخلط عجيب[(٣)].

فأما القول بعدم وجود ذرية لنوح عليه السلام فغير صحيح؛ إذ توجد آيات تؤكد على وجود ذرية لنوح عليه السلام، وكونه معتمداً على القرآن وحده فعليه الأخذ به ككل لا الانتقاء بما يناسب رأيه وغض الطرف عن الباقي، وقد قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾[الصافات: ٧٧]، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٦] وإن القول بوجود الذرية لا يلزم عنه القول بتفوق الجنس السامي، فتلك دعوى يهودية لا صحة لها، وقد بيّنا بطلانها سابقاً، لذا لا يجب اللجوء الى نفي الذرية من أجل نفي تفوق جنس على آخر.

وأما التطور الذي كان عليه قوم نوح آنذاك فلم يكن على المستوى التي وصلت إليه البشرية اليوم، بل هو أبعد عن قوم نوح...والآيات توحي بمجرد التوجيه إليها، وهذا كاف لإثارة التدبر بأن وراء تلك الخلائق قدرة مبدعة[(٤)]، فالحكم بأن قوم نوح لديهم من المعرفة

---

(١) انظر: «**جدلية الغيب والإنسان والطبيعة العالمية الإسلامية الثانية**» محمد أبو القاسم حاج حمد (٢/٤٣٦ - ٤٣٨).

(٢) انظر: مقال: «**حوار حول الدراسات القرآنية والقراءات المعاصرة**» عبد الرحمن الحاج.

(٣) انظر: مقال: «**المدرسة الفكرية المعاصرة في تفسير القرآن الكريم (٢)**» الجيلاني بن التوهامي مفتاح، مجلة المسلم المعاصر، العدد (١٠٢) ديسمبر (٢٠٠١م).

(٤) انظر: «**في ظلال القرآن**» سورة نوح، سيد قطب (ص/١٣ - ١٤).

العلمية بالمفهوم المعاصر غير صحيح، فكون القمر نوراً، والشمس ضياء، قد تم الكشف عنه حديثاً.

وأما رأيه بأن نوحاً عليه السلام كان لا يعرف بأن الذي دعاه ابنه هو في الحقيقة ابن زنا، معتمداً في ذلك على قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ﴾[هود: ٤٦]، فهو رأي فيه خلط فكري ومنهجي، لأمرين هما:

أ- الاقتصار على قراءة واحدة دون الأخرى في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾، فالقراءة الأولى بفتح الميم وتنوين اللام ورفع غير، والقراءة الثانية بكسر الميم ونصب غير على المفعولية فيكون المعنى واضحاً في أن الذي عمل غير صالح ابن نوح، لكنه لايعترف بالقراءات فهي عنده من كشكشات العرب، وهو بذلك يطعن في القرآن نفسه، لأن القراءة التي بنى عليها رأيه وهي قراءة حفص عن عاصم ليست بأوثق من غيرها من القراءات فكلها مجمع على تواترها.

ب- المخالفة فيما وعد به من منهجية التعامل مع القرآن في وحدته، حيث أخذ آيات تتوافق مع رأيه وغض الطرف عن آيات أخرى غير مناسبة لما يصبو إليه من رأي، كقوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾[المؤمنون: ٢٧]، فالذي خاطب فيه نوح ربه هو ابنه، وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[هود: ٤٠]، دال على أن السبب في هلاك بعض أهل نوح، هو الكفر لا شيء آخر بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ ءَامَنَ ۚ﴾[هود: ٤٠][(١)]، وإن ما استدل به على زنا امرأة نوح وامرأة لوط، يوضحه قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾[الذاريات:

---

(١) انظر: «**الحداثيون العرب في العقود الثلاثة الأخيرة والقرآن الكريم**» (دراسة نقدية)، الجيلاني مفتاح، دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع - مكتبة مؤمن قريش، ط١ (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م) (ص/١٩٨ - ٢٠٠).

٣٥ - ٣٧][1]، حيث يقول ابن عاشور: "والآية تشير إلى أن امرأة لوط كانت تُظهر الانقياد لزوجها وتُضمر الكفر ومماللاة أهل القرية على فسادهم، قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا ﴾[التحريم: ١٠]، فبيت لوط كان كله من المسلمين ولم يكن كله من المؤمنين فلذلك لم ينج منهم إلا الذين اتصفوا بالإيمان والإسلام معاً"[2]، والمراد من ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ ، في الدين، وليس في الفاحشة، لأن نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة لحرمة الأنبياء[3]، فالسبب في هلاك ابن نوح وزوجته هو الكفر لا غيره، وقد ذكرنا ذلك سابقاً.

وأما مسألة الوقوف بعرفات والإفاضة منها هي إحياء لذكرى نزول نوح بعرفات ثم إفاضته منها، فيُرد عليه بما يلي:

أ- إن اللفظ الذي وُصف به المكان الذي دعا نوح عليه السلام بالنزول فيه هو نفسه لا ذي وصفت به بكة، وهذا دليل –برأي الحاج حمد–على أن المكان الذي نزل به نوح عليه السلام هو مكة وبالتحديد في عرفات، لكنه نسي بأن عرفات ليست داخلة في الحرم المكي.

إن الناس المذكورين في قوله تعالى: ﴿ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ١٩٨ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[البقرة: ١٩٨ - ١٩٩]، حسب رأي الحاج حمد هم قوم نوح عليه السلام ونحن أمرنا بأن نفيض مثلهم، وهذا غير صحيح، فالناس المذكورن هم بعض القبائل العربية التي كان لها حجها الخاص قبل الإسلام، وقيل إبراهيم عليه السلام، ووجه لفظ الناس بأن ذلك شائع في كلام العرب مخاطبة الواحد بلفظ الجمع، كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ

---

(١) انظر: «**الحداثيون العرب في العقود الثلاثة الأخيرة**» الجيلاني مفتاح (ص/٢٠٠).

(٢) «**التحرير والتنوير**» ابن عاشور (٨/٢٧).

(٣) انظر: «**تفسير القرآن العظيم**» ابن كثير (١٤/٦٤).

ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾[المؤمنون: ٥١]، والمخاطب واحد وهو النبي عليه الصلاة والسلام.

ب- إن التفريق بين السنة والعام الذي طرحه الحاج حمد قد سبقه إليه غيره من المفسرين كاالقرطبي، حيث ذكر بأن كل ثلاثمئة سنة شمسية يعادلها ثلاثمئة وتسعة أعوام قمرية، وهذا أمر لا اعتراض عليه عموماً، لكن حسابه واستنتاجه بأن يوم الوقوف بعرفة هو اليوم نفسه الذي هبط فيه نوح عليه السلام معترض عليه[1]، "لأمور:

١- من أخبره بأن نوحاً عليه السلام قد استغرق في بناء فلكه خمسين عاماً؟

٢- من أين له بأن اليوم التاسع هو نهاية عقد؟ فالعقد الزمني هو عشر سنوات، أما العقود العددية فهي تبدأ بالعشرة وتنتهي بالتسعين وفرق بين التسعة وبين التسعين، ولعله اشتبه عليه الأمر بين جمع القلة، الذي يبدأ بالثلاثة وينتهي بالتسعة وبين العقد الزمني.

٣- أنه حتى لو افترضنا أن ما قاله سابقاً، صحيح، فإن الوقوف بعرفة هو في النصف الثاني من اليوم التاسع من ذي الحجة، في حين إن هبوط نوح عليه السلام في آخر النصف الثاني من القرن العاشر بما يوافق آخر النصف الثاني من اليوم العاشر من ذي الحجة. فأين كل هذا مما ذكره المؤلف؟!"[2].

٢- محمد شحرور.

لابد قبل البدء ببيان موقف شحرور من القصص القرآني من ذكر أسس المنهج الذي سار عليه في قراءته المعاصرة، وهي:

أ- مسح عام لخصائص اللسان العربي والاعتماد على المنهج اللغوي "لأبي علي الفارسي" والمتمثل "بابن جني وعبد القاهر الجرجاني".

ب- الإطلاع على آخر ما توصلت إليه علوم اللسانيات الحديثة من نتائج، وعلى رأسها عدم وجود خاصية الترادف.

ت- الانطلاق من فرضية أن الكتاب تنزل علينا وأنه جاء لجيلنا وكأن النبي تُوفي حديثاً وبلغنا هذا الكتاب، مما يعني القيام بقراءة جديدة للقرآن الكريم.

---

(١) انظر: «**الحداثيون العرب في العقود الثلاثة الأخيرة**» الجيلاني مفتاح (ص/٢٠٠-٢٠٢).

(٢) «**الحداثيون العرب في العقود الثلاثة الأخيرة**» الجيلاني مفتاح (ص/٢٠٢).

ث- كل ماجاء في القرآن الكريم قابل للفهم بالضرورة، ويفهم على نحو يقتضيه العقل، بل جاء بصيغة قابلة للفهم الإنساني.

ج- لا يوجد تناقض بين العقل والوحي، ولا بين الوحي والحقيقة.

ح- احترام عقل القارئ أكثر من احترام عواطفه[1].

وأما القصص القرآني -في رأيه- فهي عبارة عن جدل الإنسان مع ذاته ومع الطبيعة والمجتمع، وتغييب هذا الجدل حوّل القصص إلى حوادث تاريخية مبهمة وغامضة، مما دفع إلى نشوء أساليب التفسير الخرافية والأسطورية لفك هذا الغموض، وتحول روايات أهل الكتاب إلى مستند مهيمن على القرآن ومشوه له.

فالعقل العربي الإسلامي تناول القصص القرآني ضمن إطار ثقافته ووعيه التاريخي، ومن ثم تم التأسيس لرؤية سكونية أسطورية وخيالية لسيرورة التاريخ، بالإضافة إلى الموروث اليهودي الذي كان له دوراً في تسييج القصص بأسوار منيعة من الحكايا والأساطير والتي منعت التنزيل الحكيم من ممارسة دوره النقدي والتصحيحي لما استقر في وعي الإنسانية من مفاهيم مغلوطة ورؤى انعكاسية، ولكي يتم تحرير التنزيل الحكيم من هذه التلبسات الإيديولوجية والثقافية التي منعته من أداء دوره التصحيحي والمعرفي، جاءت الضرورة الملحة لتقديم قراءة حول هذه القصص، بالإضافة إلى قراءتها قراءة موضوعية من أجل الكشف عن الدور الذي يقوم به هذا القصص[2].

وللقصص القرآني دور في إعادة تشكيل العقل العربي الإسلامي وفق أسس علمية ومعرفية تجديدية مضموناً ومنهجاً، ومن ثم فإن إعادة وضع القصص في موضعه الصحيح تتطلب قبل كل شيء عملية نقد لدوره السابق في المنظومة المعرفية الموروثة من أجل كشف البنية التفسيرية للتاريخ التي تعامل في إطارها العقل العربي مع التنزيل وفسره وفقاً لمنهجيته وبنيته المعرفيتين[3].

---

(١) انظر: «**الكتاب والقرآن (قراءة معاصرة)**» محمد شحرور، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع (سورية-دمشق) (ص/٤٤ - ٤٥).

(٢) انظر: «**القصص القرآني (قراءة معاصرة) مدخل إلى القصص وقصة آدم**» محمد شحرور، دار الساقي بالاشتراك مع مؤسسة الدراسات الفكرية المعاصرة، ط١ (٢٠١٠) (١/١٧٥ - ١٧٧).

(٣) انظر: «**القصص القرآني**» محمد شحرور (١/١٩).

والتجديد في نظر شحرور لا يكون إلا بقطع الصلة مع التراث، وإلا فهو إعادة للموروث بلباس جديد، وليس تجديد فهم، فيقول: "الدعوة إلى تجديد فهم الدين مع شرط المحافظة على النظم المعرفية القديمة دعوة مضللة لا تعدو كونها اجتهاداً محكوماً بما ادعت المنظومة السلفية أنه من ثوابت الدين المعلومة منه بالضرورة. ناهيك عن كون ما يُدّعى أنه ثوابت يشكل في مجمله جسماً هلامياً من اختراع جيل التنصيص والتقعيد خارج ما نص عليه منطوق النص القرآني، وذلك بأن التحايل على المهمة التجديدية بلفت النظر إلى الاجتهاد في ظل الموروث تُفرغ في حقيقتها التجديد من مضمونه الحق، لتصبح دعوة إلى (إعادة تقديم) الموروث بلباس جديد، وليس إلى تجديد الفهم"[1].

والقصص القرآني -في نظره- حق وموعظة، لكنه لا ينشئ أحكاماً شرعية ملزمة على وجه التعيين تضبط السلوك الإنساني في مجال افعل أو لا تفعل[2].

وإن القرآن حين سجل نقده وتصحيحه للأحداث الماضية أكد في إطار انشغاله بالقصص قبل كل شيء أصالة رؤيته الاسترجاعية النابعة من الإنباء بالقصص وحياً من غير علم مسبق للمتلقي بما جرى، والقصص يطرح نفسه للعرض على التثبت بالدليل التاريخي حول مصداقيته بغض النظر عن قدسية المصدر[3].

وقد وضع شحرور قواعد منهجية لقراءة القصص القرآني، نذكر منها:

- قراءة القصص هي محاولة للكشف عن العبرة التي تستبطنها الأحداث، إذ إن العبرة التي تتحدث عنها كتب التفسير والتاريخ واحدة فقط وهي انتصار الحق على الباطل.
- قراءة القصص محاولة للكشف عن قضية التراكم المعرفي والقيمي وربط هذا التراكم بدور الوحي في توجيهه، وكذلك عمل الوحي على تطوير الضمير الإنساني ومتطلباته التشريعية.
- لابد في قراءة القصص من ربط بين المعجزة والنسق الثقافي، وسبب التدخل الإعجازي في حركية التاريخ، وإلا لم يكن للمعجزات الأثر المطلوب، فمثلا معجزات موسى كانت تقارع ثقافة السحر التي كانت سائدة في عصره.

---

(١) «**القصص القرآني**» محمد شحرور (١/١٩-٢٠).

(٢) انظر: «**القصص القرآني**» محمد شحرور (١/٢٢).

(٣) انظر: «**القصص القرآني**» محمد شحرور (١/١٧٨).

- قراءته للقصص قائمة على فهم الربط بين وعي الإنسان بذاته وبالآخر والمقدس، وبين نضج كينونته القادرة على توليد تشريعاته من خلال الوعي الذاتي مع معرفة ما كان للوحي من دور في تصحيح انحرافات هذا الوعي.

وإضافة إلى ذلك فقد وضع مفاهيم-وهي خارجة عن المعنى المعهود من التراث- للمصطلحات المتعلقة بالقصص (النبأ والخبر- العبرة- القصة، وغير ذلك) في ضوء تلك القواعد المنهجية(١).

وقد قدّم شحرور قراءة معاصرة -على حد تعبيره - لعدد من قصص الأنبياء عليهم السلام، ومنها قصة نوح عليه السلام، وتناول في دراسته لها عدة نقاط منها:

أ- نبوة نوح عليه السلام ورسالته:

يرى شحرور بأن نوحاً عليه السلام ممثل لبداية التاريخ الإنساني الحديث في منطقة الشرق الأوسط على الأقل، وأنه في مرحلة نوح قد اكتملت اللغة مجردة بأبسط أشكالها حتى حصل الوحي للجنس البشري من الله، فبدء الوحي إلى البشر كان بنوح بأبسط لغة مجردة، ونهايته كانت بمحمد ﷺ فأصبح القرآن قمة التجريد اللغوي عندما وصل اللسان العربي إلى طور اللسان العربي المبين(٢).

فنوح عليه السلام أول نبي آدمي أوحي إليه(٣)، والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾[النساء: ١٦٣]، ﴿أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾[الأعراف: ٦٣]، ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ﴾[المؤمنون: ٢٤]، إلا أنه لم يكن المرسل الوحيد إلى قومه وإنما كان معه رسل من الملائكة(٤)، قال تعالى: ﴿وَقَوۡمَ نُوحٖ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ﴾[الفرقان: ٣٧]، ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾[الشعراء: ١٠٥]، فكلمة﴿ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ معناها أن قبل نوح كان مرسلون من الملائكة قد

---

(١) انظر: «**القصص القرآني**» محمد شحرور (١/١٨٣-١٨٤).

(٢) انظر: «**الكتاب والقرآن**» محمد شحرور (ص/٣١٥ - ٣١٦).

(٣) انظر: «**القصص القرآني (قراءة معاصرة) من نوح إلى يوسف**» محمد شحرور، دار الساقي، ط١ (٢٠١٢م) (٢/١٥).

(٤) انظر: «**الكتاب والقرآن**» محمد شحرور (ص/٦٧٨).

كذبوهم قوم نوح، وكذبوا نوحاً معهم[1]، وإن هؤلاء الرسل يُعرفون بالنذر، فقد كانوا مع نوح ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾[المؤمنون: ٢٤]، ومع هود ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ﴾[الأحقاف: ٢١] واستمروا إلى إبراهيم ولوط وصالح[2].

وقد تناول الوحي إلى نوح عليه السلام ثلاثة أمور، وهي: الإنذار والتقوى (الرسالة) والرحمة (النبوة) وهي الدعوة النبوية، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[الأعراف: ٦٣].

فأما الإنذار فقد اشترك فيه نوح مع الملائكة بأنه كان نذيراً إلى قومه، ومعناه التخويف والوعيد، حيث توعدهم بالعذاب الأليم، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[نوح: ١]، ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[نوح: ٢]، لكن قومه قابلوا ذلك بالتكذيب، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ﴾[المؤمنون: ٢٦]، ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ﴾[الشعراء: ١١٧].

وأما الرسالة فاشتملت على التوحيد والاستغفار فقط، فلا وصايا أخلاقية ولا شعائر تعبدية (صلاة - صيام - زكاة...) ولا تشريعات، وقد قابل قومه الرسالة بالكفر[3]، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾[إبراهيم: ٩]، وقد علل "عدم وجود تشريعات من أي نوع، لأن مفهوم التشريع لم يوجد بعد، والمجتمعات ما زالت بدائية لا تجارة فيها ولا بيع ولا شراء"[4].

وأما النبوة فهي الدعوة، وقد كانت دعوة نوح قفزة نوعية على سلم التطور من الناحية العلمية للإنسان في ذلك الوقت، وقد بيّن ذلك ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[الأعراف: ٦٢]، ولكن موقف قومه كان الشك والريب، قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾[إبراهيم: ٩]، واشتملت نبوته على عدة بنود، منها:

---

(١) انظر: «**الكتاب والقرآن**» محمد شحرور (ص/٣١٨).

(٢) انظر: «**القصص القرآني**» (قراءة معاصرة)، محمد شحرور (٢/١١).

(٣) انظر: «**الكتاب والقرآن**» محمد شحرور (ص/٦٧٨ - ٦٨١).

(٤) انظر: «**القصص القرآني**» (قراءة معاصرة)، محمد شحرور (٢/١٥).

١- التوحيد: أن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل، والتوحيد هو نبوة كعقيدة.
٢- تعليم البشرية ركوب الماء واجتياز العوائق المائية.
٣- التبشير بالبنيان والاستقرار، حيث أن الإنسان في عصر نوح كان يعيش في الكهوف والمنطقة تحيط بها الجبال وفيها أنهار[١]، قال تعالى: ﴿ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾[نوح: ١٢].

ب- قوم نوح ومعبوداتهم:

عاش قوم نوح في منطقة الشرق الأوسط، وهم مجموعة من الناس لها علاقات اجتماعية بدائية، ولها لغة مجردة بحيث تسمح لنوع من الوحي المجرد، وكان الوضع الإنتاجي في تلك الحقبة التاريخية بدائياً جداً، لذا فالشرك الأساسي الذي وقع فيه الإنسان آنذاك هو عبادة مظاهر الطبيعة وخاصة الشمس والقمر[٢]، بدليل قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾[نوح: ١٥ - ١٦].

فالمجتمع لم يكن متقدماً الى درجة تصنع فيه بشكل متطور التماثيل والأصنام التي تحتاج لصنعها إلى أدوات ووسائل، وما يؤكد ذلك أن قوم نوح - على رأي الكثير من الدارسين - كانوا في منطقة الشرق الأوسط، وقد ثبت أن أقدم ظاهرة وثنية ظهرت في تلك المنطقة هي عبادة ظواهر الطبيعة من شمس وقمر وكواكب وغيرها، بل إن الآيات تؤيد هذا، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴾[نوح: ٢٣ - ٢٤]، لأن معنى ﴿ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ ﴾أي لا تتركوا معبوداتكم، وأما ود وسواع ويغوث ويعوق ونسراً فليست بآلهة.

وفي الآية السابقة دلالة على أن هذه الأسماء ليست أسماءآلهة وإنما هي أسماء للكهنة القائمين على خدمة الآلهة، والدليل هو التفريق الواضح بينهما، فالمعبودات ذاتها من شمس وقمر وكواكب لاتضل أحداً، إذ الذي يهدي ويضل هو العاقل[٣]، فمظاهر الطبيعة أو الأصنام ليست من العاقل، فإذا كان الإنسان يعبد الشمس فلا نقول أضلته الشمس، ففي

---

(١) انظر: «**الكتاب والقرآن**» محمد شحرور (ص/٦٨١، ٦٨٦).
(٢) انظر: «**الكتاب والقرآن**» محمد شحرور (ص/٦٧٩ - ٦٨٠).
(٣) انظر: «**القصص القرآني**» محمد شحرور (٢/١٦ - ١٧).

هذه الحالة يكون العقاب للشمس، وإنما كان تعليقه على ود وسواع..الخ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾، وقد وصفهم بالظلم أيضاً، ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ﴾، فلا الضلال ولا الظلم وصف لمظاهر الطبيعة، وإنما هي صفات للناس الذين يدعون إليها، فهم الذين يضلون الآخرين ويظلمونهم(١).

ج- الفلك والطوفان:

ذكر شحرور بأن صناعة الفلك كانت بوحي من الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾[هود: ٣٧]، ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾[المؤمنون: ٢٧]، وأن القرآن وصف السفينة بأنها عبارة عن معدية مائية، تم ربط ألواحها الخشبية عن طريق الدسر وهي ألياف طبيعية (أغصان طرية فيها ألياف طبيعية)، قال تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾[القمر: ١٣]، إذ لم يكن هناك حبال مصنعة ولا مسامير في زمن نوح، وأنه لا يوجد للسفينة مجاديف أو أشرعة للتوجيه، بدليل قوله تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾[الشعراء: ١١٩]، فالمشحون هو القابل للتحميل والذي لا يوجد فيه أداة للتوجيه ولا محرك للشد، ثم ذكر بأن الجر كان عن طريق التيار المائي، لقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾[الحاقة: ١١]، ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾[هود: ٤٢]، والتوجيه كي لا تصطدم بالصخور والعوائق كان من قبل الله تعالى(٢)، قال تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾[القمر: ١٤]، ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[هود: ٤١].

وأما ركاب السفينة فيقول شحرور: "تحدث المفسرون بالتفصيل الممل عن أن ركاب السفينة ثلاثة أنواع: الأول: يشمل الحيوانات والنباتات ويحكمه مبدأ من كل زوجين اثنين أولهما ذكر والأخر أنثى. والثاني يشمل أهل نوح وهم ثمانية: نوح وامرأته وأبناؤه الثلاثة سام وحام ويافث ولكل واحد منهم زوجة. وهذا النوع يحكمه ما يحكم النوع الأول. أما الثالث فيشمل من آمن بنوح وهم قليل. لكننا لم نسمع أحداً من المفسرين أشار إلى المبدأ الذي يحكمهم، أهو مبدأ الإيمان فقط أم هو مبدأ من كل زوجين اثنين الذي حكم النوعين الأول والثاني؟ والسؤال الآن: ماذا يفعل نوح بشاب عازب مؤمن؟ هل يتركه للغرق لأنه

---

(١) انظر: «**الكتاب والقرآن**» محمد شحرور (ص/٦٩٤).

(٢) انظر: «**الكتاب والقرآن**» محمد شحرور (ص/٦٨١ - ٦٨٢).

عازب؟ أم يحمله معه لأنه مؤمن ليسطو على زوجات الآخرين بعد انحسار الطوفان؟ وإن كان المعيار في الدخول إلى السفينة هو الإيمان فلماذا حمل نوح امرأته وقد ضربها الله في كتابه مثلاً للذين كفروا ولم يحمل ابنه والأهل هم الزوجة والأولاد، وابنه ممن سبق عليه القول لأنه ليس ابنه"[1].

فالذين ركبوا في السفينة مع نوح عدد قليل من الناس وبعض الحيوانات الأليفة المتواجدة عندهم كالدجاج وغيره، وأما الأنعام فلم تكن مذللة بعد في عهد نوح، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿من كُلٍّ زَوْجَيْنِ﴾، إذ فيها قراءتان، قراءة حفص بالتنوين ﴿كُلٍّ﴾، وقراءة الباقين بدون تنوين، وعلى قراءة الباقين يكون المعنى حمل ما عندكم من البهائم التي تأكلون لحمها فقط، وقد وصف شحرور من يقول بحمل كافة الحيوانات بأن لديه قصور في فهم السياق التاريخي لخط تطور الإنسان[2].

وأهل نوح-في نظر شحرور- قد نجوا جميعاً حتى امرأة نوح لأنها من أهله الذين وعده الله تعالى بنجاتهم، فيقول: "امرأة نوح كانت من الكافرين ولم تقم لنوح أي عهد وكذلك امرأة لوط حيث قال تعالى عنها ﴿إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾[هود: ٨١] أما عن امرأة نوح فلم يذكر أنها هلكت مع قومها لأنها من أهله ووعده الله بأن ينجي أهله"[3]، وأما ابنه فقد غرق لأنه ليس من أهله، لا لكونه كافراً، وقد استغرب نوح غرقه لأن الله وعده بنجاة أهله ووعد الله حق، ونوح لا يعلم أنه ليس من أهله، فيقول شحرور: "بما أن وعد الله حق وأن الله لا يخلف المعياد فقد استغرب نوح غرق ابنه لذا قال: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾[هود: ٤٥]، فكانت الإجابة أنه ليس ابنه ونوح يجهل ذلك بقوله ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[هود: ٤٦]، ... وقد وعده الله بنجاة أهله الكافر منهم والمؤمن حيث قال له: ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ﴾[هود: ٤٠][4]، بل ويصرح في موضع آخر بنفي البنوة ويصفه بأنه ابن زنا، فيقول: "فالذي غرق ليس ابن نوح في الحقيقة، وإنما ابن زنا، دون أن

---

(١) «**القصص القرآني**» محمد شحرور (٢/٤٥-٤٦).

(٢) انظر: «**الكتاب والقرآن**» محمد شحرور (ص/٦٨٥ - ٦٨٦).

(٣) «**القصص القرآني**» محمد شحرور (٢/٥٣).

(٤) انظر: «**الكتاب والقرآن**» محمد شحرور (ص/٦٨٣ - ٦٨٤).

يدري نوح بذلك، لذا كان استغراب نوح استغراباً في محله. وكان جواب رب العالمين بأن نوحاً لا يعلم هذه الحقيقة في قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[هود: ٤٦]"[1].

فالكفر ليس هو المعيار في الغرق، فالذين ركبوا في السفينة مع نوح مؤمنون وكافرون ومنهم امرأته، لأنها من أهله لقوله، ﴿وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الشعراء: ١١٨]، فقد طلب نوح نجاته ومن معه من المؤمنين، فكان رد الله تعالى عليه نجاته ومن معه فقط دون ذكر من المؤمنين[2]، في قوله: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾[الشعراء: ١١٩].

ويذكر شحرور بأن رواية الطوفان السومرية أول وثيقة تاريخية، ومن ثم جرى عليها تطوراً في الرواية البابلية، وهي التي تم نقلها إلى التوراة حيث جرت عليها إضافات تلائم الشخصية اليهودية، ومن ثم نجدها في القرآن الكريم، متبعة الخطوط العامة في الرواية المشرقية، غير أنها منزلة من عند الله تعالى[3].

وإن الطوفان عبارة عن عاصفة مطرية كبيرة جداً، جرت بشكل محلي حيث كان قوم نوح يسكنون في مناطق منخفضة قريبة من الأنهار تحيطها الجبال، قال تعالى: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾[القمر: ١١ - ١٢]، ومن المعلوم بأن العواصف المطرية في الجبال تسبب سيولاً مدمرة تجتاح المناطق المنخفضة والسهول والوديان، وأنه خلال ساعات من عاصفة مطرية شديدة يمكن إغراق مدينة بأكملها، وأن حدوث الطوفان في منطقة ما لا يعني امتداده إلى غيرها، كما أنه لم يغط الجبال، حيث قال ابن نوح﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾[هود: ٤٣]، وكون المنطقة التي يسكنها قوم نوح محاطة بالجبال فقد حصل تيار مائي قوي، وكان الموج كسلاسل الجبال من حيث الشكل لا من حيث البعد، قال تعالى: ﴿فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾[هود: ٤٢]، فالكاف هنا كاف التشبيه للشكل، ولو كانت أبعاد

---

(١) «**الكتاب والقرآن**» محمد شحرور (ص/٣٦٠).

(٢) انظر: «**الكتاب والقرآن**» محمد شحرور (ص/٦٨٤).

(٣) انظر: «**القصص القرآني**» محمد شحرو (٢/١٨ - ١٩).

الموج هي كالجبال فهناك استحالة في أن ينادي نوح ابنه، وقد قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ﴾ [هود: ٤٢] (١).

ومن أجل إعلام نوح بموعد الطوفان فقد وضع الله تعالى له إشارة على ذلك وهي فوران التنور، والمراد بالتنور البركان الخامد، حيث يتوقع في منطقة نوح وفي الجبال التي تحيط بهذه المنطقة وجود بركان خامد، ونشاطه هو إشارة الطوفان، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾[هود: ٤٠](٢).

ثم يذكر شحرور بأن الغرق كان مصير كل الذين لم يركبوا في الفلك، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا بَعۡدُ ٱلۡبَاقِينَ﴾[الشعراء: ١٢٠]، والسبب هو عدم تعلم الإنسان -في زمن نوح- السباحة بعد، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل يرى شحرور بأن السيل قد جرف جثث قوم نوح ورماهم في فوهة البركان، بدليل قوله تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔاتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا﴾ [نوح: ٢٥]، فالفاء هنا فاء السببية والتعقيب بين الغرق وإدخال النار، واستعمل النار نكرة وهنا لا يقصد بها نار جهنم(٣).

د- دعاء نوح عليه السلام على قومه:

لم يدع نوح على قومه بالهلاك؛ إذ يستحيل أن يدعو نبي أو رسول على قومه، وإنما الذي كان من نوح أنه عندما يئس من قومه دعا الله أن يحل المشكلة بينه وبين قومه فقط، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ١١٧ فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١١٧ - ١١٨]، فكان الجواب من الله، ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٣٦ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾[هود: ٣٦-٣٧].

---

(١) انظر: «**الكتاب والقرآن**» محمد شحرور (ص/٦٨٢-٦٨٣)، و«**القصص القرآني**» محمد شحرور (٥٥/٢).

(٢) انظر: «**الكتاب والقرآن**» محمد شحرور (ص/٦٨٣)

(٣) انظر: «**الكتاب والقرآن**» محمد شحرور (ص/٦٨٣، ٦٨٥).

ثم يذكر شحرور بأن نوح قد دعا على قومه بعد الطوفان لا قبله، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾[نوح: ٢٦ - ٢٧]، أي بعد أن غرق قومه، حيث رأى الأهوال والدمار الذي لحق بالمنطقة فخاف على نفسه ومن معه من انتقام من بقي حياً، ففي هذه الحالة سينتقمون منه وممن معه وسيربون أولادهم على الكفر وكراهية الإيمان منذ صغرهم ويكرهوا الناس على الكفر، والولادة هنا التربية، فالإنسان يولد دون معلومات وعلى الفطرة، لكن البيئة تجعله كافراً أو على أي دين آخر[1].

٥- عمر نوح عليه السلام:

يستنكر شحرور بأن نوحاً عليه السلام قد عاش تسعمئة وخمسين سنة، ويصف القول به ذا ضرب من العبث والتخريف، بل ويلوم المعاصرين القائلين بأن الإنسان كان يعيش ألف عام أو أكثر، ويرى بأن وروده في التراث اليهودي عائد إلى جهل أصحابه بعلوم التاريخ والجيولوجيا، فالأعمار التي كانت في عهد نوح لا تزيد عن أعمار الناس اليوم، وربما كانت أقل من ذلك، واستدل على رأيه بما يلي:

١- عدم تأكيد الواقع على ذلك إطلاقاً..الديناصور انقرض منذ ٦٥مليون سنة ولقينا آثاره.
٢- أثبتت الوثائق التاريخية أن متوسط الأعمار في زمن الفراعنة كان بحدود ٤٠ عاماً.
٣- وجود وثيقة تاريخية تضم قائمة للملوك السومريين الذين حكموا مدن الرافدين قبل الطوفان وبعده، مع ذكر مدة الحكم فيها وهي آلاف من السنين، وهذه الفترات مبالغ فيها وخيالية أو أنه لا يمكن فهمها إلا ضمن السياق السومري، ويبدو أن هذه الفترات الخيالية انسحبت بدورها على ما جاء في التوراة من أعمار خيالية للأنبياء، ثم يذكر بأنه إذا تعارض ظاهر نص قرآني مع حقيقة علمية وجب اللجوء إلى التأويل، وإذا تعارض فهم النص القرآني مع حقيقة علمية فالفهم هو الخطأ لا النص، لأنه كلام الله تعالى، ولا يمكن أن يتعارض مع كلماته أي قوانينه ونواميسه.
٤- إن الأعداد التي ذكرت في القرآن تشير الى القلة أو الكثرة أكثر مما تشير إلى رقم إحصائي بعينه، كعدد الملائكة، في قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ

(١) انظر: «**الكتاب والقرآن**» محمد شحرور (ص/٦٨٤ - ٦٨٥)، وانظر: «**القصص القرآني**» محمد شحرو (٢/٥٥).

رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾[آل عمران: ١٢٤ - ١٢٥]، و ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾[الأنفال: ٩]، فهي ليست أرقاماً إحصائية وإنماهي من باب البشرى والتثبيت، وإثارة مشاعر الصمود والصبر، وغير ذلك من الأرقام التي ترد، ففيها معنى معين وليس المقصود العدد بذاته.

٥- النظر إلى المتداول في الحياة العملية بالنسبة للفظي السنة والعام، فهناك سنة شمسية وسنة قمرية، تختلفان بعدد الأيام، وأن هناك أسبوعاً مؤلفاً من سبعة أيام، لكنه لم يكن كذلك دائماً، فقد مرت على الإنسانية فترات كانت أيام الأسبوع فيها ثمانية، وكذلك القول بأن الساعة عشرة إلا خمسة لا يفهم منه الساعة خمسة، إذ هناك وحدتين زمنيتين مختلفتين الأولى ساعة والثانية دقيقة، وكذلك في التنزيل الحكيم استعمل السنة والعام وهما وحدتان مختلفتان، فلا يصح القول بأن حاصل الطرح بين ألف سنة وخمسين عاماً هو ٩٥٠.

٦- إن القرآن الكريم استعمل التقويم الذي كان سائداً في عهد نوح لا تقويمنا نحن، فمتوسط الأعمار عند البشر في نمو مستمر وليس العكس[١].

تعقيب ونقد :

إن المنهج الذي اعتمده شحرور وبخلفيته الفكرية والفلسفية وبآلياته المنهجية الوظيفية غير قادر على قراءة النص القرآني بمفهوم القراءة التي يؤسسها النص نفسه وبأبعاده المقاصدية[٢].

وإن المفاهيم والدلالات التي قدمها شحرور لنصوص الوحي لم تكن موجودة في تاريخ الفكر الإسلامي قديماً وحديثاً، ومن ذلك أن مطلق القصص لا علاقة له إلا بزمنه دون أزمنة أخرى تالية، أي إن نصوص الوحي تشمل منظومة من العبر فقط، ولا علاقة لها بالأحكام الإلزامية خارج زمنها، وبهذا يكون محمد شحرور تناول بعض نصوص الوحي من منظور تاريخاني صرف، وقد قصد من خلاله التقليل من عدد نصوص الأحكام الشرعية

---

(١) انظر: «**القصص القرآني**» محمد شحرور (٢/٤٩، ٥٢ - ٥٣).

(٢) انظر: مقال: «**العائد الحضاري والمعرفي في القراءة المعاصرة للقرآن الكريم عند محمد شحرور**» الحسن حما، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث (٢٠١٣م) (ص/١٨).

الملزمة المدرجة ضمن باب افعل ولا تفعل، وأنها قد تركت في المقابل مساحات واسعة للاجتهاد الإنساني وفق مستجدات الوجود المعاصر، وكأن النصوص لم تأت بأحكام صريحة لمختلف مستجدات وأفعال المكلفين في مختلف مجالات السعي الإنساني[1].

"فشحرور يطوق القصص القرآني بأصحابها وأشخاصها التي تدور حولهم الأحداث، وبتاريخها الذي تتحدث عنه، ولا يمكن أن تكون مصدراً للتشريع لضيق وظيفتها المناطة بها، ومنشيء هذه الشبهة مسألة تاريخية القرآن وما طرحه المستشرق تيودور نولدكه، ومحمد أركون، وعبد الكريم سروش، في الشرق"[2].

كما أن شحرور قد اعتمد على عدة خلفيات فكرية في فهم وتفسير القصص القرآني، وعلى سبيل المثال الخلفية الماركسيية؛ إذ يقول: "إن مدخلنا لفهم القصص القرآني هو جدل الإنسان مع ذاته ومع الطبيعة والمجتمع"[3].

وقصة نوح عليه السلام -موضوع البحث-نموذج على ذلك، وقد ابتدأ شحرور حديثه بدعوى وهي أن الاتصال بين السماء والأرض قبل نوح كان عن طريق الملائكة فقط، ثم صار من عهد نوح مشتركاً بشراً وملائكة حتى عهد إبراهيم عليه السلام، وهذا يتعارض مع نصوص القرآن التي تؤكد بأن الرسل كانوا من البشر لا من غيرهم، بصيغة الحصر والقصر، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ ﴾[يوسف: ١٠٩]، ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[الأنبياء: ٧]، فكل رسل الله تعالى إلى الناس كانوا بشراً لا ملائكة، وقد لفت الله سبحانه بني آدم إلى أنه تعالى سيبعث لهم رسلاً منهم[4]، ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ

---

(١) انظر: مقال: «**القراءة المعاصرة للقصص القرآني» قراءة محمد شحرور دراسة تحليلية نقدية تكاملية، د.** محمد كنفوري nama-cemter.com./Article

(٢) مقال: «**القصص القرآني قراءة في كتابات الحداثيين العرب**» تقي الحسني، صحيفة المثقف، العدد ٣٣٨٥ (٢٠١٥/١٢/١٢) صادرة عن مؤسسة المثقف العربي..www.almothaqaf.com

(٣) «**القصص القرآني**» محمد شحرور (١/ ١٧٥).

(٤) انظر: مقال: «**قراءة شحرور للقصص القرآني بين التحريف والتخريف**» (٢)، طارق مصطفى حميدة، islamsyria.com/site/show - articles/6646.

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[الأعراف: ٣٥]، وغرابة هذا التفسير الذي جاء به سببه ترك النقل والاعتماد على العقل فقط، فقد" اعتمد الدكتور محمد شحرور على عقله وحده في تفسير كثير من الآيات الكريمة فجاء بعجائب من التفسير، وهو أمر طبيعي لكل من اعتمد على العقل وحده دون المزاوجة بين العقل والنقل في فهم الآيات وتفسيرها، ودون الاعتماد على المأثور من الأقوال"(١).

وإن رؤية شحرور بأن نوحاً أول نبي ورسول فيه إنكار لنبوة آدم عليهما السلام، فنوح عليه السلام أول الرسل إلى البشر، وهذا لا يحيل بعث للأنبياء قبله، وهناك فارق بين النبوة والرسالة كما ذكرنا سابقاً، فضلاً عن أن النصوص التي استدل بها شحرور لا تشير إلى ذلك أبداً.

"وإذا كان شحرور يبدأ الحديث عن نوح بفكرة الإنتاج وبدائيته في عصره، فهو يقصر نبوة نوح على فكرتي التوحيد وتعليم البشرية ركوب الماء، والثاني لا أساس له من الصحة، بل هو خادم للأول ذلك أن نوحاً عليه السلام جاء ليهدي الناس إلى الصراط السويّ، فحين لم يؤمنوا عاقبهم الله بالطوفان وأنجى المؤمنين بواسطة "الفلك" فهذه السفينة هي وسيلة يدرك بها الناس صدق نوح عليه السلام، وليست غاية في ذاتها، بمعنى أن نوحاً لم يأت ليعلم الناس فن بناء السفن، ولكن جاء ليفهمهم عقوبة رفض التعاليم الإلهية لذلك حين يشطر شحرور مهمة نوح إلى شطرين، أحدهما روحي (التوحيد) والآخر مادي (تعليم الناس ركوب الماء) فهو يثبت نزعته المادية دون أن يعطي دليلاً مقنعاً بشكل كاف، خاصة أن صناعة مثل إنشاء السفن ليست مهمة النبي أو الرسول بل من مهام الصانع والنجار وغيرهما"(٢).

فالغاية من إرسال نوح عليه السلام ليس تعليم ركوب الماء - ففي هذا استهانة بعمل جليل لنبي جليل - وإنما تبليغ للرسالة وتقرير للنصيحة، بدليل قوله تعالى: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[الأعراف: ٦٢].

---

(١) «**رؤى وآراء معاصرة**» دراسة نقدية، غازي التوبة، ط١ (١٤٣٤هـ - ٢٠١٢م) (ص/٨٣).

(٢) مقال: «**النص القرآني عند محمد شحرور**» ياسين سليماني، www. Odabasham.net/24.

ويشتد ظهور النزعة المادية عند شحرور عندما يذكر بأن السبب في غرق الذين لم يركبوا السفينة هو عدم تعلمهم السباحة، ولا ندري كيف يمكن لمن يعرف السباحة أن ينجو من عقاب الله أولاً، ولا كيف يخرج سالماً من طوفان كطوفان نوح عليه السلام بضخامته[1]!

وإن نفي شحرور للوصايا الأخلاقية أو الشعائر التعبدية في دعوة نوح عليه السلام غير مقبول، لأن الدعوة إلى توحيد الله تستوجب طاعته في كل ما يأمر به، كما أن الصلاة تعني الاستغفار، قال تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾[التوبة: ١٠٣]، وما دام نوح عليه السلام طلب إلى قومه أن يستغفروا الله فقد طلب منهم بشكل من الأشكال أن يصلّوا وإن لم يرد اسم "الصلاة" بالتحديد.والوصايا الأخلاقية تحصيل حاصل بعد التوحيد، فلا يمكن لنوح ولا لأي نبي غيره، أن يأمر الناس بالتوحيد، دون أن يثنيهم عن فعل المنكرات، مثال ذلك: لا يمكن أن يطلب من أحد أن يؤمن بالله وحده لا شريك له، ولا ينهاه عن الفواحش.

لكن النزعة الوثوقية عند شحرور ظاهرة بيّنة وهو حينما يؤكد على عدم وجود العبادات فإنه وثوق غير مبرّر في مجمله، فما هو إلاّ ظن يحتاج إلى تأكيد، خاصة أنه يقرّ بعدم ذكر القرآن لكل التفاصيل[2].

ويضاف إلى ذلك بأن عدم وجود ذكر للتشريعات لا يدل على نفيها، بل في الآيات دلالة على أن هناك تشريعات خالفوها، وكذلك كلام نوح عن فجور قومه يفيد أن جريمة القوم تضمنت أمراً عقدياً بدلالة عبارة (كفاراً)، وآخر سلوكياً بدلالة عبارة (فاجراً)[3].

وإن عبادة الأصنام هي التي كانت في قوم نوح، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[نوح: ٢٣]، وهذه الأصنام أسماء لرجال صالحين من قوم نوح، لما ماتوا زين الشيطان لقومهم نصب صور لهم وتسميتهم بأسمائهم حتى ينشطوا في العبادة إذا رأوهم لكنهم لم يعبدوهم آنذاك، فلما هلك هؤلاء وعمّ الجهل فيمن خلفهم عبدوهم من دون الله[4]، وليس هناك تفريق بين قوله: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾و﴿وَلَا تَذَرُنَّ﴾، يقول ابن عاشور: "يحتمل أن لا يكون لهم غير تلك الأصنام الخمسة فيكون ذكرها مفصلة بعد

---

(١) انظر: مقال: «**النص القرآني عند محمد شحرور**» ياسين سليماني.

(٢) انظر: مقال: «**النص القرآني عند محمد شحرور**» ياسين سليماني.

(٣) انظر: مقال: «**قراءة شحرور للقصص القرآني بين التحريف والتخريف**» (٣) طارق مصطفى حميدة.

(٤) انظر: «**تفسير القرآن العظيم**» ابن كثير (١٤/١٤٢ - ١٤٣)، و«**روح المعاني**» الألوسي (٢٩/٧٧).

الإجمال للاهتمام بها ويكون العطف من قبيل عطف المرادف. ولقصد التوكيد أعيد فعل النهي ولا تذرن"[1]، وأما عن ذكره بأن الإضلال لا يكون من الأصنام، فالجواب عنه بقول الرازي وهو: "يجوز أن يكون الضمير عائداً إلى الأصنام كقوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾وأجرى الأصنام على هذا القول مجرى الآدميين كقوله: (أَلَهُمْ أَرْجُلٌ)"[2].

وإن الآية التي استدل بها شحرور على عبادة قوم نوح لمظاهر الطبيعة بعيدة كل البعد عن ذلك، فما هي إلا للفت أنظار قوم نوح إلى التفكر، لعلها تكون داعية لهم إلى الإيمان بالله، وهذا المعنى متفق عليه بين المفسرين، وسيأتي الحديث عن ذلك في الفصل الأخير من البحث.

وفيما يخص السفينة فإن الوصف الذي جاء به القرآن في قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾[القمر: ١٣] يشير إلى فخامة السفينة لا إلى تحجيمها كما يرى شحرور، وقد أشرنا إلى ذلك سابقاً.

وإن رؤية شحرور بأن ركاب السفينة مع نوح عليه السلام كانوا من المؤمنين والكافرين تأويل لا يتمكن منه فهم الدلالة القرآنية أن الطوفان والسفينة جاءا ليظهرا خطأ الكافرين في عدم إيمانهم بدعوة نوح، فإذا كان نوح عليه السلام يركب معه الكافرين أيضاً فلماذا جاء الطوفان أصلا؟ جواب هذا "تعليم الناس ركوب الماء"، وهذا جواب متهافت لا يمكن لعقل أن يتقبله[3].

فالمعيار في ركوب السفينة هو الإيمان، وما ادعاه شحرور بأن القرابة هي سبب النجاة غير صحيح، فالآيات واضحة الدلالة في أن ابن نوح هو ابنه حقيقة ومع ذلك فقد هلك، وكذلك زوجته وقد كانت مثالاً للكافرين، وقد ذُكر أمرهما بالتفصيل سابقاً، وإن وسم شحرور لنوح عليه السلام بالجهل فيه إساءة إلى سيرته عليه السلام[4].

وإن وصف شحرور للطوفان بأنه كارثة طبيعية هو تكرار لكلام الجيولوجيين والإنثروبولوجيين وغيرهم، وقد ذكر من أسبابها أن قوم نوح كانوا يعيشون في منطقة غنية

---

(١) «**التحرير والتنوير**» ابن عاشور (٢٠٩/٢٩).

(٢) «**مفاتيح الغيب**» الرازي (١٤٤/٣٠).

(٣) انظر: مقال: «**النص القرآني عند محمد شحرور**» ياسين سليماني.

(٤) انظر: مقال: «**النص القرآني عند محمد شحرور**» ياسين سليماني.

بالينابيع تحيط بها جبال غزيرة الأمطار، ومن المعروف بأن العواصف المطرية في الجبال تسبب سيولاً مدمرة تجتاح المناطق المنخفضة والسهول والوديان، مستدلاً على ذلك بقوله تعالى على لسان ابن نوح ﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ﴾[هود: ٤٣]، أي إن الأمر لا يعدو كونه كارثة طبيعية اجتاحت قوم بدائيين ليس لديهم من الخبرات والتقنيات لمواجهة تلك الكارثة، مما أدى إلى تدميرهم، وبهذا ينفي شحرور كون الطوفان عقاباً ربانياً.

ويرى بأن قصة الطوفان القرآنية متبعة الخطوط العامة للرواية المشرقية أيضاً، فهي ليست أكثر من نسخة معدلة ومطورة وامتداد لما سبقها، وبالتالي ليست وحياً إلهياً، لكنه يعود فيستدرك كلامه، وإن كانت متبعة للروايات البشرية لكنها منزلة من الله إلى البشر! فكيف يكون هذا؟ وأين علم الله المحيط وهيمنة القرآن على كل ما سواه[1].

وإن كان السبب -كما يدعي- في عدم السيطرة على الكارثة هو عدم وجود الخبرات والتقنيات، فلِمَ لا يتم دفع العديد من الكوارث في هذا العصر؛ إذ فيه من التقنيات والتقدمات العلمية مالم تكن في غيره؟ فهل لعبت تلك التقنيات والوسائل الحديثة دوراً في مقاومة الكوارث! فضلاً عن العقوبات الإلهية.

ثم يذكر شحرور بأن قوم نوح الذين أغرقوا بالطوفان قد قذف بهم في فوهة البركان، وهذا رأي يحتاج إلى دليل علمي وهو غير متوفر ذلك أنّ البركان إذا ألقيت فيه الأجساد حقاً فهي تندثر اندثاراً كاملاً فلا يبقى منها من الأثر ما يمكن أن يكتشفه العلماء في القرون اللاحقة[2]، وإن المراد من النار في قوله تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔاتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا﴾[نوح: ٢٥]، نار جهنم في الآخرة، أو عذاب القبر[3].

وإن نوحاً عليه السلام لم يدع على قومه بالهلاك، فهذا -في رأي شحرور- لا يكون من الأنبياء، ثم يذكر بأن نوحاً عليه السلام بعد الطوفان قد دعا على من تبقى كي لا ينتقموا منه، وهو تفسير بعيد عن الدعوة التي جاء من أجلها، ولا غرابة في هذا التفسير نظراً لقطع العلاقة مع

---

(١) انظر: مقال: «**قراءة شحرور للقصص القرآني بين التحريف والتخريف**» (٢) طارق مصطفى حميدة..

(٢) انظر: مقال: «**النص القرآني عند محمد شحرور**» ياسين سليماني.

(٣) انظر: «**الكشاف**» الزمخشري (٦/٢١٩).

الموروث من سنة أوأثر، وقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم**»[1].

ثم يذكر شحرور بأن القول بأن نوحاً عليه السلام قد لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين ضرب من العبث والتخريف، واستدل على ذلك بعدة أدلة، إلا أنها باطلة، فأما حجته بأن الواقع لا يؤكد ذلك إطلاقاً، فليست صحيحة؛ إذ عدم الإيجاد لا يدل على عدم الوجود، فالتنقيب لم يحصل في جميع أنحاء الأرض حتى يتم الجزم بخلوها من آي آثار للإنسان الأول[2].

وأما متوسط العمر الفرعوني كان ٤٠ عاماً، فإن شحرور بهذا يجعل العمر الفرعوني دليلاً على الأعمار في فجر البشرية زمن نوح[3] أي اللاحق دليل على السابق!

وأما الوثيقة التاريخية التي تضم قائمة ملوك السومريين فهناك تعليقات كثيرة استنكارية على الطول المستغرب لما تم تدوينه عن حكم ملوك سومر القديمة، ولا تلتقي مع ما يزعمه شحرور من أن السومريين-فيما يسردونه عن ملوك ما قبل الطوفان وبعده-كان لهم نظام في حساب السنين يختلف عن السنين التي نعهدها[4]، وإن جعل كلام المؤرخين وعلماء الآثار بمثابة الحقائق العلمية التي لا تقبل النقاش لم يقل به حتى أولئك العلماء أنفسهم، فأقوالهم تدخل تحت مسمى النظريات أو الفرضيات، فكيف نكذب كلام ربنا ونلوي أعناق الآيات في مواجهة نظريات أو فرضيات لم تثبت[5]؟ فضلاً عن ذلك فإن الاستناد إلى وثائق تاريخية قديمة يتعارض مع دعوة شحرور إلى التجديد الذي لا يكون-في نظره- إلا بقطع الصلة مع الموروث القديم، والاعتماد على العقل!

وأما اعتبار شحرور ذكر القرآن لبعض الأعداد من قبيل المجاز لا الحقيقة مستدلاً على ذلك بعدد الملائكة في سورتي آل عمران والأنفال فهو باطل، فالعدد المذكور حقيقة،

---

(١) سبق تخريجه (ص/٩٤).

(٢) انظر: مقال: «**تهافت محمد شحرور في تفنيده لطول عمر نوح عليه السلام والرد عليه**» عز الدين كزابر.. (٢٠١٤م)، http: kazaaber. Blogspot.qa/2014/10/blog - post.html.

(٣) انظر: مقال: «**قراءة شحرور للقصص القرآني**» (٣) طارق مصطفى حميدة.

(٤) انظر: مقال: «**تهافت محمد شحرور في تفنيده لطول عمر نوح عليه السلام والرد عليه**» عز الدين كزابر.

(٥) انظر: مقال: «**قراءة شحرور للقصص القرآني**» طارق مصطفى حميدة.

ومفردات الآية تثبت ذلك، ففي قوله تعالى: ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]، يقول ابن عاشور: "الإمداد إعطاء المدد وهو الزيادة من الشيء النافع، وقرأ نافع، وأبو جعفر، ويعقوب: بفتح الدال من (مُرْدَفِين) أي يرد فيهم غيرهم من الملائكة... والإرداف الإتباع والإلحاق فيكون الوعد بألف وبغيرها على ما هو متعارف عندهم من إعداد نجدة للجيش عند الحاجة تكون لهم مدداً، وذلك أن الله أمدهم بآلاف من الملائكة بلغوا خمسة آلاف كما تقدم في سورة آل عمران...وحلول الملائكة في المسلمين كان بكيفية يعلمها الله: إما بتجسيم المجردات فيراهم من أكرمه الله برؤيتهم، وإما بإراءاة الله الناس ما ليس من شأنه أن يرى عادة"[١]، ويقول أيضاً: "وقد ثبت أن الملائكة نزلوا يوم بدر لنصرة المؤمنين، وشاهد بعض الصحابة طائفة منهم، وبعضهم شهد آثار قتلهم رجالاً من المشركين"[٢]، وهناك أحاديث تثبت قتال الملائكة مع المسلمين حقيقة، لكن شحرور يرفض الاستدلال بالسنة وينكرها.

وأما التشبيه الذي أتى به شحرور للتفريق بين السنة والعام على أنهما وحدتين مختلفتين، كما تفترق الساعة عن الدقيقة في قوله: (الساعة عشرة إلا خمسة) فهو تشبيه زائف، لا علاقة له بالتفريق بين السنة والعام إلا من حيث القالب اللغوي، لأن أقصى ما يمكن لعاقل أن يميز بين السنة والعام أن يقول السنة شمسية والعام قمري، وعندها فلن تفترق السنة عن العام إلا بنسبة ٣ %، بينما الفارق بين الساعة والدقيقة ستين ضعفاً[٣]، وإن ذكر القرآن الكريم للفظي السنة والعام معاً، لأن السنة تشير إلى الشدة والصعوبة، والعام فيه معنى اليسر، فضلاً عن البلاغة التي تكون في اجتناب تكرير اللفظ، وقد أشرت إلى ذلك سابقاً.

وأما ادعائه بأن متوسط الأعمار في ازدياد فهو غير صحيح، فقد أثبتت الدراسات العلمية العكس، وهو أن متوسط عمر الإنسان يتناقص -منذ آدم ومروراً بنوح عليهما

---

(١) «**التحرير والتنوير**» ابن عاشور (٩/٢٧٥-٢٧٦).

(٢) «**التحرير والتنوير**» ابن عاشور (٤/٧٣).

(٣) انظر: مقال: «**تهافت محمد شحرور في تفنيده لطول عمر نوح عليه السلام والرد عليه**» عز الدين كزابر.

السلام ووصولاً إلى يومنا هذا- وذلك في صورة دالة رياضية متصلة ومتناقصة، مع محاولة الاستدلال على قيم هذه الدالة، وقد توصلوا إلى نتائج لا بأس بها[1].

وفضلاً عن ذلك كله، فإن شحرور يصرح بأن نوحاً عليه السلام قد لبث في قومه ٩٥٠ سنة، وهو بذلك يتناقض مع نفسه؛ إذ يقول: "الاحتمال الأصح والأقرب لمعنى نوح (نوح أي الذي أناخ في قومه ألف سنة). اسم نوح - عليه السلام - لغة قديمة في نفس معنى الإناخة والنوخة (الإقامة والمكوث بالأرض)، وذلك لطول لبث نوح بالأرض وبقائه حياً بها فاشتقاق اسم نوح من النوخة، لأنه أناخ بقومه ٩٥٠سنة (اللبث والبقاء والمقام في قومه نحو ألف سنة). فكأن اسمه هو (الذي أناخ في الأرض)، أي مكث وقرّ واستقر وظل وخلد فيها كثيراً جداً، فاسمه بمعنى (الذي أناخ بالأرض فلبث حياً ألف سنة)"[2]، وأضيف إلى ذلك بأن الآية في عمر سيدنا نوح عليه السلام ذاتها تثبت حقيقة العمر، قال تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾[العنكبوت: ١٤]؛ إذ إن الاستثناء يدل على التحقيق، وقد أشرنا إلى ذلك سابقاً.

وأخيراً، فالشيء الذي قدمته القراءة المعاصرة أكثره إيديولوجيا، وليس معرفة علمية، وغالباً إيديولوجيا ماركسية تاريخية[3].

---

(١) انظر: مقال: «**تهافت محمد شحرور في تفنيده لطول عمر نوح عليه السلام والرد عليه**» عز الدين كزابر.

(٢) انظر: «**القصص القرآني**» محمد شحرور (٢/٥٧).

(٣) انظر: مقال: «**حوار حول الدراسات القرآنية والقراءات المعاصرة**» عبد الرحمن الحاج.

المطلب الرابع: قصة نوح في رأي كمال الصليبي

يرى الباحث كمال الصليبي[1] بأن الجغرافية التاريخية للتوراة هي جزيرة العرب، وذلك عن طريق المقابلة اللغوية بين أسماء الأماكن الموجودة في التوراة، وتلك الموجودة في جنوبي الحجاز وبلاد عسير، ولكي يؤكد صحة ما يدعيه فقد أعاد قراءة القصص التوراتية في ضوء جغرافية جزيرة العرب[2].

والقصص في التوراة –حسب رأي الصليبي- عبارة عن مزيج من التاريخ الشعبي والأساطير والخرافات، تم جمعها ثم تنسيقها في زمن متأخر نسبياً من تاريخ بني إسرائيل، وهذا هو الرأي السائد بين أهل الاختصاص في موضوع التوراة، إلا أن الصليبي قد جاء بشيء جديد وهو التحليل- على حد تعبيره- والذي تنجلي عن طريقه غوامض كثيرة من تفاصيل القصص التوراتية لم يتوصل الباحثون إلى إدراك الحقائق الكامنة في مضمونها من قبل بالوسائل النقدية المعتمدة اليوم.

وإن النقد العلمي للتوراة –حسب رأيه-لا يضيرها، وهي جزء لا يتجزأ من التراث الذي تقدسه المسيحية؛ إذ جذور التعليم المسيحي تعود في أساسها إلى التوراة، وإن كان فيها ما يذهب إلى أبعد من تعاليم التوراة دون أن ينقض المبادئ التي تقوم عليها، وقصص التوراة لا علاقة أساسية لها بهذه المبادئ، وإنما هي عبارة عن صور احتفظت بها نصوص الكتاب، وفي الاطلاع عليها والتحقيق بأمرها متعة ذهنية وفهم لحقائق مغمورة لآلاف السنين[3].

ويرى الصليبي أيضاً بأن الأسفار الخمسة التي تتألف منها التوراة لم تكتب أصلاً بقلم واحد، وإنما عبارة عن مجموعة من الأقاصيص الصادرة أصلاً عن تقاليد مختلفة ربما كان بعضها مكتوباً، وقد تم جمعها وتنسيقها في وقت متأخر نسبياً، وأضيف إليها ما أضيف،

---

(١) هو مؤرخ لبناني، ولد في بيروت (١٩٢٩م)، كان رئيس دائرة التاريخ وعلم الآثار في الجامعة الأمريكية في بيروت، توفي سنة (٢٠١١م)، من مؤلفاته: تاريخ الجزيرة العربية - التوراة جاءت من حزيرة العرب - البحث عن يسوع قراءة جديدة في الأناجيل وغير ذلك. انظر: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

(٢) انظر: «**خفايا التوراة وأسرار بني إسرائيل**» كمال الصليبي، دار الساقي (بيروت)، ط٦ (٢٠٠٦م) (ص/٩-١٠).

(٣) انظر: «**خفايا التوراة وأسرار بني إسرائيل**» كمال الصليبي (ص/٦ - ٧).

وربما كان من بينها في الأصل ما لا علاقة له ببني إسرائيل، وهذا ما أقره معظم علماء النقد التوراتي، ثم يذكر بأن الأسفار الثلاثة "التكوين" و"الخروج" و"العدد" مركبة من عناصر مختلفة، منها ما هو قصصي ومنها ما هو غير قصصي، وأنه يجب تحليلها للوقوف على حقيقة أمرها، وقد كانت طريقته في التحليل -كما أشرنا سابقاً- في ضوء جغرافية جزيرة العرب[1].

وقد قدم الصليبي تحليلاً للقصص الموجودة في تلك الأسفار الثلاثة، وكان من بين القصص قصة نوح، ولكن قبل بدئه بالتحليل أشار إلى الاعتقاد السائد وهو أن الرواية التوراتية حول الطوفان منقولة عن الرواية العراقية، وهو اعتقاد-في رأيه- غير صحيح؛ إذ لو كانت الرواية العراقية هي الأصل لنسبت سبب الطوفان إلى فيضان الأنهر الذي يأتي بسبب ذوبان الثلوج المتراكمة على الجبال أكثر منه بسبب المطر الغزير، مثلها في ذلك مثل الرواية الصينية وغيرها، إلا أن الرواية العراقية تتحدث عن سيل عرم ناتج عن مطر غزير، وهذا ليس مألوفاً في العراق، بل هو من مزايا المناطق الغربية من شبه جزيرة العرب.

فالرواية العراقية هي المنقولة لا الأصلية، وقد أخذت عن الأقدم منها التي كلذت رائجة في شبه الجزيرة العربية قبل أن تنتشر في العراق، ولم تكن مدونة آنذاك حتى تم تدوينها في العراق، وأدخل عليها تعديلات من التراث الشعبي المحلي، ثم تم تدوين القصة ذاتها في التوراة في وقت لاحق، فبقيت محافظة على شكلها، لأن تدوينها في نص التوراة حصل في البيئة الأصلية للقصة[2].

ومسألة الطوفان -في نظره-لم تكن الوحيدة في قصة نوح، فقد ورد في سفر التكوين معلومات متباينة حول نوح، وليس هناك ما يمنع من نسبها إلى سيرة رجل واحد، مع العلم بأن الرجل البار لا يفترض به أن يسكر إلى حد الفضيحة، وعلى ذلك، فالشخصية المسماة نوحاً هي في الواقع أربع شخصيات:

١- الجد الأعلى المفترض لقبيلة اسمها نوح، ثم تفرعت عنها مع الزمن ثلاث قبائل لكل منها اسمها الخاص (سام، حام، يافث).
٢- بطل قصة الطوفان المتداولة في شبه جزيرة العرب.
٣-طائفة دينية، كان من رموزها قوس قزح

---

(١) انظر: «**خفايا التوراة**» كمال الصليبي (ص/١٣ - ١٥).
(٢) انظر: «**خفايا التوراة**» كمال الصليبي (ص/٤٧ - ٤٨).

٤-رجل كان يصنع الخمر ويكثر من شربها حتى السكر الفاضح.

أ- **قبيلة نوح :**

لقد درجت القبائل على أن أسمائها مأخوذة من أسماء أجدادها، وهم في الغالب شخصيات أسطورية مختلقة، والواقع-في رأيه- هو أن القبائل تُسمى بأسماء أوطانها لا أجدادها المفترضين، فقد تنقرض القبائل وتضمحل، وتأتي قبائل أخرى تحمل أسمائها، دون أن يكون أي نسب أو صلة بين القبيلة القديمة والقبيلة الجديدة التي حلت مكانها.

وأياً كانت الحقيقة في أصول أسماء القبائل، فالقبائل تعتبر أسمائها عائدة إلى أجدادها، وإن لكل قبيلة أساطير متوارثة تلخص بداياتها على شكل قصة تروي سيرة الجد الأعلى المفترض، وقد تستعيض هذه الأساطير لسير أبطالها عن البيان بالألغاز والرموز، فإذا قالت الأسطورة بأن البطل عاش فيها ما يقرب ألف سنة أو أكثر، فالمراد من ذلك هو مدة استمرار القبيلة في الوجود، وليس مدة حياة الجد الذي جعلته الأسطورة يجسد تاريخها.

وعلى هذا، فنوح المذكور في التوراة أنه عاش ٩٥٠ سنة، وأنجب ثلاثة أبناء بعد أن بلغ ٥٠٠ سنة من العمر، وأنه حضر الطوفان ونجا منه عندما كان عمره ٦٠٠ سنة، لم يكن شخصاً فرداً، بل قبيلة مشخصة بجد أو ببطل أطلق عليه اسمها؛ إذ هذه الأعمار ليست من أعمار البشر الأفراد، بل من أعمار القبائل.

وإن موطن قبيلة "نوح" في اليمن، وهي إلى الآن مستمرة في الوجود بالشكل التوراتي (نح) في منطقة حضر موت جنوب اليمن، وكذلك في منطقة المدينة من الحجاز بناحية خيبر، حيث هناك قرية اسمها نحا (نح)، وبناء على ذلك، فقبيلة نوح هي في الأصل من قبائل اليمن، وتفرعت عنها ثلاث قبائل بعد المئة الخامسة من تاريخها، وهي قبائل سام (شم)، وحام (حم)، ويافث (يفت)، ولا تزال أسمائها الى اليوم في اليمن.

والذي يبدو أن طوفاناً حدث في بلاد اليمن عندما كانت قبيلة نوح في العام ٦٠٠ من تاريخها، فأجبرها ذاك الطوفان على النزوح شمالاً إلى منطقة المدينة بالحجاز، بينما ما تفرع منها بقي في اليمن، ثم حدث طوفان آخر فأجبر عدداً كبيراً من القبائل اليمنية على النزوح شمالاً إلى بلاد الحجاز والشام[1].

---

(١) انظر: «**خفايا التوراة**» كمال الصليبي (ص/٥٠ - ٥٣).

ب- قصة الطوفان.

تعتبر السيول الجارفة في بلاد اليمن ظاهرة مألوفة تاريخياً وحالياً، وكثيراً ما يسبب حدوثها نزوحاً إلى المناطق المجاورة أو الأبعد، وإنه ليس من الضروري استمرار سقوط الأمطار أكثر من ساعات قليلة حتى يحدث السيول، وقد يستمر سقوط الأمطار أياماً عدة، فيحدث سيول مخيفة تجرف كل ما في طريقها.

والتوراة تنص على أن سقوط الأمطار الذي أحدث الطوفان في العام ٦٠٠ من عمر قبيلة نوح قد استمر أربعين يوماً وليلة، ولو دام سقوط الأمطار نصف ذلك الوقت أو أقل، لحدث فيضان مخيف، ولابد أن أهالي الجزيرة العربية كانوا يحتاطون لمثل هذه السيول، فيصنعون طوافات مطلية بالقار، ومنها قصة الفلك الذي صنعه نوح، وتذكر التوراة بأن الفلك قد صُنع من خشب جفر، ولفظ جفر لم يرد إلا في هذا الموضع، لذا ليس المراد نوع الخشب، وإنما هو اسم موقع في المرتفعات الشمالية الشرقية لليمن حيث يبتدئ سيل وادي نجران، والموقع ما زال إلى اليوم يعرف باسم جَفَر، فالطوفان حدث حقيقي وقع في وقت ما قبل التاريخ، وحصوله كان في وادي نجران وهو من الأودية المعرضة طبيعياً للسيول، وهو الموطن الأصلي لقبيلة نوح، التي كانت تسكن على أطراف ذلك الوادي، ولما حصل الطوفان نزحت القبيلة واستقرت في ناحية خيبر بالحجاز.

وقد فسر الصليبي أيضاً أن "أراراط" هو جبل طويق بالجزيرة العربية، وهو عبارة عن مرتفعات كانت تعرف في الأزمنة الغابرة باسم ءررط، نسبة إلى واحة هناك ما زالت تعرف الى اليوم باسم أُراط (ءرط)، ويدعم رأيه بأن سفر التكوين قد تحدث عن "أراراط" بالجمع لا بالمفرد، وهذا دليل على أن المراد جبل طويق بالجزيرة العربية، فهو عبارة عن سلسلة من المرتفعات، وليس جبل أراراط بأرمينية فهو جبل واحد، ورأى بأن الفلك الذي خرج منه نوح وذويه، اسم مكان، فالفلك في العبرية "تبه" وهو قرية الطابة "طبه بالتعريف" بجبل سلمى شمال نجد[1].

ت- ديانة نوح وقوس قزح.

تحتوي قصة نوح على معان دينية متعلقة بأنواع مختلفة من العبادات التي كانت رائجة في شبه الجزيرة العربية، وهذه المعان تشكل مضمون خرافة نوح، وهي كغيرها من

(١) انظر: «**خفايا التوراة**» كمال الصليبي (ص/٥٣ - ٥٨).

الخرافات تتضمن أسرار هامة، وإن أسماء الآلهة الواردة في الخرافة ما زالت إلى اليوم أسماء لأماكن مختلفة في شبه الجزيرة العربية، ولولا هذه الأسماء لما أمكن الوقوف على حقيقة الأسرار التي تحفظها تلك الخرافة، وإن الرب "يهوه" لم يكن وحده الإله الذي تتحدث عنه، بل إن معظم الشخصيات البشرية وغير البشرية الواردة في القصة كانت آلهة، وهي:

١- الرب "يهوه": ما زال اسمه يطلق على قرى في أجزاء مختلفة من الجزيرة العربية، ومنها قرية آل هية (ءل هيه) في مرتفعات عسير.

٢- نوح (نح): يظهر اسمه في الوجود كاسم إله، على شكل آل نيح (ءل نيح)، أي "إله الاستقرار"، وهو اسم لقرية في مرتفعات عسير، وهو غير نوح القبيلة، وربما تسمت القبيلة في الأصل باسم الإله الذي كان معبودها الأساسي في البداية.

٣- الفلك (تبه، وفي حال الإضافة تبت): وهو إشارة خفية إلى إله اسمه آل ثابت (ءل ثبت)، وتحمل اسمه ثلاث قرى في مرتفعات عسير، ومعناه إله الثبات والتوازن والصمود، وهي صفات لابد منها للاستقرار، ويفسر الصليبي ما ورد في القصة أن نوحاً (وهو إله الاستقرار) ركب الفلك (أي تحالف مع إله الثبات)، فسار به على وجه مياه الطوفان (رمز إلى انعدام الثبات والتوازن) حتى أوصله بأمان إلى حيث تمكن من الاستقرار من جديد.

٤- البشر أو ذو الجسد (بسر): يوجد إله اسمه "بشر" على نقش يمني قديم، وقد كان له قرينة اسمها بشرت، وقد نقش اسمها على صورة صخرية لبقرة وجدت مؤخراً في عسير، كما أن هناك قرية في مرتفعات عسير اسمها آل بشر (ءل بشر)، وكذلك في حنوب الحجاز.

٥- قوس قزح (قشه): ويعتبر الإله "قوس"أو "قيس" من أكثر الآلهة شهرة في الجزيرة العربية، وقد استمر الشكل العبري لاسم هذا الإله في الوجود كاسم لقرية القوشة (قشة) في جنوبي الحجاز، وفي مرتفعات عسير.

٦- السحاب (عنن): يقابلها بالعربية عنان، وتوجد قرية اسمها عنان باليمامة جوار قرية آل قيس، بالمنطقة التي فيها أُراط، ويبدو أن القدماء في الجزيرة كانوا يعبدون إلهاً للسحاب، وما يشير إلى ذلك وجود قريتين باسم آل عينين (ءل عنن) في مرتفعات عسير.

فهذه هي المعطيات بالنسبة إلى الألفاظ الأساسية وأسماء الشخصيات في خرافة نوح كما جاءت في سفر التكوين، وهي قائمة إلى اليوم كأسماء أماكن من شبه الجزيرة العربية، ولا يعقل أن يكون اجتماع هذه الأسماء في جوار واحد من مرتفعات عسير مجرد صدفة، وهذه الأسماء القائمة جميعها في الجزيرة العربية إلى اليوم، وبمواقعها توفر لنا المدخل إلى السر في خرافة نوح، وذلك كان قبل زمن التوراة بأجيال كثيرة[1].

ث- **نوح وشربه للخمر.**

يعتبر نوح (رجل الأدمة) الشخصية الرابعة التي وردت في قصة نوح، فلا علاقة له بقصة الطوفان (الأسطورة) ولابالألوهية (الخرافة)، وإنما هو رجل من اليمن من قرية الأدمة التي ما زالت تعرف بهذا الاسم، وقد روي عنه بأنه زرع كرماً وشرب من خمره، فسكر وتعرى داخل خبائه، ثم رآه أصغر أبنائه، وعندما أفاق نوح من سكره وعلم بما حدث أخذ يلعنه.

والقصة هي فكاهة شعبية، أخذها التقليد الكهنوتي وقلبها من فكاهة إلى ملحق لأسطورة قبيلة نوح ومتفرعاتها، وأدخل عليها إضافات لتبرير واقع تاريخي، وهو السيطرة التي صارت لبني إسرائيل على أرض كنعان في تهامة عسير، واستعباد بني اسرائيل للقبائل الكنعانية التي كانت أصلاً هناك بعد أن تمت لهم السيطرة على أراضيها، ونقاط الضعف في التحوير الذي أدخله التقليد الكهنوتي هي من كشفت ذلك، والنقاط هي:

أ- ورد في القصة أن الابن الصغير اسمه كنعان، بينما في التقليد الكهنوتي أحل حام "أبا كنعان" مكان"كنعان"، وفاته حذف ابنه الصغير، وحام حسب سرد التوراة للأسماء (سام وحام ويافث) ثاني الابناء لا ثالثهم، أي أصغرهم.

ب- ورد في القصة أن كنعان هو من أبصر عورة أبيه وهو سكران، بينما في التحوير الولد الذي أبصر عورة أبيه (حام أبو كنعان)، لكن الأب لم يلعنه بل لعن ابنه كنعان، فالتقليد الكهنوتي لم يشأ ان تنزل اللعنة على حام بذاته، بل على كنعان فقط لأن الشعب الذي تم استعباده من بني اسرائيل تاريخياً لم يكن شعب حام بأسره، بل القبائل الكنعانية فقط.

---

(١) انظر: «**خفايا التوراة**» كمال الصليبي (ص/٥٩، ٦٢ - ٦٥).

ج- لو فرض أن حاماً هو الذي أبصر عورة أبيه، وأن أباه شاء أن ينزل اللعنة على نسله الممثل بابنه كنعان وهذا ممكن ومعقول، لكن الواقع هو أن نسل حام لم يكن محصوراً بكنعان وهو أصغرهم، فلم يبقى هناك أي مبرر لإنزال اللعنة على كنعان وحده.

فالرواية التي وردت في سفر التكوين هي في الواقع رواية محورة عن قصة لا تمت إلى قصة الطوفان بصلة، لكن في التحوير ذاته الذي أدخل على القصة معلومات صحيحة عن التداخل الجغرافي بين مواطن قبيلة ياقث من جهة، ومواطن قبيلة سام من جهة أخرى، فيافت هو إلى اليوم اسم جبل وفيت من بلاد اليمن، واسم سام (شم)هو إلى اليوم اسم قرية شم هناك، والواقع أن شم من قرى الجوار المباشر لجبل وفيت، وبناء على ذلك، يمكن الجزم بأن قبيلتي وفيت وشم أي (يافث وسام) كانتا في جوار واحد، والتقليد الكهنوتي الذي قام بتحوير قصة نوح رجل الأدمة كان على علم بذلك[1].

تعقيب ونقد :

إن المعطيات التاريخية والتنقيبات الأركيولوجية أظهرت الطابع غير التاريخي للمرويات التوراتية، وعدم اتساقها مع تاريخ فلسطين ومناطق من الشرق الأدنى القديم، وقد أدرك الباحث "كمال الصليبي"أن الدفاع عن تاريخية التوراة وفق تلك المعطيات العلمية مسألة خاسرة؛ فقام بالتفاتة بارعة على المشكلة برمتها، ونقل مسرح الحدث التوراتي من فلسطين إلى منطقة غرب شبه الجزيرة العربية، وبهذا تم حماية المرويات التوراتية من أية مقارنة مع علم التاريخ وعلم الآثار، لأن تلك المنطقة مجهولة من الناحية التاريخية والأركيولوجية، كما عمد إلى حماية تلك النظرية باستخدام المنهج اللغوي المقارن، حيث قام بدراسة وتحليل أسماء المواقع في غرب شبه الجزيرة العربية ومطابقتها مع أسماء المواقع التوراتية.

ومن ذلك نجد أن الصليبي قد ولد مشكلة ليس في النظرية فقط، بل في المنهج غير التاريخي االذي طبقه على مسألة تاريخية؛ إذ إن المقولات غير المدعمة علمياً إذا صدرت

(١) انظر: «**خفايا التوراة**» كمال الصليبي (ص/٦٩ - ٧٣).

عن مؤرخ مرموق، يمكن أن تقود إلى مزالق ومتاهات أكثر مما توصل إلى حقائق تساهم في النهضة التي يشهدها علم التاريخ وعلم الآثار اليوم في هذه المنطقة[1].

ويضاف إلى ذلك بأن الصليبي قد قام بتغيير حركات الإعراب لبعض الكلمات من أجل اتفاقها مع لغوياته المتقابلة، واعتمد أسماء موجودة اليوم في الجزيرة العربية لمواضع وقبائل يرى أنها ذات الأسماء التوراتية بعد مرور أكثر من ثلاثين قرناً، وهي مدة كافية لتبديل أسماء المواضع، وكما هو معلوم فالتغيير يحصل بتغيير سكان المنطقة أيضاً[2].

وفيما يتعلق بقصة نوح فقد استنكر "الصليبي" أن يكون نوح عليه السلام شخصاً، لأن العمر المذكور له (٩٥٠سنة)، فهذه الأعمار ليست من أعمار البشر الأفراد، وإنما هي أعمار القبائل، وهذا تأويل غير صحيح، فنوح هو شخص وقد عاش ذاك العمر أو يزيد، والتفصيل في هذه المسألة تم الحديث عنه سابقاً.

وإن عزوه للطوفان إلى الأمطار الغزيرة فقط-في رأي من يوافقه بالمنطقة- غير كاف؛ إذ إن الطوفان كان حدثاً كارثياً عظيماً بحيث أثر في جغرافية المنطقة ومناخها، فتصحرت ونضبت أنهارها بعد أن كانت جنات وأنهاراً، فما نتج عنه من دمار كان أكبر من كونه مجرد سيل جارف، وكذلك مكان رسو السفينة أو المنطقة التي رحل إليها نوح -بحسب الصليبي – فهي بعيدة جداً عن بؤرة الحدث؛ إذ إن كتب التاريخ تؤكد على أن نوحاً وذريته لم يبتعدوا كثيراً عن منطقة موطنهم الأصلي بعد الطوفان[3].

فالتحليل الذي جاء به الصليبي أفرغ القصة من مضمونها الديني-وإن قل- بشكل تام، ومن ثم سلب سمة التقديس عن التوراة، التي يعتبرها كتاب مقدس!!

---

(١) انظر: «**الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم**» فراس السواح، دار علاء الدين (دمشق)، ط٣ (ص/٥ - ٦).

(٢) انظر: «**رب الزمان**» سيد محمود القمني، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)، ط٢ (١٩٩٨م) (ص/١٨١ - ١٨٢) نقلاً عن «**العلمانيون والقرآن الكريم**» أحمد الطعان (ص/٥٨٢).

(٣) انظر: «**طوفان نوح بين الحقيقة والأوهام**» جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية (ص/١٦١).

الفصل الرابع
قصة نوح دراسة عقدية تربوية علمية في القرآن الكريم (دراسة مقارنة)

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول: مزايا القصة في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: الجانب العقدي في قصة نوح عليه السلام.

المبحث الثالث: الجانب التربوي في قصة نوح عليه السلام.

المبحث الرابع: الجانب العلمي في قصة نوح عليه السلام.

المبحث الأول

مزايا القصة في القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : مفهوم القصة القرآنية وأهدافها .

المطلب الثاني : خصائص القصة القرآنية .

المطلب الثالث : منهج القصة القرآنية .

تمهيد:

لقد عَبَر أصحاب الدعوات والرسالات والقادة عقول الناس وقلوبهم عن طريق القصة، والتي من خلالها تم إلقاء ما يبتغون من معتقدات وآراء وأعمال وغيرها، وقد كان لها سلطان في الحياة، وأثر في التغيير، ولهذا كانت القصة في القرآن الكريم ركيزة قوية من ركائز الدعوة الإسلامية القائمة على الإقناع العقلي والإطمئنان القلبي، بما تدعو إليه من الإيمان بالله والرسل واليوم الآخر، وبما تحمله من مُثل في مجال الكفاح والجهاد والتضحية، في سبيل الدعوة الى الحق، والإقبال على الخير، والتنكر للباطل.

فالقصة أحد الأساليب التي سلكها القرآن من أجل محاجة الناس، وشأنها في هذا شأن ما جاء في القرآن من أساليب المناظرة والاستدلال، والوعد والوعيد، وغيرها[1]، والأسلوب القصصي من أنجح أساليب الهداية، وقد روى القرآن أخبار الأمم الماضية، فقدمها للقلب والشعور بطريقة مثيرة لعواطف الخير، منفرة عن نوازع الشر[2].

وقد شغلت القصة في القرآن الكريم حيزاً كبيراً، يصل إلى الربع أو يزيد قليلاً، ولا عجب في ذلك؛ إذ إن القصة لم تأت لهدف واحد، وإنما كان لها أهداف وغايات كثيرة[3].

واتسمت القصة القرآنية بكونها ربانية المصدر، وحقيقة لا خيال فني فيها ولا أساطير ولا خرافات، وثبت ذلك علمياً وتاريخياً، والتأريخ ليس غايتها، وإنما العبر والعظات والدلالات المختلفة، سواء كانت دلالات عقدية أو علمية أو دعوية أو أدبية أو فنية[4].

ويقول سيد قطب: "القصة في القرآن ليست عملاً فنياً مستقلاً في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادث... إنما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدينية. والقرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء، والقصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثبيتها"[5].

---

(١) انظر: «**القصص القرآني**» عبد الكريم الخطيب (ص/٧ - ٨).

(٢) انظر: «**سيكولوجية القصة في القرآن الكريم**» التهامي نقرة (ص/٩).

(٣) انظر: «**قصص القرآن الكريم**» فضل عباس (ص/١٢).

(٤) انظر: «**قصص القرآن الكريم**» فضل عباس (ص/٤٥-٤٦)، و«**القصص القرآني**» الخالدي (ص/٢٩-٣٠).

(٥) «**التصوير الفني في القرآن**» سيد قطب، دار الشروق، د.ط (ص/١٤٣).

وإن بعض القصص القرآني قد تعدد ذكره في سور مختلفة، لكن كل سورة فيها من المشاهد والجزئيات ما تفردت به عن الأخرى، وإن وُجدت قضايا مشتركة بين السور فلأن السياق اقتضاها، ومع ذلك لم تأت على أسلوب واحد[1].

وبذلك اختلفت القصة القرآنية عن القصة التوراتية؛ إذ إن هذه الأخيرة جاءت في صورة مسلسلة كاملة الأجزاء مترابطة الحوادث مثلما تفعل كتب التاريخ، أي غرضها تاريخي بحت[2]، وخالفت قواعد العلم وقوانين التربية، فضلاً على أن حديثها عن الله تعالى ورسله مما يأباه العقل[3]، وقصة نوح عليه السلام- موضوع البحث- مثال لما ذكر سابقاً.

(١) انظر: «**قصص القرآن الكريم**» فضل عباس (ص/٧٨)

(٢) انظر: «**اليهودية واليهود**» علي عبد الواحد وافي (ص/٦٨).

(٣) انظر: «**قصص القرآن الكريم**» فضل عباس (ص/٤٩).

المطلب الأول: مفهوم القصة القرآنية وأهدافها

لقد تعددت الوسائل التي سلكها القرآن الكريم في دعوته من خطاب وحوار وقصة، وجميعها ذات أهداف واحدة من التأثير على عقل المدعو وقلبه ووجدانه وهدايته لما هو خير له في الدنيا والآخرة، إلا إن للقصة تأثيراً نفسياً ووجدانياً ذا طابع خاص لما فيها من عرض حي للفكرة والغرض مجسم في أشخاص يتحركون ويتحاورون، وأحداث تُبث فيها الحياة، وكأن القصة ماثلة أمام المتلقي(١).

والقصة لغة: "الخبر وهو القَصَص. وقص علي خبره يقصه قصاً وقصَصاً: أورده. والقَصَص: الخبر المقصوص، ... والقاص: الذي يأتي بالقصة على وجهها كأنه يتتبع ألفاظها ومعانيها"(٢).

والقصة القرآنية معناها "تتبع أحداث ماضية واقعية، تعرض منها ما ترى عرضها، ومن هنا كانت تسمية الأخبار التي جاء بها القرآن قصصاً"(٣).

وقد جاءت القصة في القرآن الكريم لتحقيق أهداف دينية بحتة، كإثبات الوحي والرسالة، وإثبات الوحدانية لله تعالى، وتوحد الأديان في أساسها، ومظاهر القدرة الإلهية، وعاقبة الخير والشر، والصبر والجزع، والشكر والبطر، وكثير غيرها من الأغراض الدينية، والمرامي الخلقية، قد تناولته القصة(٤)، ونذكر أهم تلك الأهداف:

١- إثبات الوحي والرسالة: إن النبي محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن كاتباً ولا قارئاً، ولم يجلس مع اليهود أوالنصارى، ومع ذلك فقد أخبر بالقصص (كقصة نوح وإبراهيم ويوسف عليهم السلام وغيرهم)، وفي هذا دلالة على أن ما جاء به وحي يوحى، وقد نص القرآن الكريم على ذلك، كقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾[يوسف: ٣]، وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩]

---

(١) انظر: «**قصص القرآن الكريم**» فضل عباس (ص/٤٣).

(٢) «**لسان العرب**» ابن منظور (٧/٧٤)

(٣) انظر: «**القصص القرآني**» عبد الكريم الخطيب (ص/٤٥).

(٤) انظر: «**التصوير الفني في القرآن**» سيد قطب (ص/١٤٣).

٢- بيان وحدة الدين: إن الدين الذي دعا إليه الرسل عليهم السلام واحد منذ عهد نوح عليه السلام إلى عهد محمد صلى الله عليه وسلم، وهو الدعوة إلى الإيمان بالله وحده، وهذا واضح في جميع قصصهم، فقد ورد على لسانهم جميعاً قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾[هود: ٥٠]

٣- تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين: وذلك من خلال عرض صور لما عاناه الأنبياء وأتباعهم من أذى من أقوامهم ومع ذلك فقد صبروا، ومن ثم كانت الغلبة لهم، والهلاك للمكذبين، قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[هود: ١٢٠]

٤- العبرة والعظة: قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ﴾[يوسف: ١١١]، أي الاعتبار بما جرى للسابقين، ولا يكون الاعتبار إلا من أولي الألباب، فهم الذين يحسنون استخدام حواسهم و عقولهم، ومن ثم يستفيدون من كل ما يشاهدون أو يسمعون.

٥- الدعوة إلى الإيمان بالله تعالى واليوم الأخر، وتثبيت أسس العقيدة الإسلامية في النفوس، وذلك من خلال ذكر قصص الأنبياء وبيان وحدة دعوتهم، وبيان أن ملة الكفر واحدة، وشبهاتهم واحدة على مدى الأزمان، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦]

٦- تعليم الناس فضائل الأخلاق، والزجر عن الأخلاق الذميمة والفواحش، وذلك من خلال ذكر نماذج إيجابية للاقتداء كقصص الأنبياء والصالحين كنوح ويوسف وأيوب عليهم السلام، وذكر نماذج سلبية للبعد كإمراة نوح وإمرأة لوط وقارون وفرعون[١].

---

(١) انظر: «**التصوير الفني في القرآن**» سيد قطب (ص/١٤٥-١٥١)، «**قصص القرآن الكريم**» فضل عباس (ص/٤٤-٤٥)، و«**القصص القرآني**» الخالدي (ص/٣٣-٣٤)

المطلب الثاني: خصائص القصة القرآنية

لقد اتسمت القصة القرآنية بخصائص منحتها السمو والعلو في القدر والمنزلة على غيرها من القصص البشري الذي كان للبشر تدخل فيه بما يناسب أهوائهم وخيالهم[1]، ومن تلك الخصائص نذكر:

١- ربانية المصدر: إن مصدر القصة القرآنية هو مصدر القرآن نفسه، فهي جزء لا يتجزأ منه، أي أنها وحي من الله تبارك وتعالى، ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة في مقدمة بعض القصص وأعقابها، كقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾[يوسف: ٢-٣]، وقوله تعالى: ﴿نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[القصص: ٣][2].

٢- حق وصدق: أي إن القصة القرآنية حقيقة لا خيال فني فيها، ولا تحتوي على أساطير أو خرافات كما ادعى المستشرقين ومن تأثر بهم، كما لا وجود للرمزية التي حاول بعضهم حمل قصص القرآن عليها، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦٢]

٣- أحسن القصص: لقد وصف القرآن الكريم قصصه بأنها أحسن القصص على الإطلاق، قال تعالى:﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ [يوسف: ٣]، وإن الله عز وجل هو الذي تولى قصها على رسوله، لذا يجب الجزم بوقوعها كما أخبر، وعدم الالتفات إلى الاسرائيليات والأساطير.

---

(١) انظر: «**القصة في القرآن الكريم**» مريم عبد القادر عبد الله السباعي، إشراف: أ.د: أحمد أحمد غلوش، رسالة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة أم القرى/كلية الشريعة والدراسات الإسلامية (١٤٠٤هـ) (ص/٤٥)

(٢) انظر: «**قصص القرآن الكريم**» فضل عباس (ص/٤٥) و«**سيكولوجية القصة في القرآن الكريم**» التهامي نقرة (ص/٤٩) و«**القصة في القرآن الكريم**» مريم السباعي (ص/٤٧-٤٨)

٤- قصة هادفة: أي إن القصة القرآنية ليست عرضاً مجرداً لحقائق التاريخ المجرد، بل تنتقي ما يحقق أهدافها، سواء كانت تلك الجوانب التاريخية إيجابية أو سلبية[١].

٥- ذات طابع فني: تتسم القصة القرآنية بوجود الخصائص الفنية فيها، لاسيما خصيصة القرآن الكبرى في التعبير، وهي التصوير[٢]، والإبداع الفني في القصة القرآنية واضح في وحدة الموضوع وعرض الأحداث في مشاهد حية، وأسلوب الحوار بما يصور المعاني الذهنية، وينم عن الحالات النفسية، وحسن اختيارها للموقف المثير لتوجيه القلب للعبرة، وإن وظيفة الفن ليست إلا خلق شيئاً حياً يؤثر في النفس والفكر[٣].

يقول سيد قطب: "إن التعبير القرآني يتناول القصة بريشة التصوير المبدعة التي يتناول بها جميع المشاهد والمناظر التي يعرضها فتستحيل القصة حادثاً يقع، ومشهداً يجري، لا قصة تروى ولا حادثاً قد مضى"[٤].

---

(١) انظر: «**التصوير الفني في القرآن**» سيد قطب (ص/١٤٥-١٥١)، و«**قصص القرآن الكريم**» فضل عباس (ص/٤٤-٤٥)، و«**القصص القرآني**» الخالدي (ص/٣٣-٣٤)

(٢) انظر: «**التصوير الفني في القرآن**» سيد قطب (ص/١٤٣).

(٣) انظر: «**سيكولوجية القصة في القرآن الكريم**» التهامي نقرة (ص/٤٨٨).

(٤) «**التصوير الفني في القرآن**» سيد قطب (ص/١٩٠).

المطلب الثالث: منهج القصة القرآنية

إن القرآن الكريم كتاب دعوة ودين، وقد تناول من القصة ما يحقق أهدافه، حيث اقتصر -في الغالب- على ذكر حلقة منها أو أكثر، وعدم الاستيفاء لعناصر القصة مجتمعة، من حوار وأشخاص ومكان وزمان وعقدة، كما هو في القصص الفني[1]، "فلا يصح حينئذ أن يؤخذ عليه أنه لا يتناول القصة من جميع أطرافها، ولا أنه لا يتسلسل في إيراد حوادثها مرتبة منظمة، وأنه يصعب فهم القصة من القرآن، على من لم يطلع عليها من مصدر آخر، ذلك أن القرآن يأحذ من القصة ما يحقق أهدافه...وفي معظم الأحيان يأخذ من القصة بعضها، لأن في هذا البعض ما يحقق الهدف، وقد يلمح القرآن ويشير إلى القصة تلميحاً يستغنى به عن الإطالة، اعتماداً على أن القصة مشهورة. أرأيت الخطيب حين يستشهد بقصة من القصص، أتراه يعمد إلى القصة كلها فيسردها؟ أم إنه يعمد أحياناً إلى جزء من القصة يورده في خطبته، وأحياناً يكتفي بالإيماء إلى القصة والإشارة إليها، من غير أن يكون في مثل هذا العرض نقص في الخطبة، أو اعتراض على الخطيب"[2].

وإن الأسلوب الذي سلكه القرآن في القصص هو اختيار لقطات حية من الوقائع التاريخية، والإعراض عن التفاصيل والجزئيات التي تصرف الفكر عن التدبر والاعتبار[3]، ولهذا الأسلوب صنيع في القلوب وتأثير في النفوس نظراً إلى بلاغته التي ترجع إلى جمال ألفاظه وسمو معانيه[4].

وإن عناصر القصة في القرآن الكريم لم تأت مجتمعة، ولا موزعة توزيعاً يجعل لكل منها دوراً يختل بانعدامه توازن القصة، لأن المقصد الذي يقتضيه السياق هو الذي يوجه أسلوب العرض، ويتحكم بترتيب الأحداث وتسليط الضوء على العنصر المراد، فعلى سبيل المثال، إذا كان المقصد هو الترهيب يبرز عنصر الأحداث، كقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ۝٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾[الحاقة: ٤-٧]، وإذا كان المقصد هو التثبيت يبرز عنصر

---

(١) انظر: «**سيكولوجية القصة في القرآن الكريم**» التهامي نقرة (ص/٨٥-٨٦).

(٢) «**من بلاغة القرآن**» أحمد أحمد بدوي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط (ص/٢٧٧).

(٣) انظر: «**سيكولوجية القصة في القرآن الكريم**» التهامي نقرة (ص/٨٧).

(٤) انظر: «**اليهود في القرآن**» عفيف طبارة، (ص/٢٥٣).

الأشخاص، كقوله تعالى: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[الأنبياء: ٧٤-٧٥] (١)، يقول فضل عباس: "للقرآن منهجه الخاص ...أحياناً تكون الشخصية هي محور الأحداث لكن الهدف هو التأسي وليس الشخصية لذاتها، والأغلب أن ينصرف إلى الأحداث أكثر من الشخصيات لكنه يختار من عناصر الحادثة ما يخدم الفكرة الرئيسة"(٢).

فالقرآن الكريم لم يسرد الأحداث في صورة متسلسلة، لأن التاريخ لم يقصد لذاته، وإنما العبر والعظات، والتفكر في العلاقات السببية بين مقدمات الأحداث ونتائجها وفق سنن إلهية يصِلها بالإنسان ما في كيانه من نوازع الخير والشر(٣).

وأما التوراة فقد تناولت القصص بصورة مسلسلة كاملة الأجزاء مترابطة الحوادث مثلما تفعل كتب التاريخ، وغرضها تاريخي بحت(٤)، ولا يكاد يجد القارىء فيها أي عبرة من العبر، بل على العكس تعطي نتائج سلبية، فقد وصفت الأنبياء عليهم السلام بصورة لا تليق إلا بسفلة البشر من الكذب والخيانة وشرب الخمر، فضلاً عن وجود أخطاء تاريخية، وأمور منافية للعقل(٥).

أي "مايطويه القرآن في قصصه من مراحل، وما يعرض عنه من جزئيات، وما يتركه من فجوات، هو أخص ما يمتاز به منهجه القصصي الذي يختلف شكلاً ومضموناً عن منهج التوراة...

فقد عُنيت التوراة كما تدل على ذلك فاتحتها بتدوين التاريخ. وكان أول سفر من أسفارها في تاريخ الخلق منذ بدء الخليقة إلى موت يوسف عليه السلام...

---

(١) انظر: «**سيكولوجية القصة في القرآن الكريم**» التهامي نقرة (ص/٩٣-٩٤).

(٢) «**قصص القرآن الكريم**» فضل عباس (ص/٣٨)

(٣) انظر: «**سيكولوجية القصة في القرآن الكريم**» التهامي نقرة (ص/١٧٦)، و«**اليهودية واليهود**» علي عبد الواحد وافي (ص/٦٨).

(٤) انظر: «**اليهودية واليهود**» علي عبد الواحد وافي (ص/٦٨).

(٥) انظر: مقال «**قصة آدم بين القرآن الكريم والتوراة**» (دراسة مقارنة)، غسان عاطف بدران، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات -العدد الثاني والعشرون- شباط (٢٠١١) (ص/٢٩٦).

أما فاتحة القرآن فقد أشارت إلى أن القصد منه الهداية إلى دين قويم، والإرشاد إلى صراطه المستقيم"[1].

وإن بعض القصص قد تعدد ذكره في القرآن الكريم في أكثر من سورة، وذُكر منه ما يتناسب مع موضوع السورة التي ورد فيها، بينما التوراة ذكرت القصة كاملة في مكان واحد دون تكرار[2]، وإن وُجد ففيه تناقض، نظراً لتعدد المصادر التي استقت منها التوراة، وقد أشرنا سابقاً إلى ذلك بأمثلة متعلقة بموضوع البحث.

ويرى سيد قطب بأن خضوع القصة القرآنية للغرض الديني هو الذي دعى إلى هذا التكرار، وأن الذي يُذكر هو بعض حلقات القصة، بل وفي معظم الحالات يكون التكرار إشارات سريعة لموضع العبرة فيها، أما جسم القصة كله، فلا يكرر إلا نادراً، ولمناسبات خاصة في السياق[3]، ثم يذكر بأن التكرار ليس في صورة واحدة من ناحية القدر الذي يساق وطريقة الأداء، وأنه كلما تكررت حلقة كان هناك شيء جديد تؤديه مما ينفي حقيقة التكرار[4].

ويقول التهامي نقرة: "فتكرار القصة في القرآن وثيق الصلة بمنهجه القصصي. إذ هو يخدم غرضين في آن واحد: غرضاً فنياً يتمثل في تجدد أسلوبها إيراداً وتصويراً، والتفنن في عرضها إيجازاً وإطناباً، والتنوع في أدائها لفظاً ومعنى.

وغرضاً نفسياً بما له من تأثير في النفوس. لأن المكرر ينطبع في تجاويف الملكات اللاشعورية التي تختمر فيها أسباب أفعال الإنسان ودوافعها كما هو مقرر في علم النفس"[5].

أي إن "القصة الواحدة يتعدد ذكرها في القرآن وتعرض في صور مختلفة في التقديم والتأخير، والإطناب والإيجاز، وما شابه ذلك، ومن حكمة هذا:

١- بيان بلاغة القرآن في أعلى مراتبها: فمن خصائص البلاغة إبراز المعنى الواحد في في صور مختلفة، والقصة المتكررة ترد في كل موضع بأسلوب يتمايز عن

---

(١) انظر: «**سيكولوجية القصة في القرآن الكريم**» التهامي نقرة (ص/٩٩ - ١٠٠).

(٢) انظر: مقال «**قصة آدم بين القرآن الكريم والتوراة**» غسان عاطف بدران (ص/٢٩٦).

(٣) انظر: «**التصوير الفني في القرآن**» سيد قطب (ص/١٥٥ - ١٥٦).

(٤) انظر: «**في ظلال القرآن**» سيد قطب (ص/).

(٥) «**سيكولوجية القصة في القرآن الكريم**» التهامي نقرة (ص/١١٥ - ١١٦).

الآخر، وتصاغ بقالب غير القالب، ولا يمل الإنسان من تكرارها، بل تتجدد له معان لا تحصل له بقراءتها في المواضع الأخرى.

٢- قوة الإعجاز: فإيراد المعنى الواحد في صور متعددة مع عجز العرب عن الإتيان بصورة منها أبلغ في التحدي.

٣- الاهتمام بشأن القصة لتمكين عِبرَها في النفس: فإن التكرار من طرق التأكيد وأمارات الاهتمام، كما هو الحال في قصة موسى مع فرعون، لأنها تمثل الصراع بين الحق والباطل- أتم تمثيل مع أن القصة لا تكرر في السورة الواحدة مهما كثر تكرارها.

٤- اختلاف الغاية التي تساق من أجلها القصة: فتذكر بعض معانيها الوافية بالغرض في مقام، وتبرز معان أخرى في سائر المقامات حسب اختلاف مقتضيات الأحوال"[١].

وهناك من يرى ذِكر القصة الواحدة في القرآن أكثر من مرة ليس تكراراً؛ إذ لا يوجد قصة وردت في سورتين بطريقة واحدة، وكل سورة جاء فيها من المشاهد والجزئيات من القصة مالم يجيء في الأخرى، ولو وردت قضايا مشتركة فلإن السياق اقتضاها، ومع ذلك لم تأت على أسلوب واحد[٢]، ثم يقول: "قد يظن بعض الناس أن نفي التكرار عن القصة القرآنية أن تقسم القصة إلى مشاهد وأحداث، أو موضوعات، فيذكر كل موضوع أو حدث أو مشهد في سورة، بحيث لا يذكر في سورة ما يذكر في غيرها، بل تختص كل سورة بذكر شيء معين،... لو أن القصة ذكرت موزعة مشاهدها وأحداثها لفقدت رونقها وجمالها... ليس نفي التكرار - إذن - أن لا يذكر حدث من أحداث القصة في سورة أو أكثر، إن هناك أموراً كلية وأحداثاً مهمة رئيسة، لا يجوز أن تخلو منها سورة من السور، ولو خلت منها لخلت القصة من رحيقها الشذي، وسلسبيلها العذب. وعلى هذا فالمنهج القصصي في القرآن الكريم هو المنهج البديع المعجز، حيث ذكرت القصة في سور كثيرة، خُصت بعض السور بذكر حدث واحد، ثم توزعت هذه المشاهد والأحداث على السور التي ذكرت فيها القصة، قلت أم كثرت، بحيث تجد في كل سورة ما لا تجده في غيرها، وبحيث يذكر في

---

(١) «**مباحث في علوم القرآن**» مناع القطان (ص/٣٠٢ - ٣٠٣).

(٢) انظر: «**قصص القرآن الكريم**» فضل عباس (ص/٧٨).

كل سورة ما يتلاءم مع موضوعها وسياقها، وبحيث تذكر القصة في السورة في الموضع الذي اختيرت له والذي اختير لها"[1].

ويذكر حبنكة بأن نصوص القصص في القرآن ليست مكررة تكراراً تطابقياً، وإنما هي متكاملة فيما بينها، وإن وجد التكرار، ففي العناصر المكررة في الواقع، ولما فيه من العبرة والعظة، بالإضافة إلى ما يستدعيه الربط البياني والتعليمي والتوجيهي[2].

فالأراء متعددة حول التكرار في القصص القرآني، فمنهم من يُقر بوجوده، لأجل البلاغة والإعجاز وغير ذلك، ومنهم من ينفيه؛ إذ إن كل سورة ورد فيها من القصة ما لم يرد في الأخرى، ولو تكرر جزء من القصة، لكن بأسلوب مختلف، وبالتالي فلا تكرار.

وأخيراً، فإن "القرآن الكريم هو الأخير من هدايات السماء التي جاءت لإرشاد الخلق إلى الحق، وهو الرسالة العامة الدائمة الشاملة وهذا ما يجعله يمتاز عن الكتب السماوية بالحال التي أنزلها عليها ربها سبحانه فكيف وقد نالت تلك الكتب أيادي التحريف والتجريف والتزييف فلا ريب يمتاز القرآن عن هذه الكتب ويصعد في السماء علواً وازدهاراً.

وما يصدق على الكل يصدق على البعض وقصص القرآن بعضه، فهو يمتاز هو الآخر عن القصص الذي ورد في الكتب السابقة وقد وردت هذه الأخبار فيها كما وردت في القرآن لكن شتان فبينهما كما بين الثرى والثريا"[3].

---

(١) «**قصص القرآن الكريم**» فضل عباس (ص/٨١).

(٢) انظر: «**نوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيد**» عبد الرحمن حبنكة، (ص/٦).

(٣) «**القصة في القرآن الكريم**» أحمد الجوهري عبد الجواد، موقع الألوكة، د.ط (ص/٢٥).

المبحث الثاني

الجانب العقدي في قصة نوح عليه السلام

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: قضية التوحيد.

المطلب الثاني: إثبات النبوة.

المطلب الثالث: مسألة المعاد.

المطلب الرابع: مسائل عقدية أخرى.

المطلب الأول: قضية التوحيد

لقد أبان القرآن الكريم حقائق الإسلام في القصص، ومن تلك الحقائق عقيدة التوحيد والبرهان عليها؛ إذ إن تقديم ذلك من خلال قصة يجعله يسري في النفس من غير مقاومة، وتكراره يخط في النفس خطوطاً، ومن ثم يكون الإيمان[1]، فالقصة القرآنية "وسيلة طريفة لتقرير جوهر العقيدة، وتوجيه النفس إلى الله، حتى تظهر آثار التوحيد في المشاعر والتصورات ظهورها في السلوك والتصرفات"[2].

والتوحيد هو أساس العقيدة الذي دعا إليه جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام، وقد جاء التعبير عنه -على لسانهم- بلفظ واحد في القرآن الكريم، لتحقيق معنى وحدة العقيدة السماوية، يقول سيد قطب: "والسياق القرآني يوحد الألفاظ التي عبّر بها جميع الرسل -صلوات الله عليهم- مع اختلاف لغاتهم...يوحد حكاية ما قالوه ويوحد ترجمته في نص واحد: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾[الأعراف: ٥٩]... وذلك لتحقيق معنى وحدة العقيدة السماوية - على مدار التاريخ - حتى في صورتها اللفظية، لأن هذه العبارة دقيقة في التعبير عن حقيقة العقيدة، ولأن عرضها في السياق بذاتها يصور وحدة العقيدة تصويراً حسياً"[3].

فنوح عليه السلام قد دعا قومه إلى عبادة الله تعالى وحده، وترك الإشراك به؛ كما أخبر القرآن الكريم على لسانه في أكثر من موضع، قال تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾[الأعراف: ٥٩]، ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[المؤمنون: ٢٣]، ومعنى ذلك "اعبدوا الله الذي له العبادة، وذلوا له بالطاعة، واخضعوا له بالاستكانة، ودعوا عبادة ما سواه من الأنداد والآلهة، فإنه ليس لكم إله -يعني معبوداً- يستوجب عليكم العبادة غيره"[4].

---

(١) انظر: «**المعجزة الكبرى القرآن (نزوله-كتابته-جمعه-إعجازه- جَدَله-علومه-تفسيره)**» محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، د.ط (ص/٢٠٥ - ٢٠٦).

(٢) انظر: «**سيكولوجية القصة في القرآن الكريم**» التهامي نقرة (ص/٢١).

(٣) «**في ظلال القرآن**» سورة الأعراف، سيد قطب (ص/٨٦).

(٤) «**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**» الطبري (١٠/٢٦٠).

وإن أمر نوح عليه السلام لقومه بعبادة الله تعالى، هو إثبات للتكليف، وحكمه بأن لا إله غير الله، هو إقرار بالتوحيد، وسبب تقديم نوح عليه السلام ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾على ﴿مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾، كون الثاني كالعلة للأول، لأنه إذا لم يكن لهم إله غيره كان كل ما حصل عندهم من وجوه النفع والإحسان والبر واللطف حاصلاً من الله، ونهاية الإنعام توجب نهاية التعظيم، فعبادة الله تعالى واجبة لأجل العلم بأنه لا إله إلا الله[1].

ويقول ابن عاشور: "وقوله لهم ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾[الأعراف: ٥٩] إبطال للحالة التي كانوا عليها، وهي تحتمل أن تكون حالة شرك كحالة العرب، وتحتمل أن تكون حالة وثنية باقتصارهم على عبادة الأصنام دون الله تعالى كحالة الصابئة وقدماء اليونان، وآيات القرآن صالحة للحالين،...فإن كانوا مشركين كان أمره إياهم بعبادة الله مقيّداً بمدلول قوله: ﴿مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾أي أفردوه بالعبادة ولا تشركوا معه الأصنام، وإن كانوا مقتصرين على عبادة الأوثان كان قوله: ﴿مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾تعليلاً للإقبال على عبادة الله، أي هو الإله لا أوثانكم"[2].

والدعوة إلى التوحيد كانت من جملة ما وصى به نوح عليه السلام ابنه لما حضرته الوفاة أيضاً؛ فقد ورد في الحديث، عن عبد الله بن عمرو، قال: «**كنا عند رسول الله** ﷺ. . . **إلى أن قال: إن نبي الله نوحاً - ﷺ - لما حضرته الوفاة قال لابنه: إني قاص عليك الوصية: آمرك باثنتين، وأنهاك عن اثنتين، آمرك ب (لا إله إلا الله). . . وسبحان الله وبحمده، . . . وأنهاك عن الشرك والكبر**»[3].

ولم يكتف نوحاً عليه السلام بالدعوة إلى التوحيد فقط، بل قدم الأدلة عليه، يقول أبو زهرة: "واقرأ بعض القصص عن سيدنا نوح الأب الثاني للبشر، ترى الأدلة على التوحيد بأن تجد في بعضها أدلة التوحيد تساق للضالين، ويوجه أنظارهم إلى الكون وما فيه"[4]، قال تعالى: ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ١٣ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ١٤ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ١٥ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا

---

(١) انظر: «**مفاتيح الغيب**» الرازي (١٤/١٥٥ - ١٥٦).

(٢) «**التحرير والتنوير**» ابن عاشور (٨/١٨٨ - ١٨٩).

(٣) «**مسند أحمد**» مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، رقم ٦٥٨٣ (٦/١٥٧).

(٤) «**المعجزة الكبرى القرآن**» أبو زهرة (ص/٢٠٥).

وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ﴿١٩﴾ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ﴾[نوح: ١٣ - ٢٠]. **فالأدلة على التوحيد هي :**

أ- النظر في النفس :

قال تعالى: ﴿ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ﴿١٣﴾ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ﴾[نوح: ١٣ - ١٤]، فنوح عليه السلام قد بدأ بالنفس لأنها أقرب الأشياء إلى الإنسان[١]، وأخبر قومه بأن الله تعالى خلقهم وعليهم الاعتراف بعظمته، لأنه مكونهم وصانعهم، فحق عليهم الاعتراف بجلاله، كما أبان لهم بأن الخلق على أطوار، وفي ذلك دلالة على حكمة الخالق وعلمه وقدرته، وتطور الخلق من طور إلى طور دليل على تمكن الخالق من كيفيات الخلق والتبديل في الأطوار، وهم يدركون ذلك بأدنى التفات[٢].

ب- النظر في الكون :

قال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ﴾[نوح: ١٥ - ١٦]، أي يا قوم ﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ ﴾أي تعتبروا ﴿كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ﴾ بعضها فوق بعض..سماء فوق سماء مطابقة[٣]، فالقادر على هذا هو الذي يجب أن يُعبد[٤]، وإن خلق السموات والأرض من أعظم خلق الله، وفي هذا دليل قاطع على ربوبية الخالق ووحدانيته سبحانه[٥].

ويقول ابن عاشور: "إن كان هذا من حكاية كلام نوح عليه السلام لقومه كما جرى عليه كلام المفسرين كان تخلصاً من التوبيخ والتعريض إلى الاستدلال عليهم بآثار وجود الله ووحدانيته وقدرته، مما في أنفسهم من الدلائل إلى ما في العالم منها، لما علمت من إيذان قوله: ﴿وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ﴾[نوح: ١٤] من تذكير بالنعمة وإقامة للحجة، فتخلص منه لذكر حجة أخرى"[٦].

---

(١) انظر: «**مفاتيح الغيب**» الرازي (١٣٩/٣٠)، و«**التحرير والتنوير**» ابن عاشور (٢٠٢/٢٩).

(٢) انظر: «**التحرير والتنوير**» ابن عاشور (٢٠١/٢٩ - ٢٠٢).

(٣) «**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**» الطبري (٢٩٩/٢٣).

(٤) انظر: «**الجامع لأحكام القرآن**» القرطبي (٢٥٧/٢١).

(٥) انظر: «**معالم الدعوة في سورة نوح عليه السلام**» صالح يحيى صواب (ص/٣٢).

(٦) «**التحرير والتنوير**» ابن عاشور (٢٠٢/٢٩).

ت- **النظر في بداية خلق الانسان ونهايته :**

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا﴾[نوح: ١٧ - ١٨]، أي"اعلم أنه تعالى رجع ههنا إلى دلائل النفس وهو كالتفسير لقوله: ﴿وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا﴾[نوح: ١٤] فإنه بين أنه تعالى خلقهم من الأرض ثم يردهم إليها ثم يخرجهم منها مرة أخرى"[(١)].

وقد عبّر نوح عليه السلام عن الإنشاء بالإنبات، لكونه أدل على الحدوث والتكون من الأرض لكونه محسوساً، وهم إن لم ينكروا الحدوث فقد كان إنكارهم في البعث كمن أنكره[(٢)]، ويذكر سيد قطب بأن نوحاً عليه السلام قد وجّه قومه إلى النظر في نشأتهم من الأرض وعودتهم إليها بالموت، ليقرر لهم حقيقة الخروج منها بالبعث، وهذه ظاهرة تستدعي النظر، وتوحي الى الوحدة في أصول الحياة على وجه الأرض، فنشأة الإنسان من الأرض كنشأة النبات، فمن عناصرها يتكون ويتغذى وينمو[(٣)].

ث- **النظر في الأرض :**

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ١٩ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا﴾[نوح: ١٩ - ٢٠]، ففيه توجيه من نوح عليه السلام لقومه إلى نعمة الله عليهم في تيسير الحياة لهم على هذه الأرض، وتذليلها لسيرهم ومعاشهم وانتقالهم، وتلك حقيقة قريبة من مشاهدهم وإدراكهم لا يملكون الفرار منها، كما كانوا يفرون من صوت نوح وإنذاره، فهذه الأرض ممهدة مبسوطة لهم، وهم يدركون هذه الحقيقة دون حاجة إلى دراسات علمية عويصة[(٤)].

ففي تلك الأيات دلالة على وحدانيته تعالى، إذ إن "الذي تخضع له جميع الكائنات الحية في وجودها المادي وجميع الحوادث المادية، ويخضع له كيان الإنسان المادي ومايطرأ عليه مثل نموه وحركة أعضائه ومرضه وهرمه ولوازم بقائه حياً ونحو ذلك... هذا الوجه من هذا القانون لا يختلف في وجوده أهل العلم بهذه الأمور المادية... ووجود هذا الوجه من القانون العام من أكبر الأدلة على وجود الله تعالى الخالق العظيم لأنه لا يمكن للمادة وهي جامدة صماء لا تعقل أن تضع هذا القانون الهائل الدقيق لهذه الموجودات،

---

(١) «**مفاتيح الغيب**» الرازي (٣٠/١٤٠).

(٢) انظر: «**روح المعاني**» الألوسي (٢٩/٧٥).

(٣) انظر: «**في ظلال القرآن**» سورة نوح، سيد قطب (ص/١٤-١٥).

(٤) انظر: «**في ظلال القرآن**» سورة نوح، سيد قطب (ص/١٥ - ١٦).

وإنما المعقول والمقبول أن يكون واضع هذا القانون هو خالق هـذه الموجـودات. وهـو الله جل جلاله"[1].

(١) «**السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية**» عبد الكـريم زيـدان، مؤسسـة الرسالة، د.ط (ص/٧ - ٨).

المطلب الثاني: إثبات النبوة

إن الإيمان بالرسل عليهم السلام من أركان العقيدة الإسلامية، وهو غير منفك عن الإيمان بالله تعالى؛ لأن مقتضى الإيمان بالله تصديق المؤيدين بتأييد من عنده على مختلف صور التأييد، الذي لا يكون منه تعالى إلا لرسله، وهذا يقتضي الإيمان بهم(١)، ونوح أول عليه السلام رسل الله إلى أهل الأرض كما ورد في حديث الشفاعة، «**يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض**»(٢).

ولقد أخبر نوح عليه السلام قومه بأنه نبي ورسول من الله تعالى إليهم، ففي قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾[الأعراف: ٥٩]، أي إما عذاب النار أو عذاب يوم الطوفان، وعلى هذا التقدير: يكون نوح عليه السلام مدعياً الوحي والنبوة من عند الله(٣)، لكن قومه رفضوا ذلك، وقابلوه بالجدال، وهذه هي حال الأمم منذ عهده عليه السلام إلى عهد سيدنا محمد ﷺ، و"لو تتبعنا نص القصص القرآني لرأينا أن الجدل حول الرسالة بدأ من عهد نبي الله نوح عليه السلام، ثم كان من بعده في قوم هود وثمود، واستمر حتى عهد نبينا محمد ﷺ، ولقد كان جدلهم شبهاً منقولة وموروثة ورثها بعضهم عن بعض، ألا وهي قولهم بأن الرسول لا يجب ولا يصح أن يكون بشراً يأكل الطعام كما يأكل الناس ويمشي في الأسواق كما يمشون، ويجب أن يكون ملكاً"(٤)، قال تعالى على لسان قوم نوح: ﴿فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا﴾[هود: ٢٧]، أي لكونه آدمي مثلهم في الخلق والصورة والجنس؛ إذ يستحيل في نظرهم أن يرسل الله من البشر رسولاً إلى خلقه(٥).

بل واعتبروا ادعاء نوح عليه السلام للنبوة من أجل الترفع عليهم، قال تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ﴾[المؤمنون: ٢٤]، أي إن ادّعاء نوح للنبوة بغية الترفع عليهم والتعاظم، فهو بشر مثلهم، فكيف أوحي إليه من دونهم(٦)،ولو شاء الله تعالى

---

(١) انظر: «**العقيدة الإسلامية وأسسها**» عبد الرحمن حبنكة (ص/٢٦٥).

(٢) **سبق تخريجه (ص/٤٦)**.

(٣) انظر: «**مفاتيح الغيب**» الرازي (١٤/١٥٥).

(٤) «**القصة في القرآن الكريم**» مريم السباعي (ص/٣٦٩).

(٥) انظر: «**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**» الطبري (١٢/٣٧٩).

(٦) انظر: «**تفسير القرآن العظيم**» ابن كثير (١٠/١٢٠).

إرشاد البشر لكان ذلك عن طريق الملائكة، فهم أقدر على تحقيق المقصود، بسبب علو شأنهم وشدة سطوتهم وكثرة علومهم، والخلق ينقادون إليهم دون أن يُبدوا أي شكوى في رسالتهم، فلما لم يفعل ذلك علمنا أنه ما أرسل رسولاً ألبتة[1].

فجاء الرد من نوح عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[الأعراف: ٦٣]، أي لا تعجبوا بايحاء الله تعالى إلى رجل منكم، فليس بعجيب أن يوحي الله إلى رجل منكم ففي ذلك رحمة بكم وإحساناً إليكم، لينذركم ولتتقوا نقمة الله ولا تشركوا به[2].

وأخبرهم بأنه رسول من الله تعالى إليهم، قال تعالى: ﴿ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي ﴾[الأعراف: ٦١ - ٦٢] أي رسول مكلف بتبليغ رسالة الله إليكم، وليس على إرادة الله تعالى ومشيئته أي قيد فيمن يرسل من الرسل[3]، وبأن الإيمان بنبوته ليس فيها أي جبر أو إكراه لهم، قال تعالى: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾[هود: ٢٨]، أي لا نغصبكم بقبول النبوة وأنتم لها كارهون؛ إذ إن الإسلام لا يصح بإيمان الإذعان، وما علينا سوى الإبلاغ[4]، وبذلك أبطل نوح عليه السلام حجج قومه، ومن ثم أثبت نبوته.

---

(١) انظر: «**مفاتيح الغيب**» الرازي (٢٣/٩٢ - ٩٣).

(٢) انظر: «**تفسير القرآن العظيم**» ابن كثير (٦/٣٢٨).

(٣) انظر: «**المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة**» عبد الكريم زيدان (١/١٣٨).

(٤) انظر: «**تفسير القرآن العظيم**» ابن كثير (٧/٤٣٢)، و«**تفسير المنار**» (١٢/٦٣ - ٦٤).

المطلب الثالث: مسألة المعاد

لقد أخبر نوح عليه السلام قومه عن اليوم الآخر وما فيه؛ إذ هو الضابط الوثيق الذي يحرس الأخلاق، والحارس الأمين الذي يضمن تنفيذ شرع الله تعالى في الدنيا، فكان من الضروري بيان كنهه للعمل له[1]، وقد جاء ذكره في قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾[الأعراف: ٥٩] أي: عذاب يوم القيامة[2]، بل وفصّل ما فيه من بعث وحساب.

فأما البعث ففي قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾[هود: ٢٩]، ومعنى هذا "هؤلاء الذين تسألوني طردهم، صائرون إلى الله، والله سائلهم عما كانوا في الدنيا يعملون"[3]، وقد صوّر عليه السلام لهم كيفية البعث أيضاً، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا﴾[نوح: ١٧ - ١٨]، أي إن نشأتهم كإنبات النبات، والقادر على الإيجاد قادر على الإعادة مرة أخرى من باب أولى[4]، وأكّد إخراجهم بالمفعول المطلق لرد إنكارهم للبعث[5].

يقول سيد قطب: "وجّه قومه إلى هذه الحقيقة لتستشعر قلوبهم يد الله وهي تنبتهم من هذه الأرض نباتاً، وهي تعيدهم فيها مرة أخرى. ثم تتوقع النشأة الأخرى وتحسب حسابها، وهي كائنة بهذا اليسر وبهذه البساطة. بساطة البداهة التي لا تقبل جدلاً"[6].

وأما الحساب فقد جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾[هود: ٣٤]، أي إن نوح عليه السلام قد أخبر قومه بأن الله تعالى

---

(١) انظر: «**العقيدة وأثرها في بناء الجيل**» عبد الله عزام، مكتبة الأقصى (عمان)، ط٣ (١٤٠٠هـ) (ص/٢٨)، نقلاً عن «**قضايا العقيدة ومنهج الدعوة إلى الله في قصة نوح عليه السلام**» جميلة أحمد محمود صقر، إشراف: أحمد المهدي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة أم القرى بمكة المكرمة/كلية الدعوة وأصول الدين، العام (١٤١٠هـ) (ص/١٤٢).

(٢) انظر: «**مفاتيح الغيب**» الرازي (١٤/١٥٥).

(٣) «**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**» الطبري (١٢/٣٨٥).

(٤) انظر: «**قضايا العقيدة ومنهج الدعوة إلى الله في قصة نوح**» جميلة صقر (ص/٢١).

(٥) انظر: «**التحرير والتنوير**» ابن عاشور (٢٩/٢٠٥).

(٦) «**في ظلال القرآن**» سورة نوح، سيد قطب (ص/١٥).

سيجازيهم على أعمالهم[1]، فهو"مالك أزمة الأمور، والمتصرف الحاكم العادل الذي لا يجور، له الخلق وله الأمر، وهو المبدىء والمعيد، مالك الدنيا والآخرة"[2].

(١) انظر: «**تفسير البغوي معالم التنزيل**» أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر-عثمان جمعة ضميرية-سليمان مسلم الحرش، دار طيبة (الرياض)، (١٤١١هـ) (٤/١٧٢).

(٢) «**تفسير القرآن العظيم**» ابن كثير (٧/٤٣٣)

المطلب الرابع: قضايا عقدية أخرى

لقد ركّز نوح عليه السلام في دعوته على ثلاثة أمور أساسية، وهي الإيمان بالله تعالى، واليوم الآخر، وإثبات الرسالة، بل وكان ذلك بارزاً في قصته، وأما بقية القضايا فقد أشار إليها أو تعرض لذكرها فقط.

فالقضاء والقدر والإيمان بالملائكة من القضايا التي أشار إليها نوح عليه السلام، فأما القضاء والقدر فقد جاءت الإشارة إليه في عدة آيات، كقوله تعالى: ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾[القمر: ١٢]، أي"فالتقى ماء السماء وماء الأرض على أمر قد قدره الله وقضاه"[١]، ويقول طنطاوي: "فاجتمع الماء النازل من السماء مع الماء المتفجر من الأرض، على أمر قد قدره الله تعالى وقضاه أزلاً، وهو هلاك قوم نوح بالطوفان"[٢].

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾[هود: ٣٣]، "أي إن اقتضت مشيئته وحكمته، أن ينزله بكم فعل ذلك"[٣].

وكذلك قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ ﴾[هود: ٤٠]، إثبات للقضاء اللازم والقدر الواجب، لأن قوله تعالى: ﴿ سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ ﴾مشعر بأن كل من سبق عليه القول فإنه لا يتغير عن حاله[٤]،"وما سبق عليه القول بذلك إلا للعلم بأنه يختار الكفر، لا لتقديره عليه وإرادته به - تعالى الله عن ذلك - "[٥]، فأمر الاختيار موجود، قال تعالى: ﴿ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[هود: ٣٤]، أي إن نوحاً عليه السلام قد ذكر هذا الكلام ليدل على أن الله تعالى ما أغواهم، بل فوض أمر الاختيار إليهم، والدليل على هذا من وجهين:

أ- لقد نصح نوح عليه السلام قومه بأمر من الله تعالى، والنصح فيه فائدة، وإلا لما أمره بذلك، وإذا لم يكن خالياً عن الفائدة وجب القطع بأن الله تعالى ما أغواهم.

---

(١) «**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**» الطبري (١٢٢/٢٢).

(٢) «**التفسير الوسيط**» طنطاوي (١٠٣/١٤).

(٣) «**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**» عبد الرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى به تحقيقاً ومقابلة: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مكتبة العبيكان، ط١ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) (ص/٣٨١).

(٤) انظر: «**مفاتيح الغيب**» الرازي (٢٣٦/١٧).

(٥) «**الكشاف**» الزمخشري (١٩٩/٣).

ب- لو أن الله تعالى أغواهم لصار ذلك عذراً لهم في عدم إيمانهم، ولصار لهم حجة على نوح عليه السلام، ومعلوم أن نوحاً عليه السلام لا يجوز أن يذكر كلاماً يصير بسببه مفحماً عاجزاً عن تقرير حجة الله[1].

وأما الإيمان بالملائكة، فقد جاءت الإشارة إليه في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾[المؤمنون: ٢٤]، أي إن قوم نوح كانوا يعرفون الملائكة ويؤمنون بها، ذلك أنهم قد جادلوه في شأن النبوة، وأنكروا عليه أن يكون الرسول من البشر[2].

ومن القضايا العقدية التي ذكرها نوح في دعوته، هي بعض المصطلحات والمبادئ، ومسألة ظهور الدجال، فأما المصطلحات فهي، الإسلام والإيمان والتقوى والكفر والفسق،"فنجد استعمال مفهوم الإسلام على لسان نوح عليه السلام بطريقة تشير إلى أنه أسبق منه، لكنه أقدم استعمال ينقله القرآن على لسان الأنبياء ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[يونس: ٧٢] فالمسلمون موجودون ودعوة نوح عليه السلام تأتي في إطار دعوتهم وكل ما يبتغيه أن يكون منهم، وكذلك نجد مفهوم التقوى الذي تكرر خمس مرات في دعوة نوح وقد اقترنت بالدعوة إلى التوحيد ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾[نوح: ٣] كما تكرر مفهوم الإيمان في سياق دعوة نوح عليه السلام عشر مرات والكفر خمس مرات والفسق مرة واحدة"[3].

وأما المبادئ فمبدأن، مبدأ حرية الاعتقاد ومبدأ التبعية الفردية، فمبدأ حرية الاعتقاد يظهر من خلال قوله: " ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾[هود: ٢٨] يعني أنكرهكم على قبولها ونقسركم على الاهتداء بها، وأنتم تكرهونها ولا تختارونها ولا إكراه في الدين؟"[4]، ويذكر سيد قطب في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾[هود: ٢٨]، بأن نوحاً عليه السلام قد أبان لقومه الخصائص التي يغفلون عنها في أمر الرسالة والاختيار لها، وأبصرهم بأن الأمر غير موكول إلى الظواهر السطحية

---

(١) انظر: «**مفاتيح الغيب**» الرازي (٢٢٧/١٧).

(٢) انظر: «**قضايا العقيدة ومنهج الدعوة إلى الله في قصة نوح**» جميلة صقر (ص/١٥١).

(٣) «**دعوة الرسل بين الخصوصية والتكامل في القرآن الكريم**» عبد الرحمن حللي (ص/٣٩).

(٤) «**الكشاف**» الزمخشري (١٩٣/٣ - ١٩٤).

التي يقيسون بها، وفي الوقت ذاته قرر لهم مبدأ الاختيار في العقيدة، والإقتناع بالنظر والتدبر، لا بالقهر والسلطان[1].

فحرية الاعتقاد هي الأصل في دعوة الرسل وهي لازمة للدعوة للتأمل في الكون والتفكر في الآلاء كطريق للتوحيد؛ إذ الالتزام بالعقيدة لا يخضع للقوة كما أنه لا يخضع للمال أو المنصب[2]، قال تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾[هود: ٢٩].

ومبدأ التبعة الفردية يظهر في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾[التحريم: ١٠]، أي بعد الأمر بوقاية النفس والأهل من النار، كما يُراد أن يقال لأزواج النبي ﷺ وأزواج المؤمنين: عليهن بأنفسهن بعد كل شيء، وإن الإشارة القرآنية تعني حقيقة دائمة مستقلة عن الأشخاص، وما ذكر الأشخاص إلا مجرد أمثلة لهذه الحقيقة[3].

وأما مسألة ظهور الدجال فقد وردت في السنة النبوية، قال ابن عمر رضي الله عنهما، قام رسول الله ﷺ في الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال: «**إني لأنذركموه، وما من نبي إلا أنذره قومه، لقد أنذر نوح قومه، ولكني أقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه: تعلمون أنه أعور وأن الله ليس بأعور**»[4]، وهذه مسألة "من مسائل العقيدة، وبما أن العقيدة واحدة عند جميع الرسل فقد أنذر كل نبي قومه الدجال، وحذرهم منه، وما ذلك إلا لعظم فتنته. ولذلك أنذر نوح عليه السلام قومه المسيح الدجال"[5].

وبالمقارنة مع العهد القديم، نجد عدم ذكره لدعوة نوح عليه السلام فضلاً عن بيان الأسس العقدية التي دعا إليها، يقول حسن الباش: "لا تذكر التوراة أي دعوة توحيدية لنوح، ولا

---

(١) انظر: «**في ظلال القرآن**» سورة هود، سيد قطب (ص/٤٩).

(٢) انظر: «**دعوة الرسل بين الخصوصية والتكامل في القرآن الكريم**» عبد الرحمن حللي (ص/٣٨).

(٣) انظر: «**في ظلال القرآن**» سورة التحريم، سيد قطب (ص/٢٠).

(٤) البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب كيف يعرض الإسلام على الصبي، (٤/٧١)، رقم (٣٠٥٧).

(٥) «**القصص القرآني**» صلاح الخالدي (ص/١٦٧).

تذكر قومه، ولا جداله معهم... فلا خصائص للنبوة، ولا منهج لدعوته. ولا وجود لقوم يجادلهم ويدعوهم إلى ديانة التوحيد"(١).

والذي يلاحظ في قصة نوح التوراتية هو وجود إشكالات عقدية، فقد وُصف الله تعالى فيها بأوصاف بشرية مثل الندم والحزن والآسف والنسيان، [٦فَحَزِنَ لِلرَّبِّ أَنَّهُ عَمِلَ الإِنْسَانَ فِي الأَرْضِ، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِه. ٧فَقَالَ الرَّبُّ: أَمْحُو عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ الإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ، الإِنْسَانَ مَعَ بَهَائِمَ وَدَبَّابَاتٍ وَطُيُورِ السَّمَاءِ، لأَنِّي حَزِنْتُ أَنِّي عَمِلْتُهُمْ. التكوين: ٦: ٦ - ٧]، [١ثُمَّ ذَكَرَ اللهُ نُوحًا وَكُلَّ الْوُحُوشِ وَكُلَّ الْبَهَائِمِ الَّتِي مَعَهُ فِي الْفُلْكِ. التكوين: ٨: ١]،وهذا لا يليق بمقام الإلوهية، ويتنافى مع مظاهر القدرة الإلهية.

يقول الخالدي: "ما معنى هذا الندم والأسف؟ لا يكون الندم إلا بعد معرفة خطأ الفعل،...وهذا معناه أن الرب شعر بخطئه على خلقه الإنسان، وتأسف لأنه خلقه، وملأ الأسف قلبه وتمنى لو لم يكن خَلَقَه.

وهذا الكلام الباطل يتعارض مع بدهيات الإيمان بالله، والاعتقاد بشمول علمه وتحقق حكمته، فالله أحاط بكل شيء علماً، وهو حكيم في كل ما يفعله سبحانه، إنما خلْقه وفعلُه حق صواب"(٢).

وإن نوحاً قد شرب الخمر، ومن ثم سكر وتعرى، [٢٠وَابْتَدَأَ نُوحٌ يَكُونُ فَلاَّحًا وَغَرَسَ كَرْمًا. ٢١وَشَرِبَ مِنَ الْخَمْرِ فَسَكِرَ وَتَعَرَّى دَاخِلَ خِبَائِهِ. التكوين: ٩: ٢٠ - ٢١].

ومن الإشكالات أيضاً أن الثواب بلا عمل، فأهل نوح قد نجوا بسبب قرابتهم من نوح عليه السلام، لا البر والتقوى؛ إذ الوحيد الذي اتصف بهما هو نوح عليه السلام، تقول التوراة: [كَانَ نُوحٌ رَجُلاً بَارًّا كَامِلاً فِي أَجْيَالِه. وَسَارَ نُوحٌ مَعَ اللهِ. التكوين: ٦: ٩]، وهذا يتعارض مع التوراة ذاتها، إذ تقول: [بِرَّ الْبَارِّ عَلَيْهِ يَكُونُ، وَشَرَّ الشِّرِّيرِ عَلَيْهِ يَكُونُ.٢١فَإِذَا رَجَعَ الشِّرِّيرُ عَنْ جَمِيعِ خَطَايَاهُ الَّتِي فَعَلَهَا وَحَفِظَ كُلَّ فَرَائِضِي وَفَعَلَ حَقًّا وَعَدْلاً فَحَيَاةً يَحْيَا. لاَ يَمُوتُ.. حزقيال: ١٨: ٢٠ - ٢١].

---

(١) «القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان» حسن الباش (٢/١٨١).

(٢) «سفر التكوين في ميزان القرآن الكريم» الخالدي (ص/١٠٠).

المبحث الثالث

الجانب التربوي في قصة نوح عليه السلام

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: قيم تربوية في المجال الدعوي.

المطلب الثاني: قيم تربوية في المجال الأسري.

المطلب الأول: قيم تربوية في المجال الدعوي

إن وسائل التربية والتوجيه في القرآن الكريم متنوعة، والقصة إحدى هذه الوسائل، بل وأكثرها تأثيراً، فقد"دلت التجربة التربوية على أن أشد المواعظ الدينية نفاداً إلى القلوب ما عُرض في أسلوب قصصي يحمل على المشاركة الوجدانية للأشخاص، والتأثر بالأحداث، والانفعال بالمواقف"[1].

والقصص القرآني منهج تربوي متكامل، وتربة خصبة تساعد المربين على النجاح في مهمتهم، وتمدهم بزاد تهذيبي من سيرة النبيين وغيرها[2]، وقصة نوح عليه السلام إحدى تلك القصص، وقد احتوت على عدة قيم تربوية لاسيما في المجال الدعوي، نظراً لطول مكثه عليه السلام في قومه، ومن هذه القيم نذكر:

١- **التركيز على التوحيد والأخلاق** : ينبغي على الداعي إلى الله تعالى أن يركز على التوحيد لاسيما في هذا العصر، فهو الأساس الذي بصلاحه صلاح للسلوك والتصرفات، وأن يُقرن الأخلاق معه، فهذا ما كان عليه الرسل عليهم السلام منذ بداية دعوتهم، "وإنما بدأوا هكذا لإن الإيمان بالله قرين الأخلاق وكلاهما يستلزم خضوعاَ وخشوعاَ وطاعة مطلقة لله تعالى. وتجنب المظالم وإنصاف النفس من كل ما يشينها ويرديها. وكلاهما يستوجب على صاحبه أن يتحلى بالآخر، ولا يكمل الآخر إلا مع الأول، ولذلك لم يبعث رسول إلا إلى قوم فسدت أخلاقهم وضلت عقيدتهم...هذا هو سيدنا نوح عليه السلام بعث في قوم ضلت عقائدهم وفسدت أخلاقهم وأخذوا في تلقين ناشئتهم هذه المبادىء الضالة في العقيدة والأخلاق"[3].

٢- **اللطف**: ينبغي على الداعي التلطف مع من يدعوهم، وذلك باستخدام الألفاظ الرقيقة التي تساعد على إقبالهم وإصغائهم لما يقول، كأن يقول لهم "يا قومي" كما كان يقول نوح لقومه، أويقول: "يا إخوتي" وغير ذلك، أي يشعرهم بأنه واحد منهم.

٣- **الشفقة والنصح**: يجب على الداعي أن يشفق على من يدعوهم وينصحهم، فلا يستعلي ولا يظهر فضله عليهم، وأن يبقى على ذلك، ولو قابله المدعو بما لا

---

(١) «**سيكولوجية القصة في القرآن الكريم**» التهامي نقرة (ص/٥٤٤).

(٢) انظر: «**مباحث في علوم القرآن**» مناع القطان (ص/٣٠٥).

(٣) «**الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها**» أحمد غلوش (ص/١٦٠).

يليق، فالمدعو مريض الروح، والمريض يصدر منه ما لا يصدر من الصحيح المعافى، فنوح عليه السلام رموه قومه بالضلال فما كان جوابه سوى أنه نفى عن نفسه الضلال وأخبرهم بأنه رسول الله إليهم ليبلغهم ما أرسل به.

٤- **التبليغ بالكلام المبين**: أن يكون كلام الداعي للمدعو واضحاً بشكل تام لا إبهام فيه ولا غموض، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴾ [إبراهيم: ٤]، وقد جعل تعالى التبليغ المبين من وظيفة الرسل لتقوم الحجة على المخاطبين، وهذا واجب الرسل، قال تعالى: ﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [العنكبوت: ١٨]، ولهذا قال نوح لقومه: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴾[نوح: ٢].

٥- **الترغيب والترهيب**: يجب على الداعي أن يرغب المدعوين برضوان الله وجناته في الآخرة، وبالعيش الرضي في الدنيا إن أطاعو الله ورسوله، مع الترهيب بعذاب الله في حال الحيد عن الطريق، فنوح عليه السلام قد وعد قومهم إن استجابو لدعوته بالمغفرة لذنوبهم والنعم في الدنيا، كما خوفهم في حال رفضهم لها من نقمة الله عليهم ومن عذاب الآخرة.

٦- **الحلم**: ينبغي على الداعي أن يتحلى بالحلم مع المخالفين له كما كان نوح عليه السلام، فلا يستفزه قول المدعوين عنه وعن الدعوة، وما عليه سوى نفي ما يدّعونه بالحجة والبرهان[1]، فضلاً على أن طول مدة لبثه في قومه علامة على مدى صبره، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴾[العنكبوت: ١٤].

٧- **الثقة والتوكل على الله**: يجب على الداعي أن يكون متوكلاً على الله تعالى، وواثق بنصره له، مهما واجه من العوائق، فنوح عليه السلام كان متسلحاً بذلك، قال تعالى: ﴿ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾[يونس: ٧١]، و"هذا خبر من الله تعالى ذكره عن قول نبيه نوح عليه السلام لقومه: إنه بنصرة الله له عليهم واثق، ومن كيدهم وبوائقهم غير خائف، وإعلام منه لهم أن آلهتهم لا تضر ولا تنفع.يقول لهم:

---

(١) انظر: «**المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة**» عبد الكريم زيدان (١/ ١٥٣ - ١٥٥، ١٥٧، ١٦٠).

أمضوا ما تحدثون أنفسكم به فيَّ، على عزم منكم صحيح، واستعينوا مع من شايعكم عليّ بآلهتكم التي تدعون من دون الله، ولا تُؤخروا ذلك، فإني قد توكلت على الله، وأنا به واثق أنكم لا تضروني إلا أن يشاء ربي"[1]، وقد كان نوح عليه السلام متوكلاً على الله في كل حال، وإنما ذكر هنا على وجه الخصوص ليعرف قومه أن الله يكفيه أمرهم، والملاحظ عدم ذكر الآيات للسفينة و من ركب فيها، ولا للطوفان ولا غيره، لأن الهدف إبراز التحدي والاستعانة بالله وحده[2].

٨- **الأخذ بالأسباب مع تعلق القلب بالله** : فالله تعالى قادر على إنجاء نوح ومن معه بدون سفينة، لكن الأخذ بالأسباب سنة من سنن الله تعالى في الأرض[3]، وقد صنع نوح الفلك كما أمره الله، قال تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ [المؤمنون: ٢٧]، ولكن مع الأخذ بالأسباب كان القلب متعلق بالله، يقول الرازي عن نوح: "لما ركب السفينة أخبر القوم بأن السفينة ليست سبباً لحصول النجاة بل الواجب ربط الهمة وتعليق القلب بفضل الله تعالى"[4].

---

(١) «**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**» الطبري (١٢/٢٣٥)

(٢) انظر: «**في ظلال القرآن**» سورة يونس، سيد قطب (ص/٩١).

(٣) انظر: «**القصص القرآني الكريم بين الآباء والأبناء**» عماد زهير حافظ (ص/٣٨).

(٤) «**مفاتيح الغيب**» الرازي (١٧/٢٣٨).

المطلب الثاني: قيم تربوية في المجال الأسري

لم تقتصر قصة نوح عليه السلام على القيم التربوية في الدعوة إلى الله تعالى، وإنما ورد فيها قيم تربوية أسرية أيضاً، ونذكر منها:

١- **دعوة الأبناء إلى الإيمان بالله تعالى**: ينبغي على الآباء في تربية الأبناء أن يدعوهم إلى عبادة الله تعالى، وهذا من باب النصح، حتى لا يعاتبه الله على فساد ابنه وضلاله، بدليل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾[التحريم: ٦]، وقد دعا نوح ابنه من حيث كونه أباً، فضلاً عن كونه داعياً إلى الله.

٢- **خطاب الأبناء بألفاظ الرأفة والرحمة**: ينبغي على الآباء استخدام الألفاظ الرقيقة في الخطاب مع الأبناء وإن كانوا على خطأ، ففي تلك الألفاظ يستجيشون مشاعرهم، ويشعروهم بحنانهم ورأفتهم بهم، عسى أن يجعل منهم آذاناً صاغية فيلبّون ويطيعون، فنوح عليه السلام قد نادى ابنه بلفظ"يا بني"، وهذه الكلمة فيها معنى الرأفة والرحمة، وبها يستجيش عاطفة البنوة لعل الابن يهتم لندائه وينتبه ومن ثم تكون الاستجابة[١].

٣- **تحمل المسؤولية في تربية الأبناء**: يجب على الآباء تحمل مسؤولية تربية الأبناء والصبر عليها، مهما بدا منهم من الفساد، كما فعل نوح عليه السلام مع ابنه[٢].

٤- **استعمال الحوار في خطاب الأبناء**: يجب على الآباء سلوك أسلوب الحوار مع الأبناء، فبه تآلف وتعاطف ورحمة، حيث يبني جسور الألفة ويوفر الفرصة للآباء للعمل على معالجة المشكلات، كما أنه مهم في غرس الثقة في نفوس الأبناء، ومن ثم تحمل المسؤولية، واتخاذ قرارتهم، والتعبير عن آرائهم[٣]، وذلك ظاهر في قصة نوح مع ابنه، قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٢ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ﴾[هود: ٤٢ - ٤٣].

---

(١) انظر: «**القصص القرآني الكريم بين الآباء والأبناء**» عماد زهير حافظ (ص/٣٨ - ٣٩).

(٢) انظر: «**حوار الآباء مع الأبناء في القرآن الكريم وتطبيقاته التربوية**» سارة المطيري، إشراف: السعيد محمود السعيد عثمان، رسالة لنيل درجة الماجستير، جامعة أم القرى/كلية التربية، (١٤٢٨هـ - ١٤٢٩هـ) (ص/١٠٥).

(٣) انظر: «**حوار الآباء مع الأبناء في القرآن الكريم وتطبيقاته التربوية**» سارة المطيري (ص/٨٤)

٥- **اختيار البيئة والزوجة الصالحة**: ينبغي على الآباء اختيار البيئة والزوجة الصالحة من أجل نشأة الأبناء على الإيمان، فنوح عليه السلام قد سعى إلى تربية ابنه على الإيمان حتى آخر اللحظات، لكن البيئة الكافرة الغالبة آنذاك كان لها الأثر في شخصية الولد، بالإضافة إلى الزوجة الكافرة، والتي قد تكون العامل المهم في نشأة الولد على غير دين أبيه(١).

٦- **بر الوالدين**: يجب على الإنسان بر والديه حتى بعد مماتهما، ويكون ذلك بالدعاء، وهو أحد أوجه البر، فنوح عليه السلام قد دعا لوالديه بالمغفرة، قال تعالى: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا﴾[نوح: ٢٨].

وبالمقارنة مع العهد القديم: نجد أن القصة تكاد تكون خالية من الجوانب التربوية، فلا يوجد في قصة نوح عليه السلام دعوة إلى العقيدة- وهي أساس التربية- كما ذكرنا سابقاً فضلاً عن الجوانب التربوية الأخرى، لكن هناك إشارة واحدة فقط، وهي النهي عن الفساد والظلم بشكل ضمني؛ إذ لولاه لما وقع الطوفان، تقول التوراة: [١١وَفَسَدَتِ الأَرْضُ أَمَامَ الله، وَامْتَلأَتِ الأَرْضُ ظُلْمًا. ١٢وَرَأَى اللهُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ قَدْ فَسَدَتْ، إِذْ كَانَ كُلُّ بَشَرٍ قَدْ أَفْسَدَ طَرِيقَهُ عَلَى الأَرْضِ.١٣فَقَالَ اللهُ لِنُوحٍ: «نِهَايَةُ كُلِّ بَشَرٍ قَدْ أَتَتْ أَمَامِي، لأَنَّ الأَرْضَ امْتَلأَتْ ظُلْمًا مِنْهُمْ. فَهَا أَنَا مُهْلِكُهُمْ مَعَ الأَرْضِ التكوين: ٦: ١١ - ١٣]

بل إن القصة التوراتية احتوت على إشكالات تربوية، كقولها عن نوح أنه شرب الخمر، [٢٠وَابْتَدَأَ نُوحٌ يَكُونُ فَلاَّحًا وَغَرَسَ كَرْمًا. ٢١وَشَرِبَ مِنَ الْخَمْرِ فَسَكِرَ وَتَعَرَّى دَاخِلَ خِبَائِهِ. التكوين: ٩: ٢٠ - ٢١]، ففيه تأثير على تربية السامع، إذ يبيح لنفسه ذلك طالما صدر عن نبي، وقولها عن نوح بأنه دعا على ابنه بدلاً من توجيهه وإرشاده، [٢٤فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نُوحٌ مِنْ خَمْرِهِ، عَلِمَ مَا فَعَلَ بِهِ ابْنُهُ الصَّغِيرُ، ٢٥فَقَالَ: مَلْعُونٌ كَنْعَانُ! عَبْدَ الْعَبِيدِ يَكُونُ لإِخْوَتِهِ. التكوين: ٩\٢٤ - ٢٥]، وذلك لا يكون من الرجل الصالح فضلاً عن النبي.

---

(١) انظر: «**القصص القرآني الكريم بين الآباء والأبناء**» عماد زهير حافظ (ص/٤٠ - ٤٢).



المبحث الرابع

الجانب العلمي في قصة نوح عليه السلام

لقد احتوت قصص القرآن الكريم على حقائق علمية متعلقة بالكون وما فيه من إنسان ونبات وأرض وسماء وغير ذلك، ولم تظهر تلك الحقائق إلا في العصر الحديث[1]، وإن استخدم القرآن لها لما فيها من دعوة للعقول إلى التأمل في قوانينها الثابتة لابغرض دراستها وفهمها في ذاتها فحسب، وإنما لأنها تذكّر بالخالق الحكيم القدير، وهي حقائق متفقة تماماً مع آخر ما توصل إليه العلم الحديث[2]، وقصة نوح عليه السلام إحدى القصص التي احتوت على حقائق تم الكشف عنها حديثاً، ومن تلك الحقائق نذكر:

أولاً: خلق الإنسان أطوار:

قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾[نوح: ١٤]، أي إن نوحاً عليه السلام قد ذكر لقومه الأطوار الجنينية وهي، من النطفة إلى العلقة إلى المضغة إلى الهيكل إلى الخلق الكامل، وهذا رأي معظم المفسرين، لأن الأجنة التي تسقط قبل اكتمالها في الأرحام يمكن أن تعطي قوم نوح فكرة عن هذه الأطوار فقط، وهناك مدلول آخر -يذكره سيد قطب-للآية بحسب علم الأجنة، وهو أن الجنين في أول أمره يشبه حيوان الخلية الواحدة، ثم بعد فترة من الحمل يمثل الجنين شبه الحيوان المتعدد الخلايا، ثم يأخذ شكل مائي، ثم شكل حيوان ثدي، ثم شكل المخلوق الإنساني..وهذا أبعد عن إدراك قوم نوح، وقد كشف حديثاً جداً[3].

ويقول زغلول: "يشمل لفظ أطوار في الآية الكريمة...مراحل الخلق المتدرجة التي يمر فيها جنين الإنسان من النطفة، إلى النطفة الأمشاج، إلى العلقة، إلى المضغة، إلى خلق العظام ثم كسوتها لحماً، حتى إنشائه خلقاً آخر.وانطلاقاً من عتاب الله - سبحانه وتعالى - لكفار قوم نوح ومشركيهم ولأمثالهم من الكفار والمشركين في كل زمان ومكان إلى يوم الدين، يقول ربنا تبارك وتعالى أي أفلا تدركون عظمة الله، وطلاقة قدرته، فتطيعونه وتخشون عقابه، ولقد خلقكم في عدد من التارات المتعاقبة التي لا يكاد بعضها أن يرى بالعين المجردة؟...

---

(١) انظر: «**المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة**» عبد الكريم زيدان (١/٨).

(٢) انظر: «**مدخل إلى القرآن الكريم عرض تاريخي وتحليل مقارن**» محمد عبد الله دراز، ترجمة: محمد عبد العظيم علي، مراجعة: السيد محمد بدوي، دار القلم (الكويت)ط (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م) (ص/١٧٥ - ١٧٦).

(٣) انظر: «**في ظلال القرآن**» سورة نوح، سيد قطب (ص/١٤).

وقد جاء ذكر أطوار خلق الإنسان هذه في مراحله الجنينية المتتالية مرتبة ترتيباً دقيقاً، وموصوفة وصفاً شاملاً لم تصله بعد العلوم المكتسبة في قمتها الحالية، وذلك في عدد من آيات القرآن الكريم... "[1].

ثانياً : حقيقة الشمس والقمر :

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ [نوح: ١٥ - ١٦]، أي" (وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا) يبصر أهل الدنيا في ضوئها كما يبصر أهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون إلى إبصاره، والقمر ليس كذلك إنما هو نور لم يبلغ قوة ضياء الشمس...والضياء: أقوى من النور"[2].

ويقول ابن كثير: "فاوت بينهما في الاستنارة فجعل كلا منهما أنموذجاً على حدة، ليعرف الليل والنهار بمطلع الشمس ومغيبها وقدر القمر منازل وبروجاً، وفاوت نوره، فتارة يزداد حتى يتناهى ثم يشرع في النقص حتى يستسر ليدل على مضي الشهور والأعوام كما قال: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[يونس: ٥]"[3].

والقمر جسم معتم بارد لا ضوء له لكن يمكن أن يرى لقدرته على عكس أشعة الشمس فيبدو منيراً، وهذا الفارق بين نور القمر وضوء الشمس، فنور القمر ناتج عن تشتت ضوء الشمس على سطحه[4]، يقول زغلول: "انطلاقاً من هذه الحقائق العلمية التي تمايز بين الضوء الصادر من جسم مشتعل، وملتهب، ومضيء بذاته في درجات حرارة عالية...، وبين الشعاع المنعكس من جسم بارد يتلقى شعاع الضوء فيعكسه نورا، ركز القرآن الكريم على التمييز الدقيق بين ضياء الشمس ونور القمر، وبين كون الشمس سراجاً وكون القمر نوراً، ...هذه الدقة البالغة في التفريق بين الضوء المنبعث من جسم ملتهب، ومشتعل، ومضيء بذاته، وبين سقوط هذا الضوء على جسم مظلم بارد وانعكاسه نوراً من

---

(١) «**تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم**» زغلول النجار (٤/٢٢٢ - ٢٢٣).

(٢) «**الكشاف**» الزمخشري (٦/٢١٦ - ٢١٧).

(٣) «**تفسير القرآن العظيم**» ابن كثير (١٤/١٤١).

(٤) انظر: «**تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم**» زغلول النجار (١/٣٣٦).

سطحه، لا يمكن أن يكون لها مصدر من قبل ألف وأربعمائة سنة إلا الله الخالق، فهذا الفرق الدقيق لم يدركه العلماء إلا في القرنين الماضيين"[1].

وقد أثبت العلم الحديث أن الشمس سراج يحرق الوقود ليبث الضوء والحرارة، وأن القمر نور يعكس نور الشمس علينا، وهذا من معجزات القرآن الكريم التي لم يكن أحد يعلمها زمن نزوله، ولكن العلماء حديثاً اكتشفوا هذه الحقائق الكونية[2].

ثالثاً : الأرض مصدر المياه :

قال تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ ﴾ [هود: ٤٤]، ففيه"نسب الماء إلى الأرض، وأرضنا هي أغنى الكواكب المعروفة لنا بالماء الذي تقدر كميته عليها بحوالي ١.٤٠٠مليون كيلو متر مكعب...وقد احتار العلماء منذ القدم في تفسير مصدر هذه الكمية الهائلة من الماء، والتي بدونها لم يكن ممكناً للحياة التي نعرفها أن توجد على الأرض، ووضعت فروض ونظريات عديدة من أجل تفسير ذلك، ومنها فرضية اصطدام المذنبات بالأرض، وانهارت كل هذه النظريات حتى بدأ علماء البراكين في دراسة ما يتصاعد من فوهاتها من غازات وأبخرة فثبت أن أكثر من ٧٠٪ منها يتكون من بخار الماء.

وبحسبة رياضية بسيطة لعدد فوهات البراكين على سطح الأرض، ومعدل ثورة كل منها، ومتوسط ما يتصاعد من بخار الماء في كل ثورة وصل العلماء إلى كمية الماء المتجمعة نفسها على سطح الأرض وفي صخور ورسوبيات قشرتها، وفي الغلاف الغازي المحيط بها (أي حوالي ١.٤٠٠مليون كيلو متر مكعب). وبذلك ثبت أن كل ماء الأرض قد أخرجه ربنا -تبارك وتعالى - أصلاً من داخل الأرض"[3].

وإن ماء المطر مصدره من الأرض أيضاً، يقول الكحيل: "حاول الإنسان منذ القدم معرفة أسرار المطر، ومن أين تأتي الغيوم، وفي العصر الحديث وجد العلماء أن هذه الغيوم ما هي إلا ذرات من بخار الماء الذي تبخر من البحار والمحيطات والأنهار وصعدت إلى

---

(١) «**تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم**» زغلول النجار (١/ ٣٣٧ - ٣٣٨).

(٢) انظر: مقال: «**إشارات علمية رائعة في قصة نوح**» عبد الدائم الكحيل، www. Kaheel7.com.

(٣) «**تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم**» زغلول النجار (١/ ٣٤٧).

ارتفاعات كبيرة في الجو حيث درجة الحرارة تنحفض إلى ما دون الصفر فتتكثف وتشكل كتل الغيوم ومن ثم تبدأ الأمطار بالنزول. إذاً الماء صعد من الأرض وعاد إلى الأرض"[1].

رابعاً : انفجار الأرض بالينابيع :

"في علم المياه هناك حقيقة تقول بأن الماء تحت الأرض مضغوط بنسبة أو بأخرى، ولكنه محاط بطبقات من الصخور، فإذا زاد ضغط الماء تحت الأرض أدى إلى اندفاعه بشكل مفاجئ باتجاه السطح بما يشبه الانفجار.

حتى إن العلماء يستخدمون كلمة (explosion) أي "انفجار" للتعبير عن الآلية التي تنفجر فيه الينابيع من الأرض، وهذا يعني أن القرآن صحيح في تعابيره علمياً عندما يخبرنا بقوله تعالى: ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾[القمر: ١١ - ١٢]"[2].

وبالمقارنة مع العهد القديم نجد عدم احتواء قصة نوح عليه السلام على حقائق علمية، بل إنها متناقضة مع المعارف الحديثة، يقول موريس بوكاي: "فيمكن تأكيد أن رواية الطوفان، مثلما تقدمها التوراة، تتناقض بشكل واضح مع المعارف الحديثة"[3].

---

(١) مقال: «**إشارات علمية رائعة في قصة نوح**» عبد الدائم الكحيل.

(٢) مقال: «**إشارات علمية رائعة في قصة نوح**» عبد الدائم الكحيل.

(٣) «**القرآن والتوراة والإنجيل والعلم**» مويس بوكاي (ص/٢٤٩).

الخاتمة

إن خير الكلام الذي أسطّره في نهاية هذا البحث ما بدأت به، وهو الحمد لله على نعمته عليّ، والشكر له تعالى أن جعلني من السالكين في طريق العلم، وما رجائي في هذا البحث وهو بعنوان "نوح بين القرآن الكريم والعهد القديم والدراسات المعاصرة"سوى أن أكون قد وُفقت إلى وضع نتائج جديدة عن الدراسات السابقة، لاسيما في قسم الدراسات المعاصرة.

أولا: النتائج:

١- إثبات الوقوع لقصة نوح عليه السلام، فقد وردت في الكتب المقدسة وعلم الآثار وأدبيات الشعوب على اختلاف أماكنها-والراجح في ورود حادث الطوفان في تلك الأخيرة إخبار الرسل عليهم السلام، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[فاطر: ٢٤]-بالإضافة إلى التنقيبات الحفرية التي أكدت حادث الطوفان.

٢- اتفاق المصادر -على الرغم من اختلافها- على الخطوط الرئيسة للقصة، وهي: وجود رجل صالح، بناء السفينة، حدوث الطوفان، ونجاة بعض الأشخاص، والمعتمد في معرفة حقائق الأحداث هو القرآن الكريم، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾[آل عمران: ٦٢]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[المائدة: ٤٨]، كما أن روايته لا تثير أي نقد علمي.

٣- اختلاف القرآن الكريم عن العهد القديم في قصة نوح عليه السلام ناشئ عن التحريف والتبديل الذي أصاب الأخير، وأبعده عن المصدر الرئيس، فنوح في القرآن نبي وأول رسول إلى البشر، وما قصته سوى مرحلة من مراحل الدعوة الدينية، بينما العهد القديم اقتصر على وصفه بالرجل البار مثل ما جاء في الروايات التي تم العثور عليها، مع ذكر جانب من سبب الطوفان وهو الفساد والظلم.

٤- اقتصار القرآن الكريم في الحديث عن السفينة بأن صنعها كان تحت عناية الله ورعايته، بينما أسهبت التوراة والروايات الأخرى في التفاصيل، وكذلك في الحديث عن الطوفان.

٥- إن الطوفان في القرآن الكريم خاص على الراجح؛ إذ إن رسالته عليه السلام خاصة، والحديث عن تلك العقوبة جاء في سياق الحديث عن العقوبات التي نزلت بالأقوام الآخرين، بينما الطوفان في التوراة وأدبيات الشعوب عام، وهذا يتناقض مع المعارف الحديثة؛ فهناك حضارات كانت قائمة زمن حدوث الطوفان.

٦- إن التشابه الكبير في التفاصيل بين قصة الطوفان التوراتية والروايات التي تم العثور عليها - السومرية والبابلية - في العلم الأركيولوجي يؤكد على أن التوراة قد اقتبست ذلك من تلك الروايات كونها هي الأقدم.

٧- انفراد التوراة في القول في سكر نوح ولعنة كنعان من أجل تبرير الاستيلاء على فلسطين، وتأكيد فكرة التمييز العنصري اليهودي، والتحوير الظاهر في القصة قد كشف عن ذلك، فضلاً عن تناقض النصوص مع المعطيات التاريخية.

٨- إن حكم المشتشرقين ومن سلك طريقهم على القرآن باقتباس قصة نوح من التوراة، أو اعتبار العلمانيين للقصة بأنها أسطورة -وهو ترديد لدعوى مشركي قريش- مرفوض، فالخلاف جوهري بين القرآن الكريم والتوراة، والاكتشافات الأثرية أقرت بوقوع القصة، وحتى إن لم تصل العلوم لذلك؛ فعدم العلم بالشيء لا يدل على نفيه.

٩- إن الهدف من الطعن في القرآن الكريم من خلال وصف قصصه بالأسطورة ومن بينها قصة نوح عليه السلام هو نزع القداسة عن النص القرآني.

١٠- يجب أن يكون القرآن الكريم من أصدق الأدلة التاريخية، وإن عجز التاريخ عن الوصول إلى بعض ما ذكره القرآن الكريم، لا دلالة فيه على عدم صحة ما جاء في القرآن.

١١- إن الهدف من القصص القرآني هو العبرة والعظة، وهذا لا يعني إنكار الحقيقة التاريخية، بل لا أثر للاعتبار بالقصة دونها، لأن ترتب الآثار على الواقعات ترتّب طبيعي فمن شأنها أن تترتب أمثالها على أمثالها كلما حصلت في الواقع، ولأن حصولها ممكن إذ الخارج لا يقع فيه المحال ولا النادر وذلك بخلاف القصص الموضوعة بالخيال.

١٢- إن القصد من القصص ليس فهم السيرة القرآنية والمقاصد القرآنية في عصر الرسالة فقط - وهذا حكم بتاريخية النص -، فالقرآن رسالة أبدية ودعوة عالمية.

١٣- إن دعاء نوح عليه السلام على قومه لعدم الإيمان، وقد جاء بعد أن أخبره الله تعالى بذلك، وليس خوفاً على نفسه، فالأنبياء عليهم السلام لا ينتصرون لأنفسهم.

١٤- إن قراءة القصص القرآني قراءة معاصرة لا مانع منه، لكن مع الالتزام بضوابط تفسير القرآن، وإلا يصبح الاجتهاد في تفسير النص القرآني مفتوحاً على مصراعيه أمام الجاهل والعالم على سواء.

١٥- إن القراءة المعاصرة التي أتى بها شحرور أخرجت القصة عن كونها عبرة وعظة، كقوله عدم معرفة السباحة هي السبب في إغراق قوم نوح، ونجاة المؤمن والكافر،

بالإضافة إلى إنكار بعض الحقائق كمسألة عمر نوح ونسب ابن نوح، وإذا كان القرآن الكريم معتمده، فلِمَ يخالف نصوصه الصريحة بأقواله!

١٦- إذا كان التجديد-في نظر شحرور وغيره- في قراءة القصص القرآني عن طريق قطع التواصل مع التراث، لكونه غير ملائم للعصر، فمن أين أتى بأن تفسيره هو المناسب للعصر؟!

١٧- لا يوجد نص قرآني أو حديث نبوي يشير إلى أن الوقوف بعرفات والإفاضة إلى المشعر الحرام هو إحياء لذكرى هبوط نوح عليه السلام وإفاضته منها، وعلى فرض صحة ذلك، فالتحديد الزمني متغاير، فَلِم تحميل النصوص فوق معانيها؟

١٨- إن القراءة المعاصرة تطبيق إيديولوجي ماركسي وليس معرفة علمية، وما هي إلا محاولة للانتصار للماركسية بشكل غير مباشر.

١٩- نقل كمال الصليبي مسرح الحدث التوراتي من فلسطين إلى منطقة غرب الجزيرة العربية، لأجل رفع التناقض بين التوراة والعلم، كون التنقيب لم يصل إليها بعد.

٢٠- إن الإقرار بوجود أساطير وخرافات في التوراة-عند المؤمنين بها- يفقدها أهميتها وقدسيتها، فعلى أي أساس يحاول الصليبي رفع التناقض بينها وبين العلم!!

ثانياً: التوصيات:

١- دراسة أوجه الإعجاز في قصة نوح عليه السلام في القرآن الكريم لا سيما العلمي، ولهذا أثر في العصر الحالي.

٢- دراسة قصة نوح عليه السلام في الفكر المعاصر دراسة تحليلية نقدية، فقد تعرضت في بحثي إلى بعض النقاط فضلاً عن عدم الإلمام بكل الباحثين، بل ودراسة قصص القرآن في الفكر المعاصر والرد عليها، ومتابعة الأفكار التي يطرحونها، لدفع محاولات التشكيك في القرآن الكريم، ومن ثم إبطال هدفهم في نزع القداسة عن القرآن الكريم.

هذا ما وفقني الله تعالى للاطلاع عليه حول البحث، فإن كان فيه خير ونفع فهو من فضل الله عليّ وكرمه، وإن كان فيه زللٌ فمن نفسي ومن الشيطان، وأعوذ بالله من ذلك، وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين.

الفهارس العامة

وتتضمن :

فهرس الآيات.

فهرس الأحاديث.

فهرس الأعلام.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات

طرف الآية	السورة	الآية	الصحيفة
﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾		٢	٢٢٥
﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ ﴾		٣٠	٩٦
﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾		١٣٦	٢٩
﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا ﴾	البقرة	١٩٨ - ١٩٩	٢٤٨، ٢٥١
﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾		٢٥٣	٢٠، ٢١
﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ ﴾		٢٥٩	٢٤٨
﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ ﴾		٢٨٥	٢١
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾		٣٣	٤٥
﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ ﴾		٦٢	٢٤٣، ٢٨٩، ٣٢٩
﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾	آل عمران	٨١	٢٠
﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ ﴾		٩٦	٢٤٨
﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم ﴾		١٢٤- ١٢٥	٢٦٣
﴿ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ﴾		١٧	١٣١
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾	النساء	١٥٠	٢١
﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ ﴾		١٦٣	٤٥، ٢٥٥
﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ﴾		١٦٤	٢٩
﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا ﴾		١٣	٢٤٥
﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا ﴾	المائدة	٤٨	٣، ١١، ٢٠١، ٢٠٧، ٢٣٥، ٢٤٥، ٣٢٩

طرف الآية	السورة	الآية	الصحيفة
﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾	الأنعام	٢٥	٢٢١، ٢٢٤
﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ ﴾		٢٧	٢٢٤
﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ ﴾		٥٢	٢٣١
﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾		١٢٤	١٩
﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ﴾		١٤٣	١٠٢
﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾		٣٥	٢٦٥
﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾		٥٩	٦٧، ٧١، ٧٦، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠٤، ٣٠٦
﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾		٥٩-٦٤	٢٣٠
﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾	الأعراف	٦٠	٨٣، ٨٤
﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ ﴾		٦١-٦٢	٨٣، ٣٠٥
﴿ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾		٦٢	٧٢، ٨٣، ٢٥٦، ٢٦٥
﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾		٦٣	٥٤، ٧٩، ٨٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٣٠٥
﴿ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾		٦٤	٥٦، ٩٥
﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾	الأنفال	٩	٢٦٣، ٢٧٠
﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ ﴾		٣١	٢٢٢
﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ ﴾		٣٢	٢٢٢
﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ ﴾	التوبة	٧٠	٦٣
﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾		١٠٣	٢٦٦
﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾	يونس	٥	٣٢٤
﴿ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى ﴾		٧١	٣١٦

طرف الآية	السورة	الآية	الصحيفة
﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ ﴾		٧١-٧٢	٣٨٦
﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾		٧٢	٣٠٩
﴿ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ ﴾		٧٣	٩٥
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ ﴾		٢٥	٦٣
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ ﴾		٢٥-٢٦	٦٧
﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾		٢٦	٧٢، ٧٦، ٨٥
﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ ﴾		٢٧	٥٤، ٥٩، ٧٧، ٧٩، ٨٢، ٣٠٤
﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى ﴾		٢٨	٦٣، ٧٨، ٨٩، ٣٠٥، ٣٠٩
﴿ وَيَـٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ﴾		٢٩	٨٠، ٣٠٦، ٣١٠
﴿ وَيَـٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ﴾		٢٩-٣٠	٨٠
﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ ﴾		٣١	٨١
﴿ قَالُوا۟ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا ﴾		٣٢	٨٥، ٩٣
﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾	هود	٣٣	٣٠٨
﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ ﴾		٣٣-٣٤	٨٥
﴿ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ ﴾		٣٤	٧٢، ٨٥، ٣٠٦، ٣٠٨
﴿ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا ﴾		٣٦	٩٣، ٩٤، ٩٥، ١٢٨، ٢٣٧
﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾		٣٧	٩٥، ٩٦، ٢٥٨
﴿ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ ﴾		٣٨	٩٦، ٩٨، ٩٩
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾		٤٠	٧٦، ٨٨، ٨٩، ٩٨، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١١٠، ١١٤، ١١٩،

طرف الآية	السورة	الآية	الصحيفة
			١٢١، ١٢٧، ١٥٢، ١٥٩، ٢٥٠، ٢٥٩، ٢٦١، ٣٠٨
﴿ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىهَا ﴾		٤١	١٠٤، ١٠٨، ١٢٦، ٢٥٨
﴿ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ ﴾		٤٢	٩٧، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٨، ١٣٠، ٢٥٨، ٢٦٠
﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ ﴾		٤٢-٤٣	١٢٢، ٣١٨
﴿ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ ﴾		٤٣	٩٧، ١٢٥، ١٢٦، ٢٦٠، ٢٦٨
﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي ﴾		٤٤	١٠٦، ١٠٧، ١٦١، ٣٢٥
﴿ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي ﴾		٤٥	١٢٦، ١٢٩، ١٣٠، ٢٥٩
﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ ﴾		٤٦	١٢٣، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ٢٥٠، ٢٥٩
﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ ﴾		٤٧	١٢٩، ١٣٠، ٢٤٧
﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ ﴾		٤٨	٩٧، ١٠٨، ١١٠، ١٦٣، ١٧٣
﴿ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ ﴾		٤٩	١٣٢، ٢٣٢، ٢٨٧
			٢٨٨

طرف الآية	السورة	الآية	الصحيفة
﴿ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ ﴾		٨١	٢٥٩
﴿ وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم ﴾		٨٩	٦٣
﴿ وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ ﴾		١٢٠	٢٣٨، ٢٨٨
﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ ﴾		٣	٢٨٧، ٢٨٩
﴿ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ ﴾		٥٥	١١٣
﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾	يوسف	١٠٣	٨٩
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا ﴾		١٠٩	٢٦٤
﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ ﴾		١١١	٣، ٢٢٧، ٢٨٨
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ﴾		٤	٦٤، ٣١٦
﴿ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ ﴾	إبراهيم	٧	٥
﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾		٩	٢٥٦
﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾	الحجر	٩	١٢
﴿ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾		٤٩	١٢
﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا ﴾		٣٦	٢٨٨
﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ ﴾	النحل	٦٩	١١٤
﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ ﴾		١٠٣	٢١٢
﴿ ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ﴾		٣	٤٧
﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ ﴾	الإسراء	١٧	٣٩
﴿ وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾		٥٥	٢٠
﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ﴾	الكهف	٢٥	٢٤٨
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا ﴾		٧	٢٦٤
﴿ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا ﴾		٧٣	١٩
﴿ وَنَصَرۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ ﴾	الأنبياء	٧٧	٥٥، ٩٥
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾		١٠٧	٦٤
	الحج	٣٧	٢٠٠

طرف الآية	السورة	الآية	الصحيفة
﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴾		٤٢	٦٣
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾		٥٢	١٤
﴿ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ﴾	النور	٣	١٢٠
﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ﴾		٢٦	١٢٠
﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾		٢٣	٦٣، ٢٩٩
﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ ﴾		٢٤	٥٨، ٧٨، ٨٤، ٢٥٥، ٣٠٤، ٣٠٩
﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾		٢٥	٨٤
﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴾		٢٦	٥٥، ٩٥، ٢٥٦
﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾	المؤمنون	٢٧	٩٦، ١٠٠، ١٠٣، ١٠٤، ١١٤، ١١٩، ١٢٩، ٢٥٠، ٢٥٨، ٣١٧
﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ ﴾		٢٨	١٠٧
﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾		٢٩	١٠٧، ٢٤٨
﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾		٣١	٣٩
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾		٥١	٢٥٢
﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ ﴾		٨٣	٢٢١
﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ﴾		٤	٢٢٥
﴿ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا ﴾		٥	٢٢٥
﴿ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا ﴾	الفرقان	٥-٦	٢٢١، ٢٢٢
﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ ﴾		٦	٢٢٥
﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ ﴾		٣٠	٦٤
﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ ﴾		٣٧	٩٥، ٢٥٥

طرف الآية	السورة	الآية	الصحيفة
﴿ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴾		٣٨	٣٩
﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾		١٠٥	٥٥، ٢٥٥
﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾		١٠٦	٧١
﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾		١٠٦-١٠٧	٦٣
﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴾		١٠٩	٢٣١
﴿ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴾		١١١	٧٩، ٢٣١
﴿ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾		١١٢	٨١
﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	الشعراء	١١٤-١١٥	٢٣١
﴿ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴾		١١٦	٥٦، ٨٦
﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴾		١١٧	٦٣، ٩٣، ٢٥٦
﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴾		١١٧-١١٨	٢٦١
﴿ وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾		١١٨	٢٦٠
﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴾		١١٩	٩٦، ٢٥٨، ٢٦٠
﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴾		١٢٠	٢٦١
﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾	النمل	٨٨	٢٢٦
﴿ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ ﴾	القصص	٣	٢٨٩
﴿ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ ﴾		٣٢	١١٤
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾	العنكبوت	١٤	٤٠، ٤١، ٤٣، ٤٥، ٧٦، ٨٨، ٩٥، ١٤٢، ٢٧١، ٣١٦
﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ ﴾		١٥	٩٦، ١٠٩
﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾		١٨	٣١٦

طرف الآية	السورة	الآية	الصحيفة
﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ﴾		٤٠	٦٤
﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ﴾	الروم	٦-٧	٤٣
﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ ﴾	الأحزاب	٧	٢٠، ٤٥، ٤٧
﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾		٤٠	٤٦
﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾	سبأ	١٣	٨٩
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾		٢٨	٦٤
﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾	فاطر	٢٤	٣٢٩
﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴾	يس	٤١	٩٦
﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ﴾		٤١-٤٢	١٠٨
﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴾	الصافات	٧٥-٧٧	٤٨
﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾		٧٧	٦٥، ١١٠، ١١٤، ٢٤٩
﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾		٧٧-٧٩	٢٢٤
﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴾		٧٨-٧٩	٤٨
﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾		٨٠	٤٥
﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾		٨١	٤٥
﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴾		٨٣	٤٨
﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ ﴾	ص	١٢-١٣	
﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾	الزمر	٦٥	١٣٢
﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ ﴾	غافر	٥	
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾	فصلت	٢٦	٢٢٥
﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴾		٤١-٤٢	٢٢٥
﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ﴾	الشورى	١٣	١١، ٢٠، ٤٧، ٢١٤
﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ ﴾	الأحقاف	١٧	٢٢١
﴿ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ ﴾		٢١	٢٥٦

طرف الآية	السورة	الآية	الصحيفة
﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾	محمد	١٩	١٣١
﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	الذاريات	٣٥-٣٧	٢٥١
﴿ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾		٣٧	١٠٩
﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾		٤٦	٥٥
﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ ﴾		٥٢	٥٦
﴿ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴾	الطور	٣٠	٢٢٥
﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴾	النجم	٥٢	٥٥
﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ﴾	القمر	٩	٥٥، ٨٦
﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾		١٠	١٠٥
﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴾		١١-١٢	١٠٠، ١٠٥، ١٥٩، ٢٦٠، ٣٢٦
﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾		١٢	٣٠٨
﴿ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴾		١٣	٩٦، ٢٥٨، ٢٦٧
﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾		١٤	٢٥٨
﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾		١٥	١٠٨
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ ﴾	الحديد	٢٦	٤٩، ٢٤٩
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾	الطلاق	١	٨٣
﴿ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾	التحريم	٣	١٢
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾		٦	٣١٨
﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ ﴾		١٠	٤٥، ٤٦، ١١٩، ١٢٠، ١٢، ٢٤٧، ٢٥١، ٣١٠
﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴾	الحاقة	١١	٩٦، ١٠٦، ٢٥٨

طرف الآية	السورة	الآية	الصحيفة
﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ ﴾		١	٤٥، ٧٥، ٢٥٦
﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ ﴾		١-٢	٦٧، ٧١
﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴾		٢	٢٥٦، ٣١٦
﴿ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾		٣	٦٨، ٧٧، ٣٠٩
﴿ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ ﴾		٤	٧٤
﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ﴾		٥	٦٣، ٧٢
﴿ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ﴾		٦	٧٧
﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ ﴾		٧	٥٦، ٧٧
﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ﴾		٨-٩	٧٣
﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴾		١٠	٦٩
﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴾		١٠-١٢	٧٥
﴿ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ﴾		١٢	٢٥٧
﴿ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ﴾	نوح	١٣-٢٠	٥٤، ٧٦، ٣٠١
﴿ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ﴾		١٤	٢٤٦، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٢٣
﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ﴾		١٥	٥٤
﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ﴾		١٥-١٦	٢٥٧، ٣٠١، ٣٢٤
﴿ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ﴾		١٦	٥٥
﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴾		١٧-١٨	٣٠٢، ٣٠٦
﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ﴾		١٩-٢٠	٣٠٢
﴿ قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي ﴾		٢١	٥٤
﴿ قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي ﴾		٢١-٢٣	٣٤
﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ ﴾		٢٣	٣٤، ٥٧، ٢٦٦
﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا ﴾		٢٣-٢٤	٢٥٧

طرف الآية	السورة	الآية	الصحيفة
﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا﴾		٢٥	٩٥، ٩٦، ٢٦١، ٢٦٨
﴿وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾		٢٦	٦٥، ٩٣، ١١٠، ١١٣، ١٢٥، ٢٣٧
﴿وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾		٢٦-٢٧	٢٦٢
﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ﴾		٢٨	٣٨، ٣١٩
﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ﴾	المدثر	٢٤	٢٢٥

فهرس الأحاديث

طرف الحديث	راوي الحديث	التخريج	الصفحة
لكل نبي دعوة مستجابة..	أبو هريرة	البخاري ومسلم	٩٥
مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، فقلت وكم الرسل	أبو ذر	أحمد والطبراني	٢٩
إني لأنذركموه، وما من نبي إلا أنذره قومه	ابن عمر	صحيح البخاري	٣١٠
صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد...	ابن عباس	صحيح البخاري	٥٧
كنا مع النبي ﷺ في دعوة، فرفع إليه الذراع	أبو هريرة	صحيح البخاري	٤٦
أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي...	جابر بن عبد الله	صحيح مسلم	٦٥
أنا سيد ولد آدم يوم القيامة...	أبو هريرة	صحيح مسلم	٢٠-٤٦
خير الناس قرني...	عمران بن حصين	سنن الترمذي	٣٩
كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق...	ابن عباس	المستدرك على الصحيحين	٣٩-٥٣
أن رجلاً، قال: يا رسول الله أنبي كان آدم؟...	أبو أمامة	صحيح ابن حبان	٣٩

فهرس الأعلام

اسم العلم	الصفحة
ابن الأثير	٣٧
أركون	٢٣٨
الألوسي	١٠٣
بلاشير	٢١٣
ابن تيمية	١٣
الجابري	٢٢٧
جولدتسهير	٢١٢
حاج حمد	٢٤٤
ابن حزم	١٤٠
حفني ناصيف	٢٤٠
خلف الله	٢١٩
الرازي	٤٣
الربيعو	٢٣٩
الزمخشري	٤٣
سبينوزا	١٨
سيد قطب	٥٣
شحرور	٢٤٤
الشرفي	٢٣٩
الطبري	٣٨
طه حسين	٢١٨
ابن عاشور	٤١
فريزر	١٥٦
القرطبي المفسر	٤٨
القمني	٢٤٠
ابن كثير	٣٨
كمال الصليبي	٢٧٢
ليونارد وولي	١٩٨
موريس بوكاي	١١٣
ابن ميمون	١٧
ول ديورانت	١٩٨

فهرس المصادر والمراجع

*القرآن الكريم.

*نسخة الكتاب المقدس، ترجمة: فان دايك - سميث، (١٨٦٥م).

الكتب :

١- «**أباطيل وخرافات حول القرآن الكريم والنبي محمد عليه الصلاة والسلام**» - دحض أباطيل عابد الجابري وخرافات هشام جعيط حول القرآن ونبي الإسلام -، خالد كبير علال، دار المحتسب (٢٠٠٨م).

٢- «**آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية**» محمد خليفة حسن، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط١ (١٩٩٧م).

٣- «**أثر الفلسفة في تطوير مفهوم النبوة عند اليهود فلسفة ابن ميمون نموذجاً**» فكري جواد عبد، مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد ٣٨، عام (٢٠١٥م).

٤- «**أحسن القصص بين إعجاز القرآن وتحريف التوراة**» زاهية الدجاني، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، ط٣ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).

٥- «**أحكام القرآن**» أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان)، ط٣ (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).

٦- «**آراء يهدمها الإسلام**» شوقي أبو خليل، دار الفكر (دمشق)، ط٥ (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).

٧- «**إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**» أبو السعود بن محمد العمادي الحنفي، ت: عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة (الرياض)، د.ط.

٨- «**أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم**» كارم محمود عزيز، مكتبة النافذة، ط١ (٢٠٠٦م).

٩- «**اسبينوزا**»، فؤاد زكريا، مؤسسة هنداوي سي آي سي، هاي ستريت وندسور المملكة المتحدة.

١٠- «**إعجاز القرآن**» الباقلاني.

١١- «**إعجاز القرآن**» محمد بن الطيب أبو بكر الباقلاني، ت: السيد أحمد صقر، دار المعارف (مصر).

١٢- «**الأبعاد العقدية والأخلاقية لموقف اليهود من النبوة والأنبياء في أسفار العهد القديم**» رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات درجة الدكتوراه في الثقافة الإسلامية/تخصص عقيدة، إعداد: سليمان بن عبد الله الراجحي، إشراف: أ.د. سليمان بن قاسم العيد، جامعة الملك سعود، (١٤٣٠ - ١٤٣١هـ).

١٣- «**الأثر الاستشراقي في موقف محمد أركون من القرآن الكريم**» محمد بن سعيد السرحاني، د.ن، د.ط.

١٤- «**الأحجار تتكلم**» جون إلدر، ترجمة: د. عزت زكي، مراجعة: داود رياض، دار النشر الأسقفية

(القاهرة)ط٤

١٥- «**الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم**» مصطفى السباعي، دار الوراق-المكتب الإسلامي، د.ط.

١٦- «**الأسطورة والتاريخ في التراث الشرقي القديم**» دراسة في ملحمة جلجامش، محمد خليفة حسن أحمد، عين الدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية (١٩٩٧م).

١٧- «**الأسطورة والتراث**» سيد القمني، المركز المصري لبحوث الحضارة (القاهرة)، ط٣ (١٩٩٩م).

١٨- «**الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام**» علي عبد الواحد وافي مكتبة نهضة مصر بالفجالةط١ (١٣٨٤هـ-١٩٦٤م).

١٩- «**الإسلام بين التنوير والتزوير**» محمد عمارة، دار الشروق، ط١ (١٤١٦هـ-١٩٩٥م).

٢٠- «**الإسلام بين الرسالة والتاريخ**» عبد المجيد الشرفي، دار الطليعة للطباعة والنشر (بيروت)، ط٢ (٢٠٠٨م).

٢١- «**الأمم البائدة**» هارون يحيى، ترجمة: ميسون نهلوي، مراجعة: أورخان محمد علي، د.ن، د.ط.

٢٢- «**الانحرافات الكبرى القرى الظالمة في القرآن الكريم**» سعيد أيوب، دار الهادي (بيروت - لبنان)، ط١ (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).

٢٣- «**البداية والنهاية**» أبو الفداء إسماعيل ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، دار هجر.

٢٤- «**التحرير والتنوير**» محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس (١٩٨٤م)، د.ط.

٢٥- «**التصوير الفني في القرآن**» سيد قطب، دار الشروق، د.ط.

٢٦- «**التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**» شركة ماستر ميديا (القاهرة)، د.ط.

٢٧- «**التفسير الوسيط**» محمد سيد طنطاوي، مراجعة: عبد الرحمن العدوي، دار المعارف (القاهرة)، د.ط.

٢٨- «**التلمود كتاب اليهود المقدس**» تاريخه وتعاليمه ومقتطفات من نصوصه، أحمد إيبش، قدم له: أ. د. سهيل زكّار، دار قتيبة، د.ط.

٢٩- «**التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير**» ليوتاكسيل، ترجمة: حسان ميخائيل إسحاق، د.ط.

٣٠- «**الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنته من السنة وآي الفرقان**»، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي - كامل محمد الخراط - غياث الحاج أحمد، مؤسسة الرسالة، ط١ (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).

٣١- «**الجامع لشعب الإيمان**» أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ت: عبد العلي عبد الحميد حامد، الدار السلفية (بومباي-الهند)، ط١ (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).

٣٢- «**الحداثيون العرب في العقود الثلاثة الأخيرة والقرآن الكريم**» (دراسة نقدية)، الجيلاني مفتاح، دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع - مكتبة مؤمن قريش، ط١ (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).

٣٣- «**الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم**» فراس السواح، دار علاء الدين (دمشق)، ط٣
٣٤- «**الحوار القرآني في سورة نوح**» (دراسة تحليلية)، يحيى بن محمد زمزمي، د.ن، د.ط.
٣٥- «**الدعوة الاسلامية أصولها ووسائلها**» أحمد أحمد غلوش، دار الكتاب المصري، ط٢ (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).
٣٦- «**الرسل والرسالات**» عمر سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع - دار النفائس للنشر والتوزيع (الكويت)، د.ط.
٣٧- «**السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية**» عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، د.ط.
٣٨- «**الشبه الاستشراقية في كتاب مدخل إلى القرآن الكريم للدكتور محمد عابد الجابري**» (رؤية نقدية)، عبد السلام البكاري والصديق بوعلام، الدار العربية للعلوم ناشرون - دار الأمان (الرباط)، ط١ (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).
٣٩- «**الشخصيات الأسطورية في العهد القديم وثالوث عزرا : الوثنية"يهوه – العنصرية"الشعب المختار" - الاستعمار"الأرض الوعد"**» (دراسة تحليلية للشخصيات والأحداث)، جميل خرطبيل، د.ن، د.ط.
٤٠- «**الشفا بتعريف حقوق المصطفى**» القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي، دار الكتب العلمية (بيروت-لبنان)، د.ط
٤١- «**الطوفان في المراجع المسمارية**» فاضل عبد الواحد علي، د.ن، د.ط.
٤٢- «**العقيدة الإسلامية وأسسها**» عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم (دمشق)، ط٧ (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).
٤٣- «**العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية**» سعد الدين السيد صالح، دار الصفا للطباعة والنشر (القاهرة)، ط٢ (١٤١٠هـ-١٩٩٠م).
٤٤- «**العقيدة والشريعة في الإسلام**» اجناس جولدتسهير، نقله إلى العربية وعلق عليه: الدكتور محمد يوسف موسى والدكتور: علي حسن عبد القادر والأستاذ: عبد العزيز عبد الحق، دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى ببغداد، ط٢.
٤٥- «**العلمانية والإسلام وجهاً لوجه**» يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، ط٧ (١٤١٧هـ-١٩٩٧م).
٤٦- «**العلمانيون العرب وموقفهم من الاسلام**» مصطفى باجو، المكتبة الإسلامية (القاهرة)، ط١ (١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م).
٤٧- «**العلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام**» مصطفى باجو، المكتبة الإسلامية (عين شمس الشرقية-القاهرة، ط١ (١٤٣٣هـ-٢٠١٢م).
٤٨- «**العلمانيون والقرآن الكريم (تاريخية النص)**» أحمد إدريس الطعان، تقديم: أ.د. نور الدين عتر – محمد عمارة، مكتبة ودار ابن حزم للنشر والتوزيع (الرياض)، ط١ (١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م).

٤٩- «**العنف والمقدس والجنس في الميثولوجيا الإسلامية**» تركي علي الربيعو، المركز الثقافي العربي (بيروت)، ط٢ (١٩٩٥م).

٥٠- «**الفصل في الملل والأهواء والنحل**» ابن حزم الظاهري، ت: محمد ابراهيم نصر - عبد الرحمن عميرة، دار الجيل (بيروت)، د.ط.

٥١- «**الفكر الإسلامي قراءة علمية**» محمد أركون، ترجمة هاشم صالح، المركز الثقافي العربي، ط٢ (١٩٩٦م).

٥٢- «**الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه**» حسن ظاظا، قسم البحوث والدراسات الفلسطينية، د.ط.

٥٣- «**الفن القصصي في القرآن الكريم**» محمد أحمد خلف الله، شرح وتعليق: خليل عبد الكريم، سينا للنشر - الانتشار العربي (لندن - بيروت - القاهرة)، ط٤ (١٩٩٩م).

٥٤- «**الفولكلور في العهد القديم**» جيمس فريزر، ترجمة: نبيلة إبراهيم، مراجعة: حسن ظاظا، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٧٢م)، د.ط.

٥٥- «**القراءات المعاصرة في القرآن الكريم (الجابري نموذج)**» محمد الناسك، إشراف: عبد الله غازيوي، جامعة محمد بن عبد الله/ كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس، بحث لنيل شهادة الدكتوراه، السنة الدراسية (٢٠١٣-٢٠١٤م).

٥٦- «**القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة**» موريس بوكاي، مكتبة مدبولي، د.ط.

٥٧- «**القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان**» حسن الباش، دار قتيبة، ط١ (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).

٥٨- «**القصة في القرآن الكريم**» أحمد الجوهري عبد الجواد، موقع الألوكة، د.ط.

٥٩- «**القصة في القرآن الكريم**» مريم عبد القادر عبد الله السباعي، إشراف: أ.د: أحمد أحمد غلوش، رسالة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة أم القرى/ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية (١٤٠٤هـ).

٦٠- «**القصص القرآني (قراءة معاصرة) مدخل إلى القصص وقصة آدم**» محمد شحرور، دار الساقي بالاشتراك مع مؤسسة الدراسات الفكرية المعاصرة، ط١ (٢٠١٠).

٦١- «**القصص القرآني (قراءة معاصرة) من نوح إلى يوسف**» محمد شحرور، دار الساقي، ط١ (٢٠١٢م).

٦٢- «**القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث**» صلاح الخالدي، دار القلم (دمشق) - دار الشامية (بيروت)، ط١ (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).

٦٣- «**القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**» مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف، عبد الكريم الخطيب، دار المعرفة للطباعة والنشر (بيروت - لبنان)، ط٢ (١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م).

٦٤- «**الكامل في التاريخ**» أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير، ت: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية (بيروت -

لبنان)، ط١ (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).

٦٥- «**الكتاب والقرآن (قراءة معاصرة)**» محمد شحرور، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع (سورية-دمشق).

٦٦- «**الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**» جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ت: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان (الرياض)، ط١ (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م).

٦٧- «**الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم**» (دراسة مقارنة)، محمد علي البار، دار القلم (دمشق) - الدار الشامية (بيروت)، ط١ (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).

٦٨- «**المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم**» محمد علي البار، دار القلم (دمشق)-الدار الشامية (بيروت)، ط١ (١٤١٠هـ-١٩٩٠م).

٦٩- «**المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة**» عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ط١ (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).

٧٠- «**المعتقدات الدينية لدى الغرب**» عبد الراضي محمد عبد المحسن، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية (الرياض)، ط١ (١٤٢١هـ-٢٠٠١م).

٧١- «**المعجزة الكبرى القرآن (نزوله-كتابته-جمعه-إعجازه- جَدَله-علومه-تفسيره)**» محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، د.ط.

٧٢- «**المعجزة الكبرى القرآن نزوله - كتابته - جمعه - إعجازه - جدله - علومه - تفسيره - حكم الغناء به**» محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، د.ط.

٧٣- «**الميزان في تفسير القرآن**» محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (بيروت - لبنان)، ط١ (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).

٧٤- «**النبوات**» تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية، دار الكتب العلمية (بيروت-لبنان)، ط (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م).

٧٥- «**النبوة والأنبياء دراسة تفصيلية لحياة الرسل الكرام ودعوتهم وأثرهم في تغيير مفاهيم البشر بأسلوب يجمع بين الدقة والسهولة والجدة والتحقيق**» محمد علي الصابوني، مكتبة الغزالي (دمشق)، ط٣ (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).

٧٦- «**النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام**» أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة (القاهرة)، ط٢ (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م).

٧٧- «**النبوة والأنبياء في ضوء القرآن**» أبو الحسن علي الحسني الندوي، الدار السعودية للنشر (جدة)، د.ط.

٧٨- «**الوحي المحمدي**» محمد رشيد رضا، مؤسسة عز الدين (بيروت-لبنان)، ط٢.

٧٩- «**اليهودية بين الأسطورة والحقيقة نشوء وتطور العقيدة الموسوية**» عصام الدين حفني ناصف، دار

المروج (بيروت - ١٩٨٥م).
٨٠- «**اليهودية واليهود**» بحث في ديانة اليهود وتاريخهم ونظامهم الاجتماعي والاقتصادي، علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطبع والنشر (الفجالة - القاهرة)، د.ط.
٨١- «**اليهودية . المفاهيم والفرق**» عبد الوهاب المسيري، د.ن، د.ط.
٨٢- «**اليهودية**» أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة)، ط٨، (١٩٨٨م).
٨٣- «**أنوار التنزيل وأسرار التأويل**» عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، ط١ (١٩١٨هـ).
٨٤- «**أولو العزم من الرسل**» عمر أحمد عمر، دار حسان للطباعة والنشر، ط١ (١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م).
٨٥- «**أولو العزم من الرسل**» مأمون غريب، مركز الكتاب للنشر، د.ط.
٨٦- «**بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**» مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ت: عبد العليم الطحاوي، القاهرة (١٤١٢هـ-١٩٩٢م)، د.ط.
٨٧- «**تاريخ الديانة اليهودية**» محمد خليفة حسن أحمد، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)، ط١ (١٩٩٨م).
٨٨- «**تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك**» أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف (مصر)، ط٢.
٨٩- «**تاريخ الفكر في العراق القديم**» الأب سهيل قاشا، مكتبة السائح، د.ط.
٩٠- «**تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم**» محمد عزة دروزة، مطابع شركة الاعلانات الشرقية، د.ط.
٩١- «**تاريخية الفكر العربي الاسلامي**» محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، مركز الإنماء القومي- المركز الثقافي الغربي، ط٢ (١٩٩٦م).
٩٢- «**تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم**» زغلول النجار، مكتبة الشروق الدولية، ط١ (١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م).
٩٣- «**تفسير البحر المحيط**» محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، ت: عادل أحمد عبد الموجود -علي محمد معوض وآخرون، دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان)، ط١ (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م).
٩٤- «**تفسير البغوي معالم التنزيل**» أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر-عثمان جمعة ضميرية-سليمان مسلم الحرش، دار طيبة (الرياض)، (١٤١١هـ).
٩٥- «**تفسير الفخر الرازي**» المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، محمد الرازي فخر الدين، دار الفكر، ط١ (١٤٠١هـ - ١٩٨١م).
٩٦- «**تفسير القرآن الحكيم**» المشتهر باسم «**تفسير المنار**» محمد رشيد رضا، دار المنار، ط٢ (١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م).
٩٧- «**تفسير القرآن العظيم**» أبو الفداء إسماعيل بن كثير، ت: مصطفى السيد أحمد - محمد السيد رشاد

- محمد فضل العجماوي - علي أحمد عبد الباقي- حسن عباس قطب، مؤسسة قرطبة، ط١ (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).

٩٨-«**تفسير جزء تبارك**» عبد القادر المغربي، وزارة المعارف العمومية-مصر. المطبعة الأميرية (القاهرة) (١٣٦٦هـ-١٩٤٧م).

٩٩-«**توراة اليهود والإمام ابن حزم الأندلسي**» قدم له وهذّبه ورتّبه وعلق عليه: عبد الوهاب عبد السلام طويلة، دار القلم (دمشق)، د.ط.

١٠٠-«**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**» عبد الرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى به تحقيقاً ومقابلة: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مكتبة العبيكان، ط١ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).

١٠١-«**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**» أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: عبد الله التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلاميةبدار هجر، ط١ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).

١٠٢-«**جدلية الغيب والإنسان والطبيعة العالمية الإسلامية الثانية**» محمد أبو القاسم حاج حمد، دار الهادي، ط١ (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).

١٠٣-«**حوار الآباء مع الأبناء في القرآن الكريم وتطبيقاته التربوية**» سارة المطيري، إشراف: السعيد محمود السعيد عثمان، رسالة لنيل درجة الماجستير، جامعة أم القرى/كلية التربية، (١٤٢٨هـ - ١٤٢٩هـ).

١٠٤- «**حياة نوح**» محمود شلبي، دار الجيل (بيروت - لبنان)، د.ط.

١٠٥-«**خفايا التوراة وأسرار بني إسرائيل**» كمال الصليبي، دار الساقي (بيروت)، ط٦ (٢٠٠٦م).

١٠٦-«**دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية أضاليل وأباطيل**» إبراهيم عوض، مكتبة البلد الأمين، ط١ (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).

١٠٧-«**دراسات تاريخية من القرآن الكريم في العراق**» محمد بيومي مهران، دار النهضة العربية (بيروت)، ط٢ (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

١٠٨- «**دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية**» سعود بن عبد العزيز الخلف، مكتبة أضواء السلف، ط١ (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).

١٠٩-«**دراسات قرآنية**» محمد قطب، دار الشروق، د.ط.

١١٠-«**دعوة الرسل بين الخصوصية والتكامل في القرآن الكريم**» أطروحة لنيل شهادة الدكتوراة في العلوم الإسلامية، إعداد: عبد الرحمن حللي، بإشراف: احميدة النيفر، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).

١١١-«**دلالة الحائرين**» موسى بن ميمون القرطبي الأندلسي، عارضه بأصوله العربية والعبرية وترجم النصوص التي أوردها المؤلف بنصها العبري إلى العربية وقدم له: حسين آتاي، مكتبة الثقافة الدينية، د.ط.

١١٢-«**رد افتراءات الجابري على القرآن الكريم**» محمد عمارة، دار السلام، د.ط.

١١٣- «**رسالة في اللاهوت والسياسة**» اسبينوزا، ترجمة: د.حسن حنفي، مراجعة د.فؤاد زكريا، دار

التنوير (بيروت)، ط١ (٢٠٠٥).

١١٤- «**روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**» محمود شكري الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي (بيروت - لبنان).

١١٥-«**رؤى وآراء معاصرة**» دراسة نقدية، غازي التوبة، ط١ (١٤٣٤هـ - ٢٠١٢م) .

١١٦- «**زاد المسير في علم التفسير**» أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، المكتب الإسلامي، ط٣ (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م).

١١٧-«**سفر التكوين في ميزان القرآن الكريم من آدم إلى إبراهيم**» صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار العلوم للنشر والتوزيع (عمان - الأردن)، ط١ (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).

١١٨-«**سيكولوجية القصة في القرآن**» التهامي نقرة، رسالة دكتوراة، جامعة الجزائر (١٩٧١م)، الشركة التونسية للتوزيع، د.ط.

١١٩-«**شخصية نوح عليه السلام في القرآن الكريم**» حسن محمد حسين زغل، إشراف: د.محسن سميح الخالدي، قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية نابلس، فلسطين (٢٠٠٨م).

١٢٠- «**شرح العقيدة الطحاوية**» علي بن أبي العز الدمشقي، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي- شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، د.ط. «**لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المرضية في عقد الفرقة المرضية**» محمد بن أحمد السفاريني، د.ن، د.ط.

١٢١-«**شرح المقاصد**» مسعود بن عمر بن عبد الله الشهير بسعد الدين التفتازاني، قدم له ووضع حواشيه وعلق عليه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية (بيروت- لبنان)، د.ط.

١٢٢- «**شرح جوهرة التوحيد**» إبراهيم الباجوري، نسقه وخرج أحاديثه، محمد أديب اليلاني-عبد الكريم تتّان، راجعه زقدم له: عبد الكريم الرفاعي، د.ن.

١٢٣-«**طوفان نوح بين الحقيقة والأوهام**» جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، مملكة البحرين، ط١ (٢٠٠٥م).

١٢٤-«**ظاهرة النبوة الإسرائيلية (طبيعتها- تاريخها- الموقف الإسلامي منها)**» محمد خليفة حسن أحمد، مطبوعات مركز الدراسات الشرقية (الجيزة)، (١٤١٢هـ- ١٩٩١م).

١٢٥-«**عصمة الأنبياء**» فخر الدين الرازي، تقديم ومراجعة: محمد حجازي، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة)، ط١ (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).

١٢٦-«**عقائد اليهود من خلال الحوار مع النبي صلى الله عليه وسلم**» عدنان أحمد العبد البرديني، إشراف: جابر زايد عبد السميري، قدم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة (١٤٣١هـ - ٢٠١٠م)، غزة.

١٢٧- «**عقيدة المسلم**» محمد الغزالي، دار الريان للتراث، د.ط.

١٢٨- «**عورة نوح ولعنة كنعان وتلفيق الأصول**» أحمد الدبش، خطوات للنشر والتوزيع، ط١

(٢٠٠٧م).

١٢٩- «**فقه الدعوة من قصة موسى عليه السلام**» محمود محمدعمارة، مكتبة الإيمان، ط١ (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).

١٣٠-«**في الشعر الجاهلي**» طه حسين، دار المعارف للطباعة والنشر (تونس)، د.ط.

١٣١-«**في ظلال القرآن**» سيد قطب، د.ن، د.ط.

١٣٢-«**في مقارنة الأديان بحوث ودراسات**» محمد عبد الله الشرقاوي، دار الجيل (بيروت) - مكتبة الزهراء (بحرم جامعة القاهرة)، ط٢ (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).

١٣٣-«**قاموس الكتاب المقدس**» نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، هيئة التحرير: د.بطرس عبد الملك-د. جون ألكسندر طمسن- أ. إبراهيم مطر. د.ط.

١٣٤-«**قصة الفلسفة الحديثة**»، زكي نجيب محمود، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، بدون ط، ١٩٣٦م).

١٣٥-«**قصص الأنبياء**» عبد الوهاب النجار، د.ن، د.ط.

١٣٦-«**قصص الأنبياء**» محمد متولي الشعرواي، جمع المادة العلمية: منشاوي غانم جابر، كتب الحواشي وراجعها: مركز التراث لخدمة الكتاب والسنة، مكتبة التراث الإسلامي، د.ط.

١٣٧-«**قصص القرآن الكريم**» (صدق حدث وسمو هدف - إرهاف حس وتهذيب نفس)، فضل حسن عباس، دار النفائس (الأردن)، ط٣ (١٤٣٠هـ - ٢٠١٠م).

١٣٨-«**قضايا العقيدة ومنهج الدعوة إلى الله في قصة نوح عليه السلام**» جميلة أحمد محمود صقر، إشراف: أحمد المهدي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة أم القرى بمكة المكرمة/كلية الدعوة وأصول الدين، العام (١٤١٠هـ).

١٣٩-«**قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية**» (نقد مطاعن - ورد شبهات)، فضل حسن عباس، دار البشير، ط٢ (١٤١٠هـ - ١٩٨٩م).

١٤٠-«**لا أساطير في القرآن**» إسماعيل أحمد الطحان، د.ن، د.ط.

١٤١-«**لسان العرب**» أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر (بيروت)، د.ط.

١٤٢-«**مباحث في علوم القرآن**» مناع القطان، مكتبة وهبة (القاهرة)، ط١١، (٢٠٠٠م).

١٤٣- «**مجموعة الفتاوى**» ابن تيمية، اعتنى بها وخرج أحاديثها: عامر الجزار-أنور الباز، دار الوفاء للطباعة والنشر (المنصورة) ط١ (١٤١٨هـ-١٩٩٧م).

١٤٤-«**مدخل إلى التلمود**»، أدين شتاينسالتز، ترجمة: د. فينيتا بوتشيفا الشيخ، دار الفرقد، دمشق، ط١، ٢٠٠٦م.

١٤٥-«**مدخل إلى القرآن الكريم الجزء الأول في التعريف بالقرآن**» محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت-لبنان)، ط١، (٢٠٠٦م).

١٤٦-«**مدخل إلى القرآن الكريم عرض تاريخي وتحليل مقارن**» محمد عبد الله دراز، ترجمة: محمد عبد العظيم علي، مراجعة: السيد محمد بدوي، دار القلم (الكويت)ط (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م).

١٤٧-«**مذاهب التفسير الإسلامي**» إجناس جولدتسهير، مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد، د.ط.

١٤٨-«**مزاعم المستشرقين حول القرآن الكريم**» محمد مهر علي، د.ن، د.ط.

١٤٩- «**معالم الدعوة في سورة نوح عليه السلام**» صالح يحيى صواب، مركز تفسير للدراسات القرآنية، د.ط.

١٥٠- «**معجم اللغة العربية المعاصرة**»، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

١٥١-«**معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**». مصطفى عبد الكريم الخطيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م،

١٥٢-«**مغالطات اليهود وردها من واقع أسفارهم**» عبد الوهاب عبد السلام طويلة، دار القلم (دمشق)، د.ط.

١٥٣-«**مغامرة العقل الأولى**» دراسة في الأسطورة، سوريا، أرض الرافدين، فراس السواح، د.ن، د.ط.

١٥٤-«**ملحمة كلكامش أوديسة العراق الخالدة**» طه باقر، د.ن، د.ط.

١٥٥-«**من ألواح سومر**» صمويل كريمر، ترجمة: طه باقر، مراجعة وتقديم: الدكتور: أحمد فخري، مكتبة المثنى ببغداد ومؤسسة الخانجي بالقاهرة، د.ط.

١٥٦-«**من بلاغة القرآن**» أحمد أحمد بدوي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط.

١٥٧-«**مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية**» المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (تونس)، صدر في إطار الاحتفاء بالقرن الخامس عشر الهجري، القرآن والمستشرقون، التهامي نقرة.

١٥٨-«**موسوعة بيان الإسلام الرد على الافتراءات والشبهات**» نخبة من كبار العلماء، دار نهضة مصر للنشر، د.ط.

١٥٩- «**موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**» محمد علي التهانوي، تقديم وإشراف ومراجعة: د.رفيق العجم، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون (بيروت-لبنان)، ط١ (١٩٩٦م).

١٦٠-«**نبوة آدم ورسالته بين الظن واليقين**» عز الدين بليق، دار الفتح للطباعة والنشر (بيروت - لبنان)، ط١ (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).

١٦١-«**نظرات في القرآن**» محمد الغزالي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٦ (٢٠٠٥م).

١٦٢-«**نقد التوراة أسفار موسى الخمسة**» أحمد حجازي السقا، مكتبة النافذة، د.ط.

١٦٣- «**نوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيد**»، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم

(دمشق) - الدار الشامية (بيروت)، ط١ (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).

المقالات :

١- مقال: «**إشارات علمية رائعة في قصة نوح**» عبد الدائم الكحيل، www. Kaheel7.com.

٢- مقال «**قصة آدم بين القرآن الكريم والتوراة**» (دراسة مقارنة)، غسان عاطف بدران، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات –العدد الثاني والعشرون- شباط (٢٠١١) (ص/٢٩٦).

٣- مقال: «**النص القرآني عند محمد شحرور**» ياسين سليماني، www. Odabasham.net/24

٤- مقال: «**تهافت محمد شحرور في تفنيده لطول عمر نوح عليه السلام والرد عليه**» عز الدين كزابر.. (٢٠١٤م)، http: kazaaber. Blogspot.qa/2014/10/blog - post.html.

٥- مقال: «**قراءة شحرور للقصص القرآني بين التحريف والتخريف**» (٢)، طارق مصطفى حميدة، islamsyria.com/site/show - articles/6646.

٦- مقال: «**القراءة المعاصرة للقصص القرآني**» **قراءة محمد شحرور دراسة تحليلية نقدية تكاملية**، د. محمد كنفوري nama-cemter.com./Article

٧- مقال: «**العائد الحضاري والمعرفي في القراءة المعاصرة للقرآن الكريم عند محمد شحرور**» الحسن حما، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث (٢٠١٣م).

٨- مقال: «**القصص القرآني قراءة في كتابات الحداثيين العرب**» تقي الحسني، صحيفة المثقف، العدد ٣٣٨٥ (٢٠١٥/١٢/١٢) صادرة عن مؤسسة المثقف العربي. www.almothaqaf.com.

٩- مقال: «**حوار حول الدراسات القرآنية والقراءات المعاصرة**» عبد الرحمن الحاج، www.almultaka.org/site.php?id.

١٠- مقال: «**المدرسة الفكرية المعاصرة في تفسير القرآن الكريم (١)**» الجيلاني بن التوهامي مفتاح، مجلة المسلم المعاصر، العدد (١٠١) سبتمبر (٢٠٠١م).

١١- مقال: «**المدرسة الفكرية المعاصرة في تفسير القرآن الكريم (٢)**» الجيلاني بن التوهامي مفتاح، مجلة المسلم المعاصر، العدد (١٠٢) ديسمبر (٢٠٠١م).

١٢- مقال: «**مدخل إلى القرآن الكريم : استكشاف أم تشكيك؟**» قراءة في كتاب" مدخل إلى القرآن الكريم: في التعرف بالقرآن " للدكتور محمد عابد الجابري، محمد اكيج (باحث في الفكر الإسلامي والدراسات القرآنية،)، شبكة ضياء للمؤتمرات والندوات (٢٠١٥م) www.diae.net.

١٣- مقال: «**محمد عابد الجابري قارئاً للقرآن**» سامر رشواني، www.liberaldemocraticpartyofiraq.com.

١٤- مقال: «**محتوى النص القرآني في فهم المستشرقين**» عادل عباس النصراوي، مجلة دراسات استشراقية (فصلية تعنى يالتراث الاستشراقي عرضاً ونقداً)، السنة الثالثة –العدد ٦ - شتاء (١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م)، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية.

١٥- مقال: «**الطوفان العظيم**» محمد دودح، مستشار علمي بالهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة - منتدى التوحيد.

١٦- مقال: «**رمزية القصص الديني في الفكر الكتابي**» قصة الطوفان أنموذجاً، نزار علي الصغير صميدة، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، المجلد الثالث والعشرون، العدد الأول يناير (٢٠١٥م)

١٧- مقال «**قصص القرآن (نوح عليه السلام) عرض وتحليل**» للأستاذ البهي الخولي، مجلة المسلمون القاهرية، إصدار: الدكتور سعيد رمضان، العدد السادس (١٣٧٢هـ-١٩٥٣مـ).

١٨- مقال: «**سفينة نوح**»، موقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

فهرس الموضوعات

كلمة شكر وتقدير ٥
المقدمة ٣
التمهيد: النبوة والأنبياء بين الإسلام واليهودية ٩
أولاً: مفهوم النبوة: ١٢
ثانياً: صفات الأنبياء ومراتبهم: ١٩
ثالثاً: الحاجة إلى الأنبياء والرسل والإيمان بهم: ٢٦
الفصل الأول: قصة نوح عليه السلام في القرآن الكريم ٣١
تمهيد: ٣٣
المبحث الأول: شخصية نوح في القرآن الكريم ٣٥
المطلب الأول : نسب نوح عليه السلام ومولده ٣٧
المطلب الثاني : عمر نوح عليه السلام ٤٠
المطلب الثالث : خصائص نوح عليه السلام ٤٥
المبحث الثاني: قوم نوح ومعبوداتهم في القرآن الكريم ٥١
المطلب الأول : قوم نوح في القرآن الكريم ٥٣
المطلب الثاني : معبودات قوم نوح في القرآن الكريم ٥٧
المبحث الثالث: دعوة نوح عليه السلام في القرآن الكريم ٦١
المطلب الأول : خصوصية دعوة نوح عليه السلام ٦٣
المطلب الثاني : مضمون دعوة نوح عليه السلام ٦٧
المطلب الثالث : أساليب نوح عليه السلام في الدعوة ٧١
١- اللين والتلطف: ٧١
٢- النصح والحرص عليهم: ٧١
٣- إشغال الأوقات كافة بالدعوة: ٧٢
٤- تعدد صيغ الخطاب. ٧٣
٥- الترغيب والترهيب. ٧٤
٦- الفكروالتأمل ٧٦
المطلب الرابع : موقف قوم نوح من الدعوة والرد عليه ٧٧
أولاً: الشبهات ٧٧
ثانياً: التهديد والتخويف: ٨٦
المطلب الخامس : مدة الدعوة وحصيلتها ٨٨
المبحث الرابع: السفينة والطوفان في القرآن الكريم ٩١

المطلب الأول : سبب الطوفان وصنع السفينة ٩٣
المطلب الثاني : علامة بدء الطوفان وحمولة السفينة ١٠٠
المطلب الثالث : كيفية الطوفان واستواء السفينة ١٠٥
المطلب الرابع : الطوفان بين العموم والخصوص ١١٠
المبحث الخامس: امرأة نوح وابنه في القرآن الكريم..... ١١٧
المطلب الأول : كفرامرأة نوح وخيانتها في القرآن الكريم ١١٩
المطلب الثاني : كفر ابن نوح في القرآن الكريم وموقف نوح عليه السلام منه . . . ١٢٢
أولاً: نسب ابن نوح واسمه: ١٢٢
ثانياً: نداء نوح لابنه وما جرى بينهما من حوار: ١٢٤
ثالثاً: نداء نوح لربه في شأن ابنه: ١٢٦
رابعاً: قدح في عصمة نوح عليه السلام : ١٣٠
الفصل الثاني: قصة نوح عليه السلام في العهد القديم ١٣٣
تمهيد: ١٣٥
المبحث الأول: شخصية نوح عليه السلام وقومه في العهد القديم..... ١٣٧
المطلب الأول : شخصية نوح عليه السلام في العهد القديم ١٣٩
أولاً: نسب نوح ومولده ونسله: ١٣٩
ثانياً: صفات نوح: ١٤٠
ثالثاً: عمر نوح: ١٤١
المطلب الثاني : وصف قوم نوح في العهد القديم ١٤٣
المبحث الثاني: السفينة والطوفان في العهد القديم..... ١٤٥
المطلب الأول : سبب الطوفان وصنع السفينة ١٤٧
المطلب الثاني : حمولة السفينة وكيفية حدوث الطوفان ١٥١
المطلب الثالث : انتهاء الطوفان واستقرار السفينة ١٦٠
المطلب الرابع : خروج نوح من السفينة ١٦٢
المطلب الخامس : عموم الطوفان ١٦٤
المبحث الثالث: بناء نوح مذبحا للرب وميثاق الله في العهد القديم..... ١٦٩
المبحث الرابع: سكر نوح ولعنة كنعان في العهد القديم..... ١٧٥
الفصل الثالث: قصة نوح عليه السلام في الدراسات المعاصرة ١٨٣
تمهيد: ١٨٥
المبحث الأول: قصة نوح في العلم الأركيولوجي والتنقيبات الحفرية..... ١٨٧
المطلب الأول : قصة نوح والآثار ١٨٩

أولاً: الرواية السومرية: ١٨٩
ثانياً: الرواية البابلية: ١٩٢
ثالثاً: الرواية التوراتية وروايات السومريين والبابليين: ١٩٧
المطلب الثاني : الطوفان في التنقيبات الحفرية ٢٠٢
المطلب الثالث : السفينة في التنقيبات الحفرية ٢٠٥
المبحث الثاني: قصة نوح في الفكر المعاصر..... ٢٠٩
المطلب الأول : قصة نوح في الفكر الاستشراقي ٢١١
المطلب الثاني : قصة نوح عليه السلام في الفكر العلماني ٢١٧
المطلب الثالث : قصة نوح عليه السلام في القراءة المعاصرة ٢٤٤
المطلب الرابع : قصة نوح في رأي كمال الصليبي ٢٧٢
الفصل الرابع: قصة نوح دراسة عقدية تربوية علمية في القرآن الكريم (دراسة مقارنة).... ٢٨١
المبحث الأول: مزايا القصة في القرآن الكريم..... ٢٨٣
تمهيد: ٢٨٥
المطلب الأول : مفهوم القصة القرآنية وأهدافها ٢٨٧
المطلب الثاني : خصائص القصة القرآنية ٢٨٩
المطلب الثالث : منهج القصة القرآنية ٢٩١
المبحث الثاني: الجانب العقدي في قصة نوح عليه السلام..... ٢٩٧
المطلب الأول : قضية التوحيد ٢٩٩
المطلب الثاني : إثبات النبوة ٣٠٤
المطلب الثالث : مسألة المعاد ٣٠٦
المطلب الرابع : قضايا عقدية أخرى ٣٠٨
المبحث الثالث: الجانب التربوي في قصة نوح عليه السلام..... ٣١٣
المطلب الأول : قيم تربوية في المجال الدعوي ٣١٥
المطلب الثاني : قيم تربوية في المجال الأسري ٣١٨
المبحث الرابع: الجانب العلمي في قصة نوح عليه السلام..... ٣٢١
الخاتمة ٣٢٧
أولا: النتائج: ٣٢٩
ثانياً: التوصيات: ٣٣١
الفهارس العامة ٣٣٣
فهرس الآيات ٣٣٥

فهرس الأحاديث ٣٤٦
فهرس الأعلام ٣٤٧
فهرس المصادر والمراجع ٣٤٨
فهرس الموضوعات ٣٦٠